تفسير

مقتنيات الدرر

تأليف

[illegible] الحائري الطهراني

المعروف بالمفسر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

2273
.948
v. 11-12

2273.948 v.11-12
al-Tihrānī
...Muqtanayāt al-durar

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 072714056

al-Tihrānī, ʿAlī ibn Husayn
...

Muqtanayāt al-durar

الجزء الحادي عشر

من كتاب التفسير
المسمى بمقتنيات الدرر

تأليف

الحاج مير سيد علي الحائري الطهراني

اعلى الله مقامه

المعروف بالمفسر

الناشر

الشيخ محمد الآخوندي
مدير
دار الكتب الإسلامية
بازار سلطاني - طهران
مطبعة الحيدري بطهران

١٣٣٩ هـ ش

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نزل القرآن نوراً و سراجاً و قمراً منيرا. والصلاة و السلام على رسوله الذى انزل عليه الكتاب بيانا للناس و هدى و موعظة للمتقين، و على آله الطيبين ثاني الثقلين. ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

و بعد فقد بذل علماء الاسلام قديماً و حديثاً جهدهم فى تفسير علوم القرآن و تبيين لغاته ومشكلاته، ففريق فسروا ألفاظه و بينوا حقائقه من مجازه، و جمع جمعوا أحكامه و بينوا حلاله و حرامه، وطائفة كشفوا عن تأويلاته قناعه؛ و كيفما كان ما و صلوا الا الى مبلغ علمهم و منتهى هممهم، و أنى لهم الوصول الى حقائق التنزيل و دقائق التأويل؟ لان القرآن هو النور الذى أنزله الله على قلب حبيبه محمد صلى الله عليه و آله. الا أن المتمسكين بولاء أهل بيت الوحي المستضيئين بنورعلمهم المامورين بالتمسك بهم فى حديث الثقلين قداغترفوا من بحارعلوم أهل بيت النبى غرفاً وغاصوا فيها واقتنوامنها درراً.

وهاهي المقتنيات الدرر، قد اقتناها علم من الاعلام ثمرة الشجرة الطيبة و النخبة من السلالة الطاهرة: «الحاج الميرسيد على الحائرى» تغمده الله بغفرانه، واوتي كتابه هذا بيمينه، فداقتنى من الدرر أغلاها و من الغرر أسناها فحقيق أن يتنافس المتنافسون في الاستفادة منها.

وقد وفق الله تلميذه المستضيء بنورعلمه المقتفي أثره: الحاج ميرزا عبدالحسين المعروف بمحسنيان لبذل الجهد باحياء هذا السفرالجليل القيم.

هذا ومنّ الله سبحانه على عبده الزاكى صاحب الهمة القعساء و ارومة الفضل: الحاج محمود الكاشاني؛ فانعم عليه و شرفه باعطاء نفقة طبع الكتاب خدمة للدين و اتحافاً للطيفة و الده السعيد الحاج محمد حسين الكاشانى طيب الله رمسه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ونشكر جميل مساعي الشاب الفاضل الاريب السيد الكاظم الموسوى المياموى حيث بذل جل أوقاته لمقابلة اجزاء الكتاب مع نسخة الاصل و تخريج الايات المنثورة في ثناياه و اسناد مايهم من رواياته و بعض الاصلاح فيه. ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لاتمامه بمحمد و آله.

محمد الاخوندى

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

سورة الرحمن

وتسمّى عروس القرآن مكّيّة . وقيل : مدنيّة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من قرأ سورة الرحمن رحم الله ضعفه و أدّى شكر ما أنعم الله عليه .

قال أبو بصير عن الصادق عليه السلام قال : لاتدعوا قراءة الرحمن والقيام بها فإنّها لا تقرّ في قلوب المنافقين و تأتي ربّها يوم القيامة في صورة آدميّ في أحسن صورة وأطيب ريح حتّى تقف من الله موقفاً لايكون أحد أقرب إلى قرب الله منها فيقول لها : من الّذى كان يقوم بك في الحياة الدنيا ويدمن من قراءتك ؟ فتقول : ياربّ فلان و فلان و فلان فيبيضّ وجوههم فيقول لهم : اشفعوا فيمن أحببتم فيشفعون حتّى لايبقى لهم غاية ولا أحد يشفعون له فيقول : لهم ادخلوا الجنّة و اسكنوا فيها حيث شئتم . ختم الله السورة باسمه وافتتح هذه السورة باسمه .

2273
948

V.11-12

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن (١) علم القرآن (٢) خلق الانسان (٣) علمه البيان (٤) الشمس والقمر بحسبان (٥) والنجم والشجر يسجدان (٦) والسماء رفعها و وضع الميزان (٧) الا تطغوا في الميزان (٧) واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان(٩) والارض وضعها للانام(١٠) فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام(١١) والحب ذو العصف والريحان (١٢) فبأى الاء ربكما تكذبان (١٣) .

[الرحمن] مبتدأ وما بعده خبره أي الّذي له الرحمة الشاملة ووسعت رحمته كلّ شيء وفي الدعاء : رحمان الدنيا ورحيم الآخرة لأنّه عمّ الرزق في الدنيا وخصّ المؤمنين بالعفو في الآخرة ، والرحمة الجنّة والعطف ، ومنه الرحم للانعطاف و هو بالنسبة إلى الله إرادة الخير والإنعام بالإيجاد أوّلا وبالهداية إلى الايمان وأسباب السعادة ثانياً وهذه السورة مطرّزة بطراز اسم الرحمن . ولمّا كان القرآن أعظم النعم شأنا و إنّه مدار جميع السعادات كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : أشراف اُمّتي حملة القرآن أي ملازمو قراءته وأصحاب الليل وقال صلى الله عليه وآله وسلم : خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه ، في القرآن جميع حقائق الكتب السماويّة .

وكان تعليمه من آثار الرحمة فقال : [علّم القرآن] بواسطة جبرئيل وبواسطة محمّد غيره من الاُمّة و كما علّم آدم الأسماء كلّها فخصّ محمّداً واُمّته بخاصّة مثله [خلق الانسان علّمه البيان] أي أنشأه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عمّا في الضمير والكشف عن الشيء .

والمراد بالإنسان آدم عن ابن عبّاس ، فعلى هذا معنى علّمه البيان أي أسماء كلّ كلّ شيء واللغات كلّها قال الصادق : البيان الاسم الأعظم الّذي علم به كلّ شيء .

وقيل : المراد من الإنسان محمد ﷺ علّمه البيان أى علّم ماكان وما يكون إلى يوم القيامة [الشمس والقمر بحسبان] مبتدء وخبر والحسبان بالضمّ مصدر بمعنى الحساب كالغفران والرجحان يقال : حسبه عدّة وباب نصروبالكسر فبمعنى الظنّ من باب حسب بالكسر والمعنى يجريان بحساب مقدّر في بروجهما و منازلهما بحيث ينتظم بذلك الجريان اُمور الكائنات السفلّية ويحصل اختلاف الفصول والأوقات فالسنة القمريّة ثلاثمائة وأربعة و خمسون يوماً والشمسيّة ثلاثمائة وخمسة وستّون يوماً وربع يوم أو أقلّ و كلمة «يجريان» محذوف لدلالة الكلام عليه . والفرض في الآية بيان النعم وخصّهما بالذكر لما فيهما من المنافع الكثيرة للناس من الضوء والضياء ونضج الثمار إلى غير ذلك .

[والنجم والشجر يسجدان] النجم النبات الّذي ينجم و يطلع من الأرض ولاساق له مثل القرع ونحوه والشجر الّذي له ساق وقيل : كلّ نابت إذا ترك حتّى يبرز و انقطع فليس شجراً و كلّ شيء يبرز ولايقطع من سنته فهو شجر «يسجدان» أي ينقادان لله تعالى فيما يريد بهما طبعاً انقياد الساجد أو يسجد ظلّهما كما في قوله تعالى : «يتفيّأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجّداً لله»[1] وليس لنا علم بكيفيّة سجودهما كما أنّه لانفقه تسبيح الأشياء فذكر سبحانه في مقابلة النعمتين السماويّتين اللتين هما الشمس والقمر نعمتين أرضيّتين وهما النجم والشجر وهما أصل الرزق للحيوان .

وقيل : أراد بالنجم نجم السماء وهو موحّد والمراد جميع النجوم والشجر يسجدان لله بكرة وعشيّاً . ويجوز أن يكون المعنى أنّ كلّ جسم له ظلّ فهو خاضع وخضوعه دلالته على الحدوث و إثبات المحدث المدبّر له .

[والسماء رفعها] فوق الأرض انتصابه بمحذوف يفسّره المذكور أي خلقها مرفوعة محلاًّ كما هو المحسوس [و وضع الميزان] وشرع العدل أو آلة الوزن للتوصّل لكلّ ذي حقّ حقّه حتّى ينتظم به أمر العالم وإذا كان الميزان بمعنى العدل وبه قامت السماوات والأرض فالميزان هو القرآن وإذا كان بمعنى الآلة فبه يحصل التسوية والتعديل في الحقوق من أخذهم وإعطائهم .

---

(١) النحل : ٤٨ .

وقوله : [أن لاتطغوا في الميزان] أشدّ مناسبة في معنى الآلة وأن ناصبة ولانافية ولام العلةمقدّرة متعلّقةبوضع الميزان أي وضعه لئلاّ تعتدوا الإنصاف ، والطغيان مجاوزة الحدّ فمن قال : المراد من الميزان في الآية العدل فطغيانه الجور ومن قال : إنّه الآلة فطغيانه البخس والنقص .

[و أقيموا الوزن بالقسط] أي اجعلو أوزانكم مستقيماً به وراعوا المعدلة في جميع أفعالكم وأقوالكم [ولاتخسروا الميزان] و الخسر والإخسار النقص أي لاتنقصوا الموزون والإقامة باليد والقسط بالقلب والتكرار في لفظ الميزان تشديداً للوصيّة والحثّ على العدل . قيل : إنّ مالك بن دينار دخل على جار له احتضر فقال : يا مالك جبلان من نار بين يدي اُكلّف الصعود عليهماقال مالك : فسألت أهله فقالوا : كان له مكيالان يكيل بأحد هما ويكتال بالآخر .

[والأرض وضعها للأنام] أي خفضها مدحوّة على الماء ومبسوطةلمنافع الخلق . و الأنام جمع لاواحد له من لفظه بمعنى الخلق فهي كالمهاد لهم يتقلّبون عليها وقيل :الأنام كلّ ذي روح لأنّه ينام وقيل : من ونم الذباب همس وعبّر عن الأرض بالوضع لماعبّر عن السماء بالرفع .

[فيهافاكهة] في الأرض ما يتفكّه به من ألوان الثمارمن الأشجار وتنكير الفاكهة تشعر باختلاف الأنواع [والنخل ذات الأكمام] الكمّ وعاء الثمرة وغلفهاقبل التفتّق أي النخيل الّتي صاحبات الكمّ والكمّ كلّ مايكم و يغطّى فيه ممّا ينتفع به من ليف وجمار و كفري والجمار شحم النخل و كلّهاينتفع بها .

[والحبّ ذوالعصف] والعصف هو ورق الزرع أواليابس منه كالتبن أى وحبوب ينتفع بها وبورقها [والريحان] يعني الرزق بلغة حمير أو ماله من الرائحة من النبات أو الريحانالمعروف وهوالشاهسفرم وقيل : الريحان مالساقه رائحة طيّبة كما لورقه مثل الآس ، والورد لورقه رائحة فقط كالياسمين والجورى يقال : راح الشيء يريحه إذا وجد ريحه في الحديث من قتل نفساً معاهدة لم يرح رائحة الجنّة والريحان في الأصل ريوحان كفعيلان من روح قلبت الواو يا واُدغم ثمّ خفّف بحذف عين الفعل كما في ميّت .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] الخطاب للثقلين أي الجنّ والإنس المدلول عليهما قوله : «للأنام» لعمومه لهما وسينطق به قوله : «أيّها الثقلان» وأيضاً قوله : خلق الإنسان وخلق الجانّ إشعار بأنّ الخطاب لهما جميعاً والآلاء النعم الظاهرة والباطنة واحدها آلي وقيل : الآلاء النعم الظاهرة والنعم هي الباطنة والصواب أنّهما من الألفاظ المترادفة كالأسود والليوث ، والفلك والسفن .

روي عن جابر بن عبدالله قال : قرأ علينا رسول الله سورة الرحمن حتّى ختمها فقال : مالي أراكم سكوتاً ؟ الجنّ كانوا أحسن منكم ردّاً ماقرأت عليهم هذه الآية مرّة «فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان» إلّا قالوا : ولابشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد وفي الآية دلالة على أنّ الجنّ مكلّفون وزعمت الحشويّة أنّهم مضطرّون إلى أفعالهم وأنّهم ليسوا بمكلّفين والدليل على أنّهم مكلّفون ما في القرآن من ذمّ الشياطين ولعنهم وذكر ما أعدّ الله لهم من العذاب وهذه الأمور لايحصل إلّا لمن خالف الله وخالف الأمر والنهي وارتكب الكبائر مع تمكّنه من أن لايفعل ذلك .

خلق الانسان من صلصال كالفخار (١٤) وخلق الجان من مارج من نار (١٥) فبأى آلاء ربكما تكذبان (١٦) رب المشرقين ورب المغربين (١٧) فبأى آلاء ربكما تكذبان (١٨) مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لايبغيان (٢٠) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٢١) يخرج منها اللؤلؤ والمرجان (٢٢) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٢٣) وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام (٢٤) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٢٥) كل من عليها فان (٢٦) ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (٢٧) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٢٨) يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شان (٢٩) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٣٠) سنفرغ لكم أيه الثقلان (٣١) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٣٢) .

قوله : [خلق الإنسان من صلصال كالفخّار] من طين يابس كالمفخور في النار بحيث إذا تمسّه يتصلصل وله صوت وصلصلة يسمع من يبسه والفخّار الخزف والطين المطبوخ بالنار وتشبيهه بالفخّار لصوته من يبسه إذا نقر ولأنّه أجوف .

[وخلق الجانّ من مارج] الجانّ أبو الجنّ أو الجنّ أو إبليس والمرج هو المختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر و الأصفر والأخضر الّذي يعلو النار إذاوقدت

من مرج القوم إذا اختلط واضطرب فمعنى « من مارج » أي من لهب مختلط [من نار] بيان لمارج قيل : خلق الجنّ من مارج من نار والملائكة من نورها والشياطين من دخانها وقال بعضهم : خلقوا من النار الّتي بين الكله الرقيقة وبين السماء وفيها يكون البرق وقيل : المارج النار المخلوطة الممتزجة بالهواء فحينئذ الجنّ من عنصر النار والهواء والإنسان من عنصر التراب والماء وهو الطين .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] ممّا أفاض عليكما من سوابغ النعم .

[ربّ المشرقين وربّ المغربين] خبر مبتدء محذوف أي الّذي أصنع هذه الأفاعيل البديعة ربّ مشرقي الصيف والشتاء ومغربيها وذلك مثل قولك في وصف ملك عظيم : له المشرق والمغرب ؛ فإنّه يفهم منه أنّ له ما بينهما أيضاً ، وأحد المشرقين هو الّذي تطلع منه الشمس في أطول يوم السنة والثاني الّذي تطلع منه في أقصر يوم من السنة وبينهما مائة وثمانون مشرقاً بعدد أيّام السنة وكذا الكلام في المغربين وقيل : أحد المشرقين للشمس والثاني للقمر وكذا المغربان والمراد من قولهم : ما بين المشرق والمغرب ميلة يعني لأهل المشرق وهو أن تجعل مغرب الصيف على يمينك ومشرق الشتاء على يسارك فتكون مستقبل القبلة .

القمّي روى عن الصادق عليه السلام أنّ المشرقين رسول الله وأمير المؤمنين ، والمغربين الحسن والحسين .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] و في ذلك من اختلاف المشارق فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء و تغيير الفصول وحدوث ما يناسب في كلّ فصل في وقته .

[مرج البحرين] مرجت الدابّة إذا أرسلتها للرعي والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب وتطرّق المالح في العذب والعذب في المالح حال كونهما متجاورين ويتماسّ سطوحهما و [يلتقيان] كدجلة مثلاً تدخل البحر فتشقّه فيجري في خلال البحر فراسخ لا يتغيّر طعمها .

[بينهما برزخ] وحاجز من قدرة الله [لا يبغيان] ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصيّة مع أنّ شأنهما الاختلاط على الفور بل يبقيان زماناً يسيراً

وقيل : المراد من البحرين بحر السماء وبحر الأرض فإنّ في السماء بحراً يمسكه الله بقدرته ينزل منه المطر فيلتقيان في كلّ سنة وبينهما حاجز يمنع بحر السماء من النزول وبحر الأرض من الصعود وينزل من بحر السماء المطر وقيل : إنّهما بحر فارس وبحر الروم فإنّ آخر طرف هذا يتّصل بآخر طرف ذاك والبرزخ بينهما الجزائر .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] و ليس من البحرين من الفوائد شيء يقبل التكذيب .

[يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان] اللؤلؤ كبار الدرّ والمرجان صغاره أو المرجان الخرز الأحمر المشهور يقال : يلقيه الجنّ في البحر وفي خريدة العجائب: اللؤلؤ يكون في بحر هند وفارس والمرجان ينبت في البحر كالشجر وإذا كلس المرجان عقد الزيبق فمنه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود وهو يقوّي البصر كحلاً وينشف رطوبة العين .

واعلم أنّه إن اُريد بالبحرين بحر فارس و بحر الروم فلا حاجة في قوله : «منهما» إلى التأويل إذ اللؤلؤ والمرجان بمعنييه يخرجان منهما وقال بعضهم : يخرج من الاُجاج من المواضع الّتي يقع فيها المياه العذبة من الأنهار فيناسب إسناد ذلك إليهما وهذا مشهور عند الغوّاصين .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] لأنّ الجواهر الثمينة من نعماء الله لخلقه حيث يتحلّون بها قال ابن عبّاس وجماعة : إنّ تكوّن هذه اللآلي في البحر بنزول المطر لأنّ الصدف تفتح أفواهها للمطر فتكون الأصداف كالأرحام للنطف و لذلك أنّ السنة إذا أجدبت قلّت الأصداف وهزلت الحيتان فضمير منهما للبحرين باعتبار الجنس .

وقيل : البحران عليّ وفاطمة والبرزخ النبيّ ويخرج منهما الحسن والحسين عليهم السلام قال صاحب روح البيان : وعن الصادق : عليّ وفاطمة بحران عميقان لا يبغيان أحدهما على صاحبه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين و في المجمع أيضاً ذكر هذه الرواية عن سعيد بن جبير وسلمان الفارسيّ وسفيان الثوريّ .

وقيل : هما الدنيا والآخرة والبرزخ القبر وقيل : الحياة والممات ، والأجل البرزخ. وقال بعض أهل التأويل : الخوف والرجاء ويخرج منها الورع والتقوى . وقال ابن عطا :

بين العبد والربّ بحران عميقان : أحدهما بحر النجاة وهو الدّين والقرآن وبحر الهلاك وهو الدنيا ومن اعتصم بحبل الله نجى ومن ركن إلى الدنيا هلك و ردى .

[وله الجوار المنشآت] اللام لام الملك أو لام الاستحسان والتعجّب مثل قوله : لله أبوك ولله درّك والجوار بكسر الراء أصله الجواريّ بالياء جمع جارية بمعنى السفن اُقيمت الصفة مقام الموصوف وسمّيت السفينة جارية لأنّ شأنها الجري في البحر وإن كانت واقفة في الساحل كما تسمّى المملوكة أيضاً جارية لأنّ شأنها الجري والسعي في حوائج سيّدها ، والمراد بالمنشآت المرفوعات الشرع يقال : أنشأه إذا رفعه أو مرفوعات على الماء أو المنشآت معناها المصنوعات وقرىء منشئات بكسر الشين أي تنشيء الموج بصدرها [في البحر كالأعلام] جمع علم و هو الجبل الشاهق لأنّ السفن في البحر كالجبال في البرّ .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] من خلق موادّ السفن والإرشاد إلى أخذها ونفعها وحصول التجارات والمعاملات المفيدة بسببها .

[كلّ من عليها فان] الهاء كناية عن غير مذكور وهو الأرض كقولهم : ما بين لابتيها وهم في المدينة وإنّما جاز ذلك لكونه معلوماً أي كلّ من على الأرض من حيوان فهو هالك ويفنون . ولمّا نزلت هذه الآية قالت الملائكة : هلكت بنو آدم فلمّا نزلت « كلّ نفس ذائقة الموت »[1] أيقنوا بهلاك أنفسهم فإن لهم أرواحاً وأجساماً لطيفة وأرواحهم ليست مجرّدة عن تلك الأجسام اللطيفة فهم ذوات الأنفس .

[ويبقى وجه ربّك] أي الباقي ذاته ومنه قولهم : كرّم الله وجهه أي ذاته والوجه العضو المعروف استعير للذات لأنّه أشرف الأعضاء ومجمع أغلب المشاعر وموضع السجود ويجوز أن يكون الوجه بمعنى القصد فحينئذ المعنى كلّ من عليها من الثقلين وما اكتسبوه من الأعمال هالك إلّا ما توجّهوا به جهة الله وعملوه ابتغاء مرضاته وعلى هذا المعنى .قال الشيخ أكبر ـ وهو من علماء العامّة ـ إنّ الضمير في وجهه راجع إلى الشيء .

[ذو الجلال والإكرام] صفة وجه أي ذو الاستغناء المطلق والعظمة في ذاته وصفاته

(١) آل عمران : ١٨٥ .

وفي الحديث ألظّوا بياذا الجلال والإكرام ؛ الإلظاظ اللزوم والإلحاح وعنه ﷺ أنّه مرّ برجل وهو يعلي ويقول : ياذا الجلال والإكرام قال : استجيب لك الدعاء ؛ فالدعاء بهاتين الكلمتين مرجوّ الإجابة .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] فإن قيل: أيّ نعمة في الإفناء ؟ فالجواب أنّ النعمة التسوية بين الحقّ فيه و إنّه وصلة إلى الثواب ،تصل بين الصواب والعمل بالفناء ليفعل الطاعة لحسنها فيستحقّ الثواب ولو عجّل الثواب لصار الإنسان ملجئاً إلى العمل ولم يستحقّ الثواب .

[يسأله من في السماوات والأرض] يسألونه حوائجهم و الرزق و المغفرة كما أنّ أهل السماء أيضاً يسألونه في وجوداتهم حدوثاً وبقاء وسائر أحوالهم سؤلاً مستمرّاً بلسان الحال والمقال فإنّ الخلق كافّة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود و ما يتفرّع عليه من الكمالات بالمرّة بحيث لوانقطع ما بينهم وبين العناية الإلهيّة من علائق اللطف لم يشمّوا رائحة الوجود أصلاً فهم مستمرّون في كلّ آن على السؤال .

[كلّ يوم هو في شأن] أي كلّ وقت من الأوقات والمراد بطن الزمان في الحقيقة وهو اليوم الإلهيّ الّذي هو الآن وهو غير منقسم في شأن من الأشؤن من الإعطاء والمنع والفقر والغنى ويأتي بأحوال منها ويذهب بأحوال منها من العزّة والذلّة والصحّة والمرض ونحو ذلك حسب ما يقتضيه الحكمة البالغة و في الحديث من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرّج كرباً ويرفع قوماً ويضع قوماً وسوق المقادير إلى المواقيت قال ﷺ : إنّ الربّ لينظر إلى عباده كلّ يوم ثلاثمائة وستّين نظرة يبدىء ويعيد وذاك من حبّه خلقه وعن عيينة إنّ الدهر كلّه عند الله يومان أحدهما اليوم الّذي هو مدّة الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي ، الإماتة والإحياء والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء و الحساب و الثواب و العقاب قيل : نزلت الآية في اليهود حين قالوا : إنّ الله لايقضي يوم السبت شيئاً فردّ عليهم .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] مع مشاهدتكم من الإيجادات من كتم العدم إلى

الوجود .

[سنفرغ لكم] وهذا الكلام مستعار من قول المهدّد لصاحبه مثل قولهم : سأفرغ لك أي سأتجرّد لعقوبتك و أقصد والخطاب للمجرمين من الطائفتين وحاصل المعنى أنّ عند انتهاء الشؤون نجازيكم ولايبقى إلاشأن واحد و هوجزاؤكم [أيّها الثقلان] وإنّ الجنّ والإنس جعلا أثقالاً أي محمولة على الأرض وجعل ما سواهما كالعلاوة أو لرزانة آرائهما أولأنّهما مثقّلان بالتكليف أو لعظم قدر هما في الأرض كما في الحديث إنّي تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] الّتي من جملتها البيان والبيّنة بأُمور سيلقونه يوم القيامة للتحذير عمّا يؤدّي إلى سوء الحساب وإنّ في التحذير عنهمانعمة عظيمة .

يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان (٣٣) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٣٤) يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران (٣٥) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٣٦) فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان (٣٧) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٣٨) فيومئذ لايسال عن ذنبه انس ولاجان (٣٩) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٤٠) يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام (٤١) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٤٢) هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون (٤٣) يطوفون بينها وبين حميم آن (٤٤) فبأى الاء ربكما تكذبان (٤٥) .

المعنى : [يامعشر الجنّ والإنس] خوطبا باسم جنسهما والمعشر الجماعة العظيمة سمّيت به لبلوغه غاية الكثرة فإن العشر العدد الكامل الكثير الّذي لا عدد بعده إلّا بتركيبه بما فيه من الآحاد تقول : أحد عشر وعشرون وثلاثون أي اثنتا عشرات وثلاث عشرات و لذا سمّي العدد الكثير معشراً كأنّه قيل : محلّ العشر الّذي هو الكثيرة الكاملة وتقديم الجنّ في الذكر لتقدّم خلقه والإنس على الجنّ في قوله : « قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ (١) » لفضله . إن قدرتم على الجواز و الخروج و الخصوص من جوانب السماوات والأرض هاربين من الله فارّين من حكمه .

(١) الاسراء : ٨٨ .

[فانفذوا] و اخرجوا منها و أخلصوا أنفسكم من عقابي [لاتنفذون] ولاتقدرون على النفوذ [إلّا بسلطان] وبقوّة وأنتم بمعزل عن القدرة روي أنّ الملائكة تحيط بجميع الخلائق فيهرب الإنس والجنّ فلا يأتون وجهاً إلّا وجدوا الملائكة أحاطت فيقول الملائكة لهم ذلك فكما لايقدر أحد على الفرار يوم القيامة كذلك لايقدر في الدنيا فيدركه الموت .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] من التنبيه والتحذير والعفو مع كمال القدرة على العقوبة .

[يرسل عليكما شواظ من نار] هو لهب خالص لادخان فيه أودخان النار وحرّها كما في القاموس وذلك حين يساق إلى المحشر عن ابن عبّاس ، أي يرسل عليكما لهب خالص بلادخان و يسوقكم إلى المحشر عن ابن عبّاس . و التنوين فيها للتفخيم والتشديد [ونحاس] صفر مذاب يصبّ على رؤوسهم وقيل : دخان عن ابن عبّاس [فلا تنتصران] أي لا يمنعان من ذلك العذاب .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] من بيان عاقبة الكفر والشرك والمعاصي وأيّ نعمة أكمل من تحذير الإنسان ممّا يؤول أمره إلى مثل هذا العذاب .

[فإذا انشقّت السماء] وانصدعت يوم القيامة وانفكّ بعضها من بعض لقيام الساعة أوصارت أبواباً لنزول الملائكة كقوله : « ويوم تشقّق السماء بالغمام و نزّل الملائكة تنزيلاً » (١) [فكانت وردة] أي فصارت السماء كوردة حمراء في اللون و هي الزهرة المعروفة الّتي تشمّ أو هو الفرس الأبيض الّذي يضرب إلى الحمرة فتصير السماء كالوردة في لونها . ثمّ يجري [كالدهان] خبر ثان لكانت وهو جمع دهن أو اسم لما يدّهن به كالإدام لما يؤتدم به أي تذوب وتجري كذوبان الدهن وجريه وجواب إذا محذوف تقديره لرأيت أمراً هائلاً عظيماً .

روى مسعدة بن صدقه عن كليب قال : كنّا عند أبي عبدالله فأنشأ يحدّثنا فقال : إذا كان يوم القيامة جمع الله العباد في صعيد واحد ويوحي إلى السماء الدنيا أن

(١) الفرقان : ٢٥ .

اهبطي بمن فيك فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الملائكة و الجنّ والإنس ثمّ يهبط أهل السماء الثانية بمثل الجميع مرّتين فلا يزالون كذلك حتّى يهبط أهل السماوات السبع فينظر الجنّ و الإنس فإذاً قد أحاط بهم سبعة أطواق من الملائكة .

وقيل : الدهان الأديم الأحمر وجمعه أدهنة وقيل : هو عكر الزيت يتلوّن ألواناً أحياناً قال الفرّاء : شبّه سبحانه تلوّن السماء بالدهان أي تتلّون السماء مثل تلوّن الوردة من الخيل ، والفرس الورد يكون في الشتاء أحمر لونه و في الربيع أصفر و في الشتاء[١] أغبر فكذلك السماء فشبّهها في اختلاف ألوانها بالفرس الورد .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] مع عظم شأن الآلاء .

[فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولاجانّ] أي يوم انشقاق السماء حسب ماذكر لا يسأل عن ذنبه لأنّهم يعرفون بسيماهم فلا يحتاج في تمييز المذنب عن غيره إلى أن يسأل عن دينه وذلك أوّل ما يخرجون من قبورهم و يحشرون إلى الموقف فوجاً فوجاً و لا ينا في ذلك مع قوله سبحانه « فوربّك لنسألنّهم أجمعين [٢] » وذلك في موقف الحساب و المناقشة ومواقف القيامة كثيرة قال ابن عبّاس : لايسألهم هل عليهم كذا و كذا فإنّه أعلم منهم ولكن يسألهم بمَ عملتم كذا و كذا وعنه أيضاً لايسألون سؤال تحقيق و إنّما يسألون سؤال تقريع وأراد بالجانّ الجنّ كما يقال : تميم و يراد ولده و طائفته .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] و الإخبار بما يزجر الإنسان من الشرّ هو النعمة و إنّ الانتقام من الأعداء نعمة على الأحباب و لذاورد الحمد عقيب العقوبة كما قال : « فقطع دابر القوم الّذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين [٣] » .

[يعرف المجرمون بسيماهم] السيماء بالقصر والمدّ العلامة والجملة استيناف يجري مجرى التعليل لعدم السؤال أي لايحتاج إلى السؤال لأنّهم يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون ومايعلوهم من الكآبة والحزن كمايعرف الصالحون بأضداد ذلك .

(١) كذا في الاصل .
(٢) الحجر : ٩٢ .
(٣) الانعام : ٤٥ .

[فيؤخذ بالنواصي والأقدام] الناصية مقدّم الرأس و لعلّ المراد شعرها يأخذ الملائكة بشعور مقدّم رأسهم و أقدامهم أو يؤخذ بجمع نواصيهم وأقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم فيقذفونهم في النار .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] من الزواجر .

[هذه جهنّم الّتي يكذّب بها المجرمون] أي يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ [يطوفون بينها] أي يدورون بين النار [وبين حميم آن] أي ماء بالغ في الحرارة أقصاها يصبّ عليهم أو يسقون منه يدورون من النار إلى الحميم و من الحميم إلى النار من أنى يأني آن مثل قضى يقضي قاض وقيل : معنى « الآن » الحاضر و في تفسير عليّ بن إبراهيم أي لها أنين من شدّة حرّها . يسلّط عليهم الجوع فيؤتى بهم إلى الزقّوم الّذي طلعها كرؤوس الشياطين فأكلوا منها من شدّة الجوع فأخذت في حلوقهم فاستغاثوا بالماء فأُوتوا به من الحميم فإذا قرّبوه إلى وجوههم تناثر لحم وجوههم و يشربون من الحميم فتغلي أجوافهم ويخرج جميع ما فيها ثمّ يلقى عليهم الجوع فمرّة يذهب بهم إلى الحميم و مرّة إلى الزقّوم وهكذا .

قال كعب الأحبار : إنّ وادياً من أودية جهنّم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتّى يخلع أوصالهم ثمّ يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً فيلقون في النار .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] من هذه المواعظ النافعة الّتي توجب بعثاً وحثّاً على فعل ما يستحقّ به الثواب وتحفّظاً عمّا يستلزم العذاب .

ولمن خاف مقام ربه جنتان (٤٦) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٤٧) ذواتا افنان (٤٨) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٤٩) فيها عينان تجريان (٥٠) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٥١) فيهما من كل فاكهة زوجان (٥٢) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٥٣) متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنا الجنتين دان (٥٤) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٥٥) فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان (٥٦) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٥٧) كانهن الياقوت والمرجان (٥٨) فباى آلاء ربكما تكذبان (٥٩) هل جزاء الاحسان الا الاحسان (٦٠) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٦١) .

المقام اسم مكان ولكن ليس لله مكان ، ومقامه تعالى موقفه الّذي يقف فيه العباد للحساب كما قال : « يوم يقوم الناس لربّ العالمين »[1] والإضافة للاختصاص الملكيّ إذ لا ملك يومئذ إلّا لله ويدخل في عموم الآية من يهمّ بالمعصية فيذكّر الله فيدعها من مخافة الله [جنّتان] جنّة للخائف الإنسيّ وجنّة للخائف الجنّيّ فإنّ الخطاب للفريقين لكنّ الأصوب أن يكون المعنى كلّ أحد منهما جنّتان جنّة لعقيدته و اُخرى لعلمه أوجنّة لفعل الطاعات واُخرى لترك المعاصي أوجنّة يثاب بها واُخرى يتفضّل بها عليه .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] وقوله : « مقام ربّه » أي مقام شهود ربّه « فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان » من نعمة الفناء في الله ونعمة البقاء بالله وبهذا المعنى كمايقول لعائشة حين يغيب عن حسّه : كلّميني، للتبليغ والإرشاد .

[ذواتا أفنان] صفة اجنّتان وما بينهما اعتراض بينهما و تنبيه على أنّ تكذيب كلّ من الموصوف والصفة موجب للإنكار والتوبيخ وذواتا تثنية ذات بمعنى صاحبة وأصلها ذويه مؤنّثة ذوي و في تثنيتها لغتان الردّ على الأصل و هو ذواتا و التثنية على اللفظ فيقال : ذاتا والأفنان جمع فنّ أي من الأشجار والثمار أوجمع فنن و هو الغصن المستقيم طولاً ويشعب من فروع الشجر كأنّه قيل : ذواتا أشجار وأغصان وأظلال وأثمار و على معنى الفنّ أيضاً يستقيم المعنى قال الشاعر :

و من كلّ أفنان اللذاذة والصبا ❊ لهوت به و العيش أخضر ناضر

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] وليس فيها شيء يقبل التكذيب .

[فيهما عينان تجريان] صفة اُخري لجنّتان أي في الجنّتين عينان تجريان من جبل من مسك قال ابن عبّاس : تجريان من الماء الزلال : أحدهما التسنيم و الاُخرى السلسبيل قيل : و تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان ❊ فيهما من كلّ فاكهة زوجان] صنفان و ضربان متشاكلان كتشاكل الذكر و الاُنثى كالرطب واليابس فلذلك سمّاهما زوجين ضرب

(١) المطففين : ٦ .

معروف عندهم و ضرب من شكله غريب لم يعرفوه في الدنيا .

[متّكئين] حال لأهل الجنّتين أي قاعدين كالملوك جلسة راحة معتمدين [على فرش] جمع فراش وهو ما يبسط و يستمهد للجلوس والنوم [بطائنها من استبرق] قرىء بحذف الألف و كسر النون وقرىء باسكان النون و كسر الألف وقطعها والبطانة من الثوب ضدّ الظهارة والإستبرق ما غلظ من الديباج من البريق وهو الإضاءة و قيل : من البرقة وهو اجتماع ألوان فإذا كان بطائنها كذلك فما ظنّك بظهائرها ؟ لأنّ الظهارة في الملبوس أشرف وأعلى و قيل : ظهائرها من سندس أومن نور .

[وجنى الجنّتين دان] جنى اسم بمعنى المجنيّ كالقبض بمعنى المقبوض و دان من الدنوّ وهو القرب أي ما يتجنّى من أشجارها قريب يناله القائم و القاعد و المضطجع تدنو الشجرة حتّى يجتنيها وليّ الله بل قيل : إنّ تلك الثمار يقع في الفم بلا أخذ .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] من هذه الآلاء اللذيذة الباقية .

[فيهنّ قاصرات الطرف] في الجنان أو في الفرش قاصرات الطرف من إضافة الفاعل إلى منصوبه ومتعلّق القصر و هو قوله : « على أزواجهنّ » محذوف للدلالة عليه و المعنى نساء يقصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ لاتبصرن إلى غيرهم و تقول كلّ منهنّ لزوجها : وعزّة ربّي ماأرى في الجنّة شيئاً أحسن منك فالحمد لله الّذي جعلك زوجي وجعلني زوجك وقيل : معنى « قاصرات الطرف » هوأن يقصر الطرف عنها من ضوء نورها أو المعنى إنّهنّ من الحياء والدلال والغنج عيونهنّ مقصورة وليست في غاية الانفتاح حتّى يستلزم شيئاً في الجملة في العين .

[لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولاجانّ] طمثت المرأة إذا افتضّها الرجل بالتدمية و أخذ بكارتها فالطمث الجماع المؤدّي إلى خروج دم البكر ثمّ أُطلق على كلّ جماع طمث وإن لم يكن معه دم و في القاموس الطمث المسّ والمعنى لم يمسّهنّ أحد من الإنس ولا أحد من الجنّ و هذا دليل على أنّ الجنّ يطمثون كما يطمث الإنس وحاصل المعنى أنّ الحور الّتي جعلت للمؤمنين الخائفين من الله لم تنلها يد الإنس قبل ذلك و

التي جعلت للمؤمنين من الجن كذلك لم تنلها يد الجن قبل ذلك .

و في الآية دلالة على وقوع الطمث للجن في الدنيا ولكن ليس لهم ماء كماء الإنسان بل لهم هواء بدل الماء و به يحصل العلوق في أرحام إناثهم وهذا يستدعي أن لا تصلح المناكحة بين الإنس والجن و كذا العكس هذا قول الجمهور من المفسرين . وقال الشعبي والكلبي هن من نساء الدنيا أي لم يجامعهن بعيد النشأة الثانية أحد سواء كن في الدنيا ثيبات أو أبكاراً .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] من هذه النعم التي هي لتمتع نفوسكم .

[كأنهن الياقوت و المرجان] صفة لقاصرات الطرف فسبق بيان المرجان و أما الياقوت فهو حجر صلب شديد اليبس رزين صاف منه أحمر و أبيض و أصفر وأخضر و أزرق و لاتعمل فيه النار لقلة دهنيته ولايثقب غالباً لغلظة رطوبته ولاتعمل فيه المبارد لصلابته سيما الأحمر منه وبعده الأصفر أصبر على النار من سائر أصنافه وأما الأخضر منه فلاصبر له على النار و في الطب أنفعها و أغلاها الرماني وهو الذي يشابه النار في لونه قيل : ومن تختم بهذه الأوصاف أمن من الطاعون و إن عم الناس وأمن أيضاً من الصاعقة والغرق ومن حمل شيئاً منها أوتختم به كان معظماً عند الناس وجيهاً عند الملوك وأكل معجون الياقوت يدفع ضرر السم ويزيد في القوة قال الشاعر :

و بقاء السمندر في لهب النـ * ـار مزيل فضيلة الياقوت

و بالجملة شبههن سبحانه بالياقوت في حمرة الوجنة و المرجان صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فإن صغار الدر أنصع بياضاً من كباره .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان* هل جزاء الإحسان إلا الإحسان] «هل» يجيء على أربعة أوجه : الأول بمعنى قد كقوله تعالى : «هل أتى على الإنسان (١) » والثاني بمعنى الأمر نحو قوله(٢) : «هل أنتم منتهون» أي فانتهوا والثالث بمعنى الاستفهام كقوله تعالى : « فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً (٣)» والرابع بمعنى «ما» الجحد كما في هذه

(١) الدهر : ١ .
(٢) المائدة : ٩٤ .
(٣) الاعراف : ٤٣ .

الآية ما جزاء الإحسان في العمل إلّا الإحسان في الثواب روي أنّه قرأ رسول الله «هل جزاء الإحسان» إلخ ، ثمّ قال : هل تدرون ما قال ربّكم : قالوا : الله ورسوله أعلم قال ﷺ : يقول هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي بقبوله توحيدى إلّا أن اُسكنه جنّتي وحظيرة قدسي برحمتي .

حكي أنّ ذاالنون المصرى رأي عجوزاً كافرة تنفق الحبوب للطيور وقت الشتاء فقال : إنّه لايقبل من الأجنبيّ فقالت : أفعل قبل أولم يقبل ثمّ إنّه رآها في حرم الكعبة فقالت : يا ذاالنون أحسن إلى نعمة الإسلام بقبضة من الحبّ . قال بعض الأكابر : الإحسان الأنعم ولا يخصّ مثل المطرو الريح والشمس والقمر .

روي أنّ العبد إذا قال : لا إله إلّا الله بشروطها أتت هذه الكلمة إلى صحيفة فلا تمرّ على خطيئة إلّا محتهاحتّى تجدحسنةمثلها فتجلس إلى جنبها . وعن أبي ذرّ الغفاري قال : قلت يا رسول الله دلّني على عمل يدخلني الجنّة ويباعدني عن النار فقال ﷺ: إذا عملت سيّئة فاعمل بجنبها حسنة فإنّها بعشر أمثالها فقلت : يا رسول الله لا إله إلّاالله من الحسنات ؟ فقال ﷺ : هي أحسن الحسنات .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] من نعمه الواصلة في الدنيا والآخرة .

و من دونهما جنتان (٦٢) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٦٣) مدهامتان (٦٤) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٦٥) فيهما عينان نضاختان (٦٦) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٦٧) فيهما فاكهة و نخل ورمان (٦٨) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٦٩) فيهن خيرات حسان (٧٠) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٧١) حور مقصورات فى الخيام (٧٢) فبأى الاء ربكما تكذبان (٧٣) لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان (٧٤) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٧٥) متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان (٧٦) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٧٧) تبارك اسم ربك ذى الجلال و الاكرام (٧٨) .

[ومن دونهما جنّتان] مبتدأ وخبر أي و من دون تينك الجنّتين الموعودتين للخائفين جنّتان اُخريان لمن دونهم من أصحاب اليمين فالخائفون قسمان : المقرّبون وأصحاب اليمين وهم دون المقرّبين بحسب الفضائل العلميّة والعمليّة فدون بمعنى الأدنى مرتبة ومنزلة لابمعنى غير فالجنّتان الأوليان أفضل من الأخريين لفضل المقرّبين على

الأبرار وقيل : دون ليس من الدناءة بل من الدنوّ وهو القرب أي و من دون هاتين الجنّتين إلى العرش أقرب إليه ، وحمل بعض المفسّرين على معنى الغير قالوا : و لكلّ رجل وامرأة من أهل الجنّة أربع جنان فى الجهات الأربع ليتضاعف له السرور بالتنقّل من جنّة إلى جنّة .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] ممّا ذكر من الجنّات .

[مدهامّتان] صفة لجنّتان ادهام الشيء يدهامّ ادهيماماً فهو مدهامّ أسودّ والأدهم الأسود فقوله : « مدهامّتان» أي علا لونهما سواد ودهمة من شدّة الخضرة والري وإن شئت قلت : خضراوان تضربا إلى السواد من شدّة الخضرة .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] حيث تمتّع أبصاركم بخضرة هاتين الجنّتين .

[فيهما عينان نضّاختان] نضخ الماء اشتدّ فورانه من ينبوعه أي في الجنّتين عينان فوّارتان بالماء لا ينقطعان وهذا يدلّ على فضل الجنّتين الأوليين على الأخريين لأنّه قال سبحانه في الأوليين : يجريان ، و في الأخريين : نضّاختان ، والنضخ دون الجري .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] من الصفاء والريّ .

[فيهما فاكهة ونخل ورمّان] عطف الأخيرين على فاكهة كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة بياناً لفضلهما فإنّ ثمرة النخل فاكهة قال ابن عبّاس : نخل الجنّة جذوعها زمرّد أخضر و كربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنّة منها حللهم وثمرها كالدلاء أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم كلّما نزعت وقطعت ثمرة عادت فكأنّها أخرى و أنهارها يجري من غير أخدود وقال عليّ أمير المؤمنين عليه السلام: ما من حبّة من الرمّان تقيم في جوف مؤمن إلّا أنارت قلبه وأخرجت شيطان الوسوسة منه أربعين يوماً . قيل : وأجوده الكبار الحلو المليس وأظنّ أنّ معنى الحلو المليس ما يغلب حلاوته على طعم حموضته وهو حارّ رطب يلين الصدر ويجلو المعدة و ينفع من الخفقان و يزيد في الباءة ، و ثمرة النخل فاكهة وغذاء و الرمّان

فاكهة و رواه . في الكافي عن الصادق عليه السلام: الفاكهة مائة و عشرون لوناً سيّدها الرمّان .

في الفقيه عن الصادق عليه السلام : «الخيرات الحسان» من نساء أهل الدنيا وهنّ أجمل من حور العين . القمي قال : جوار نابتات على شطّ الكوثر كلّما اُخذت منها واحدة نبتت اُخرى قال الصادق عليه السلام : في قول الرجل : جزاك خيراً يعني به أنّ خيراً نهر في الجنّة مخرجه من الكوثر والكوثر مخرجه من ساق العرش عليه منازل الأوصياء وشيعتهم وعلى حافتي ذلك النهر جوار نابتات سمّين باسم ذلك النهر وذلك قوله تعالى : « فيهنّ خيرات حسان » فإذا قال الرجل لصاحبه : جزاك الله خيراً فإنّما المعنى رزقك الله تلك المنازل الّتي أعدّها الله لصفوته .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] حيث هيّأ لكم ما به تلتذّون من الفواكه .

[فيهنّ خيرات حسان] و خيرات مخفّفة من خيّرات جمع خيّرة لأنّ خير الّذي بمعنى أخير لا يجمع ولا يقال : خيرون ولا خيرات ، ومعنى خيرات منتخبات ومصطفيات وليس فيهنّ ما يشينهنّ من القبايح والعاهات لا ذربات وطمّاحات ولا طوّافات ولا متشوّفات [حسان] أي حسان الخلق والخلق و في الحديث لو أنّ امرأة من نساء أهل الجنّة أطلعت على السماوات والأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً ولعصابتها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ولو أنّ حوراء بزقت في بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها ويقلن : نحن الناعمات فلا نبأس ، الراضيات فلا نسخط والخالدات فلا نبيد قيل : المراد من خيرات الحوراء وقيل : المؤمنات .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] وقد أنعم عليكم بما تستمتعون من هذه النساء .

[حور مقصورات في الخيام] بدل من خيرات جمع حوراء و هي البيضاء أو شديدة سواد العين قصرن في خدورهنّ لا يظهرن لغير المحارم وإن لم تكن الجنّة دار التكليف. والخيام جمع خيمة وهي القبّة المضروبة على الأعواد ولا تشبه خيام الدنيا إلّا بالاسم لأنّ الخيمة من خيامهنّ درّة مجوّفة عرضها ستّون ميلاً في كلّ زاوية منها أهلون ما

يرون إلّا حين يطوف عليهم المؤمنون والمعنى إنّهنّ مستورات في الحجال ويصف الله جواري جنانه الّتي خلقهنّ لخدمة أوليائه وألبسهنّ لباس نوره وأجلسهنّ على سرير أنسه في حجال قدسه و ضرب عليهن خيام الدرّ و ينتظرن أزواجهنّ .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] وقد خلق من النعم ماهي مقصورة لكم .

[لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولاجانّ] كالّذي مرّ نظيره والأوّل في أزواج المقرّبين وهذا في أزواج الأبرار أو التكرار زيادة التشويق والرغبة [فبأيّ آلاء ربّكماتكذّبان] مع أنّها ليست كنعم الدنيا إذ قد يطمث المرأة في الدنيا فيالها من طيب وصالها و براعة جمالها فالعقول فيها حيارى والقلوب سُكارى .

[متّكئين على رفرف خضر] حالٌ صاحبه المؤمنون ، رفرف اسم جمع واحده رفرفة أو اسم جنس ضرب من البسط أو الوسائد أو هو ما تدلّى من الأسرّة أو ضرب من الثياب تتّخذمنه المجالس و تبسط وفضول الفرش والرقيق من الديباج خضر جمع أخضر أحد الألوان نعت لرفرف .

[و عبقريّ] عطف على رفرف والمراد الجنس قيل : عبقر موضع كثير الحسن و قرية نباتها في غاية الحسن والعبقريّ ضرب من البسط و موضع للحسن ينسب إليه كلّ نادر من إنسان وحيوان وثوب ، جعل مثلاً لفرش أهل الجنّة وفي التكملة عبقر اسم موضع يصنع فيه الوشي كانت العرب إذا رأت شيئاً عجيباً نسبته إليه فخاطبهم الله على عادتهم وقيل : عبقر اسم رجل كان بمكّة يتّخذ الزرابيّ ويجيدها فنسب إليه كلّ شيء جيّد «حسان» جمع حسن حملاً على المعنى ، و قيل : الرفرف فراش في الجنّة إذا استقرّ عليه المؤمن طاربه من فرحه وشوقه يميناً وشمالاً وحيثما يريده المؤمن .

وروي في حديث المعراج أنّ رسول الله لمّا بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبرئيل وطاربه نحو العرش فقال ﷺ : إنّه طاربي يخفضني ويرفعني حتّى وقف بي على ربّي ولمّا حان الانصراف تناوله فطاربه خفضاً ورفعاً يهوي به حتّى أدّاه إلى جبرئيل فالرفرف خادم في الجنّة للمؤمنين مختصّ بخواصّ الأمور .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] و قد هيّأ لكم ماتتّكئون عليه .

[تبارك اسم ربّك] تنزيه وثبوت لجلاله تعالى لما ذكر في السورة من آلائه
الفائضة على المؤمنين وارتفع شأنه عن جحود نعمائه وتكذيبها و هذا الموضع
ممّا أُريد فيه بالاسم المسمّى أو المراد الاسم فإذا كان الاسم حاله
كذلك بالتبعة فكيف المسمّى ؟ [ذي الجلال و الإكرام]
والعظمة والكبرياء ويكرّم أولياءه بهذه الكرامات
وقيل : معنى الآية فاطلبوا البركة في كلّ
شيء بذكر اسمه و انطقوا بيا ذا الجلال
و الإكرام و داوموا عليه

سورة الواقعة

مكّيّة إلّا آية مدنيّة وهي « وتجعلون رزقكم أنّكم تكذّبون » .

عن أُبيّ بن كعب قال : قال رسول الله : من قرأ سورة الواقعة كُتب أنّه ليس من الغافلين .

و روي أنّ عثمان بن عفّان دخل على عبدالله بن مسعود يعوده في مرضه الّذي مات فيه فقال : ما تشتكي قال : ذنوبي قال : ما تشهّي قال : رحمة ربّي قال : أفلاتدعو الطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني قال : أفلا نأمر بعطائك ؟ قال : منعتنيه و أنا محتاج إليه و تعطنيه و أنا مستغن عنه ؟ قال : يكون لبناتك قال : لاحاجة لهنّ فيه فقد أمرتهنّ أن يقرأن سورة الواقعة فإنّي سمعت رسول الله يقول : من قرأ سورة الواقعة كلّ ليلة لم تصبه فاقة أبداً .

و روى العيّاشيّ بالإسناد عن زيد الشحّام عن الباقر عليه السلام قال : من قرأ الواقعة قبل أن ينام لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر .

عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال : من قرأ الواقعة في كلّ ليلة الجمعة أحبّه الله وحبّبه إلى الناس ولم ير في الدنيا بوساً أبداً و لا فقراً و لا آفة من آفات الدنيا وكان من رفقاء أميرالمؤمنين عليه السلام . تمام الخبر .

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة (١) ليس لوقعتها كاذبة (٢) خافضة رافعة (٣) اذا رجت الارض رجا (٤) وبست الجبال بسا (٥) فكانت هباءً منبثا (٦) و كنتم ازواجا ثلاثة (٧) فاصحاب الميمنة مااصحاب الميمنة (٨)و اصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة (٩) والسابقون السابقون (١٠) اولئك المقربون (١١)في جنات النعيم (١٢)ثلة من الاولين (١٣)وقليل من الاخرين (١٤) على سرر موضونة (١٥)متكئين عليها متقابلين (١٦).

الظرف منصوب بفعل محذوف تقديره اذكروا حين وقوع الحادثة و القيامة وهي الصيحة عند النفخة الأخيرة يكون من الأحوال ما لا يفي به المقال سمّاها واقعة مع أنّ دلالة اسم الفاعل على الحال لتحقّق وقوعها .

[إذا وقعت الواقعة] الهائلة [ليس لوقعتها كاذبة] يكنّي عن الحرب بالوقعة وكلّ أمر شديد يعبّر عنه بذلك قيل : سمّيت القيامة بالواقعة لصوتها أي لايكون عند وقوعها نفس تكذّب على الله ويفتري بالشريك و الولد والإنكارللقيامة إذ ليس لمجيئها كذب ويقع صدقاً إذ كلّ نفس حينئذ مؤمنة صادقة وقيل : كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب .

[خافضة] أي القيامة خافضة لأقوام [رافعة] لآخرين وهو تقرير لعظمة ذلك اليوم فإنّ الوقائع العظام يرتفع فيها اُناس إلى مراتب و يتّضع اُناس وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل وإنّ القيامة يخفض أقواماً كانوا مرتفعين في الدنياويرفع أقواماً كانوا متّضعين فيها بسبب تقواهم لأنّ جماعة يؤتي بهم بالذلّة والأغلال والسلاسل وجماعة بالمراكب والحليّ والحلل .

[إذا رجّت الأرض رجّاً] الرجّ تحريك الشيء واضطرابه أي يحصل الخفض

والرفع إذا حرّكت الأرض تحريكاً شديداً بحيث يهدم ماكان عليها من جبل وبناء و لا تسكن زلزلتها حتّى تلقى جميع ما في بطنها على ظهرها .

[و بسّت الجبال بسّاً] أي فتّت حتّى صارت كالسويق الملتوت من بسّ السويق إذا لتّه والمعنى مأخوذ من بسّ الغنم إذا اُسيقت من أماكنها .

[فكانت] أي فصارت بسبب ذلك [هباءً] غباراً والغبار ما يسطع من سنابك الخيل والّذي يرى من شعاع الكوّة ومايذره الريح من الأوزان [منبثّاً] منشراً متفرّقاً و في التفسير إنّ الله يبعث ريحاً من تحت الجنّة فتحمل الأرض والجبال وتضرب بعضها ببعض ولا يزال كذلك حتّى تصير غباراً ويسقط ذلك الغبار على وجوه الكفّار وذلك قوله تعالى : « وجوه يومئذ عليها غبرة » .

[و كنتم أزواجاً] والخطاب للاُمّة الحاضرة و الاُمم السالفة لكن للحاضرة وقع الخطاب تغليباً « أزواجاً » أي أصنافاً [ثلاثة] صنفان في الجنّة وواحد في النار .

[فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة] تقسيم للأزواج الثلاثة « فأصحاب الميمنة » مبتدء و خبر ما أصحاب الميمنة على أن ماء الاستفهامية مبتدء ثان وما بعده خبره أي أيّ شيء هم في حالهم والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والعظامة نحو زيد وأيّ زيد فهم أهل المنزلة السيّئة و أصحاب المشأمة هم أصحاب المنزلة الدنيّة اُخذا من التيامن بالميامن وتشؤّمهم بالشمائل كما يقول : فلان منّي باليمين والشمال إذا أوصفته بالرفعة والضعة أو الّذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والّذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم أو الّذين يكونون يوم القيامة على يمين العرش فيأخذون طريق الجنّة والّذين يكونون على شمال العرش فيجيء بهم إلى النار .

[والسابقون السابقون] هم القسم الثالث من الأزواج الثلاثة وأصل السبق التقدّم في السير ثمّ تجوّز به في غيره من التقدّم والجملة مبتدأ وخبر مثل قوله : « أنا أبو النجم و شعري شعري » أو السابقون الأوّل مبتدأ و الثاني تأكيد له كرّر تعظيماً لهم و الخبر جملة « اُولئك المقرّبون» وقيل : التقدير السابقون ما السابقون فحذف «ما» لدلالة

ما قبله عليه والمراد بالسيف الّذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة من غير توان وحازوا الكمالات الدينيّة والفضائل اليقينيّة .

[اُولئك] الموصوفون بذلك النعت الجليل [المقرّبون] درجاتهم وعلت مراتبهم ورفعت إلى حظائر القدس نفوسهم [في جنّات النعيم] أي كائنين في جنّات النعيم متعلق بالمقرّبون .

وقد قيل في السابقين : المراد السابقين إلى الإيمان أو الهجرة وقيل : إلى الصلوات الخمس عن عليّ عليه السلام وقيل : إلى الجهاد و قيل : إلى التوبة و أعمال البرّ وإلى كلّ ما دعا الله إليه وعن أبي جعفر عليه السلام قال : السابقون أربعة ابن آدم المقتول و سابق في اُمّة موسى وهو جزبيل مؤمن آل فرعون وسابق اُمّة عيسى وهو حبيب النجّار صاحب أنطاكية والسابق في اُمّة محمّد عليّ بن أبي طالب وقال كعب : هم أهل القرآن المتوّجون يوم القيامة فإنّهم كادوا أن يكونوا أنبياء إلّا أنّهم لايوحى إليهم والمراد بأهل القرآن الملازمون لقراءته والعاملون به وقيل : الناس ثلاثة : فرجل ابتكر الخير في حداثة سنّه ثمّ داوم عليه حتّى خرج من الدنيا فهو السابق المقرّب ، ورجل ابتكر عمره بالذنب طول الغفلة ثمّ تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر شرّاً في حداثة سنّه ثمّ لم يزل عليه حتّى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال .

[ثلّة من الأوّلين] أي هم جماعة كثيرة العدد من الأوّلين من الاُمم الماضية [وقليل من الآخرين] من اُمّة محمّد لأنّ من سبق إلى إجابة نبيّنا قليل بالإضافة إلى من سبق إلى إجابة الأنبياء قبله ولايخالفه قوله صلى الله عليه وآله : إنّ اُمّتي يكثرون سائر الاُمم أي يغلبونهم فإنّ أكثريّة سابقي الاُمم السالفة من سابقي هذه الاُمّة لاتمنع أكثريّة تابعي هؤلاء من تابعي اُولئك مثل أن يكون سابقو اُمم السابقه ألفين و تابعوهم ألف المجموع ثلاثة آلاف و يكون سابقو هذه الاُمّة ألفاً و تابعوهم ثلاثة آلاف فالمجموع أربعة آلاف فرضاً وهذا المجموع أكثر من من المجموع الأوّل و في الحديث أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة .

[على سرر موضونة] حال اُخرى من المقرّبين والسرر جمع سرير ، المشبّكة

بالدرّ و الياقوت المنسوجة المتواصلة من الوضن و هو نسج الدرع و استعير لكلّ نسج محكم .

[متّكئين عليها متقابلين] أي مستقرّين على سرر متّكئين عليها و قاعدين قعود الملك متقابلين لاينظر بعضهم من أقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة و تهذيب الأخلاق والآداب .

يطوف عليهم ولدان مخلدون (١٧) باكواب واباريق و كاس من معين (١٨) لايصدعون عنها و لا ينزفون (١٩) و فاكهة مما يتخيرون (٢٠) و لحم طير مما يشتهون (٢١) وحور عين (٢٢) كامثال اللؤلؤ المكنون (٢٣) جزاء بما كانوا يعملون (٢٤) لايسمعون فيها لغوا ولا تاثيما (٢٥) الا قيلا سلاما سلاما (٢٦).

[يطوف عليهم] أي يدو رحولهم للخدمة حال الشرب و غيره [ولدان] جمع وليدوخدمة الوليد أمتع من خدمة الكبير [مخلّدون] أي مبقون أبداً على شكل الولدان و طراوتهم لأنّهم خلقوا للبقاء لا للفناء قيل في الأسئلة المفخمة : هؤلاء هل يدخلون تحت قوله تعالى : « كلّ نفس ذائقة الموت[1] » ؟ فالجواب أنّهم لايموتون فيها بل يلقي بين النفختين نوم و قيل : هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها ولا سيّئات فيعاقبون عليها وقيل : أولاد الكفّار خدّام أهل الجنّة ، و قيل في معنى « مخلّدون » : مقرطون و الخلد القلادة و السوار و القرط لأنّهم في حدّ الوصافة .

[بأكواب] من الذهب و الجواهر لاعرى لها ولاخراطيم الواسعة الرأس ولايعوق الشارب منها عائق عن شرب من أيّ موضع أراد منها [وأباريق] جمع إبريق وهو الّذي له عروة و خرطوم و قيل : هي عجميّة معرّبة آبريز أو الكوب للماء والإبريق للغسل والكأس للشرب من الخمر .

[وكأس من معين] من خمر جارية من العيون والكأس القدح إذا كان فيهاشراب و إلّا فهو قدح ومعنى الماء إذاجرى فهو فعيل بمعنى فاعل أو المعنى ظاهرة تراهاالعيون في الأنهار فيكون بمعنى المفعول من المعاينة من عانه إذا شخّصه وإفراد الكأس وجمع

(١) آل عمران : ١٨٥ .

الأكواب والأباريق لأنّ العادة جرت على تعدّد الأواني والشرب يكون بكأس واحدة [لايصدّعون عنها] الصدع شقّ في الأجسام الصلبة كالزجاج و الحديد ومنه الصداع و هو الانشقاق في الرأس من الوجع أي لاينالهم بسبب شوبها صداع كما ينالهم ذلك من خمر الدنيا [ولاينزفون] أي لا يسكرون ولا تذهب عقولهم أو المراد لاينفد شرابهم فالنفاد إمّا للعقل أو للشراب .

[و فاكهة ممّا يتخيّرون] يأخذون خيره وأفضله من ألوانها وهو عطف على قوله : « بأكواب » أي يطوف عليهم ولدان بفاكهة ثمّ ذكر اللحم الّذي هو سيّد الإدام .

[ولحم طير ممّا يشتهون] أي يتناولون من لحوم الطير مشويّاً أو مطبوخاً بما يشتهون منها على حسب ميلهم وإرادتهم لا أنّهم مضطرّون وكارهون بل مشتهون .

[و حور عين] عطف على ولدان أومبتدء محذوف الخبر أي ولهم حور عين و حور جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين والشديدة سوادها وعين جمع عيناء و هي الواسعة الحدقة الحسنة [كأمثال اللؤلؤ المكنون] صفة لحور ، مثل الدرّ المصون في الصدف لم تمسّه الأيدي .

[جزاء بما كانوا يعملون] مفعول له أي يفعل بهم ذلك جزاء بأعمالهم في الدنيا و يروى أنّ عقد ياقوتها يضحك في نحرها و في رجليها نعلان شراكهما من لؤلؤ تصوّتان بالتسبيح على كلّ حوراء سبعون حلّة ليست منها حلّة على لون الاُخرى وسبعون لوناً من الطيب ليس منها لون على لون الآخر لكلّ امرأة سبعون سريراً من ياقوت أحمر منسوجة بالدرّ على كلّ سرير سبعون فراشاً بطائنها من إستبرق و فوق السبعين فراشاً سبعون أريكة لكلّ امرأة منهنّ سبعون وصيفة بيد كلّ و صيفة صفحتان من ذهب فيها لون من طعام يجد لآخر لقمة منه لذّة لايجدها لأوّلها ويعطي لزوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سوارات من ذهب موشّح بالجواهر .

[لا يسمعون فيها لغواً] أي باطلاً واللغو السقط من الكلام وما لايعتدّ به ومايرد من الكلام لاعن رويّة وفكر واللغاصوت العصافير ونحوها من الطيور [ولاتأثيماً] أي لا

يقال لهم : أثمتم والإثم اسم للأفعال البعيدة عن الثواب .

[إلّا قيلاً سلاماً سلاماً] والاستثناء منقطع أي لكنّهم يسمعون فيها قولاً سلاماً سلاماً أي سماعهم السلام فيسلّمون سلاماً بعد سلام ولايسمع كلٌّ من المسلّم و المسلّم عليه إلّا سلام الآخر بدءاً ورداً المشتمل على السلامة من الزوال و النقائص .

سلام من الرحمن نحو جنابه ❊ فإنّ سلامي لا يليق ببابه

و أصحاب اليمين ما أصحاب اليمين (٢٧) في سدر مخضود (٢٨) وطلح منضود (٢٩) وظل ممدود (٣٠) و ماء مسكوب (٣١) و فاكهة كثيرة (٣٢) لامقطوعة ولاممنوعة (٣٣) وفرش مرفوعة (٣٤) انا انشأناهن انشاء (٣٥) فجعلناهن ابكارا (٣٦) عربا اترابا (٣٧) لاصحاب اليمين (٣٨) ثلة من الاولين (٣٩) وثلة من الاخرين (٤٠).

شروع في تفصيل ما أجمل في التقسيم بعد بيان شؤون السابقين فقال :

[و أصحاب اليمين] مبتدء وخبره جملة قوله : [ما أصحاب اليمين] أي لاتدري مالهم من الخير بسبب كوامل محاسنهم [في سدر] أي هم في سدر [مخضود] غير ذي شوك ليس كسدر الدنيا كأنّه خضد و نزع عنه شوكه أو المعنى تثنى أغصانه لكثرة حمله من حصد الغصن إذا ثنّاه والسدر شجر النبق ثمر معروف عند العرب محبوب و يستظلّ به فجعل ذلك مثلاً بظلّ أهل الدنيا ونعيمها .

[وطلح منضود] قدنضد حمله وتراكب بعضه على بعض من أسفله إلى أعلاه ليست له سوق بارزة وهو شجر الموز وهو شجر له أوراق كبار وظلّ بارد وقيل : هو اُمّ غيلان له أنوار كثيرة منتظمة طيّبة الرائحة تقصد العرب منه النزهة وإن كان لايؤكل منه شيء قال مجاهد : كان لأهل الطائف واد معجب فيه الطلح والسدر وقالوا : يا ليت لنا في الجنّة مثل هذا الوادي ! فنزلت هذه الآية .

[و ظلّ ممدود] ممتدّ لاينقص ولايتفاوت مثل ما بين الطلوعين و في الحديث : في الجنّة شجرة يسير الراكب في ظلّها مائة عام ولايقطعها ويمكن أن يراد من معنى الظلّ الحفظ يقول : فلان في ظلّ فلان أي كنفه وحفظه ويمكن أن يكون المراد من الظلّ الراحة كما في قوله تعالى : « و ندخلهم ظلاً ظليلاً (١) » لأنّه إنّما يجلس المرء في

(١) النساء : ٥٦ .

الظلّ للاستراحة .

[وماء مسكوب] أي يصبّ أينما شاؤوا و كيفما أرادوا بلا تعب ومسكوب سائل تجري على الأرض من غير أخدود .

[و فاكهة كثيرة] بحسب الأنواع والأجناس [لا مقطوعة] في وقت من الأوقات كفواكه الدنيا [ولا ممنوعة] عن متناوليها بوجه من الوجوه من العبد والشوك أوحائط يمنع عن التناوش .

[و فرش مرفوعة] أي رفيعة القدر أو مرتفعة و ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام أو مرفوعة على الأسرّة وقيل : الكناية عن النساء رفعت عن نساء الدنيا جمالاً وشأناً في الحديث الولد للفراش و حينئذ ارتفاعها كونهنّ على الأرائك بقرينة قوله : [إنّا أنشأناهنّ إنشاء] وعلى المعنى الأوّل لدلالة ذكر الفرش الّتي هي المضاجع عليهنّ والمعنى ابتدأنا خلقهنّ ابتداء جديداً من غير ولادة و في الحديث هنّ اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطاً رمصاً شميطاً جمع شمطاء والشمط بياض شعر الرأس يخالطه سواد ورمص جمع رمصاء والرمص بالتحريك و سخ يجتمع في الموق جعلهنّ الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد كلّما أتاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ أبكارا فلّما سمعت عايشة ذلك فقالت : وا وجعاه فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ليس هناك وجع .

[فجعلناهنّ أبكاراً] بعد أن كنّ عجائز أبكاراً أي عذارى ، جمع بكر والمصدر البكارة بالفتح والبكرة أوّل النهار لتقدّمها علي سائر أوقات النهار و سمّيت الّتي لم تفتض بكراً اعتبارا بالثيب لتقدّمها عليها .

[عرباً أترابا] جمع عروب كرسل جمع رسول أي تبيّن محبّتها لزوجها بشكل و غنج وحسن تعرّبه بمحبّة زوجها وقيل : كلامهم عربي أتراباً جمع ترب أي مستويات في السنّ واللذة في سنّ ثلاث وثلاثين سنة و كذا أزواجهنّ والقامة ستّون ذراعاً في سبعة أذرع على قامة أبيهم آدم و في الحديث إنّ الرجل ليفتضّ في الغداة سبعين عذراء ثمّ ينشئهنّ الله أبكاراً قال صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ الرجل من أهل الجنّة ليتزوّج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف ثيّب وثمانية آلاف بكر يعانق كلّ واحدة منهنّ مقدار عمره في الدنيا وأدنى

أهل الجنّة الّذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبّة من الجواهر كما بين الجابية إلى صنعا ، والجابية بلد بالشام .

[لأصحاب اليمين] متعلّق بأنشأنا [ثلّة من الأوّلين وثلّة من الآخرين] أي هم اُمّة من الأوّلين واُمّة من الآخرين وقيل : المراد من الثلّتين اُمّة محمد ﷺ وعلى هذا القول الثلاثة الاُولى المقدّمون في التقوى والتابعون بإحسان و من يجري مجراهم و أمّا الّذين أنزل منهم في العمل فهم الثلاثة الأخيرين روي أنّه ﷺ قال : إنّي لا أرجو أن يكونوا شطر أهل الجنّة ثمّ تلا : « ثلّة من الأوّلين وثلّة من الآخرين » قال الحسن البصريّ : رأيت سبعين بدريّاً كانوا فيما أحلّ الله لهم أزهد منكم فيما حرّم الله عليكم و كانوا بالبلاء أشدّ منكم فرحاً بالرخاء لو رأيتموهم قلتم : مجانين ولو رأوا أخياركم قالوا : مالهولاء من خلاق ولو رأوا أشراركم حكموا بأنّهم لا يؤمنون بيوم الحساب إن عرض عليهم الحلال من المال تركوه خوفاً من فسادهم قلوبهم انتهى .

و اصحاب الشمال ما اصحاب الشمال (٤١) فى سموم و حميم (٤٢) و ظل من يحموم (٤٣) لابارد ولا كريم (٤٤) انهم كانوا قبل ذلك مترفين (٤٥) وكانوا يصرون على الحنث العظيم (٤٦) وكانوا يقولون أئذا متنا و كنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون (٤٧) او آباؤنا الاولون (٤٨) قل ان الاولين و الاخرين (٤٩) لمجموعون الى ميقات يوم معلوم (٥٠) ثم انكم ايها الضالون المكذبون (٥١) لاكلون من شجر من زقوم (٥٢) فمالؤن منها البطون (٥٣) فشاربون عليه من الحميم (٥٤) فشاربون شرب الهيم (٥٥) هذا نزلهم يوم الدين (٥٦) .

[و أصحاب الشمال] شروع في تفصيل أحوالهم وهم الكفّار لقوله تعالى : « و الّذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة » [ما أصحاب الشمال] أي لاتدري مالهم من شدّة الحال يوم القيامة .

[في سموم وحميم] أي هم في حرّ نار ينفذ في المسامّ وثقوب البدن والسموم الريح الحارّة يكون غالباً في النهار والحرور الريح الحارّة يكون بالليل و الحميم الماء المتناهي في الحرارة و الفور .

قوله : [وظلّ من يحموم] من دخان أسود بهيم يقول العرب أسود يحموم إذا كان

شديد السواد [لابارد] كسائر الظلال [ولا كريم] و لا نافع من أذى الحرّ لمن يأوي إليه نفى بذلك ما أوهم الظلّ من الاسترواح ، وفي الآية تهكّم بأصحاب المشأمة أنّهم لا يستأهلون للظلّ البارد .

] إنّهم كانوا قبل ذلك مترفين] تعليل لابتلائهم ، ترف أي تنعّم و أترفته النعمة أطغته أي إنّهم كانوا قبل ذلك ممّا ذكر من سوء العذاب شغلوا أنفسهم بالنعم وتركوا الواجبات طلباً لراحة أبدانهم منهمكين في الشهوات .

[و كانوا يصرّون على الحنث العظيم] أي الذنب العظيم الّذي هو الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث أي وقت المؤاخذة بالذنب و حنث في يمينه خلاف برّ فيها و قيل : الحنث هنا الكذب لأنّهم كانوا مع شركهم يحلفون بالله لايبعث الله من يموت .

[و كانوا يقولون] لغاية جهلهم وعتوّهم : [أئذا متنا و كنّا تراباً وعظاماً] بعد الموت وكان أعضاؤنا من اللحم والجلد تراباً و بعضها عظاماً و تقديم التراب على العظام للاستبعاد [أئنّا لمبعوثون] أي لا يكون البعث لنا [أو آباؤنا الأوّلون] الواو للعطف على الضمير في مبعوثون و مرجع المعنى أنّنا و آباءنا لانبعث بعد تلك الحالة .

[قل] يا محمّد ردّاً لهم : [إنّ الأوّلين والآخرين] من الأمم الّذين من جملتهم أنتم وآباؤكم [لمجموعون] بعد الموت [إلى ميقات يوم معلوم] والتعدية بإلى ضمّن فيه معنى السوق معلوم عندالله وقته والإضافة بمعنى من كخاتم فضّة و الميقات هو الوقت المضروب للشيء ينتهي عنده أو يبتدء منه والميقات قديستعار للمكان ومنه مواقيت الإحرام للحدود المعيّنة .

[ثمّ إنّكم] وثمّ للتراخي زماناً أو رتبة الخطاب لأهل مكّة و أمثالهم [أيّها الضالّون] عن الهداية والصواب [المكذّبون] بآيات الله والبعث [لآكلون] بعد الجمع والبعث [من شجر من زقّوم] من الاُولى لابتداء الغاية و الثانية بيانيّة أي مبتدئون الأكل من شجر هو الزقّوم تخرج من قعر جهنّم .

[فمالئون منها البطون] أي تملئون بطونكم منها من شدّة الجوع أو بالقسر ولا يكتفي منكم بالأكل بل لابدّ وملزمون بأن تملؤوا منها بطونكم .

[فشاربون عليه] أي على أكل الزقّوم وعقيبه بلا ريث لعطشكم الغالب [من الحميم *فشاربون شرب الهيم] الماء الحارّ الشديد في الحرارة ولا يكون شربكم شرباً معتاداً بل مثل الإبل الّتي بها الهيام وهو داء يصيبها يشبه الاستسقاء فتشرب ولاتروي حتّى أن تموت .

[هذا نزلهم يوم الدين] أي الّذي ذكر من الزقّوم و الحميم رزقهم المعدّ لهم كالنزل الّذي يعدّ للضيف تكرمة له [يوم الدين] أي يوم الجزاء .

نحن خلقناكم فلولا تصدقون (٥٧) افرايتم ما تمنون (٥٨) انتم تخلقونه ام نحن الخالقون (٥٩) نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين (٦٠) على ان نبدل امثالكم و ننشئكم فيما لاتعلمون (٦١) و لقد علمتم النشأة الاولى فلو لاتذكرون (٦٢) افرايتم ما تحرثون (٦٣) ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون (٦٤) لو نشاء لجعلنا حطاما فظلتم تفكهون (٦٥) انا لمغرمون (٦٦) بل نحن محرومون (٦٧) افرايتم الماء الذى تشربون (٦٨) ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون (٦٩) لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون (٧٠) افرايتم النار التى تورون (٧١) ءانتم أنشأتم شجرتها ام نحن المنشئون (٧٢) نحن جعلناها تذكرة و متاعا للمقوين (٧٣) فسبح باسم ربك العظيم (٧٤) .

[نحن خلقناكم] فهلاّ تصدّقون على الإعادة فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة واعلم أنّ الله تعالى إذا أخبر عن نفسه بلفظ الجمع يشير به إلى ذاته وصفاته وأسمائه كما قال : « إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون (١) » و إذا أخبر عن نفسه بلفظ المفرد يشير به إلى ذاته المطلقة كما قال : « إنّي أنا الله ربّ العالمين (٢) » هذا إذا كان المخبر هو الله و أمّا إذا كان العبد فينبغي أن يقول : أنت يارب لا أنتم لإيهام الشرك المنافي لتوحيد القائل ولذا يقال : أشهد أن لا إله إلّا الله ليدلّ على شهادته بخصوصه .

[أفرأيتم ما تمنون] أي أخبروني ما تقذفونه في أرحام النساء من النطف و ما تمنون مفعول الأوّل يقال : أمنى الرجل يمني و منيت الشيء إذا قضيته و سمّي المنيّ منيّاً لأنّ الخلق منه يقضي .

(١) يوسف : ١٢ و ٦٣ .
(٢) القصص : ٣٠ .

[أ أنتم تخلقونه] أي تقدّرونه و تصوّرونه بشراً و هذه الجملة الاستفهاميّة مفعول ثان [أم نحن الخالقون] له من غير دخل شيء فيه و أم قيل : منقطعة لأنّ ما بعدها جملة و المعنى بل نحن الخالقون و الاستفهام للتقرير وقيل : متّصلة و مجيء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لابطريق الخبريّة .

[نحن قدّرنا بينكم الموت] وقّتنا موت كلّ أحد بوقت معيّن حسبما تقتضيه الحكمة [و ما نحن بمسبوقين على أن نبدّل أمثالكم] أي لايغلبنا أحد على أن نذهبكم و نأتي مكانكم بأشباهكم من الخلق و قادرون على ذلك .

[و ننشئكم فيما لا تعلمون] من الخلق و الأطوار و لنسا عاجزين عن خلق أمثالكم بدلاً منكم أوتغيير صوركم إلى غيرها كمافعلنا بمن قبلكم من القردة والخنازير كاليهود و الآية تشعر إلى الوعيد و إنشائهم من خلق لا يعلمونها من الألوان و الأشكال و في الحديث إنّ أهل الجنّة جرد مرد و إنّ الجهنّمي ضرسته مثل اُحد ، أما تخاف أن يجعلك من القردة والخنازير وأنت تقرء كلّ صباح ومساء في ذمّ اليهود بقوله تعالى : « يحرّفون الكلم من بعد مواضعه » تعني بذلك ما غيّروا حكم الله في الزنا من الرجم إلى أربعين جلدة و كذا غيّروا حكم القود من القتل إلى الدية حتّى كثر القتل فيهم ؟ و أنت يا شرّ اليهود غيّرت أحكاماً فاستعدّ جواباً .

[و لقد علمتم النشأة] أي الخلقة [الأولى] هي خلقتهم من نطفة ثمّ من علقة أو فطرة آدم من التراب [فلو لا تذكّرون] فهلاّ تتذكّرون أنّ من قدر عليها قدر على غيرها فإنّها أقلّ صنعاً لحصول الموادّ و سبق المثال .

[أفرأيتم ما تحرثون] أخبروني ما تبذرونه من الحبّ و تعملون في الأرض بالسقي ونحوه و الحرث إلقاء البذر في الأرض [ءأنتم تزرعونه] و تردّونه نباتاً يربو و ينمو [أم نحن الزارعون] المنبتّون لاأنتم ، والزرع الإنبات وذلك بالأمور الإلهيّة دون البشريّة و لذا نسب الحرث إليهم و نفى عنهم الزرع و نسبه إلى نفسه ، و في الحديث : لايقولنّ أحدكم : زرعت وليقل : حرثت فإنّ الزارع هو الله .

[لونشاء] لوللماضي و إن دخل على المضارع و لذا لايجزمه فهو شرط غيرجازم

أي لوأردنا [لجعلناه] أي الزرع بمعنى المزروع [حطاماً] الحطم كسر الشيء مثل الهشم و يستعمل في كلّ كسر متناه المعنى يابساً متكسّراً متفتّتا بعدما أنبتناه .

[فظلتم] أي فصرتم بسبب ذلك [تفكّهون] أي تتعجّبون من سوء حاله أثرما شاهدتموه على أحسن ما يكون و تندمون علي ما فعلتم فيه و أنفقتم عليه أو تندمون على ما أصبتم لأجله من المعاصي فتحدّثون فيه والتفكّه التنقّل بصنوف الفاكهة ويستعار للتنقّل بالحديثوقرىء تفكّنون بالنون و التفكّن التعجّب والتندّم [إنّاالمغرمون]حال من فاعل تفكّهون أيقائلين : إنّا ملزمون بغرامة ما أنفقنا أو المعنى إنّا مهلكون بهلاك رزقنا [بل نحن محرومون] لاجدّ و لانصيب لنا وحرمنا رزقنا ولو كنّا مجدودين لما فسد علينا هذا .

روي عن أنس بن مالك قال : مرّ رسول الله بأرض الأنصار فقال : ما يمنعكم من الحرث ؟ قالوا : الجدوبةقال : أفلاتعقلون فإنّ الله يقول : أنا الزارع إن شئت زرعت بالماء و إن شئت زرعت بالريح وإن شئت زرعت بالبذرثمّ تلا ﷺ «أفرايتم ما تحرثون»الآية.

و في الحديث إشارة إلى أنّ اللهوالّذي يعطيو يمنع بأسباب و بغيرها فالتوحيد هو أن يعتقد أنّ التأثيرمن الله لا من غيره كالكوكب و في الحديث ما سنة بأمطر من أخرى و لكن إذا عمل قوم بالمعاصي حوّل الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصو اجميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي (١) والبحار .

[أفرايتم الماء الّذي تشربون] أخبروني الماء الّذي تشربون عذباً فراتاً [ءأنتم أنزلتموه من المزن] السحاب إذاً السحاب الأبيض و ماؤه أعذب [أم نحن المنزلون] له بقدرتنا .

[لونشاء جعلناه أُجاجاً] ملحاً زعاقاً لايمكن شربه وحذف اللام ههنامع إثباتها في الشرطيّة الأُولىلتقدّم أمر المطعوم على المشروب والوعيد بفقد المطعوم أصعب من من الوعيد بالمشروب فإنّالمشروب إنمّايحتاج إليه تبعاً للمطعوم [فلو لا تشكرون] فهلاّ تشكرون بتوحيد منعمه وإطاعة أمره ؟

(١) جمع الفيفاء : الصحراء .

و عن ابن عبّاس إنّ تحت العرش بحراً تنزل منه أرزاق الحيوانات يوحي الله إليه فيمطر ماشاء من سماء إلى سماء حتّى ينتهي إلى سماء الدنيا و يوحي إلى سماء الدنيا أن غربليه فتغربله فليس من قطرة تقطر إلّا و معها ملك يضعها موضعها و لاتنزل قطرة إلّا بكيل معلوم إلّا ماكان من يوم الطوفان فا نّه نزل بغير كيل ووزن وكان صلّى الله عليه وآله يكشف رأسه عند عند نزول المطر ويقول : حديث عهد بربّه .

] أفرأيتم النار الّتي تورون] أي أخبروني النار الّتي تخرجونها بسبب قدح الزناد أوبسبب قدح آخر و تشعلونهاو العرب تقدح بعودين تحكّ أحدهما على الآخر يسمّون الأعلى الزند و الأسفل الزندة شبّهو هما بالفحل والطروقة [ءأنتم أنشأتم شجرتها] الّتي منها الزناد و هي المرخ و العفار [أم نحن المنشئون] لها بقدرتنا .

[نحن جعلناها تذكرة] استيناف لبيان منافعها أي جعلنا نار الزناد تبصرة في أمر البعث فإنّ أمر البعث ليس أبدع من إخراج النار من الشجر الرطب و هوحجّة على منكري عذاب القبر حيث تضمّن النار ما لا يحرق ظاهره لكنّ النار حاصله و مؤثّره لكنّ الأثرغيربيّن أو المعنى أنّ هذه تذكرة لما اُوعدوا بهمن نارجهنّم لينظروا إليها و يتذكّروا [و متاعاً للمقوين] أي بلغة و منفعة للمسافرين و الّذين ينزلون القواء بالفتح و هو القفر الخالي من العمارة وتخصيصهم بذلك لأنّهم أحوج إليها لأنّ المقيمين في العمارةليسوا بمضطرّين إلى الاقتداح وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله : إنّ أدنى أهل النار عذاباً الّذي يجعل له نعلان يغلي منهما دماغه في رأسه .

[فسبّح باسم ربّك العظيم] أي أحدث التنزيه لربّك و نزّهه عمّا لايليق به وقيل : معناه قل : سبحان ربّي العظيم فقدصحّ عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه لمّا نزلت هذه الآية قال : اجعلوا هذا الذكر في ركوعكم و الباء للاستعانة و قيل : المراد هنا تلاوة القرآن و شرّف عبيده بأن أمرهم بالتسبيح ليطهّروا أنفسهم بتسبيحه تعالى .

فلا اقسم بمواقع النجوم (٧٥) .

أي فاُقسم و لامزيدة للتأكيد و تقوية الكلام كقوله : « لئلّا يعلم أهل الكتاب » و يجوز أن يكون ردّاً لما يقوله الكفّار في القرآن من أنّه سحر و شعر و كهانة ثمّ

استأنف القسم ، و مواقع النجوم قيل : مطالعها ومساقطها و قيل : انكدار ها و انتشار ها يوم القيامة و قيل : هي الأنواء التي كان أهل الجاهليّة إذا اُمطروا قالوا : اُمطرنا بنوء كذا قال الباقر والصادق عليهما السلام : إنّ مواقع النجوم رجومها للشياطين و كان المشركون يقسمون بها فحينئذ «لا» نافية فقال سبحانه : فلا اُقسم بها . قرىء بموقع ، أي عظم أمر من يحلف بها .

في الفقيه عن الصادق عليه السلام المراد به اليمين بالبراءة من الأئمّة عليهم السلام يحلف بها الرجل إنّ ذلك عندالله عظيم وقيل : المعنى اُقسم بنزول القرآن فإنّه نزل نجماً نجماً متفرّقاً عن ابن عبّاس .

و انه لقسم لو تعلمون عظيم (٧٦) انه لقرآن كريم (٧٧) فى كتاب مكنون (٧٨) لايمسه الا المطهرون (٧٩) تنزيل من رب العالمين (٨٠) افبهذا الحديث انتم مدهنون (٨١) و تجعلون رزقكم انكم تكذبون (٨٢) فلولا اذا بلغت الحلقوم (٨٣) و انتم حينئذ تنظرون (٨٤) و نحن اقرب اليه منكم و لكن لاتبصرون (٨٥) فلولا ان كنتم غير مدينين (٨٦) ترجعونها ان كنتم صادقين (٨٧) .

[و إنّه] أي القسم المذكور [لقسم] لوعلمتم بموجبه لعظّمتموه و جواب القسم قوله : [إنّه لقرآن كريم] و هذه الجملة و هو قوله : « و إنّه لقسم » اعتراض بين القسم و جوابه أي الكتاب الكريم كثير النفع في صلاح المعاش و المعاد أو كريم عندالله و دالّ على مكارم الأخلاق و شرائف الأفعال أو كريم بسبب نزوله من عند كريم إلى أكرم الخلق .

[في كتاب مكنون] و مصون عن غير المقرّبين إذ لايطّلع عليه من سواهم لأنّه مستنسخ في اللوح المحفوظ [لايمسّه إلّا المطهّرون] إمّا صفة اُخرى للكتاب فحينئذ المراد بالمطهّرين الملائكة المنزّهون عن أوضار الأوزار أو صفة للقرآن فيكون نفياً بمعنى النهي أي لاينبغي أن يمسّه إلّا من كان على طهارة من الأدناس كالحدث والجنابة و النفي بمعنى النهي مثل قوله عليه السلام : المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه أي لاينبغي له أن يظلمه أو يسلمه إلى من يظلمه و قيل : (والقائل و القول كلاهما ضعيفان وهو محمّد

ابن فضيل من العامّة قال :)المراد من الطهارة ههنا التوحيد يعني إنّ غير الموحّد لا يجوزأن يمسّه .

[تنزيل من ربّ العالمين] صفة اُخرى للقرآن مصدر بمعنى المفعول أي منزل مثل الخلق بمعنى المخلوق .

[أفبهذاالحديث] الّذي ذكرت صفاته و هو القرآن [أنتم] ياأهل مكّة[تدهنون] أي مكذّبون أو أي متهاونون به و الإدهان عبارة عن المداراة والملاينة وترك الحدّ و الاستحقار و في الآية دلالة على حدوث القرآن .

[و تجعلون رزقكم أنّكم تكذّبون] قال ابن عبّاس : أصاب الناس عطش في بعض أسفاره ﷺ فدعافسقوا ، فسمع رجلايقول : مطر نابنوء كذا فنزلت الآية و قيل : المعنى تجعلون حظّكم من القرآن و شكر رزقكم الّذي رزقكم التكذيب بالقرآن وكان رسول الله ﷺ يقول : لوحبس الله القطر عن اُمّتي عشر سنين ثمّ أنزل لأصبحت طائفة تقول : سقينا بنوء كذا . قال ﷺ أخوف ما أخاف على اُمّتي حيف الأئمّة و التكذيب بالقدر و الإيمان بالنجوم .

و في الحديث ثلاث من أمر الجاهليّة : الطعن في الأنساب و النياحة و الأنواء فالطعن معروف و النياحة البكاء على الميّت مع تعديد محاسنه والأنواء جمع نوء المنازل الثماني والعشرون للقمر . والعرب كانت تعتقد أنّ الأمطار و الخيرمن الأنواء وآثارها و الصحيح أنّ الأنواء النجوم الّتي يسقط واحد منها في جانب المغرب وقت طلوع الفجر و يطلع رقيبه في جانب المشرق من ساعته . و بالجملة فللمؤمن أن يعتقد أنّ الخير بأمر الله و بيده و الأفلاك و الأنجم مسخّرات بأمره إن أرادكان و إن لم يشأ لم يكن .

[فلولا إذابلغت الحلقوم]للتحضيض لإظهارعجزهم قيل : الحلقوم مجرى النفس والبلعوم مجرى الطعام أي فهلاّ إذا بلغت النفس أي الروح الحلقوم وتداعت إلى الخروج والضمير كناية عن غير مذكور للدلالة [و أنتم حينئذ تنظرون] و الحال أنتم أيّها الحاضرون حول صاحبها تنظرون إلى ما هو فيه من غمرات الموت ولكم تعطّف عليه و لكم رغبة في إنجائه من الموت تردّون روح ميّتكم إلى مقرّها .

[و نحن أقرب إليه] أي إلى المحتضر قدرة و علماً و تصرّفاً [منكم] حيث لا تعرفون حاله إلّا ما تشاهدونه من آثار الشدّة ولا تقدرون على دفع أدنى شيء منها ونحن المتولّون لتفاصيل أحواله وبقبض روحه [و لكن لاتبصرون] كنه ما يجري عليه والمراد هنا البصيرة لا البصر .

[فلولا إن كنتم غير مدينين] يعني هلّا إن كنتم غير مربوبين وغير مملوكين أذلّاء من دان السلطان رعيّته إذا استبعدهم و ساسهم أو غير مجزيّين .

[ترجعونها] أي تردّون النفس إلى مقرّها و تردّون روح ميّتكم إلى بدنه من الرجع و هو الردّ والمحضّض عليه بلولا الاُولى و الثانية مكرّرة للتأكيد و حاصل المعنى إن كنتم غير مربوبين و غير مصدّقين بخلقنا إيّاكم فهلّا ترجعون النفس إلى مقرّها عند بلوغها الحلقوم [إن كنتم صادق] في اعتقادكم .

فاما ان كان من المقربين (٨٨) فروح وريحان و جنة نعيم (٨٩) وأما ان كان من المكذبين الضالين (٩٢) فنزل من حميم (٩٣) و تصلية جحيم (٩٤) ان هذا لهو الحق اليقين (٩٥) فسبح باسم ربك العظيم (٩٦) .

[فأمّا إن كان من المقرّبين] أمّا في الكلام لتفصيل الجمل و شرح الأزواج الثلاثة المذكورة في أوّل السورة مثل قولك جاءني القوم فأمّا زيد فأكرمته وأمّا عمرو فأهنته أي إن كان المتوفّي وذلك المحتضر الّذي بلغت روحه الحلقوم من المقرّبين عندالله و هم السابقون وأجلّ الأزواج الثلاثة .

[فروح] أي فله استراحة و رحمة [وريحان] يعني الرزق في الجنّة و قيل : هو الريحان المشموم من رياحين الجنّة يؤتى بها عند الموت فيشمّه ثمّ يقبض روحه ، وقيل : الروح النجاة من النار والريحان الدخول في الجنّة ، وقيل : روح في القبر و هو الهواء الّذي تستلذّه النفس و يزيل عنها المكروه وريحان في القيامة [وجنّة نعيم] أي ذات تنعّم .

[و أمّا إن كان من أصحاب اليمين] و استعير اليمين للتيمّن و السعادة [فسلام لك من أصحاب اليمين] إي إن كان المتوفّي من أصحاب اليمن و البركة فسلام لك

بأصحاب المين من إخوانك المؤمنين والملائكة ولك البشارة منهم بالسلامة من العذاب قال الفرّاء : فسلام لك إنّك من أصحاب اليمين فخذف إنّك فيكون السلام إشارة له بأنّه من أهل الجنّة و إلّا لقيل عليك .

[و أمّا إن كان من المكذّبين الضالّين] وهم أصحاب الشمال وهم الّذين كذّبوا بالبعث و ضلّوا عن التوحيد و الهداية [فنزل] فله نزل كائن [من حميم] تشرب بعد أكل الزقّوم [و تصلية جحيم] و إدخال في النار و قيل : إقامة فيها و مقاساة لألوان عذابها و قيل : ذلك ما يجده في القبر من سموم النار .

[إنّ هذا] الّذي ذكر في هذه السورة الكريمة [لهو الحقّ اليقين] حقّ الخبر اليقين الواقع و لايطرء على هذا الأمر التبدّل والتغيّر و إضافة العلم و الحقّ إلى اليقين إضافة الشيء إلى مرادفه كما فعلوا في العطف التفسيريّ [فسبّح باسم ربّك العظيم] الفاء لترتيب التسبيح فسبّح يا محمّد و نزّه ربّك عمّا لايليق به من الأمور الّتي من جملتها التكذيب بآياته الناطقة و الإشراك به و أعرض عمّا لا يليق من كلّ الأمور و لمّا نزل هذه الآية قال ﷺ : اجعلوها في ركوعكم فلمّا نزل سبّح اسم ربّك الأعلى قال : اجعلوها في سجودكم

تمّت السورة بعون الله

سورة الحديد

۞(مدنية)۞

العرباض بن سارية قال : إنّ النبي صلّى الله عليه وآله كان يقرء المسبّحات قبل أن يرقد و يقول : إنّ فيهنّ آية أفضل من ألف آية .

وعن جابر الجعفيّ عن أبي جعفر عليه السلام قال : من قرأ المسبّحات كلّها قبل أن ينام لم يمت حتّى يدرك القائم عليه السلام و إن مات كان في جوار رسول الله .

الحسين بن أبي العلاعن أبي عبدالله قال : من قرأ سورة الحديد والمجادلة في صلاة فريضة أدمنها [1] لم يعذّبه الله حتّى يموت أبداً و لايرى في نفسه ولافي أهله سوءاً أبداً ولا خصاصة في بدنه .

---

(١) ادمنه : ادامه .

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السماوات الارض و هو العزيز الحكيم (١) له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (٢) هو الاول والاخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم (٣) هو الذى خلق السماوات و الارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم مايلج في الارض و مايخرج منها و ما ينزل من السماء و مايعرج فيها و هو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير (٤) له ملك السماوات والارض والى الله ترجع الامور (٥) يولج الليل و النهار و يولج النهار في الليل و هو عليم بذات الصدور (٦).

التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقاداً و قولاً وعملاً عمّا لا يليق بجنابه بدأ الله بالمصدر في الإسراء لأنّه الأصل ثمّ بالماضي في هذه السورة و الحشر والصف لأنّ الماضي أسبق الزمانين ثمّ بالمستقبل في الجمعة و التغابن ثمّ بالأمر في الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها و تعليم العباد استمرار التسبيح منهم في جميع الأزمنة و الكونات من لدن أخرجها من العدم إلى الوجود مسبّحة في الأزمنة و لايختص تسبيحها بوقت دون وقت و في الحديث أفضل الكلام أربع : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر و سبّح متعدّ بنفسه كما في قوله : «و تسبّحوه» فاللام في لله إمّا مزيدة للتأكيد كما في نصحت له و شكرت له أو للتعليل أي فعل التسبيح و أحدثه خالصاً لوجهه .

[سبّح لله ما في السماوات والأرض] و المراد جميع الخلق من حيوان و جماد و نبات و غيره و عبّر بما تغليباً للأكثر و الجماد ميّت في نظر المحجوب حتّى في نفس الأمر لا ميّت لأنّ الجماد مدبّر حيّ والمدبّر حيّ وليس من شرط الحيّ أن يحسّ لأنّ الإحساس والحواسّ أمر معقول زائد على الحياة و إنّماهما من شرط الإدراك و العلم و قد يحسّ الشيء و قد لايحسّ أماترى صاحب الأكلة و الجذام إذا أكل واستعمل ممّا

يغيب به إحساسه كيف يقطع عضوه و لا يحسّ به مع أنّه حيّ ليس بميت ، و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده ، لأنّ وجود الشيء دالّة على تنزيهه تعالى فضلاً عن اُمور زائدة .

[وهو العزيز الحكيم] الغالب بقدرته وسلطانه الحكيم في أفعاله ، وردحديث أنّ كلّ شيء من الجماد و الحيوان يسمع عذاب القبر إلّا الثقلين يدلّ على أنّ السماوات والأرض بجميع أجزائهما و ما فيهما من الملك و الشمس و القمر و النجوم والجنّ و الإنس والحيوان و النبات و الجماد لها حياة و فهم .

[له ملك السماوات والأرض] أي التصرّف الكلّي [يحيي ويميت] جعل الشيء ميتاً و جعل الميّت حيّاً مثل النطفة و البيض [و هو على كلّ شيٍ] من الأشياء [قدير] تامّ القدرة فإنّ الصيغة للمبالغة .

[هو الأوّل] السابق على سائر الموجودات بالذات و الصفات لأنّه مبدؤها و المراد بالسبق و الأوّليّة هو الذاتيّ لاالزمانيّ فإنّ الزمان من جملة الحوادث أيضاً [والآخر] الباقي بعدفنائها حقيقة [و الظاهر] وجودالأشياء دلائله الواضحة [والباطن] حقيقة فلا يحوم العقل حول إدراك كنهه وليس يعرف الله إلّا الله و تلك الباطنيّة سواء في الدنيا والآخرة .

[و هو بكلّ شيء عليم] من الظاهر و الخفيّ تامّ العلم بكلّ شيء جليّه وخفيّه و يمكن أن يكون معنى هو الأوّل أي الّذي تبتدء منه الأسباب و الآخر الّذي تنتهي إليه المسبّبات و الظاهر أي الغالب على كلّ شيء و الباطن أي العالم بباطن كلّ شيء .

و احتجّ كثير من أهل التحقيق في إثبات أنّ الإله واحد بقوله تعالى : [هو الأوّل] و قالوا : الأوّل هو الفرد السابق و لهذا لوقال : أحد أوّل مملوك اشتريته فهو حرّ ثمّ اشترى عبدين لم يعتقا لإنّ شرط كونه الأوّل حصول الفرديّة وهنالم يحصل فلو اشترى بعدذلك عبداً واحداً لم يعتق لأنّ شرط الأوّليّة كونه سابقاً و ههنا لم يحصل مع أنّ الشرط في كونه أوّلاً أن يكون فرداً فكانت الآية دالّة على أنّ صانع العالم واحد

فرد و الأوّل الّذي لم يسبقه شيء في الوجود فهو تعالى شأنه نفى القدم عن كلّ أوّل بأوليّته ونفى البقاعن كلّ آخر بآخريّته .

و قال بعض علماء الكلام : المراد من الآية مبالغة في نفي التشبيه لأنّ كلّ من كان أوّلا لايكون آخراً و كلّ من كان ظاهراً لايكون باطناً فأخبر سبحانه أنّه الأوّل الآخر الظاهر الباطن ليعلم أنّه لا يشبه شيئاً من المخلوقات والمصنوعات وأوضح المعاني قوله : « هو الأوّل » إنّه سبحان كان و لم يكن صورالعوالم كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : كان الله و لم يكن معه شيء .

و قال بعض المجرّبين : إنّ من قرأ بعد صلاة ركعتين خمساً و أربعين مرّة « هو الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكلّ شيء عليم » حصل له ماطلبه .

[هو الّذي خلق السماوات و الأرض] بقدرته [في ستّة أيّام] أوّلها الأحد و آخرها الجمعة و هذه المدّة ليشهد الملائكة بحدوثها ويعلموا سنّة التدريج في الأُمور و اختلف في أنّ الأيّام من أيّام الدنيا أوالآخرة كما وقع اختلاف في الأربعين الّتي خمّرالله فيها طينة آدم عليه السلام [ثمّ استوى على العرش] استولى بالتدبير على أُمور أراد خلقه و نظمه و قيل : معنى « استوى » قصد و عمد .

[يعلم ما يلج في الأرض و ما يخرج منها] أي يعلم ما يدخل في الأرض ويستتر فيها و يعلم ما يخرج من الأرض من أنواع النبات و الحيوان و الجماد لايخفى عليه شيء منها .

قال أهل التأويل : يعلم سبحانه ما يلج في أرض قلب المؤمن من النيّة والإخلاص و التوحيد و في أرض قلب الكافر من الشكّ والشرك و ما يخرج منها بحسب حالهم و الصحيح أنّ العلم محيط بتمام العوالم و قلب الكافر و المؤمن أيضاً جزء من العالم .

[و ما ينزل من السماء] كالكتب و الملائكة و الأقضية و الصواعق و الأمطار [و ما يعرج فيها] كالملائكة الّذين يكتبون الأعمال و الأرواح السعيدة .

[و هو معكم أينما كنتم] في الأرض و هو تمثيل لإحاطة علمه و في الحديث أفضل إيمان المرء أن يعلم أنّ الله معه حيث كان قال موسى عليه السلام : أين أجدك يا

رب ؟ قال : يا موسى إذا قصدت إلي فقد وصلت إلي .

[والله بما تعملون بصير] فيجازيكم عليه ثواباً و عقاباً .

[له ملك السماوات و الأرض] تكرير للتأكيد و تمهيد لقوله تعالى : [و إلى الله ترجع الأمور] و التأكيد في قوله : « له ملك السماوات » الأول متعلق بالإبداء و الثاني بالإعادة و لذا قرن بالأول « يحيي ويميت » و بالثاني ما يكون في الآخرة من رد الخلق إليه .

[يولج الليل في النهار] الإيلاج الإدخال حتى يصير النهار أطول ما يكون خمس عشر ساعة و الليل أقصر ما يكون تسع ساعات [ويولج النهار في الليل] باختلاف الفصول و مطالع الشمس و مغاربها حتى يصير الليل أطول ما يكون خمس عشرة ساعة و النهار أقصر ما يكون تسع ساعات قال الشاعر :

فالشمس بالقوس أمست و هي نازلة * إن لم تزرني و بالجوزاء إن زارا

[و هو عليم بذات الصدور] أي بمكنوناتها من الأسرار و المعتقدات و هو بيان لإحاطة علمه تعالى بما يضمرونه في نياتهم بعد بيان إحاطته بأعمالهم قال ابن عباس : اسم الله الأعظم في أول سورة الحديد في ست آيات من أولها و تعليقها على المقاتل في الصف نافع جداً كما في فتح الرحمن .

آمنوا بالله و رسوله و أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم و أنفقوا لهم أجر كبير (٧) .

[آمنوا بالله و رسوله و أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه] جعلكم الله خلفاء في ذلك المال بالتصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة لأن يد كم يد العارية على الحقيقة و في الآية أمر و ترغيب في الإنفاق أو المعنى جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه إياكم و سينتقل منكم إلى من بعد كم فلا تبخلوا به قيل : إن الآية نزلت في غزوة ذي العشرة و هي غزوة تبوك [فالذين آمنو منكم و أنفقوا] حسبما أمروا به [لهم] بسبب ذلك [أجر كبير] وله عشر أمثالها إذا أتى بحسنة قال ﷺ : حكاية عن الله أنفق أنفق عليك و قال ﷺ : لاتوك فيو كى عليك (١) .

(١) أوكى الرجل : بخل .

و مالكم لاتؤمنون بالله و الرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم و قدأخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين (٨) هوالذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور و ان الله بكم لرؤف رحيم (٩) و مالكم ان تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السماوات و الارض لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح و قاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد و قاتلوا وكلا وعدالله الحسنى والله بما تعملون خبير (١٠).

[و مالكم لاتؤمنون بالله] أي أيّ شيء ثبت لكم وحصل حالكونكم غيرمؤمنين و ما سبب عدم إيمانكم بالله ؟ [والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربّكم] توبيخ لهم بأنّه أيّ عذر لكم في ترك الإيمان والنبيّ ينبّهكم عليه بالحجج والآيات ؟

[و قد أخذ ميثاقكم] و الميثاق عقد يؤكّد بيمين و عهد أي قد أخذالله ميثاقكم بالإيمان من قبل دعوة الرسول أيّاكم و ذلك بما أودع الله قلوبكم من دلالات العقل الموصلة إلى معرفة التوحيد أو المراد من الميثاق العهد المأخوذيوم الذرّ حين أخرجهم من من صلب آدم في صورة الذرّ و هي النمل الصغير [إن كنتم مؤمنين] إن دمتم على ما بدأتم به و مصدّقين بحقّ لأنّ الآن تمّت الحجّة و لزمتكم الحجّة بالأدلّة السمعيّة و العقليّة .

[هو الّذي ينزّل] بواسطة جبرئيل عليه السلام [على عبده] المطلق محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم [آيات بيّنات] واضحات من الأمر و النهي والحلال و الحرام [ليخرجكم] الله [من الظلمات إلى النور] من ظلمات الجهل و الشرك إلى معرفة اليقين و التوحيد [و إنّ الله بكم لرءوف رحيم]حيث يهديكم لسعادة الدارين بإرسال الرسل وإنزال الكتب .

[و مالكم لا تنفقوا في سبيل الله] و أيّ شيء لكم من أن لا تنفقوا فيما هو قربة إلى الله و هوله في الحقيقة و إنّما أنتم خلفاؤه في صرفه إلى ما عيّنه من المصارف [ولله ميراث السماوات و الأرض] و الحال أنّه لايبقى لكم منها شيء بل تبقى كلّها له بعد فناء الخلق فإنفاقها بحيث تستخلف عوضاً يبقى و هوالثواب كان أولى من الإمساك و نسب نفسه إلى الوارث من حيث إنّ الأموال صائرة إليه و الميراث ما ترك الإنسان فخاطبهم

بما يعرفون بينهم ، قال عيسى عليه السلام : قلب كلّ إنسان حيث ماله فاجعلوا أموالكم في السماء يكن قلوبهم في السماء .

[لايستوي منكم] يا معشر المؤمنين [من أنفق قبل الفتح] أي فتح مكّة الّذي أزال الهجرة [و قاتل] العدوّ تحت لواء رسول الله وقسيم «من أنفق» محذوف لوضوحه أي بعد الفتح و في «أنفق» إشارة إلى إنفاق المال و في «قاتل» إشارة إلى إنفاق النفس .

[أُولئك] المنفقون المقاتلون قبل الفتح [أعظم درجة] و أرفع منزلة عندالله [من الّذين أنفقوا من بعد و قاتلوا] و قد صرّح صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً بفضل الأوّلين بقوله : لوأنفق أحدكم مثل اُحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم و لا نصفه و المدّ قيل : ملء كفّي الإنسان المعتدل إذا ملأهما و مدّيده بهما وبهسمّي مدّاً وقدجرّب مراراً أنّ هذا المقدار مساو مع الوزن المعروف الّذي يقال له : المدّ .

[و كلاّ وعدالله الحسنى] أي كلّ واحد من الفريقين وعدهم الله المثوبة الحسنى و هي الجنّة لكنّ الدرجات متفاوتة [واللهبما تعلمون خبير]بظواهره و بواطنه فيجازيكم بحسب نيّاتكم و إخلاصكم .

من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له و له اجر كريم (١١) يوم ترى المومنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بايمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم (١٢) يوم يقول المنافقون و المنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا و راءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسورله باب باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب (١٣) الم نكن معكم قالوا بلى و لكنكم فتنتم انفسكم و تربصتم و ارتبتم وغرتكم الامانى حتى جاء امرالله و غركم بالله الغرور (١٤) فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم و بئس المصير(١٥) .

ثمّ حثّ سبحانه على الإنفاق فقال :

[من ذا الّذي] قيل : من مبتدأ و «ذا» خبره و «الّذي» بدله قال الطبرسيّ : إنّ الصحيح أن يكون «ذا» مبتدءاً و الّذي يقرض الله صفته و من خبر المبتداء قدّم

عليه لما فيه من معنى الاستفهام والإقراض إعطاء العين على وجه يطلب بدله و المعنى كأنّه قيل : أيقرض أحد مالاً طيّباً فيعطيه الله عوضه أضعافاً من فضله من السبع إلى السبعين إلى السبعمائة ؟ وإنّما قلنا بمعنى الاستفهام لأنّ قوله : « فيضاعضه له » والفاء إنّما تنصب فعلاً مردوداً على فعل مستفهم عنه و ههنا السؤال لم يقع عن القرض بل عن فاعله .

[وله أجر كريم] أي و ذلك الأجر كريم حسن مرضيّ في نفسه . روي أنّه لمّا نزلت الآية جعل أبوالدحداح يتصدّق بنصف ماله من كلّ شيء له حتّى أنّه خلع إحدى نعليه قال بعضهم : سأل الله القرض منهم ولوكانوا يمكن لهم أن يخرجوا من وجودهم لخرجوا قبل سؤاله فضلاً عن المال فإنّ العبد و ما يملكه لمولاه ، في الحديث : عبدي استطعمتك فلم تطعمني .

و في الإنفاق يكون عشر شرائط : الأوّل أن يكون من الحلال . و الثاني أن يكون من أطيب ماله دون الرديء . و الثالث أن يتصدّق و يحبّ المال . و الرابع أن يعطيه و هو يرجو الحياة و هو صحيح يأمل العيش . الخامس يخشى الفقر . السادس أن يضعه في الأخلّ الأحوج الأولى بأخذه . السابع أن يكتمه ما أمكن . الثامن أن لا يتبعها المنّ و الأذى . التاسع أن يقصد به وجه الله . العاشر أن يستحقر ما يعطي فالصدقة لابدّ وأن تكون موصوفة بهذه الصفات العشرة وفي المرفوع : النافلة هديّة العبد إلى ربّه فليحسن أحدكم هديّته و ليطيّبها .

[يوم ترى المؤمنين و المؤمنات] الظرف منصوب بإضمار اُذكر تفخيماً لذلك اليوم أي اذكر يوم رؤيتهم يوم القيامة على الصراط أو غيره [يسعى نورهم] حال من مفعول ترى أي نور إيمانهم و طاعاتهم و معنى السعي المشي السريع دون العدو ويستعمل أيضاً للجدّ في الأمر خيراً كان أو شرّاً و أكثر استعماله في الأفعال المحمودة [بين أيديهم و بأيمانهم] جمع يمين و المراد جهة اليمين قيل : يكون النور بين أيديهم و في جهة أيمانهم [و عن شمائلهم] إلّا أنّ ذكر الشمائل مضمر و ذلك النور دليلهم إلى الجنّة و المراد بالنور الضياء الّذي يرونه و يمرّون فيه إنّ المؤمن يضيء له نور كما بين عدن إلى صنعاء و دون ذلك ودون ذلك حتّى أنّ من المؤمنين من لايضيء له نوره إلّا في موضع

قدميه ، قال عبدالله بن مسعود : و يعطون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من نوره على قدر الجبل و أدناهم نوراً نوره على إبهامه يطفى مرّة و يتّقد اُخرى و يقول لهم الملائكة :

[بشرا كم اليوم جنّات] أي الّذي تبشّرون به اليوم جنّات و دخولها و حذف المضاف [تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك] صفة للجنّات أنتم دائمون فيها و ما ذكر [هو الفوز العظيم] الّذي لاغاية و راءه .

[يوم يقول المنافقون و المنافقات] بدل من «يوم ترى» فذكر سبحانه حال المنافقين في ذلك اليوم يقولون : [للّذين آمنوا] ظاهراً و باطناً [انظرونا] أي انتظرونا يقولون ذلك لما أنّ المؤمنين يسرع بهم إلى الجنّة كالبروق الخاطفة على ركاب تزفّ بهم وهؤلاء مشاة إذ المعنى من انظرونا استقبلونا نستضيء بأنوار كم و إنّ النظر بمعنى الإنظار لايتعدّى بنفسه و إنّما يتعدّى بـ إلى فيكون المعنى اجعلوا نظر كم إلينا لكن بمعنى النظرة و الإمهال أليق .

[نقتبس من نور كم] و الاقتباس التناول من الشعلة أي نأخذ من نور كم قبساً سراجاً و شعلة لأنّهم كانوا يستضيئون بنور المؤمنين فإذا سبقهم المؤمنون و وصلوا إلى مكانهم بقوا هؤلاء في الظلمة فيقولون : انظرونا نقتبس ، وهيهات! أين الثريّا من يد المتناول ؟

[قيل ارجعوا و راء كم] طرداً و تهكّماً لهم و القول من جهة الملائكة أو المؤمنين ارجعوا إلى الموقف [فالتمسوا نوراً] و اطلبوا هناك فإنّه من ثمّة يقتبس النور أو فارجعوا إلى الدنيا لأنّ النور بالإيمان يحصل في الدنيا و ههنا ليس دار التحصيل بل دار الجزاء فيرجعون فلا يجدون نوراً .

[فضرب بينهم بسور] و قد ضرب بين المؤمنين وبينهم وحيل بينهم حائط بين الجنّة والنار و لمّا كان البناء ممّا يحتاج إلى ضرب باليد و نحوها من الآلات عبّر عنه بالضرب مثل قولهم : ضرب الخيمة لضرب أوتادها بالمطرقة و بالجملة هو سور بين أهل الجنّة والنار يقف عليه أصحاب الأعراف يشرفون على أهل الجنّة و أهل النار و هو السور الّذي يذبح عليه الموت بمرءى الفريقين [له باب] أي لذلك السور و الحائط و المانع باب يدخل فيه المؤمن فيكون السور بينهم باعتبار حاله الثانية بعد الدخول لاحين الضرب

[باطنه] باطن السور أو باطن الباب فيه الرحمة لأنّه يلي الجنّة [و ظاهره من قبله] و من جهته و عنده [العذاب] لأنّه يلي النار ، و بالجملة إنّ المؤمنين يسبقونهم و يدخلون الجنّة و المنافقين يجعلون إلى النار و بينهم السور المذكور . في الحديث : بيت المقدس أرض المحشر و المنشر .

[ينادونهم] أي ينادي المنافقون المؤمنين : [ألم نكن معكم] في الدنيا يريدون به ما كانوا يوافقون مع المؤمنين في الأُمور الظاهرة كالمناكحة و الموارثة و الصلاة [قالوا بلى] كنتم معنا بحسب الظاهر [و لكنّكم فتنتم أنفسكم] محنتموها بالنفاق و أهلكتموها إضافة الفتنة إلى النفس إضافة الميل و الشهوة و إلى الشيطان في قوله : « لا يفتننّكم الشيطان » إضافة الوسوسة .

[و تربّصتم] و انتظرتم بالمؤمنين الدوائر و بمحمّد ﷺ الموت و هو وصف قبيح ، إنّ انتظار موت وسائل الخير و سائط الحقّ من أعظم الجرم و القباحة [وارتبتم] و شككتم في النبوّة أو في غد اليوم الموعود [و غرّتكم الأمانيّ] الفاسدة الّتي من جملتها انتكاس أمر الإسلام ، جمع أُمنيّة أباطيل الدنيا [حتّى جاء أمر الله] أي الموت [و غرّكم بالله] الكريم [الغرور] أي الشيطان غرّكم بحلمه تعالى و إمهاله وقيل : الغرور الدنيا قال قتادة : مازال أهل الدنيا على خدعة من الشيطان حتّى قذفوا في النار و الغرور مبالغة و هو كلّ ما يغرّ الإنسان من مال و جاه و شهوة و شيطان و فسّر بالشيطان لأنّه أخبث الغارّين .

[فاليوم لا يؤخذ منكم] أيّها المنافقون [فدية] فداء تدفعون به العذاب عن أنفسكم و الفداء ما يحفظ الإنسان عن النائبة أي لا يؤخذ منكم دية و لا نفس أُخرى مكان أنفسكم [ولا من الّذين كفروا] ظاهراً و باطناً فالناس ثلاثة أقسام : مؤمن ظاهراً و باطناً و هو المخلص و مؤمن ظاهراً لا باطناً و هو المنافق و كافر ظاهراً و باطناً .

[مأواكم النار] مرجعكم جهنّم لا ترجعون إلى غيرها أبداً [هي] أي النار [مولاكم] تتصرّف فيكم تصرّف المولى في عبيده أو هي أولى بكم فالمولى مشتقّ من الأولى [و بئس المصير] والمرجع .

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحق و لا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامدفقست قلوبهم فكثير منهم فاسقون (١٦) اعلموا أن الله يحيي الارض بعدموتها قدبينا لكم الايات لعلكم تعقلون (١٧) ان المصدقين و المصدقات و اقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفلهم و لهم أجر كريم (١٨) و الذين آمنوا بالله ورسوله اولئك هم الصديقون و الشهداء عند ربهم لهم اجرهم و نورهم و الذين كفروا و كذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم (١٩) اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر في الاموال و الاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاماً و في الاخرة عذاب شديد و مغفرة من الله و رضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور (٢٠).

من أنى الأمر يأني أنياً إذا جاء أناه أي وقته و حان حينه و أدرك أي ألم يجيء وقت أن تخشع قلوبهم لذكره و يسارعوا إلىطاعة بالامتثال من غير توان ولافتور . قوله تعالى : [و ما نزل من الحق] أي القرآن و هو عطف على ذكر الله فإن كان المراد من الذكر القرآن أيضاً فالعطف لتغاير العنوانين و تفسيري كما في قوله : « إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً (١) » و معنى الخشوع في الآية في قوله : « أن تخشع » الانقياد التام و أو امره و نواهيه روي أنّ المؤمنين كانوا مجدبين بمكّة فلّما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة فصيّروا عمّا كانوا عليه من الخشوع فنزلت الآية و عن ابن مسعودماكان بين إسلامنا و بين أن عوتبنا بهذه الآية أربع سنين و قيل : ظهر بين الأصحاب من المزاح و المضاحك فنزلت الآية : «ألم يأن للّذين آمنوا الآية » و قيل : إنّ هذه الآية قرئت بين قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديداً فقال بعض الأصحاب : هكذا كنّا و قدقست قلوبنا .

[و لا يكونوا كالّذين اُوتوا الكتاب من قبل] عطف على تخشع و المراد النهي عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله : [فطال عليهم الأمد] أي الأجل و الزمان أو الأعمار و الآمال وزالت عنهم الروعة الّتي كانت تأتيهم من التوراة والإنجيل

(١) الانفال : ٢ .

إذا سمعوهما [فقست قلوبهم] و القسوة غلظة القلب و إنّما تحصل من اتّباع الشهوة و الصفوة لايجتمعان [و كثير منهم فاسقون] و خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتبهم بالكلّيّة .

و فيه إشارة إلى أنّ عدم الخشوع في أوّل الأمر يفضي إلى الفسق في آخر الأمر. قال عيسى بن مريم عليه السلام : لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم و القلب القاسي بعيد من الله و لا تنظروا في ذنوب العباد كأنّكم أرباب و انظروا في ذنوبكم كأنّكم عبيد فإنّما الناس رجلان مبتلى و معافى فارحموا أهل البلاء و احمدوا الله على العافية انتهى .

[و اعلموا أنّ الله يحيي الأرض بعد موتها] تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر و التلاوة بإحياء الأرض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع و التحذير عن القساوة وبيان لمنكر في البعث أي كما أنّ الله يحيي الأرض بعد يبسها و جمودها كذلك يحيي الأموات بعد بلاها و محو صورتها [قد بيّنّا لكم الآيات لعلّكم تعقلون] كي تعقلوا و تعلموا بموجبها و كان استماع آية « ألم يأن للّذين آمنوا أن تخشع قلوبهم » سبباً لتوبة فضيل بن عياض و مجاورته في الحرم و قصّته معروفة ، و كذلك ابن المبارك وكان منهمكاً في الشرب و ضرب العود ، بينما هو في هذه الحالة إذ سمع قارئاً يقرء هذه الآية فتاب و رجع ممّا كان عليه و آل أمره إلى ما آل لكن و تعيها اُذُن واعية .

و عن مالك بن دينار و هو أحد الزهّاد الثمانية أنّه سئل عن سبب توبته فقال : إنّي كنت شرطيّاً و كنت منهمكاً على شرب الخمر ثمّ اشتريت جارية جميلة ووقعت في عيني أحسن موقع فولدت لي بنتاً فشغفت بها فلمّا دبّت على الأرض ازدادت في قلبي حبّاً و ألفتني وألفتها فلمّا تمّ لهاسنتان ماتت فأكمدني الحزن عليها لكنّي تجلّدت خوفاً من أن يصيبني غضب من الله فلمّا كانت ليلة النصف من شعبان و كانت ليلة جمعة بتّ ممتلئاً من الخمر و لم اُصلّ صلاة العشاء فرأيت كأنّ أهل القبور قد خرجوا و حشر الخلائق و أنا معهم فسمعت حسّاً من ورائي فإذا أنا بتنّين عظيم أعظم ما يكون أسود قد فتح فاه مسرعاً نحوي فمررت بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً فمررت في طريقي بشيخ نقيّ

الثياب طيّب الرائحة فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام فقلت له : أجرني فقال : أنا ضعيف و هذا أقوى منّي و ما أقدر عليه و لكن مرّ و اسرع فلعلّ الله سبّب لك ما ينجيك منه فولّيت هارباً على وجهي وصعدت على شرف من شرف القيامة فأشرفت على طبقات النيران فنظرت إلى أهلها فكدت أهوي فيها من فزع التنّين وهو في طلبي فصاح بي صائح: ارجع فلست من أهلها فاطمأننت إلى قوله و رجعت و رجع التنّين في طلبي فأتيت الشيخ فقلت : يا شيخ سألتك بالله أن تخبرني من هذا التنّين فبكى الشيخ و قال : أنا ضعيف و لكن سر إلى هذا الجبل فإنّ فيه و دائع للمسلمين فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك فنظرت إلى جبل فيه كوى و ستور معلّقة و على كلّ كوّة مصراعان من الذهب مكلّلان بالدرّ فلما نظرت إلى الجبل هربت إليه و التنّين من ورائي حتّى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا الستور و افتحوا المصاريع فلعلّ لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوّه و إذاً الستور قد رفعت فأشرف عليّ أطفال بوجوه كالأقمار و قرب التنّين منّي فتحيّرت في أمري فصاح بعض الأطفال: و يحكم أشرفوا كلّكم فقد قرب منه فأشرفوا فوجاً بعد فوج فإذاً بابنتي الّتي ماتت فلمّا رأتني بكت و قالت : أبي والله ثمّ دنت و مدّت يدها الشمال فتعلّقت بها فولّى هارباً ثمّ اجلستني وقعدت في حجري و قالت يا أبت : « ألم يأن للّذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » فبكيت و قلت : يابنيّه و أنتم تعرفون القرآن ؟ فقالت : ياأبت نحن أعرف به منكم قلت : فأخبريني عن التنّين قالت : ذلك عملك السوء قوّيته قلت : و من الشيخ الّذي مررت به؟ قالت : ذلك عملك الصالح أضعفته حتّى لم يكن له طاقة بعملك السوء قلت : وماتصنعون في هذا الجبل؟ قالت : نحن أطفال المسلمين قد أُسكنّا فيه إلى أن تقوم القيامة ننتظر كم تقدمون علينا فنشفع لكم فانتبهت فزعاً فلمّا أصبحت فارقت ما كنت عليه و تبت إلى ربّي انتهى .

[إنّ المصّدّقين و المصّدّقات] أي المتصدّقين و المتصدّقات [وأقرضوا الله قرضاً حسناً] عطف على الصلة من حيث المعنى أي إنّ الناس الّذين تصدّقوا و تصدّقن و أقرضوا و أقرضن الله و المراد من الحسن التصدّق من الطيّب عن طيبة النفس و خلوص النيّة .

وروى مسلم عن جابر أنّه قال : شهدت مع رسول الله ﷺ صلاة العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان و لا إقامة فلمّا فرغ ﷺ من الصلاة قام متوكّئاً على بلال فأمر بتقوى الله و حثّ على طاعته ووعظ الناس ثمّ مضى ﷺ إلى النساء فوعظهنّ و ذكّرهنّ فقال : تصدّقن فإنّ أكثر كنّ حطب جهنّم قالت امرأة : لمَ يارسول الله ؟ فقال : لأنّكنّ تكثرن الشكاية وتكفرنّ العشير أي الزوج فجعلن يتصدّقن من حليّهن و يلقين في ثوب بلال حتّى اجتمع فيه شيء كثير قسّمه على فقراء المسلمين انتهى .

[يضاعف لهم] أي ثواب التصدّق يضاعف لهم [و لهم أجر كريم] و هو رضى الله.

[و الّذين آمنوا بالله و رسله] كافّة و هو مبتدء [اُولئك] مبتدء ثان [هم] مبتدء ثالث خبره [الصدّيقون و الشهداء] أي اُولئك [عند ربّهم] بمنزلة الصدّيقين و الشهداء المشهورين في علوّ المرتبة و رفعة المحلّ قيل : الشهداء على ثلاث درجات الدرجة الاُولى الشهيدين الصفّين وهو أكبر هم درجة ثمّ كلّ من قضى و مات بقارعة أو بليّة و هي الدرجة الثانية مثل الغرق و الحرق و الهالك في الهدم و المطعون والمبطون و الغريب والميّتة في نفاسها و الميّتة بالوضع والميّت يوم الجمعة و ليلة الجمعة والميّت على الطهارة ، و الدرجة الثالثة ما نطقت به هذه الآية العامّة للمؤمنين و قال بعضهم في معنى الآية: هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا و صدّقوا بجميع ما أخبر سبحانه و أخبر رسله .

[لهم أجرهم و نورهم] مبتدء و خبر أي لهم أجرهم و ثواب طاعاتهم مثل ثواب الصدّيقين والشهداء الّذين معروفون بالفضيلة و الكمال و قد حذف أداة التشبيه تنبيهاً على قوّة المماثلة و بلوغها حدّ الاتّحاد ، وحاصل المعنى أنّ المؤمنين المصدّقين بآيات الله لهم من الأجر والنور ما للصدّيقين وللشهداء . قال بعض أهل التحقيق : لايكون الأجر إلّا مكتسباً فإن اُعطيت ماهو خارج عن الكسب فهو نور و هبات و لا يقال له «أجر» و لهذا قال سبحانه : «لهم أجرهم ونورهم » فإنّ أجرهم ما اكتسبوه و نورهم ما وهبه الله لهم بالتفضّل .

[و الّذين كفروا و كذّبوا بآياتنا اُولئك أصحاب الجحيم] الموصوفون بهذه

الصفات القبيحة أصحاب النار و ملازموها بحيث لا يفارقونها أبداً وفيه دليل على أنّ الخلود في النار مخصوص بالكافر و المراد بالكفر الكفر بالله في مقابلة الإيمان بالله و بالتكذيب ما بأيدي الرسل في مقابلة تصديق الرسل .

[اعلموا أنّما الحياة الدنيا] فكلّ ما قبل الموت تسمّى دنياً و كلّ ما تأخّر عنه اُخرى [لعب] أي عمل باطل تتعبون فيه أنفسكم إتعاب اللاعب [ولهو] تشغلون أنفسكم بها عمّا يهمّكم من أعمال الآخرة [وزينة] تزّينون بها من الملابس والمراكب و المنازل الحسنة [و تفاخر بينكم] بالأنساب و الأحساب و يعبّر عن كلّ نفيس بالفاخر [و تكاثر في الأموال و الأولاد] بالعدو و تطاولون بها على الناس .

فالحياة في الدنيا و اُمورها لعب كعب الصبيان وزينة كزينة النسوان و تفاخر كتفاخر الأقران وتكاثر كتكاثر الدهقان ولذائذها تجمع في ستّة أشياء مطعوم ومشروب و ملبوس و مشموم و مركوب و منكوح فأكبر طعامها العسل و هو ريق ذبابة ، وأكبر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان ، و أكبر الملبوس الديباج وهو نسج دودة ، وأكبر المشموم المسك و هو دم ظبية ، و أكبر المركوب الفرس و عليها يقتل الرجال ، وأكبر المنكوح النساء و هو مبال في مبال ، هذه اللذائذ أنفع أم ركعتان ؟

[كمثل غيث] أي هي صفاتها شبيهة بغيث و الغيث مطر يحتاج إليه يغيث الناس من الجدب عند قلّة المياه فهو مخصوص بالمطر النافع بخلاف المطر فإنّه عامّ [أعجب الكفّار نباته] الكفّار الحرّاث يقول العرب للزارع : كافر لأنّه يستر بذره بتراب الأرض و الكفر في اللغة التغطية و لهذا يسمّى الكافر كافراً لأنّه يغطّي الحقّ بالباطل و الكفر القبر يسترها الناس ، و في الحديث : أهل الكفور أهل القبور و الليل كافر لستره الأشخاص « نباته » أي النبات الحاصل من الغيث والمراد الكافرون بالله لأنّهم أشدّ إعجاباً بزينة الدنيا .

[ثمّ يهيج] أي يجفّ بعد خضرته و نضارته و الهائجة أرض يبس بقلها أو اصفرّ [فتراه مصفرّاً] بعد ما رأيته مونقاً ناضراً و إنّما لم يقل : فيصفرّ إيذاناً بأنّ اصفراره مقارن لجفافه .

[ثمّ يكون حطاماً] فيصير ذلك الزرع منكسراً و الحطم الكسر المتفاني و المقصود التحقير لأمور الدنيا و زينتها و بيان أنّها خياليّة باطلة لاحقيقة لها و تمثيل لحال الدنيا في سرعة تقضّيها و فخر الإنسان على مثل هذا الشيء إنّما هومن جهله بحقيقته [و في الآخرة عذاب شديد] لمن أقبل عليها و لم يطلب بها الآخرة .

[و مغفرة] عظيمة كائنة [من الله ورضوان] لايقدّر قدره لمن أعرض عنها وقصدبها الآخرة و إذا كان كذلك فنيّة الحسنة تجعل المباح طاعة كما قيل : إنّ من استقامت سريرته وصلحت نيّته أدرك جميع ماتمنّاه في الأعمال الصالحة ، في الحديث : من نام على طهارة و في عزمه أنّه يقوم من الليل فأخذ الله بنفسه إلى الصباح كتب الله له قيام ليلة فالدنيا من هذه الجهة حسنة نافعة مفيدة للعاقل و من ذمّها فقد عقّ أمّه لأنّ الأنكاد و الشرور الّتي ينسبها الناس إلى الدنيا ليس هو فعلها و إنّما هو فعل أولادها فإنّ الشرّ فعل المكلّف لافعل الدنيا وهي مطيّة العبد؛ عليها يبلغ الخير و بها ينجو من الشرّ فمن لم يستوف حقّه من الدنيا بهذه الكيفيّة كان غاشّاً لنفسه .

[و ما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور] أي كالمتاع الّذي يتّخذ من نحو الزجاج و الخزف ممّا يسرع فناؤه و يميل الطبع أوّل ما رآه فالعمل للحياة الدنيا متاع الغرور.

سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من شاء والله ذوالفضل العظيم (٢١) ما اصاب من مصيبة في الارض و لافي انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير (٢٢) لكيلا تاسوا على مافاتكم و لاتفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور (٢٣) الذين يبخلون و يامرون الناس بالبخل و من يتول فان الله هو الغنى الحميد (٢٤) لقد ارسلنا رسلنا بالبينات و انزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط و انزلنا الحديد فيه باس شديد و منافع للناس و ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز (٢٥) .

ثمّ رغّب سبحانه في السباق إلى الجنّة فقال :

[سابقوا] أي سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم في المضمار [إلى مغفرة] عظيمة

كائنة [من ربّكم] أي إلى أسبابها و موجباتها مثل الأعمال الصالحة و الاستغفار كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : اللّهم إنّي أسألك عزائم مغفرتك أي توفّقني للأعمال الّتي تغفر لصاحبها لامحالة أي محتوماتها، و تلك الأسباب والموجبات منحصرة كاتّباع شريعه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و أمرنا سبحانه بالإسراع إلى هذا الأمر على وجه المبالغة فإنّ صيغة المفاعلة للمبالغة و أمرنا بالإسراع لقلّة عمر الدنيا و طريق الإسراع في مرتبة الطبيعة و الجسمانيّات الامتثال بالأوامر و الاجتناب على النواهي .

و في مرتبة النفس تزكيتها عن الأخلاق الرذيلة كالكبر و الرياء و العجب و الغضب و الحسد و حبّ الجاه و المال و تحليتها بالأخلاق المحمودة كالتواضع و الإخلاص والحلم والصبر على الشدائد و الرضى و التسليم و في مرتبة الروح بتحصيل معرفة الله و اليقين .

[و جنّة عرضها كعرض السماء و الأرض] أي كعرض سبع سماوات و سبع أرضين و إذا كان عرضها كذلك فيكف بطولها فإنّ طول كلّ شيء أكثر من عرضه في الغاية ، و تقديم المغفرة في الآية لتقديم التخلية علي التحلية [اُعدّت] و هيّئت [للّذين آمنوا بالله ورسله] فيه دليل على أنّ الجنّة مخلوقة بالفعل والإيمان بالرسل والعمل بكتابهم .

[ذلك] الّذي وعد بالمغفرة و الجنّة [فضل الله] و عطاؤه [يؤتيه] تفضيلاً و إحساناً [من يشاء] إيتائه إيّاه مع وجود القابليّة و قبولهم [والله ذوالفضل العظيم] و في الآية إشارة على أنّه سبحانه يجزي و يعطي الدائم الباقي على القليل ولواقتصر في الجزاء على قدرما يستحقّ بالأعمال كان عدلاً منه لكنّه يفضل بالزيادة على أنّه سبحانه لولم يدعنا إلى الطاعة و لم يبيّن لنا الطريق الموصل إلى السعادة لما اهتدينا فذلك كلّه من فضل الله .

في الحديث قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : خرج من عندي خليلي جبرئيل آنفاً فقال : يا محمّد و الّذي بعثك بالحقّ إنّ عبداً من عبادالله عبدالله خمسمائة سنة على رأس جبل يحيط به بحر فأخرج الله له عيناً عذبة في أسفل الجبل و شجرة رمّان كلّ يوم تخرج رمّانه

فإذا أمسى نزل و أصاب من الوضوء و أخذ تلك الرمّان فأكلها ثمّ قام للصلاة فسأل ربّه أن يقبض روحه ساجداً و أن لايجعل للأرض ولالشيء على جسده سبيلاً حتّى يبعثه الله و هوساجد ففعل ونحن نمرّ عليه إذا هبطنا و إذا عرجنا وهو على حاله في السجود .

قال جبرئيل : و نحن نجد في العلم أنّه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله فيقول له الربّ : أدخلوا عبدي الجنّة برحمتي فيقول العبد : بل بعملي فيقول الله : فايسوا عبدي بنعمتي عليه و بعمله فتؤخذ نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وهبت عليه النعم الباقية بلاعبادة في مقابلتها فيقول الله : أدخلوا عبدي النار فيجرّ إلى النار فينادي ويقول : برحمتك أدخلني الجنّة فيقول الله : ردّوه إليّ فيوقف بين يديه فيقول : عبدي من خلقك ولم تك شيئاً ؟ فيقول : أنت يارب فيقول : أكان ذلك بعملك أوبرحمتي؟ فيقول : بل برحمتك فيقول : من قوّاك على عبادتي خمسمائة سنة؟ فيقول : أنت يا ربّ فيقول : من أنزلك في جبل وسط البحر و أخرج الماء العذب من بين المالح و أخرج لك رمّانة كلّ ليلة و سألتني أن أقبضك ساجداً من فعل ذلك كلّه بك ؟ فيقول : أنت فقال : ذلك كلّه برحمتي و برحمتي أدخلك الجنّة الباقية انتهى .

[ما أصاب من مصيبة في الأرض] ما نافية أصاب السهم إذا وصل إلى المري ثمّ استعير بالحادثة و النائبة أي ما حدث من حادثة كائنة في الأرض كجدب وآفة في الزروع و غيرها [ولا في أنفسكم] كمرض و موت و خوف عدوّ وجوع [إلّا في كتاب] مكتوبة مثبتة في علم الله أو في اللوح المحفوظ [من قبل أن نبرأها] و قبل أن نخلق النفوس ليستدلّ ملائكته به على علمه تعالى و الآية صريحة على أنّ جميع الحوادث الأرضيّة قبل دخولها في الوجود و كذا جميع أعمال الخلق مكتوبة في اللوح و ليعرف الملائكة حلمه سبحانه فإنّه تعالى مع علمه أنّهم يقومون على المعاصي خلقهم و رزقهم و أمهلهم و فيها دليل على أنّه عالم بالأشياء قبل وقوعها لأنّ إثباتها في الكتاب محال .

[إنّ في ذلك] أي إثباتها في كتاب مع كثرتها [على الله يسير] متعلّق بقوله: « يسير » .

[لكيلا تأسوا] أخبرناكم بإثباتها كي لا يحصل لكم الحزن و الألم [على ما

فاتكم] من نعم الدنيا يقال : أسى على مصيبة أي حزن[ولاتفرحوا بما آتاكم]وأعطاكم فإن من علم أن كلاً من المصيبة و النعمة مقدر يذهب ما قدر فواته و يأتي ما قدر إتيانه لامحالة لا يعظم جزعه على ما فات و لافرحه بما هو آت، قيل لبزرجمهر : أيها الحكيم مالك لاتحزن على مافات و لا تفرح بما هو آت ؛ قال : لأن الفائت لا يتلافى بالعبرة والآتي لايستدام بالحبرة أي بالسرور .

و المراد من الآية نفي الأسى المانع لأمر الله و الفرح الموجب للبطر و الاختيال و لذا عقب بقوله :[والله لا يحب كل مختال فخور] فإن من فرح بالحظوظ الدنيوية اختال وافتخر بها لامحالة والمختال المعجب المتكبر من تخيل فضيلة تتراءى للإنسان من نفسه و منها يتأول لفظ الخيل لما قيل : إنه لايركب أحد فرساً إلا وجد في نفسه نخرة كأن الخضراء له عرشت و الغبراء باسمه فرشت و كسرى حامل غاشيته وقيصر راعي ماشيته و إسكندر قهرمان حاشيته .

و في الآية إشارة إلى أنه يلزم أن يثبت الإنسان على حال في السراء والضراء فإن كان لابد له من فرح فليفرح شكراً لا بطراً و إن كان لابد من حزن فليحزن صبراً على بلائه لاضجراً .

قال قتيبة بن سعيد دخلت على أحياء العرب فإذاً أنا بفضاء مملو من الإبل الميتة بحيث لا تحصى و رأيت شخصاً على تل يغزل صوفاً فسألته فقال : كانت باسمي فارتجعها من أعطاها و ما سرني أنها لي في مباركها و ما حزنني أنها خرجت من ملكي. و مثل هذا يكون دأب الصالحين ولايجري عليهم أحلام التلوين والاضطراب في اليقين بل لصاحب المال مصيبتان: يسلب عن كله و يسأل عن كله .

[الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل] بدل من كل مختال فإن المتكبر بالمال يضن به غالباً و يأمر غيره به و البخل إمساك المقتنيات عما يحق إخراجها فيه و في الحديث: أربعة لايجدون ريح الجنة و إن ريحها ليوجد في مسيرة خمسمائة عام: البخيل و المنان و مدمن الخمر والعاق للوالدين .

[و من يتول] و يعرض عن الإنفاق ولايخرج من ماله حق الله [فإن الله هو

الغنيّ] عنه و عن إنفاقه [الحميد] المحمود في ذاته مستغن عن إقبال الخلق إليه و إدبارهم .

[لقد أرسلنا رسلنا] أي الملائكة إلى الأنبياء إلى الأُمم وهوالأظهر [بالبيّنات] و الحجج الواضحة [و أنزلنا معهم الكتاب] و أنزلنا مع الرسل جنس الكتب لتكميل القوّة النظريّة و العمليّة فالنزول مع الكتاب شأن الملائكة و الإنزال إليهم شأن الأنبياء [و الميزان ليقوم الناس بالقسط] ليعاملوا بينهم بالعدل إيفاء و استيفاء قيل : المراد من الميزان وإنزاله إنزال أسبابه و إلّا فالميزان من مصنوعات البشر وقيل : المراد نفس الميزان . روي أنّ جبرئيل عليه السلام نزل بالميزان نفسه فدفعه إلى نوح عليه السلام و قال : قومك يزنوابه حتّى يعدلوا في الحقوق .

قال الغزاليّ : إنّ هذا الميزان هوميزان معرفة الله و معرفة كتبه و رسله ليتعلّم الإنسان من أنبيائه و ليس المراد ما يوزن به البرّ و الشعير و لعلّ دليله قوله : « شهدالله أنّه لا إله إلّا هو و الملائكة و أُولو العلم قائماً بالقسط[1] » أي مقيماً للعدل في جميع أُموره فإذا كان الله قائماً بالعدل في جميع الأُمور كان الواجب على العباد أن يقوموا به أيضاً . وقال غيرالغزاليّ : ما الدليل على العدول عن الظاهر؟ بل المرادمن الميزان هوهذا الميزان المعروف .

[و أنزلنا الحديد] قيل : نزل آدم من الجنّة معه خمسة أشياء من حديد : السندان والثاني الكلبتان والثالث الميقعة ـ أصله موقعة ما يحدّون به وقد وقعته بالمقيعة فهو وقيع حدّدته بها ـ و الرابع المطرقة وهي آلة الضرب من الحديد و الخامس الإبرة و هي مسلّة الحديد و في الحديث إنّ الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أُنزل الحديد و النار و الملح و عن ابن عبّاس ثلاثة أشياء نزلت مع آدم الحجر الأسود و كان أشدّ بياضاً من الثلج و عصا موسى و كانت من آس الجنّة طولها عشرة أذرع و الحديد و قيل : المراد و أنزلنا الحديد أي خلقنا كقوله : « و أنزل لكم من الأنعام » و ذلك أنّ أوامره و أحكامه تنزل من السماء و قيل : أصل الحديد ماء و هو منزّل

(١) آل عمران : ١٨ .

من السماء .

[فيه بأس شديد] و هو القتال و الدفاع به وذو قوّة شديدة و يحفظكم من أذى المؤذي بالدفع به [و منافع للناس] كالسكّين و الفأس و المسحاة و مامن صنعة إلّا و الحديد آلتها .

[و ليعلم الله من ينصره و رسله] كأنّه قيل : ليستعملوه و ليعلم الله علماً يتعلّق به الجزاء و إلّا فهو عالم بمن يعمله في جهاد دينه ومقاتلة أعداء دينه و من يعمل الحديد لإزهاق أرواح المؤمنين و يستعمله في الشرّ [بالغيب] حال من فاعل ينصر أي غائبين عنه أي ينصرونه و لايبصرونه و إنّما يحمد و يثاب من أطاع بالغيب من غير معاينة للمطاع أو حال من مفعول ينصر أي حالكونه تعالى غير مرئيّ لهم .

[إنّ الله قويّ عزيز] على إهلاك من أراد إهلاكه غالب لايفتقر إلى نصرةالغير و استعمال القوّة في حقّ الله بمعنى القدرة و هي الصفة الّتي تتمكّن الحيّ من الفعل و تركه بالإرادة .

قال بعض أهل الأوراد : إنّ ذكر القويّ له خاصّية ظهور القوّة في الوجود و ما تلاه ذوهمّة ضعيفة إلّا وجدالقوّة و لاذوجسم ضعيف إلّا كان له ذلك و لوذكره مظلوم بقصد إهلاك الظالم ألف مرّة كان له ذلك و كذلك خاصّيّة اسم العزيز وجود الغنى فمن ذكره أربعين يوماً في كلّ يوم أربعين مرّة أعانه الله و أعزّه . وفي الأربعين الإدريسيّة يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله قال السهروردي : من قرأه سبعة أيّام متواليات كلّ يوم ألفاً أهلك خصمه إذا كان الخصم بغير حقّ و إن ذكره في وجه العسكر سبعين مرّة و يشير إليهم بيده فإنّهم ينهزمون .

و لقد أرسلنا نوحاً و ابراهيم و جعلنا في ذريتهما النبوة و الكتاب فمنهم مهتد و كثير منهم فاسقون (٢٦) .

[و لقد أرسلنا نوحاً] اللام للقسم أي و بالله قد بعثنا نوحاً إلى قومه و هم بنو قابيل و نوح يقال له : آدم الثاني [وإبراهيم] إلى قومه أيضاً وهم نمرد و من تبعه ذكرهما الله بالرسالة تشريفاً لهما و لأنّهما أبوان للأنبياء و من أوّل الرسل فالبشر كلّهم

من ولد نوح و العرب و العبرانيّون كلّهم من ولد إبراهيم .

[وجعلنا في ذرّيّتهما] و في نسلهما [النبوّة و الكتاب] بأن استنبأنا بعض أولادهما و أوحينا إليهم الكتب مثل هود و صالح و موسى و هارون و داود [فمنهم] أي فمن ذرّيّة هذين الصنفين أو من المرسل إليهم [مهتد] إلى طريق الحقّ [و كثير منهم فاسقون] و خارجون عن طاعة الله .

ثم قفينا على آثارهم برسلنا و قفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة و رهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين آمنوا منهم اجرهم و كثير منهم فاسقون (٢٧) يا ايها الذين امنوا اتقوا الله و امنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نورا تمشون به و يغفر لكم والله غفور رحيم (٢٨) لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم (٢٩).

قوله : [ثمّ قفّينا] أي ثمّ أرسلنا وأتبعنا على آثار نوح و إبراهيم ومن عاصرهما و بعد عصرهما من الرسل مثل هود و صالح فإنّهما بعد نوح و مثل إسماعيل وإسحاق و يعقوب فإنّهم بعد إبراهيم و بالجملة أرسلنا رسولاً بعد رسول حتّى انتهى إلى عيسى و الآثار جمع إثر بالكسر تقول : خرجت على إثره أي عقبه .

قال الحريريّ : يقال شفعت الرسول بآخر أي جعلتها اثنين فإذا بعثت بالثالث فوجه الكلام أن يقال : عزّزت بثالث أي قوّيت كماقال سبحانه « و عزّزنا بثالث [(١)] » .

فمعنى قوله : « و قفّينا بعيسى بن مريم » أي آتينا بعيسى بعد الرسل فأوّل أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى .

[و آتيناه الإنجيل] دفعة واحدة [وجعلنا في قلوب] المؤمنين [الّذين اتّبعوه] أي اتّبعوا عيسى في دينه كالحواريّين و أتباعهم [رأفة] وهي اللين [و رحمة] و هي الشفقة كماكان الصحابة رحماء بينهم حتّى كانوا أذلّة على المؤمنين و كان أهل الإنجيل

(١) يس : ١٤ .

قد أمروا في الإنجيل بالصفح والإعراض عن مكافاة الناس على الأذى و كانوا متوادّين متحابّين بينهم و وصفوا بالرحمة خلاف اليهود الّذين و صفوا بالقسوة .

[و رهبانيّة ابتدعوها] و رهبانيّة منصوب بفعل مضمر يفسّره الظاهر أي أتباع عيسى ابتدعوا الترهّب و حملوا أنفسهم علىهذا الأمر و استحدثوها بينهم والرهبانيّة المبالغة في العبادة بمواصلة الصوم و لبس المسوح و ترك أكل اللحم و الامتناع عن المطاعم اللذيذة و الملابس الفاخرة و المناكح و التعبّد في الغيران و الرهبة المخافة مع الحزن و الاضطراب و رهبان فعلان من رهب كخشيان من خشي .

و قرىء بضمّ الراء كالرهبان جمع راهب و ركبان جمع راكب والرهبان لمّاكان اسماً لطائفة مخصوصة صار بمنزلة العلم و إن كان جمعاً في نفسه و التحقّق بالنصارى و أعراف فقيل : رهبانيّ كما يقال : أعرابيّ و أنصاريّ .

و سبب ابتداعها أنّ الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوا حتّى لم يبق منهم إلّا قليل فخافوا أن يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانيّة في قلل الجبال فارّين بدينهم مخلّصين أنفسهم للعبادة منتظرين البعثة النبويّة الّتي وعدها عيسى لهم كما قال تعالى : « و مبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد [١] » .

و روي أنّ الله لمّا أغرق فرعون و جنوده استأذن الّذين كانوا آمنوا من السحرة موسى عليه السلام في الرجوع إلى الأهل و المال بمصر فأذن لهم و دعا لهم فترهّبوا في رؤوس الجبال فكانوا أوّل من ترهّب و بقيت طائفة منهم مع موسى عليه السلام حتّى توفّاه الله ثمّ انقطعت الرهبانيّة بعدهم حتّى ابتدعها بعد ذلك أصحاب المسيح عليه السلام .

[ما كتبناها عليهم] ما فرضنا الرهبانيّة عليهم في كتابهم ولا على لسان رسولهم [إلّا ابتغاء رضوان الله] استثناء منقطع أي مارعوا جميعاً حقّ رعايتها بسبب التثليث و القول بالاتّحاد والكفر بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم و عدم تصديق النبيّ العربيّ و نحوها قال صلى الله عليه وآله وسلم : من آمن بي و صدّقني فقد رعاها حقّ رعايتها و من لم يؤمن بي فاُولئك هم الهالكون .

---

(١) الصف : ٦ .

وقال الزجّاج : الاستثناء في قوله : « إلّا ابتغاء» استثناء متّصل تقديره ما فرضناها عليهم إلّا ابتغاء رضوان الله و لكنّ الصحيح أنّا ما فرضنا الرهبانيّة عليهم لكن هم ابتدعوا ذلك و ألزموا أنفسهم ذلك التطوّع ودخلوا عليه فلزمهم تمامه كما أنّ الإنسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يعرض عليه لزمه أن يتمّه فقوله : « فمارعوها حقّ رعايتها» على ضربين أحدهما أن يكونوا قصّروا فيما ألزموه أنفسهم و الثاني و هو الأجود أن يكونوا حين بعث النبيّ فلم يؤمنوا به كانوا تاركين طاعة الله فما رعوا تلك الرهبانيّة و دليل قوّة هذا المعنى قوله :

[فآتينا الّذين آمنوا منهم أجرهم] أي من العيسيّين إيماناً برسول الله لأنّ عدم تصديق محمّد يلزمه تكذيب عيسى لأنّه بشّر به صلّى الله عليه وآله وسلّم فالّذين عملوا منهم و صدّقوا بما يجب عليهم أعطيناهم ما يحسن و يليق لهم من الأجر .

[و كثير منهم فاسقون] أي من العيسيّين خارجون عن حدّ الإيمان روي أنّ نفراً من الصحابة أخذهم الخوف والخشية حتّى أراد بعضهم أن يعتزل عن النساء والإقامة على رؤوس الجبال و ترك الأكل و الشرب اللذيذ و بعضهم الخصاء فنهاهم صلّى الله عليه وآله وسلّم عن ذلك كلّه و قال : لارهبانيّة في الإسلام و رهبانيّة اُمّتي في المسجد .

قال بعض أهل التحقيق : إنّ الكامل من الرجال من سدّ باب الابتداع و لم يزد في التكاليف حكماً واحداً و لايجعل ورده و ذكره غير ما ورد في الكتاب و السنّة فيكون حينئذ ممتثلاً لامخترعاً و قد شاهدنا بعض الناس متسرّعين إلى بعض النوافل مثل وضع الخواتم العديدة في أصابعهم لكنّهم متكاسلون عن القيام بحقوق الواجبات و لا يقومون بفرض واحد على وجهه .

[يا أيّها الّذين آمنوا] بالرسل المتقدّمة [اتّقوا الله] فيما نهاكم عنه [و آمنوا برسوله] يعني محمّداً و في إطلاقه إيذان بأنّه علم فرد الرسالة لايذهب الوهم إلى غيره [يؤتكم كفلين] نصيبين و أجرين و الكفل الحظّ الّذي فيه الكفالة كأنّه تكفّل بأمره نصيباً لإيمانكم بمن تقدّم من الأنبياء و نصيباً لإيمانكم بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم .

[و يجعل لكم نوراً تمشون به] يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى : « يسعى

نورهم بين أيديهم و بأيمانهم ، و هو الضياء الّذي تمشون به على الصراط [ويغفر لكم] ما أسلفتم من الكفر و المعاصي [والله غفور رحيم] مبالغ في المغفرة و الرحمة .

[لئلاّ يعلم أهل الكتاب] لامزيدة مؤكّدة مثل قوله(١) : « ما منعك أن لاتسجد » و إنّما يحسن إدخال مثل هذا اللام المزيدة في كلام أو اخره أو أوائله جحد وتقدير الكلام إن تتّقوالله وتؤمنوا بالله و رسله يؤتكم كذا و كذا ليعلم الّذين لم يسلموا من أهل الكتاب [أن لايقدرون على شيء من فضل الله] أن هي المخفّفة و الاسم ضمير الشأن و المعنى أنّ الّذين لم يؤمنوا لا أجرلهم و لا نصيب من فضل الله .

[و إنّ الفضل بيدالله يؤتيه من يشاء] فأتى المؤمنين منهم أجرين وحاصل ليعلموا أنّهم لا ينالوا شيئاً من الفضل و الكفلين و المغفرة و لايتمكّنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الّذي هو الايمان بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم و إنّ الفضل بيده سبحانه و لايعطيه إلّا لمن آمن به وقيل : إنّ المراد من فضل الله هنا النبوّة أي ليعلم أهل الكتاب أنّهم لايقدرون على نبوّة الأنبياء و لاعلى صرفهاعمّن شاء الله أن يخصّه بها فيصرفونها عن محمّد إلى من يحبّونه

[والله ذوالفضل العظيم] تمّت السورة

---

(١) الاعراف : ١١ .

سورة المجادلة

من قرأها كتب من حزب الله يوم القيامة .

هي اثنتان و عشرون آية مدنيّة أو إلّا آية منها .

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير (١) الذين يظاهرون من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي و لدنهم و انهم ليقولون منكرا من القول وزورا و ان الله لعفو غفور (٢) و الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به و الله بما تعملون خبير (٣) فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم (٤) ان الذين يحادون الله و رسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم و قد انزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين (٥) .

سمع مجاز مرسل عن أجاب بعلاقة السببيّة ، والمجادلة المفاوضة على سبيل الجدل و المبالغة من جدلت الحبل أي أحكمت فتله و المراد هنا المكالمة بالخشونة و المعنى قد أجاب الله دعاء المرءة التي تكالمك في حقّ زوجها و تستفتي في شأن زوجها في ظهاره إيّاها .

[و تشتكي إلى الله] و الشكاية و الشكاة و الشكوى إظهار البثّ و المكروه و الشكوة سقاء صغير يجعل فيه الماء و هو استعارة كقولك : بثثت له ما في و عائي و نفضت ما في جرابي إذا ظهرت ما في قبلك .

نزلت في خولة بنت ثعلب بن مالك الخزرجيّة و زوجها أوس بن الصامت أخو عبادة روي أنّها كانت حسنة البدن رآها أوس و هي تصلّي فاشتهى مواقعتها فلمّا سلّمت راودها و أبت و كان به خفّة فغضب عليها و قال : أنت عليّ كظهر أمّي و كان أوّل ظهار وقع في الإسلام ثمّ ندم على ما قال : وكان الظهار والإيلاء من طلاق الجاهليّة فقال

لها : ما أظنك إلّا وقد حرمت عليّ فشقّ ذلك عليها فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : يا رسول الله إنّ زوجي أوس أبوولدي وابن عمّي و أحبّ الناس إليّ ظاهر منّي و ماذكر طلاقاً و قد ندم على فعله فهل من شيء يجمعني و إيّاه ؟ و ذكرت تفاني أهلها و أنّ لهاصبية صغاراً وقالت : إن ضممتهم إليّ جاعوا وإن ضممتهم إلى أبيهم ضاعوا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أظنّ أنّك حرمت عليه فجعلت تراجع رسول الله مقالتها الأولى و كرّر صلى الله عليه وآله وسلم مقالته عليها فقالت : أشكو إلى الله مما لقيت من زوجي حال فاقتي و وحدتي و قدطالت معه صحبتي و نفضت له بطني وصرت عقيماً لا ألد بعد وكانت في كلّ ذلك ترفع رأسها إلى السماء استنزالاً للأمر الإلهيّ حتّى نزل جبرئيل بهذه الآيات الأربع قبولاً لشكواها فكانت سبباً لظهور حكم الظهار و «قد» تدخل على ماض متوقّع .

[والله يسمع تحاوركما] أي يعلم تخاطبكما و المحاورة رجع الكلام من الحور بمعنى الرجوع و منه في الدعاء نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي من الرجوع إلى النقصان بعد وصول الزيادة أو إلى الوحشة بعد الأنس و ذلك التحاور لأنّ المرءة تراجع الرسول في طلب التحليل و الرسول لايحكم به و يدافعها بجواب ينبيء عن التوقّف و ترقّب الوحي .

[إنّ الله سميع بصير] قال صاحب تفسير روح البيان : إنّ هذه المرءة هي الّتي وعظت عمربن الخطّاب في أيام خلافته وهو راكب على حمار في طريق و الناس معه فاستوقفته ووعظته فقالت : يا عمر قد كنت تدعى عميراً ثمّ قيل لك : عمر ثمّ قيل لك : أميرالمؤمنين فاتّق الله يا عمر فإنّه من أيقن الموت خاف الفوت و من أيقن الحساب خاف العذاب فقيل لعمر : أتقف لهذا العجوز هذا الوقوف الطويل ؟ فقال عمر : هي خولة سمع الله قولها من سبع سماوات و لايسمع كلامها عمر ؟ .

قال بعض أهل التحقيق : من أكبر الذنوب أن يقول الرجل لأخيه : اتّق الله ولا تفعل كذا فيقول في جوابه : عليك نفسك . والإنسان لايستغني عن تنبيه وإيقاظ وينبغي أن يكون الانسان كالنحل يأخذ من النبات الطيّب والأزهار المعطّرة ثمّ يخرجه عسلاً فيه شفاء من كلّ داء و شمعاً و ضياءً لنفسه قال الشاعر :

المرء لولا عرفه فهو الدمي ّ و المسك لولا عرفه فهو الدم

العرف الأوّل بضم العين بمعنى المعروف و الثاني بمعنى الرائحة و الدمي ّ جمع دمية الصور المنقّشة من الرخام و العاج و في زماننا يقال له المجسّمة .

[و الّذين يظاهرون منكم] أيّها المؤمنون فلا يلحق بهم الذمّيّ لأنّه ليس من أهل الكفّارة من النساء ، و الظهار مصدر ظاهر الرجل أي قال لزوجته : أنت عليّ كظهر اُمّي و يعبّر عن البطن بالظهر و كنّي عن البطن بالظهر الّذي هو عمود البطن لمراعاة الأدب في الكلام لئلاّ يذكر مايقارب الفرج والمعنى إنّ الّذين يقولون لنسائهم : أنتنّ كظهور اُمّهاتنا .

[ماهنّ اُمّهاتهم] يعني ما اللواتي تجعلونهنّ من الزوجات كالاُمّهات باُمّهاتهم [إن اُمّهاتهم إلّا اللائي ولدنهم] إن نافية بمعنى ما اُمّهاتهم في الحقيقة إلّا اللائي جمع الّتي أي النساء اللاّتي ولدن المظاهرين فلا تشبه بهنّ في الحرمة إلّامن ألحقها الشرع بهنّ من أزواج النبيّ و مثل المرضعات و منكوحات الآباء لكرامتهنّ فدخلن بذلك في حكم الاُمّهات و لكنّ الزوجات فأبعد شيء من الاُمومة .

[و إنّهم] أي إنّ المظاهرين منكم [ليقولون منكراً من القول] عند الشرع و العقل و الطبع لأنّ الزوجة ليست بالاُمّ ولامن ألحقه الشرع بالاُمومة فهذا التشبيه منكر غيرمعروف مطلقاً [و زوراً] وباطلاً و كذباً منحرفاً عن الحقّ ، والزور بالتحريك الميل و يقال للكذب : زور بالضمّ لكونه مائلاً عن الحقّ . فإن قلت : قوله : أنت عليّ كظهر اُمّي إنشاء لتحريم الاستمتاع بها و ليس بخبر والإنشاء لايوصف بالكذب قلنا : هذا من قبيل إطلاق السبب على المسبّب لأنّ هذا الإنشاء يتضمّن إلحاق المحلّلة بالاُمّ المحرّمة و هذا الالحاق مناف لمقتضى الزوجيّة فيكون كاذباً لامحالة و في الحديث قال رسول الله : ألا اُنبّئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا : بلى يا رسول الله قال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين و كان متّكئاً وقال : ألاوقول الزور و شهادة الزور فما زال يقولها حتّى قلنا : لا يسكت .

[و إن الله لعفوّ غفور] أي مبالغ في العفو و المغفرة لما سلف إمّا على الإطلاق

على مذهب الأشاعرة أو بالمثاب عنه على مذهب الاعتزال .

[و الّذين يظاهرون من نسائهم ثمّ يعودون لما قالوا فتحرير رقبة] أي الّذين يقولون ذلك القول المنكر ثمّ يعودون إلى ماقالوا ، اللاّم و إلى يتعاقبان كثيراً نحو يهدي للحقّ و إلى الحقّ و المراد إذا عادوا إلى ما قالوا بالتدارك قال ابن عبّاس : العود في الآية المراد الندم فقال : معناه يندمون و يرجعون إلي الاُلفة و قال الفرّاء : المعنى يرجعون عمّا قالوا يقال : عاد لما فعل أي رجع و نقض مافعل و يحتمل أن يقال : عاد لما فعل يريد فعله مرّة اُخرى و هو أن يكرّر لفظ الظهار عن أبي العالية واحتجّ بأنّ لفظ العود يدلّ على تكرير القول وردّه أبو عليّ الفارسيّ ليس هذا كما ادّعوا لأنّ العود قد يكون إلى شيء لم يكن عليه قبل وقد سمّيت الآخرة معاداً ولم يكن فيها أحد ثمّ صار إليها . و قال الأخفش : تقدير الآية « والّذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا » ثمّ يعودون إلى نسائهم و عليهم تحرير الرقبة لما نطقوا به وقال :التقديم و التأخير كثير في التنزيل .

و أمّا ما ذهب إليه أئمّة الهدى من آل محمّد ﷺ فهو أنّ المراد بالعود إرادة الوطي و نقض القول الّذي قاله فعليه تحرير رقبة قبل الوطي فإنّ الوطي لايجوز إلّا بعد الكفّارة كما قال سبحانه : « من قبل أن يتماسّا » أي من قبل أن يجامعها والتحرير هو أن يجعل الرقبة المملوكة حرّة بالعتق بأن يقول المالك لمن تملّكه : أنت حرّ . و بالجملة فالنكاح باق و حرمة الوطي أيضاً باق مالم يكفّر و تزول بالتكفير .

[ذلكم] أي الحكم بالكفّارة أيّها المومنون [توعظون به] الوعظ زجر يقترن بتخويف أي تزجرون به من ارتكاب المنكر المذكور فإنّ الغرامات مزاجر من تعاطي الجنايات و التباعد عن الباطل فيحصل من هذا الحكم التدارك للمظاهر و لغير المظاهر الاجتناب عن ارتكاب مثله [والله بما تعملون خبير] من قليل و كثير فيجازيكم بها .

[فمن لم يجد] المظاهر ولايتمكّن من تحرير الرقبة بأن كان فقيراً وقت التكفير [فصيام شهرين] عليه [متتابعين]ليس فيها رمضان ولاالأيّام المحرّم صومها كالعيدين بحيث لايفصل يوماً عن يوم و لاشهراً عن شهر بالإفطار و التتابع عند أكثر الفقهاء و قال

أصحابنا الإماميّة : إنّه إذا صام شهراً و من الثاني شيئاً ولويوماً و احداً ثمّ أفطر لغير عذر فقد أخطأ إلّا أنّه يبني عليه و لايلزمه الاستيناف وإن أفطر قبل ذلك استأنف ومتى بدأ بالصوم و صام بعض ذلك ثمّ وجد الرقبة لايلزمه الرجوع إلى التحرير و إن رجع كان أفضل و قال قوم : إنّه يلزمه الرجوع إلى العتق .

[فمن لم يستطع فإطعام ستّين مسكيناً] أي من لم يطق الصوم لعلّة أو كبر فعليه إطعام ستّين مسكيناً والمسكين - و بفتح ميمه - من لاشيء له أوله مالايكفيه وأسكنه الفقر أي قلّل حركته ، لكلّ مسكين نصف صاع عند أصحابنا و هو مدّان فإن لم يقدر فمدّ هذا إذا كان حرّاً و أمّا إذا كان المظاهر عبداً فعليه الصوم إلّا إذا أمكنه المولى عن ثمن الرقبة فحينئذ لايجوز له الصوم .

[ذلك] البيان و التعليم [لتؤمنوا بالله و رسوله] و تعملوا بحكمه و ترفضوا ما كنتم عليه في جاهليّتكم .

[و تلك] إشارة إلى الأحكام المذكورة [حدود الله] الّتي لايجوز تعدّيها وتجاوزها و الحدّ الحاجز بين الشيئين اللّذين يمنع اختلاط أحدهما بالآخر [وللكافرين] الّذين لايقبلون الحدود [عذاب أليم] .

[إنّ الّذين يحادّون الله ورسوله]أي يشاقّونهما ويعادونهما ويكونون في حدّ غير حدّهما و في شقّ غير شقّهما وقيل : المحادّة مفاعلة من لفظ الحديد و المراد المقابلة سواء كان في ذلك حديد حقيقة أوكان ذلك مخالفة شديدة شبيهة بالخصومة بالحديد و و يضعون حدوداً غير حدودهما قال صاحب تفسير روح البيان : كالأمراء السوء الّذين وضعوا اُموراً خلاف ما حدّه الشرع و سمّوها القانون .

[كبتوا] أي اُخزوا و صرعوا منكوساً و ذلّوا و العبارة تصلح أن يكون دعاء عليهم و إخباراً عمّا سيكون و أتى بالماضي لتحقّقه أي سيكبتون [كما كبت الّذين من قبلهم] من كفّار الاُمم الماضية [و قد أنزلنا آيات بيّنات] حال من واو الجمع في كبتوا أي و الحال إنّا قد أنزلنا آيات واضحات فيما فعلنا بمن حادّ الله من قبلهم من الاُمم . فإن قيل : إنّ الإنزال نقل الشيء من الأعلى إلى الأسفل و الآيات الّتي هي

من الكلام من الأعراض القارّة فكيف قال : أنزلنا ؟ فالمراد : أنزل ما يتلقف من الله و يرسل إلى عباده مثل جبرئيل فيسندالإنزال إليها مجازاً فكونها المقصودة منه ويصدق على الآيات لفظ النزول لأنّها نازلة من السماء .

[وللكافرين] بالآيات [عذاب مهين]يذهب بغيرهم من الإهانة الحاصلة بالعذاب .

يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا احصه الله و نسوه و الله على كل شيء شهيد (٦) الم تر ان الله يعلم ما في السماوات و ما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم و لاخمسة الاهو سادسهم ولا أدنى من ذلك و لااكثر الاهو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم (٧) الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم و العدوان و معصيت الرسول و اذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله و يقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (٨) يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم و العدوان و معصيت الرسول و تناجوا بالبر و التقوى و اتقوا الله الذى اليه تحشرون (٩) انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا و ليس بضارهم شيئاً الا باذن الله و على الله فليتوكل المؤمنون (١٠) .

يوم منصوب باذكر المقدّر تهويلاً له و المراد يوم القيامة أي يحييهم بعد الموت للجزاء [جميعاً] كلّهم فيكون تأكيداً للضمير أوحالاً أي مجتمعين [فينبّئهم بما عملوا] من القبائح ببيان صدورها أو بتصويرها في تلك النشئة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الأشهاد تشهيراً لحالهم [أحصاه الله] كأنّه قيل : كيف ينبّئهم بأعمالهم و هي أعراض فانية متلاشية ؟ فقيل : أحصاه الله و أحاط بها عدداً وحفظاً لم يفت عن علمه شيء و الإحصاء مأخوذ من لفظ الحصى إذ أصله العدد بآحاد الحصى للتقوّي على الضبط [ونسوه] أي و الحال أنّهم قد نسوه لكثرته أولتهاونهم حين ارتكبوه [والله على كلّ شيء شهيد] لايغيب عنه أمر من الأمور والشهود بمعنى الحضوروالمراد بالحضور حضور العلمي لا الحضور الجسميّ .

[ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض] بيان على شمول شهوده تعالى و الهمزة للإنكار الّذي مقرّر للرؤية والمعنى ألم تعلم علماً يقينيّاً بمرتبة المشاهدة والرؤية أنّه تعالى يعلم ما في السماوات و ما في الأرض من الموجودات قال ابن عبّاس: إنّها نزلت في ربيعة و حبيب ابني عمرو و صفوان بن اُميّة كانوا يتحدّثون فقال أحدهم: أترى الله يعلم ما نقول: فقال الآخر: يعلم بعضاً و قال الثالث: إن كان يعلم بعضاً فهو يعلم كلاً لأنّ من علم بعضاً بغير سبب فقد علمها كلّها فنزلت الآية.

[ما يكون من نجوى ثلاثة] «ما» نافية و يكون تامّة بمعنى يقع و يوجد و نجوى فاعله و هو مصدر بمعنى التناجي كالشكوى يقال: نجاه نجوى أي سارّه كناجاه المناجاة و النجوى السرّ الّذي يكتم و أصله أن تخلو في نجوة و مرتفع من الأرض منفصل بارتفاعه عمّا حوله كأنّ المتناجي بنجوة من الأرض لئلاّ يطّلع عليه أحد والمعنى أنّه ما يتسارّ ثلاثة [إلّا هو] تعالى [رابعهم] أي جاعلهم أربعة من حيث يشاركهم في الاطّلاع عليها [ولا خمسة] أي ولا نجوى خمسة نفر [إلّا هو سادسهم] ثمّ عمّم الحكم فقال: [ولا أدنى من ذلك] أي أقلّ ممّا ذكر لا الاثنين و الواحد فإنّ الواحد أيضاً يناجي نفسه [و لا أكثر] كالستّة و ما فوقها [إلّا هو معهم] بالعلم و الإحاطة [أين ما كانوا] وفي أيّ مكان و لو كانوا تحت الأرض ثمّ إنّ هذه المعيّة مع المؤمن والكافر لكن له سبحانه معيّة اللطف و التقرّب ببعض عباده المخصوصين بالفيض.

[ثمّ ينبّئهم بما عملوا] و يخبرهم أعمالهم في الدنيا [يوم القيامة إنّ الله بكلّ شيء عليم] لأنّ نسبة ذاته المفيضة للعلم إلى الكلّ سواء.

[ألم تر إلى الّذين نهوا عن النجوى ثمّ يعودون لما نهوا عنه] نزلت في اليهود و المنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم و يتخلّفون ثلاثة و خمسة و يتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيضوهم فنهاهم رسول الله ثمّ عادوا لمثل فعلهم و الخطاب للرسول و الهمزة للتعجّب من حالهم [بالإثم و العدوان و معصية الرسول] عطف على قوله: «يعودون» داخل في حكمه وبيان لما نهوا عنه أي بما هو إثم في نفسه و عدوان للمؤمنين و تواص بمعصية الرسول و العدوان و المعصية خلاف الطاعة.

[و إذا جاءوك] أهل النجوى [حيّوك] و التحيّة في الأصل مصدر حيّاك على الإخبار من الحياة فمعنى حيّاك الله جعل لك حياة ثمّ استعمل للدعاء ثمّ غلب في الإطلاق [بما لم يحيّك به الله] أي بشيء لم يقع من الله أن يحيّك به فكانوا يقولون : السام عليك و السام بلغتهم الموت أو القتل بالسيف و هم يوهمون أنّهم يقولون : السلام عليك و كان ﷺ يردّ عليهم «عليكم» بدون الواو .

[و يقولون في أنفسهم] أي فيما بينهم إذا خرجوا من عندك :[لولا يعذّبنا الله بما نقول] أي هلاّ يعذّبنا الله و يغضب علينا بجرأتنا على الدعاء بالشرّ عليه لو كان نبيّاً حقّاً [حسبهم جهنّم يصلونها] أي كافيهم جهنّم في التعذيب من حسبه إذا كفاه يصلونها و يقاسون حرّها و إن لم يعجّل تعذيبهم لحكمة [فبئس المصير] و المقرّ، والفاء في فبئس لما فيه من معنى التعقيب .

[يا أيّها الّذين آمنوا] بألسنتهم وقلوبهم [إذا تناجيتم] في أنديتكم وخلواتكم [فلاتتناجوا بالإثم و العدوان] كما يفعله المنافقون و اليهود [و تناجوا بالبرّ و التقوى] و ما يتضمّن خير المؤمنين و ذكر الله و قراءة القرآن و إصلاح الناس .

[و اتّقوا الله الّذي إليه تحشرون] و المضاف محذوف أي اتّقوا عذاب الله و ما يفضي إلي سخطه [إنّما النجوى] المعهودة الّتي هي التناجي بالإثم بقرينة ليحزن [من الشيطان] لا من غيره لأنّه المزيّن لها فكأنّها منه [ليحزن الّذين آمنوا] والحزن بضمّ الحاء بعده السكون متعدّ من الباب الأوّل و الحزن بفتحين لازماً من الباب الرابع و الحزن و الحزن خشونة في الأرض و خشونة في النفس لما يحصل فيها من الغمّ و يضادّه الفرح فالمعنى أنّ النجوى الممنوعة من الشيطان ليجعل قلوب المؤمنين محزونة و يشوّش قلوبهم و يتوهّمون أنّه تصيبهم نكبة أو أمر موحش ، و في الحديث إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإنّ ذلك يحزنه .

[و ليس] أي الشيطان أو التناجي [بضارّهم] بالّذي يضرّ المؤمنين [شيئاً] من الأشياء [إلاّ بإذن الله] أي بمشيّته و إرادته أو بعلمه و إنّ كان يوجب الحزن للمؤمنين لكن إذا سلّمت عاقبته لايكون ضرراً في الحقيقة و هذه نكتة كلاميّة اُصوليّة

إذ الضرر إذا كانت عاقبته الثواب لايكون ضرراً في الحقيقة و النفع إذا كانت عاقبته العذاب لايكون نفعاً مثل الجهاد لأنّ سبب الجهاد أمره تعالى و هو يلحقهم الآلام و الأمراض عقيب ذلك لكن هذا ليس بضرر بل نفع لهم وقيل : إنّ الآية المراد بها الأحلام الّتي يراها الإنسان في نومه فيحزّنه .

روي أنّ فاطمة عليها السلام رأت كأنّ الحسن و الحسين عليهما السلام أكلا من أطيب جزور بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهما فماتا فلمّا أصبحت سألت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسأل هو جبرئيل و جبرئيل ملك الرؤيا فقال : لا علم لي به فعلم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه من الشيطان .

[و على الله فليتوكّل المؤمنون] و الشيطان يناجي النفس الأمّارة و يزيّن لها القبائح و المعارضات ليقع القلب و الروح في الاضطراب و الحزن للتقاعد عمّا أمره الله و ينقطع عن السير فليكن العبد على المعالجة دائماً بتفويض الأمور إليه و يشتغل بما هو عليه .

قوله : يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم و اذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير (١١) يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم (١٢) ءاشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله و رسوله والله خبير بما تعملون (١٣) الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ماهم منكم و لا منهم و يحلفون على الله الكذب و هم يعلمون (١٤) اعدالله لهم عذاباً شديداً انهم ساء ماكانوا يعملون (١٥) .

[يا أيّها الّذين آمنوا] يعني المخلصين [إذا قيل لكم] من أيّ قائل كان من إخوانكم توسّعوا و لينفسح بعضكم عن بعض و لاتتضامّوا [في المجالس] متعلّق بقيل أو بقوله « تفسّحوا » و الصحيح الثاني لأنّ البيهقيّ صرّح في تاج المصادر بأن التفسّح يعدّى بفي [فافسحوا] فتوسّعوا [يفسح الله لكم] فيما تريدون من المكان و الصدر و الرزق و القبر فإنّ الجزاء من جنس العمل و الآية عامّة في كلّ مجلس خير اجتمع

فيه المؤمنون سواء كان مجلس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و كانوا يتضامّون تنافساً في القرب منه أو مجلس الذكر أو الجمعة و في الحديث : لايقيمنّ أحدكم الرجل من مكانه ومجلسه ثمّ يخلفه فيه و لكن تفسّحوا و توسّعوا .

روي إنّ رجلاً من الفقراء دخل المسجد و أراد أن يجلس بجنب واحد من الأغنياء فلمّا قرب منه قبض الغنيّ إليه ثوبه فرأى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ذلك فقال للغنيّ : خشيت أن يعديه غناك أو يعديك فقره .

[وإذا قيل انشزوا] يقال : نشز الرجل إذا ارتفع عن مكانه و كذلك النشز بفتحتين المكان المرتفع من الأرض و المعنى إذا قيل : لكم قوموا للتوسعة على المقبلين و لمن جاء بعدكم [فانشزوا] و ارتفعوا و قوموا ولاتتثاقلوا عن القيام و توسّعوا لإخوانكم لضرورة داعية إليه أو للتحبّب والمواساة و في الحديث أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يكرم أهل بدر فأقبلت جماعة منهم فلم يوسّعوا لهم فقال صلى الله عليه وآله وسلم : قم يا فلان و يا فلان فأقام صلى الله عليه وآله وسلم من المجلس بعدد المقبلين من أهل بدر فتغامز به المنافقون أنّه ليس من العدل يقيم أحداً من مجلسه و شقّ ذلك على من اُقيم من مجلسه و عرف رسول الله الكراهة في وجوههم فأنزل الله الآية .

[يرفع الله الّذين آمنوا منكم] جواب لأمر أي من فعل ذلك طاعة للأمر يرفعهم الله بالنصر والإيواء إلى غرف الجنان في الآخرة لأنّ من تواضع رفعه الله و من تكبّر وضعه .

[و الّذين اُوتوا العلم] أي و يرفع العلماء منهم خاصّة و هو من عطف الخاصّ على العامّ للدلالة على طبقاتهم [درجات] أي مراتب مرتفعة بسبب ما جمعوا من العلم و العمل و العمل مع العلم لا يدرك شأوه العمل العاري عن العلم و إن كان العامل في غاية الصلاح قال ابن عبّاس : تمّ الكلام عند قوله : « منكم » و ينتصب « و الّذين اُوتوا العلم » بفعل مضمر تقديره و يرفعهم درجات أي إلى درجات أو رفع درجات أو على الحاليّة أي ذوي درجات .

[والله بما تعملون خبير] عالم لايخفى عليه شيء و العمل لابدّ و أن يكون

حسبما قرّره الشارع و بيّنه العلماء الربّانيّون و هم الأئمّة الاثناعشر لأنّهم أهل البيت و أهل البيت أدرى بما في البيت و للعلماء إطلاقات كما قالوا : نحن العلماء و شيعتنا المتعلّمون و الباقي همج رعاع فالمتعبّد بغير طريقتهم و من غير علمهم كحمار الطاحونة يدور و لا يقطع المسافة و العالم من شأنه أن يجمع مع علمه العمل و كلّ علم لم يوطد بعمل فإلى ذلّ يصير و العلماء أيضاً لهم درجات من الشرف في الزيادة والنقصان .

[يا أيّها الّذين آمنوا] خالصاً [إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة] و كالمتوه سرّاً في بعض شؤونكم فقدّموا قبل أن تسارّوه صدقة للفقراء وأراد بذلك تعظيم الرسول و أن يكون ذلك سبباً لأن يتصدّقوا فيوجروا عليه فلمّا نهوا عن المناجاة حتّى يتصدّقوا ضنّ كثير من الناس فلم يناجه أحد إلّا عليّ بن أبي طالب فإنّه عليه السلام كان له دينار فباعه بعشرة دراهم و ناجى رسول الله عشر نجوات .

و قال بعض أهل التفسير : و كان ذلك الحكم عشر ليال أو أقلّ و نسخت بآية « ءأشفقتم أن تقدّموا » الآية .

و بالإسناد إلى مجاهد قال : قال عليّ : إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي و لا يعمل بها بعدي و هي آية النجوى و في الخصال عنه عليه السلام في احتجاجه على أبي بكر قال : فأُنشدك بالله أنت الّذي قدّم بين يدي نجواه لرسول الله صدقة فناجاه و عاتب الله قوماً بقوله : « ءأشفقتم الآية » أم أنا ؟ فقال أبو بكر : بل أنت و بالجملة نزلت الآية حين أكثر الناس عليه السؤال حتّى أسأموه و أملّوه فأمرهم الله بتقديم الصدقة للفقراء عند المناجاة فكفّ الناس أمّا الفقير فلعسرته و أمّا الغنيّ فلشحّه ثمّ نسخت بقوله : « ءأشفقتم » و هو وإن كان متّصلاً به تلاوة لكنّه متراخ عنه نزولاً .

[ذلك خير لكم] أي ذلك التصدّق أنفع لكم من الإمساك [و أطهر] لأنفسكم من درن البخل الناشي من حبّ الدنيا و هذا يشعر بالندب لكن قوله : « فإن لم تجدوا فإنّ الله غفور رحيم] منبىء عن الوجوب لأنّه ترخيص لمن لم يجد فهو غفور لهم و رحيم بهم .

[ءأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات] و المعنى أخفتم الفقر ؟

و المفعول محذوف و أفرد الصدقة أوّلاً لكفاية شيء منها و جمع ثانياً نظراً إلى كثرة التناجي و المناجي [فإذ لم تفعلوا] و شقّ عليكم ذلك [و تاب الله عليكم] بأن رخّص لكم في أن لاتعلوه و أسقط عنكم تقديم الصدقة و « إذ » في الآية فيها معنى الظرفيّة أي إنّكم تركتم ذلك فيما مضى و تجاوز الله عنكم فتداركوه بماتؤمرون به بعد هذا فإن فرّطتم فيما اُمرتم بهمن تقديم الصدقات :

[فأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة] و تداركوه بالمواظبة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاةالمفروضة [و أطيعوا الله و رسوله] في سائر الأوامر [والله خبير بما تعملون] من الأعمال الظاهرة و الباطنة و في تخصيص الصلاة و الزكاة بالذكر إشارة إلى إنافة قدرهما و علوّ شأنهما فإنّ الصلاةرئيس الأعمال البدنيّة و بها يتحقّق صورة العبوديّة و معناها و هيمخّ العبادة والعبوديّة من الخضوع و الذلّة و التكبيرو التهليل والركوع و السجودو الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و من تركها فهو محروم من تمام هذه الكيفيّة الجامعة و الويل لتاركها و إنّ الزكاة اُمّ الأعمال الماليّة بها يطهّر القلب من دنس البخل فإنّها هي المطهّرة و بها ينمو المال في الدنيا لأنّه سبحانه يمحق الربا و يربي الصدقات .

[ألم تر إلى الّذين تولّوا قوماً غضب الله إليهم] تعجيب من حال المنافقين الّذين يتّخذون اليهود أولياء و يناصحونهم و يتحابيون إليهم بالمعاشرة أي ألم تنظر إلى هؤلاء الّذين يتولّون من الموالاة لامن الإعراض أي والوا قوماً غضب الله عليهم و هم اليهود كما ينبيء عنهذا المعنى قوله : « من لعنه الله و غضب عليه » و الغضب حركة للنفس مبدؤها إرادة الانتقام و هو بالنسبة إليه تعالى نقيض الرضا [ماهم منكم] أي المتولّين لمنغضب الله عليه منكم [و لامنهم] أي و ليسوا من القوم المغضوب عليهم لأنّهم منافقونمذبذبون و إن كانوا كفّاراً في الواقع لكنّهم ليسوا من اليهود .

[و يحلفون على الكذب] أي يحلفون و الله إنّا لمسلمون و يدّعون الإسلام و هو عطف على تولّوا [و هم يعملون] أي هم في يمينهم عالمون بكذب حلفهم فإنّ الحلف على ما يعلم أنّه كذب في غاية القبح و الآية نزلت حين ما كان صلى الله عليه وآله وسلم في حجرة

من حجراته فقال : يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبّار و ينظر بعين شيطان فدخل عبدالله بن نبتل ـ كجعفر بتقديم النون على الباء الموحّدة ـ وكان اللعين أزرق فقال ﷺ له علىمَ تشتمني أنت وأصحابك ؟ فحلف بالله ما فعل فقال ﷺ فعلت فانطلق بأصحابه فحلفوا بالله ماسبّوه فنزلت الآية انتهى .

[أعدّ الله لهم] بسبب ذلك التولّي و النفاق [عذاباً شديداً] و تنكير العذاب يشعر بشدّته [إنّهم ساء ما كانوا يعملون] أي تمرّنوا على هذا العمل السيّء واعتادوا و يستفاد معنى الاعتياد و التمرين من « كان» الدالّة على الزمان الماضي أي ذلك كان دأبهم و بئس العمل عملهم و هو النفاق و موالاة أعداءالله .

اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين (١٦) لن تغنى عنهم أموالهم ولااولادهم من الله شيئاً اولئك اصحاب النارهم فيها خالدون (١٧) يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء الا انهم هم الكاذبون (١٨) استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون (١٩) ان الذين يحادون الله و رسوله اولئك فى الاذلين (٢٠) كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز (٢١) لاتجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم اواخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان و ايدهم بروح منه و يدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم و رضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون (٢٢) .

[اتّخذوا أيمانهم] الكاذبة الفاجرة الّتي يحلفون بها عند الحاجة [جنّة] وهي الترس الّذي يجنّ صاحبه ويستره ، وقاية وسترة على أكاذيبهم و يحفظ نفوسهم و أموالهم [فصدّوا] أي منعوا الناس و صرفوهم [عن سبيل الله] أي عن دين الله و تثبيط من لقوا عن الدخول في الإسلام [فلهم] بسبب كفرهم و صدّهم [العذاب مهين] مخز بين أهل أهل المحشر و قوله : « عذاب مهين » وعيدثان بوصف آخر لأنّ العذاب الأوّل موصوف بالشدّة و الثاني بالخزي قيل : الأوّل عذاب القبر و هذا عذاب الآخرة .

[لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله] أي من عذابه [شيئاً] قليلاً ، من الإغناء و إذادخلوا النار لاتنفعهم أموالهم الّتي صانوها و أولادهم الّذين ربّوهم فإنّ يوم القيامة يوم لاينفع فيه مال و لابنون [اُولئك] الموصوفون بهذه الصفات القبيحة [أصحاب النار] و ملازموها [هم فيها خالدون] لا يخرجون منهاأبداً و تقديم ضميرهم لتقوية الإسناد و رعايةالفاصلة لا للحصر لخلود غير المنافقين فيها أيضاً من الكفّار .

[يوم يبعثهم الله جميعاً] أي اذكر يوم يجمعهم الله [فيحلفون] في ذلك اليوم [له] أي لله على أنّهم مسلمون مخلصون كما قالوا : « والله ربّنا ما كنّا مشركين » [كما يحلفون لكم] في الدنيا .

[و تحسبون أنّهم] بتلك الأيمان الكاذبة [على شيء] مصدره الحسبان ويقارب الحسبان الظنّ و لكنّ الظنّ هو أن يخطر النقيضان بباله فيغلب أحدهما الآخر و الحسبان هو أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله [ألا إنّهم هم الكاذبون] المبالغون في الكذب حيث تجاسروا على الكذب بين يدي علاّم الغيوب والمراد من حرف التنبيه في قوله تعالى : « ألا إنّهم » بيان و تنبيه على توغّلهم في النفاق موتاً و حياة .

[استحوذ عليهم الشيطان] من حذت الإبل إذا استوليت عليها و جمعتها و سقتها سوقاً عنيفاً أي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كلّ ما يريد منهم [فأنساهم ذكر الله] أي كان بالاستيلاء سبباً لنسيان اللهفلم يذكروه بقلوبهم و لا بألستنهم [اُولئك]المنافقون [حزب الشيطان] و جنوده و أعوانه و الحزب الفريق الّذي يجمعه مذهب واحد [ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون] الموصوفون بالخسران حيث فوّتوا علىأنفسهم النعيمالمقيم .

قال بعض المشائخ : علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل و الملابس و يشغل قلبه عن القيام لشكرها و يشغل لسانه بالكذب عن ذكر ربّه و سمعه عن الحقّ بسماع اللهو و متى ما احتجب القلب عن التذكّر صار وطن إبليس و جنوده .

[إنّ الّذين يحادّون الله و رسوله] أي يعادونهما و يتعدّون حدودهما [أُولئك في الأذلّين] أي إنّهم في جملة من هو أذلّ خلق الله لأنّ ذلّة أحد المتخاصمين على مقدار عزّة الاُخرى و حيث كانت عزّة الله غير متناهية كانت ذلّة من يحادّه كذلك وذلك بالسبي و القتل في الدنيا و عذاب النار في الآخرة .

[كتب الله] أي قضى وأثبت في اللوح [لأغلبنّ أنا ورسلي] ولمّا جرى الكلام مجرى القسم بقوله « كتب الله » فأورد الكلام كجواب القسم بقوله : « لأغلبنّ » و المراد بالغلبة الحجّة و السيف أو بالعاقبة لأنّهم الفائزون بالعاقبة الحميدة و سبب نزول الآية أنّ عبدالله بن اُبيّ بن سلول رئيس المنافقين قال : أتظنّون الروم و الفارس كبعض القرى الّتي غلبتم عليها ؟ والله إنّهم لأكثر عدداً و أشدّ بطشاً من أن تظنّوا فيهم ذلك فنزل الآية .

[إنّ الله قويّ عزيز] تعليل للغلبة ، قويّ في نصرة أوليائه لايغلب عليه في مراده .

فإن قلت : إذا كان الله قويّاً غالباً فما وجه انهزام المسلمين في بعض الأحيان مع أنّه وعد النصرة ؟ .

فالجواب أنّه لو شدّد المحنة على الكافر و الباطل في جميع الأوقات و أزالها عن المؤمنين في جميع الأوقات لحصل العلم الضروري بأنّ الإيمان حقّ و ماسواه باطل و لوكان كذلك لبطل التكليف و الثواب والعقاب فلهذه الحكمة تارة يسلّط المحنة على المؤمنين و اُخرى على الكافرين لتكون الشبهات باقية و المكلّف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل .

قوله : [لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر] الخطاب للنبيّ ﷺ أولكلّ أحد و المراد بنفي الوجدان نفي المودّة أي إنّ الايمان يفسد بموادّة الكفّار ولايصدر من كامل الإيمان هذا الأمر و من أخلص توحيده لايأنس إلى أعداء الله و إلى مبتدع ولا يجالسه و لا يؤاكله و يظهر من نفسه العداوة و من داهن مبتدعاً سلبه الله التوفيق نعم إذا كانت المعاشرة مع الكفّار بسبب هدايته أو بسبب معاملة مشروعة فحينئذ غير ممنوعة بل في بعض الموارد لازمة والموادّة المحرّمة هي إرادة منافع الكفّار ديناً ودنياً مع كونه كافراً .

[و لوكانوا آباءهم أو أبناءهم] أي و لوكان من حادّ الله آباء الموادّين أو أبناء الموادّين [أو إخوانهم] الموادّين [أو عشيرتهم] والعشيرة أهل الرجل الّذين يتكثّر بهم و يصيرون بمنزلة العددالكامل و ذلك أنّ العشرة هو العدد الكامل و حاصل المعنى أنّ المؤمن المتصلّب في الدين لايبوالي هولاء الأقارب بعد أن كانوا محادّين اللهورسوله فكيف بغيرهم كما أنّ أميرالمؤمنين عليّاً و حمزة و عبيدة بن الحارث بن عبدالمطّلب قتلوا يوم بدرعتبة و شيبة إبني ربيعة والوليدبن عتبة و كانوا من عشرتهم و قرابتهم .

[اُولئك] إشارة إلى الّذين لايوادّونهم [كتب] الله [في قلوبهم الإيمان] أي أثبته فيها [و أيّدهم] وقوّاهم [بروح منه] و هونورالقرآن والدين أو المراد النصر على العدوّ [ويدخلهم] في الآخرة [جنّات تجري من تحتها الأنهار] الأربعة من الماء والعسل و اللبن والخمر [خالدين فيها] مؤبّدين لايقرب منهم زوال

كما قال صلى الله عليه وآله : ينادي مناد إنّ لكم أن تصحّوا فلاتسقموا

أبداً وإنّ لكم أن تحيوا فلاتموتوا أبداً وإنّ لكم أن تسبوا

فلا تهزموا أبداً وإنّ لكم أن تنقموا فلاتيأسوا [رضي

الله عنهم] و الرضى ترك السخط [و رضوا عنه]

بالكرامات [اُولئك حزب الله] لاحزب

الشيطان [ألا إنّ حزب الله هم

المفلحون] الناجون من المكاره

تمّت السورة بحمدالله

سورة الحشر

(مدنية)

فضلها : أبيّ بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ الحشر لم يبق جنّة و لانار و لاعرش و لا كرسيّ ولاحجاب ولا السماوات السبع و لا الأرضون السبع و الهواء والرياح والطير والشجر والدوابّ والشمس والقمر والملائكة إلّا صلّوا عليه واستغفروا له و إن مات في يومه أو ليلته مات شهيداً .

و عن أبي سعيد المكاري عن الصادق عليه السلام من قرأ إذا أمسى الرحمن و الحشر وكّل الله بداره ملكاً شاهراً سيفه حتّى يصبح .

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السماوات و ما في الارض و هو العزيز الحكيم (١) هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم أن يخرجوا و ظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فاتيهم الله من حيث لم يحتسبوا فقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم و ايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار (٢) و لولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا و لهم في الاخرة عذاب النار (٣) ذلك بانهم شاقوا الله و رسوله و من يشاق الله فان الله شديد العقاب (٤) ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله و ليخزي الفاسقين (٥) .

[سبّح لله] التسبيح تبعيد الله عن مالايليق به وتطهير عمّالاينبغي بشأن الاُلوهيّة و لابدّ أن يكون بالجنان و اللسان و الحال و الأوّل اعتقاد العبد بتعاليه عن الشريك فحينئذ يلزم المعتقد مثل التوحيد و التعظيم و الثاني القول بما يدلّ على تعاليه مثل التكبير و التهليل و الثالث دلالة المصنوعات على أنّ صانعها متّصف بنعوت الجلال متقدّس عن المكان و بهذا البيان يعمّ تسبيح كلّ الموجودات شاءوا أم أبوا .

[و هو العزيز الحكيم] الغالب على أمره الحكيم في أفعاله .

[هو الّذي أخرج الّذين كفروا من أهل الكتاب] يعني يهود بني النضير من ديارهم بأن سلّط الله المؤمنين عليهم وأمر نبيّه باخراجهم من حصونهم وأوطانهم . النزول: نزلت في إجلاء بني النضير فمنهم من خرج إلى خيبر و منهم من خرج إلى الشام .

و ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا دخل المدينة صالحه بنو النضير وهم رهط من اليهود أولاد هارون على أن لايقاتلوه و لا يقاتلوا معه فقبل صلى الله عليه وآله ذلك منهم فلمّا غزا صلى الله عليه وآله بدراً و ظهر على المشركين قالوا : والله إنّه النبيّ الّذي وجدنا نعته في التوراة لاتردّ له

راية فلمّا غزا غزوة أُحد و هزم المسلمون ارتابوا و نقضوا العهد فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكّة و حالفوا قريشاً على أن يكون كلمتهم واحدة على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ دخل أبو سفيان في أربعين فارساً و دخلوا البيت و أخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار و الكعبة ثمّ رجع كعب و أصحابه إلى المدينة و نزل جبرئيل فأخبر النبيّ بما تعاقد عليه كعب و أبو سفيان .

و في بعض الأخبار أنّه صلى الله عليه وآله وسلم ذهب إلى بني النضير في نفر من أصحابه دون العشرة في أمر دية فقالوا : يا أباالقاسم نعم حتّى تطعم و ترجع بحاجتك و كان صلى الله عليه وآله وسلم جالساً إلى جنب جدار من بيوتهم فخلا بعضهم ببعض و قالوا : إنّكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فهل من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فقال أحد ساداتهم وهوعمرو بن جحاش : أنا لذلك فقال الآخر منهم : لاتفعلوا والله ليخبرنّ بما هممتم به إنّه لنقض للعهد فلمّا صعد الرجل ليلقي الصخرة أتاه صلى الله عليه وآله وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام ورجع مسرعاً إلى المدينة و بعث محمّد بن مسلمة إلى بني النضير أن اخرجوا من بلدي و كانوا ساكنين في قرية زاهرة من أعمال المدينة و قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تساكنوني بها و لقد هممتم بما هممتم من الغدر فأرسل إليهم المنافقون أن أقيموا في حصونكم فإنّا نمدّكم فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّا لانخرج من ديارنا فافعل ما بدا لك و كان المتولّي أمر ذلك سيّد بني النضير حيّ بن أخطب فسار صلى الله عليه وآله وسلم مع المؤمنين حتّى نزل بهم . و باقي القصّة معروفة . و المراد من الخارجين الّذين كفروا في الآية هؤلاء [لأوّل الحشر] اللاّم تعلّق بأخرج قيل : كان ذلك أوّل حشرهم إلى أرض الشام ثمّ تحشر الناس يوم القيامة إلى أرض الشام أيضاً في القيامة و ذلك الحشر الثاني قال ابن عبّاس : قال لهم النبيّ : اُخرجوا قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى أرض المحشر و قيل : معناه لأوّل الجلاء لأنّهم كانوا أوّل من اُجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب ثمّ اُجلي إخوانهم من اليهود و قيل : إنّما قيل : «لأوّل الحشر» لأنّ الله فتح على نبيّه في أوّل ما قاتلهم .

[ماظننتم] أيّها المسلمون [أن يخرجوا] من ديارهم بهذا الذلّ و الهوان لوثاقة حصونهم [و ظنّوا] هؤلاء اليهود ظنّاً قويّاً بمنزلة اليقين [أنّهم مانعتهم حصونهم

من الله] و المراد من الحصن كلّ موضع لا يوصل إلى جوفه و لذا يقال : درع حصينة أي ظنّوا أنّ حصونهم تمنعهم عن بأس الله تقديم الخبر المدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها و تقديم المسند يفيد حصر المسند إليه على المسند فإنّ معنى قائم زيد أنّ زيداً مقصور على القيام لايتجاوزه إلى القعود .

[فأتاهم الله] أي أتاهم أمره [من حيث لم يحتسبوا] و لم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف على يد أخيه الرضاعي بأمر رسول الله [وقذف في قلوبهم الرعب] القذف الرمي البعيد و المراد هنا الإلقاء وإثباته و ركزه و الرعب خوف يملأ القلب فيغيّر العقل و يشوّش الرأي و يفرّق التدبير أي أثبت و ملأ قلوبهم هذا النوع من الخوف .

[يخربون بيوتهم بأيديهم و أيدي المؤمنين] كانوا يخربون و يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهزموا و لئلاّ يكون للمؤمنين و يخربها المؤمنون من خارج ليصلوا إليهم و إزالة لتحصّنهم و إضراراً بهم و توسيعاً لمجال القتال و إسناد هذا إليهم مع أنّه يقول : [و أيدي المؤمنين] لما أنّهم السبب فيه فكأنّهم أمروهم بالتخريب .

[فاعتبروا يا اُولي الأبصار] و الألباب اتّعظوا بماجرى عليهم و اتّقوا مباشرة ما يؤدّي إليه عن مثل هذه الأمور من الكفر و الاعتبار مأخوذ من العبور وهو المجاوزة من شيء إلى شيء و سمّي أهل التعبير في الرؤيا لأنّ صاحبه ينتقل من المتخيّل إلى المعقول وسمّيت الألفاظ عبارات لأنّها تنقل المعاني من لسان القائل إلى عقل المستمع و يقال : السعيد من اعتبر بغيره لأنّه ينتقل عقله من حال ذلك الغير إلى حال نفسه .

[ولولا أن كتب الله] حكم [عليهم] بني النضير [الجلاء] الخروج من أوطانهم و لولا امتناعيّة و ما بعدها مبتدء و أن مخفّفة اسمها ضمير الشأن أي و لولا كتاب الله عليهم الجلاء في علمه أو في لوحه المحفوظ [لعذّبهم في الدنيا] بالقتل و السبي كما فعل ببني قريظة .

[ولهم في الآخرة عذاب النار] استيناف و غير متعلّق بجواب لو لا إذ لوكان معطوفاً عليه لزم أن ينجو من عذاب الآخرة أيضاً لأنّ لولايقتضي انتفاء الجزاء لحصول

الشرط لكن جملة مستأنفة و بيان أنّهم إن نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لانجاة لهم من عذاب الآخرة .

[ذلك بأنّهم] أي ما حاق لهم و سيحيق بسبب أنّهم [شاقّوا الله و رسوله] و خالفوا أمرهما و المشاقّة كون الإنسان في شقّ وطرفه في شقّ [ومن يشاقّ الله] كائناً من كان [فإنّ الله شديد العقاب] له بحذف العائد فليحذر المؤمنون من المخالفة مطلقاً و المشاقّة مع الرسول المنازعة في حكمة أمره و نهيه .

[ما قطعتم من لينة] ما شرطيّة نصب بقطعتم و اللينة فعلة نحو حنطة من اللون على أنّ أصلها «لونة» فياؤها مقلوبة عن واو لكسرة ما قبلها نحو ديمة وقيمة ويجمع على ألوان و هي ضروب النخل و قيل : من اللين و يجمع على أليان و هي النخلة الكريمة بكونها قريبة من الأرض و الطيّبة الثمرة فقوله : « ما قطعتم من لينة » أي من نخلة كريمة ناعمة .

[أو تركتموها قائمة] الضمير راجع لما وتانيثه لتفسيره باللينة قائمة [على أصولها] كما كانت من غير أن تتعرّضوا لها [فبإذن الله] أي قطعها و تركها بأمر الله فلاجناح عليكم و في كلّ من القطع و الترك حكمة .

[و ليخزي الفاسقين] و ليذلّ اليهود الخارجين عن إطاعة المسلمين و حصول ضرب من الاستخفاف لهم لأنّهم إذا رأوا المؤمنين يتحكّمون في أموالهم كيف ما شاءوا من القطع و الترك يتضاعفون حسرة ويزدادون غيظاً .

و سبب النزول أنّ رسول الله ﷺ حين أمر أن تقطع نخيلهم وتحرق قالت بنو النضير : يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخيل و إحراقها ؟ و كان في أنفس المؤمنين أيضاً من ذلك شيء فنزلت الآية . وفي شرح مسلم للنووي أنّ أنواع التمر مائة و عشرون و قيل : أنواع التمر بلغت مائة و بضعاً و ثلاثين .

و نقل أنّ عالم فاس محمد بن غازي أرسل إلى عالم سلجماسة إبراهيم بن هلال يسأله عن حصر أنواع التمر بتلك البلدة فأرسل إليه جملاً أوجملين من كلّ نوع تمرة

واحدة و أرسل إليه هذا ما يتعلّق به علم الفقير « و إن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها » و أحسن أنواعها العجوة والصيحاني والبرنيّ، و البرنيّ فارسيّ معرّب أي ثمر مبارك و أصله «بر نيك» انتهى .

[و ما أفاء الله على رسوله] في تفسير روح البيان في الآية بيان حال ما اُخذمن أموالهم و ما موصولة و يجوزأن تكون شرطيّة أي و ما جعله الله فيئاً لرسوله و أرجعه إليه و جعله عائداً إليه و في معنى العود والإرجاع إشعاربأنّ ماكان في يدهم بغير حقّ لعدم إيمانهم فرجعه الله إلى مستحقّه لأنّه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسّلوابه إلى طاعته فمن خرج عن عبوديّته فليس له حقّ لكن لمّا كان هذا الحكم يوجب الهرج و المرج فيكون موجبه بإذن النبيّ و الوليّ و يجوز أن يكون معنى « ما أفاء الله » أي صيّره له فالعود على هذا المعنى أن يتحوّل الشيء إلى غيره بأمر و إن لم يكن ذلك التحوّل مسبوقاً بالحصول له و كلمة« على » في الآية يؤيّد هذا المعنى .

قال المطرّزي في مغرب اللغة : إنّ الفرق بين الغنيمة والفيء و النفل أنّ الغنيمة ما نيل من أهل الشرك عنوة و الحرب قائمة و حكمها أن تخمّس و سائرها بعدالخمس للغانمين خاصّة . و الفيء ما نيل منهم بعد ما تضع الحرب أوزارها و تصير الدار دار الإسلام وحكمه أن يكون لكافّة المسلمين و لا يخمّس و النفل ما ينفله الغازي أي يعطاه زائداً على سهمه و هو أن يقول الإمام : من قتل قتيلاً من أهل الشرك فله سلبه أو قال : للسريّة ما أصبتم فلكم ربعه أونصفه ولايخمّس .

قوله تعالى : و ما أفاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل و لاركاب و لكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير(٦) ما افاء الله رسوله من أهل القرى فلله و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم و ماآتاكم الرسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب (٧) للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم و اموالهم يبتغون فضلا من

الله و رضوانا و ينصرون الله و رسوله اولئك هم الصادقون (٨) والذين تبوؤا الدار و الايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم و لا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا و يؤثرون على انفسهم و لوكان بهم خصاصة و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون (٩) و الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان و لاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم (١٠).

المعنى : الفيء ردّ ما كان للمشركين على المسلمين بتمليك الله إيّاهم ذلك على شرط فيه ، و أفأته عليه أي رددته عليه .

النزول : قال ابن عبّاس : الآية نزلت في أموال كفّار أهل القرى و هم بنو النضير و قريظة و هما بالمدينة و فدك و هي من المدينة على ثلاثة أميال و خيبر و قرى عرينة و ينبع جعلها لرسوله يحكم فيها ما أراد و أخبر أنّها له كلّها فقال اُناس : فهلّا قسّمها فنزلت الآية « و ما أفاء الله على رسوله منهم » و قيل : الآية الأولى بيان أموال بني النضير خاصّة لقوله : « و ما أفاء الله على رسوله منهم الآية » و الآية الثانية بيان الأموال الّتي اُصيب من غير قتال و قيل : إنّهما واحد و الآية الثانية بيان قسم المال الّذي ذكر الله في الآية الأولى .

و بالجملة بيّن كيفيّة أموال بني النضير فقال :

[و ما أفاء الله على رسوله] من اليهود الّذين أجلاهم و إن كان الحكم سارياً في جميع الكفّار الّذين حكمهم حكمهم [و ما أوجفتم عليه من خيل و لاركاب] الإيجاف في الخيل و الإيضاع في الإبل وما نافية أي لم تسيروا إليها على خيل و إبل و إنّما كانت ناحية من المدينة مشيتم إليها مشياً و الركاب الإبل الّتي يحمل القوم و «من» زائدة بعد النفي أي « ما أوجفتم خيلاً » و هو جماعة الأفراس لا واحد له و قيل : واحده خائل لأنّ راكبه يختال و يتكبّر من تخيّل فضيلة تتراءى للإنسان من نفسه لما قيل : إنّه لايركب أحد فرساً إلّا وجد في نفسه نخوة و الخيل يستعمل للأفراس و الفرسان نحو يا خيل الله اركبي فهذا للفرسان و قوله عليه السلام : عفوت لكم عن صدقة الخيل يعني الأفراس والفرس يرى المنامات كبني آدم و لاطحال له و هو مثل لسرعته و حركته و البعير لامرارة له

انتهى . و حاصل المعنى أنّكم ما قطعتم لها شقّة بعيدة و لا لقيتم مشقّة شديدة ، و ما كان فيهم راكب إلّا النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم وكان راكباً حماره مخطوماً بليف وقيل : كان صلّى الله عليه و آله و سلّم راكباً جملاً فافتتحها صلحاً من غير أن يجري بينهما مسابقة .

[و لكنّ الله يسلّط رسله على من يشاء] و قد سلّط النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم على هؤلاء تسليطاً غير معتاد من غير أن تقتحموا مطابق الحروب فحينئذ لاحقّ لكم في أموالهم و الأمر فيه مفوّض إليه بصيغة حيث يشاء ولاتقسّم قسمة الغنائم الّتي قوتل عليها وا ُخذت عنوة و قهراً و ذلك لأنّهم طلبوا القسمة كخيبر فنزلت لبيان هذا الأمر .

[والله على كلّ شيء قدير] فيفعل ما أراد بقدرته .

قوله : [ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى] بيان للأوّل و لذلك لم يعطف عليه و يعيّنه سبحانه أنّه للرسول و أهل بيته خاصّة من غير أن يكون للمقاتلين حقّ .

[فللّه و للرسول] و ذكر الله التعظيم و التبرّك و هو راجع إلى النبيّ [و لذي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل] في الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام نحن والله الّذين عنى الله بذي القربى الّذين قرنهم بنفسه و نبيّه و اليتامى و المساكين منّا خاصّة و لم يجعل لنا سهماً في الصدقة أكرم الله نبيّه و أكرمنا أن يطعمنا الأوساخ ممّا في أيدي الناس و معنى الآية و لذي قربى الرسول و يتامى ذرّيّته و مساكينهم و أبناء سبيلهم من بني هاشم .

و روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : نحن قوم فرض الله طاعتنا و لنا الأنفال ولنا صفو المال يعني ما كان يصطفى لرسول الله من فره الدوابّ و حسان الجواري و الدرّة الثمينة و الشيء الّذي لا نظير له .

ثمّ بيّن سبحانه لمَ فعل ذلك فقال : [كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم] وقرىء تكون بالتاء و رفع دولة و الدولة اسم للشيء الّذي يتداوله القوم بينهم يكون لهذا مرّة و المعنى لئلّا يكون الفيء متداولاً بين الرؤساء منكم يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهليّة فإنّ الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة و يقولون من عزّ بزّ ومن غلب سلب فيجعلون الاستقلال منوطاً بالغلبة على الأموال فكلّ من غلب على شيء يستقلّ به مثل كليب بن

وائل و نظرائه .

[و ما آتاكم الرسول فخذوه] ما موصولة أي ما أعطاكم الرسول أيّها المؤمنون من الفيء فخذوه و ما أمركم به فاعملوه [و ما نهاكم] عن أخذه وفعله [فانتهوا] عنه و امتنعوا منه [و اتّقوا الله] في مخالفته صلى الله عليه وآله وسلم [إنّ الله شديد العقاب] فيعاقب من يخالف أمره و نهيه .

والآية دالّة و صريحة بأن اتّباع أوامره و ترك نواهيه واجب سواءكان اُصولاً اعتقاديّة أو فرداً عمليّة يجب التمسّك به و كلّما فعله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الله و قد قسم صلى الله عليه وآله وسلم أموال خيبر و منّ عليهم في رقابهم و أجلى بني النضير و بني قينقاع و أعطاهم شيئاً من المال و قتل رجال بني قريظة و سبى ذراريّهم و نساءهم و قسّم أموالهم على المهاجرين و منّ على أهل مكّة و قد جعل الله تدبير الاُمّة إليه و إلى الّذي نصّ النبيّ بخلافته بعده .

[للفقراء المهاجرين] الّذين هاجروا من مكّة إلى المدينة و من دار الكفر إلى دار الإسلام [الّذين أخرجوا من ديارهم و أموالهم يبتغون فضلاً من الله و رضواناً] يطلبون بذلك رضى الله نصرة دينه ورسوله وقوله : « للفقراء » قيل : بدل من لذي القربى قال الزجّاج بيّن سبحانه من المساكين الّذين لهم الحقّ فقال : « للفقراء المهاجرين الّذين أخرجوا من ديارهم و أموالهم » و هذا الإبدال الّذي جعلوه من قوله : « لذي القربى » لئلاّ يلزم دخول الرسول في زمرة الفقراء لأنّه يوهم الذمّ و النقصان و إذا لم يصحّ تسمية الرسول فقيراً فلأن لا يصحّ تسميته تعالى فقيراً أولى و منعوا الإبدال من الله و رسوله فحينئذ على الإبدال خصّ بأموال بني النضير من الفيء و لو كان المراد عدم الإبدال فالمراد غنائم خيبر حيث قسّم للمهاجرين و لم يقسّم الأنصار و إن كان المعنى لرسول الله لأنّ الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله و رسوله .

و قوله : « الّذين أخرجوا » حيث اضطرّهم كفّار مكّة إلى الخروج و أخذوا أموالهم و كانوا مائة فخرجوا منها و إلاّ فهم هاجروا باختيارهم حبّاً لله ورسوله و اختار والإسلام على ماكانوا فيه من الشدّة حتّى كان الرجل يعصب الحجر على بطنه ليقيم

صلبه من الجوع و كان الرجل يتّخذ حفيرة في الشتاء ماله دار غيرها وكان ﷺ يبشّر الصعاليك من المهاجرين بالنور التامّ يوم القيامة و يقول : يدخلون الجنّة قبل الأغنياء بنصف يوم و ذلك مقدار خمسمائة عام .

[و ينصرون الله و رسوله] عطف على يبتغون أي ناوين نصرة الله با علاء دينه و نصرة رسوله و أيّ نصرة [اُولئك] المهاجرون [هم الصادقون] الراسخون في الصدق كأنّ الصدق مقصور عليهم .

ثمّ مدح سبحانه الأنصار حتّى طابت عن الفيء أنفسهم فقال : [و الّذين تبوّءوا الدار] يعني المدينة و هي دار الهجرة [والإيمان] مدحهم الله بخلوص الإيمان و لزوم دار الهجرة تبوّء في مكان أي اتّخذه مسكناً و عطف الإيمان على الدار في المعنى لأنّ الإيمان ليس بمكان يتبوّؤه و المراد و آثروا الإيمان [من قبلهم] قيل : المراد من قبل قدوم المهاجرين عليهم و قيل : تقدير الآية « والّذين تبوّءوا والدار » من قبل المهاجرين لأنّ الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين و الّذي قال : معنى الآية قبل إيمان المهاجرين المراد منهم أصحاب ليلة العقبة و هم سبعون رجلاً بايعوا النبيّ ﷺ على حرب الأبيض و الأحمر .

و الأنصار بنو الأوس و الخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عامر بن شالح و هو أصل العرب العرباء و من الأنصار غسّان اسم ماء نزل عليه قوم من ولد الأزد فشربوا منه فنسبوا إليه وعطف الإيمان على التبوّء على تنزيل الحالّ منزلة المحلّ أو المعنى آثروا الإيمان كما ذكرنا و ذلك مثل قوله : « علّفتها تبناً و ماء بارداً » .

[يحبّون من هاجر إليهم] يوصف الأنصار أي يحبّون من هاجر إليهم لمحبّتهم الإيمان [و لا يجدون في صدورهم] و نفوسهم [حاجة] ممّا اُوتي المهاجرون من الفيء أي إنّ نفوسهم لم تبتغ ما اُوتوا و لم تطمع إلى شيء منه يحتاج إليه ولم يحسدوا باقتصاصهم الفيء من أموال بني النضير .

[و يؤثرون] أي يقدّمون المهاجرين [على أنفسهم] بأموالهم و منازلهم [ولو كان بهم خصاصة] أي فقر و حاجة و لم يكن إيثارهم عن غنى و الخصاصة خلّة وحاجة و أصلها خصاص البيت و هي فرجه شبّه حالة فقرهم ببيت ذي فرج و هو من القصب و الشجر و ذلك يرى من ذلك البيت الخلّة و الفرجة .

و كان صلى الله عليه وآله وسلم قسّم أموال بني النضير على المهاجرين و لم يعط الأنصار إلّا ثلاثة نفر محتاجين أبادجانة سماك بن خرشة و سهل بن حنيف والحارث بن الصمّة وقيل : لم يعط إلّا رجلين لأنّ الحارث قتل في بئر معونة و قال صلى الله عليه وآله وسلم لهم : إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم و دياركم و شاركتموهم في هذه الغنيمة و إن شئتم كانت لكم دياركم و أموالكم و لم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الأنصار : بل نقسّم لهم من أموالنا و ديارنا و نؤثرهم بالغنيمة و لانشاركهم فيها فنزلت الآية « و يؤثرون » الآية و لمّا أعطى المهاجرين أمرهم صلى الله عليه وآله وسلم بردّ ما كان للأنصار لاستغنائهم عنهم و لأنّهم لم يكونوا ملكوهم و إنّما كانوا دفعوا لهم النخيل لينفعوا بثمرها .

روي عن أنس إنّه قال : اُهدي لرجل من الأنصار رأس شاة و كان مجهوداً فوجّه به إلى جارله زاعماً أنّه أحوج إليه منه فوجّه جاره أيضاً إلى آخر فلم يزل لبعث بهواحد إلى آخر حتّى تداول ذلك الرأس سبعة بيوت إلى أن رجع إلى المجهود الأوّل .

قال حذيفة العدويّ : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمّ لي ومعي شيء من الماء و أنا أقول : إن كان به رمق سقيته فإذا أنا به فقلت : أسقيك ؟ فأشار برأسه أن نعم فإذا برجل يقول : آه آه فأشار إليّ ابن عمّي أن انطلق إليه فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ قال : نعم فسمع آخر يقول : آه آه ! فأشار هشام أن انطلق إليه فجئت إليه فإذا هو قدمات فرجعت إلى هشام فإذا هو قدمات فرجعت إلى ابن عمّي فإذا هو قدمات .

و الصحيح إنّ الآية نزلت في حقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الأماليّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه جاء إليه رجل و شكا إليه الجوع فبعث رسول الله إلى بيوت أزواجه فقلن : ما عندنا إلّا الماء فقال رسول الله : من لهذا الرجل الليلة فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام : أناله يا رسول الله فأتى فاطمة و قال : لها ما عندك يا ابنة رسول الله ؟ فقالت : ما عندنا

إلّا قوت العشية لكنّا نؤثر ضيفنا فقال: ابنة محمّد نوّمي الصبية و أطفىء السراج فلمّا أصبح عليّ عليه السلام غدا على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر فلم يبرح حتّى أنزل الله «و يؤثرون على أنفسهم» الآية.

و عن أمير المؤمنين في الاحتجاج إنّه قال للقوم بعد موت عمر بن الخطّاب في حديث عدّ المناقب: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية غيري؟ قالوا: لا.

[و من يوق شحّ نفسه] الشحّ بخل مع الحرص في مقابلة السخاء و في مقابلة الجود البخل و الجود و البخل يتطرّق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشحّ و السخاء لأنّهما غريزيّتان و كلّ سخيّ جواد و ليس كلّ جواد سخيّاً و من يوق بالملكات و الرياضيّات من الإطاعة ينزّه نفسه و حرصه على إمساك المال [فأُولئك هم المفلحون] الفائزون بكلّ مطلوب الناجون من كلّ مكروه.

[و الّذين جاءوا من بعدهم] هم الّذين هاجروا بعدما قوى الإسلام جاءوا إلى المدينة أو المراد التابعون بإحسان وهم الّذين اتّبعوا النبيّ بعد الفريقين ويشمل حال المؤمنين إلى يوم القيامة كما في الحديث مثل اُمّتي كالمطر لايدري أوّله خير أم آخره [يقولون] خبر للموصل لمن تقدّمهم من المؤمنين يدعون لهم قائلين: [ربّنا اغفر لنا و لإخواننا الّذين سبقونا بالإيمان] يستغفرون لأنفسهم ولمن سبقهم بالايمان.

[و لا تجعل في قلوبنا غلاً للّذين آمنوا] أي حقداً و عداوة لأحد من المؤمنين و يعصمنا ربّنا من إرادة السوء بالمؤمنين لأنّ من أبغض مؤمناً و أراد به السوء لأجل إيمانه فهو كافر و إذا كان بغضة لغير ذلك فهو فاسق [ربّنا إنّك رءوف رحيم] متعطّف على العباد منعم عليهم و في الآية دلالة على أنّ الترحّم والاستغفار مستحبّ على المؤمنين الآخرين للسابقين منهم لاسيّما لآبائهم و لمن علّمهم اُمور دينهم.

فائدة الغلالة اسم لما يلبس بين الشعار و الدثار، والغلّ و الغلول تدرّع الحقد و يستعار الغلالة للذرع كما يستعار الدرع قال الشاعر:

لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زرّ أزراره على القمر

قوله تعالى : الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احد أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون (١١) لئن اخرجوا لا يخرجون معهم و لئن قوتلوا لا ينصرونهم و لئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون (١٢) لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون (١٣) لا يقاتلونكم جميعاً الا في قرى محصنة اومن وراء جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً و قلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون (١٤) كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا و بال امرهم ولهم عذاب اليم (١٥) .

لمّا وصف الله المهاجرين و الأنصار والتابعين لهم عقّب ذلك بذكر المنافقين و الهمزة استفهام للتعجّب عن حال المنافقين والكافرين [ألم] تنظر و تعلم [إلى الّذين نافقوا] من أهل المدينة النفق الطريق النافذ ومنه نافقاء اليربوع و هو الدخول من باب و الخروج من باب [يقولون لإخوانهم الّذين كفروا من أهل الكتاب]والمراد بالإخوان بنو النضير و بإخوانهم توافقهم في الكفر و صداقتهم و موالاتهم : [لئن أُخرجتم] اللام موطّئة للقسم أي والله لئن اُخرجتم أيّها الإخوان ديار كم و قراكم قسراً بإخراج محمّد إيّاكم منها [لنخرجنّ] البتّة [معكم] و نذهبنّ في صحبتكم أينما ذهبتم و هوجواب للقسم و جواب الشرط مضمر و لمّا كان جواب القسم و جواب الشرط متماثلين اقتصر على جواب القسم .

[و لا نطيع فيكم أحداً] أي في شأنكم لا نطيع أحداً يمنعنا من الخروج معكم أبداً [و إن قوتلتم] أي قاتلكم محمّد و أصحابه حذف منه اللام الموطّئة [لننصرنّكم]أي لنعاونكم على عدوّكم [والله يشهد إنّهم لكاذبون] في مواعيدكم المؤكّدة بالأيمان الفاجرة .

[لئن اُخرجوا] قهراً [لايخرجون معه] تكذيب لهم في أقوالهم [و لئن قوتلوا لا ينصرونهم] و كان الأمر كذلك فإن ابن اُبيّ و أصحابه أرسلوا إلى بني النضير و ذلك سرّاً أن لاتخرجوا من ديار كم و أقيموا في حصونكم فإنّ معي ألفين من قومي

و غيرهم من العرب فطمع بنو النضير فيما قاله اللعين فقال أحد سادات بني النضير : وهو سلاّم بن مشكين لحيّ بن أخطب الّذي كان هو المتولّي لأمر بني النضير : والله يا حيّ إنّ قول ابن اُبيّ لباطل و إنّما يريد أن يورّطك في الهلكة حتّى تحارب محمّداً فيجلس في بيته و يتركك فقال حيّ : تأبى نفسي إلّا عداوة محمّد و إلّا قتاله فقال سلاّم : فهو والله جلاؤنا من أرضنا و ذهاب أموالنا و سبي ذراريّنا فكان ماكان .

[و لئن نصروهم] فرضاً [ليولنّ الأدبار] فراراً و انهزاماً وتولية الأدبار كناية عن الانهزام [ثمّ لا ينصرون] أي لا يكون النصر للمنافقين و لاينفعهم نفاقهم .

[لأنتم] يا معشر المسلمين [أشدّ رهبة في صدورهم من الله] أي إنّ خوف المنافقين منكم أشد من خوفهم من الله لأنّهم يشاهدونكم و يعرفونكم و لايعرفون الله . و حاصل المعنى أنّهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله و أنتم أهيب في قلوبهم من الله فإن قلت : كأنّهم كانوا يرهبون من الله حتّى يكون رهبتهم منكم أشدّ قلنا : إنّ رهبتهم في السرّ منكم أشدّ من رهبتهم من الله الّتي يظهرونها لكم و ذلك لأنّهم كانوا يظهرون رهبة شديدة من الله .

[ذلك بأنّهم قوم لايفقهون] الحقّ ولايعلمون عظمة الله و ذلك إشارة إلى ماذكر من كون رهبتهم منكم أشدّ و العبد هو الّذي لايخاف إلّا من مولاه و لايراقب إلّا إيّاه و لا يلتفت إلى ماسواه .

[و لا يقاتلونكم] معاشر المؤمنين جميع [إلّا في قرى محصّنة] أي إنّهم لا يبرزون لحربكم و إنّما يقاتلونكم متحصّنين بالقرى [أو من وراء جدر] أي يرمونكم من وراء الجدران بالنبل والحجر . والقرى جمع قرية و هي مجتمع الناس للتوطّن .

[بأسهم بينهم شديد] استيناف سيق لبيان أنّ ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم و جبنهم في أنفسهم و هم بالنسبة إلى أقرانهم أقوياء و إنّما جبنهم و ضعفهم بالنسبة إليكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب و إذا أراد الله نصرة قوم استأسد أرنبهم و إذا أراد الله قهر قوم استرنب أسدهم و وصف البأس بالشدّة للمبالغة .

[تحسبهم] يا محمّد [جميعاً] متّفقين ذوي السعة [و قلوبهم شتّى] و الحال أنّ

قلوبهم متفرّقة و في الآية تشجيع لقلوب المؤمنين على قتالهم و أهل الباطل متفرّقون أبداً و إن اجتمعوا بالأبدان و توافقوا بالظواهر لأنّ الله يقول : « تحسبهم » .

[ذلك بأنّهم] أي ما ذكر من تشتّت قلوبهم بسبب أنّهم [قوم لايعقلون] لا شيئاً حتّى يعرفوا الحقّ من عدم العقل والفقه و هو مذموم في القرآن بموجب هذه الآية و ممّا نسب إلى أميرالمؤمنين قوله : و إنّ العقل عقلان : فمسموع و مطبوع .

و لاينفع مطبوع إذا لم يك مسموع ※ كما لاتنفع الشمس ونور العين ممنوع

قال على بن عبيدة : العقل ملك و الخصال رعيّة فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها فسمع هذا الكلام أعرابيّ فقال : هذا الكلام يقطر عسله : و كل شيء إذا كثر رخص إلّا العقل فإنّه إذا كثر غلا : و قال أعرابيّ : لوصوّر العقل لأظلمت معه الشمس و لوصوّر الحقّ لأضاء معه الليل و غاية قوّة العقل أن يتسلّم لأوامر الشرع لأنّ الّذي وضع الأشياء أعرف بمواضعها .

قوله : [كمثل الّذين من قبلهم] خبر مبتدء محذوف تقديره مثله أي مثل المذكورين من المنافقين و اليهود كمثل المشركين الّذين قتلوا قبلهم ببدر لأنّ البدر كانت قبل غزاة بني النضير بستّة أشهر أو سنة أو كمثل بني قينقاع لأنّهم أُخرجوا قبل بني النضير إلى الشام و لم يدر الحول عليهم حتّى هلكوا .

[ذاقوا و بال أمرهم] الوبل و الوابل المطر الثقيل و لمراعاة الثقل يقال : للأمر الّذي يخاف ضرره و بال أي ذاقوا سوء عاقبة كفرهم و هو عذاب القتل و الأسر ببدر [و لهم] في الآخرة [عذاب أليم] مولم لايقادر قدره حيث يكون ما في الدنيا بالنسبة إليه كالذوق بالنسبة إلى الأكل .

قوله : كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى اخاف الله رب العالمين (١٦) فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها و ذلك جزاء الظالمين (١٧) يا ايها الذين امنوا اتقوا الله و لتنظر نفس ما قدمت لغد و اتقوا الله ان الله خبير بما تعملون (١٨) ولاتكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم اولئك هم الفاسقون (١٩) لايستوى أصحاب النار و اصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون (٢٠) .

أي مثل المنافقين في غرورهم لبني النضير و خذلانهم إيّاهم [كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر] و المراد من قول الشيطان مجاز عن الإغواء و الإغراء فإن اُريد بالإنسان الجنس فالمراد من قوله : [قال إنّي بريء منك] يكون يوم القيامة كما ينبىء عنه قوله : [إنّي أخاف الله ربّ العالمين] و إن اُريد من الإنسان الإنسان المعهود وهو أبو جهل ـ كما قيل في بعض التفاسير ـ فقوله : « اكفر » أي دُم على الكفر وذلك يوم بدر حين قال لهم : « لاغالب لكم اليوم من الناس و إنّي جار لكم فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه و قال إنّي بريء منكم إنّي أرى ما لاترون إنّي أخاف[1] » لأنّ أصحاب أبي جهل لمّا قاتلوا يوم بدر ونصر الله محمّداً بإمداد الملائكة رأى إبليس جبرئيل مع محمّد فخافه فتبرّء اللعين منهم وانهزم .

و قال بعض أهل التفسير : إنّ المراد بالإنسان في الآية المذكورة برصيصا الراهب من بني إسرائيل في زمان الفترة عن ابن عبّاس قال : إنّه كان في بني إسرائيل عابد اسمه برصيصا عبدالله في صومعة سبعين سنة و قيل : مائتين و خمسين سنة حتّى كان يؤتى بالمجانين و المرضى فيعودهم فيبرءون على يده و كان يحسده إبليس غاية و قد عجز عن إغوائه فاُوتي يوماً بامرأة في شرف قد جنّت وكان لها إخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزيّن له حتّى وقع عليها فحملت فلمّا استبان حملها أخاف الراهب من الشناعة فقتلها و دفنها فلمّا فعل ذلك ذهب الشيطان حتّى لقي إخوتها فأخبرهم بالّذي فعل الراهب و أنّه دفنها في مكان كذا حتّى بلغ الخبر إلى ملكهم فسار الملك و الناس فاستنزلوه فأقرّ لهم بالّذي فعل فأمر به فصلب فلمّا وقع على خشبته تمثّل له الشيطان و قال : أنا الّذي ألقيتك في هذا فهل أنت مطيعي في ما أقول لك اُخلّصك ممّا أنت فيه ؟ قال : نعم قال : اسجدلي سجدة واحدة فقال : كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة ؟ فقال : أكتفي منك بالإيماء فأومأ له بالسجود فكفر بالله وقتل فهو قوله : « كمثل الشيطان إذا قال للإنسان اكفر » انتهى .

---

(١) الانفال : ٤٣ .

[فكان عاقبتهما أنّهما في النار خالدين فيها و ذلك جزاء الظالمين] أي صار عاقبة الفريقين من الداعي و المدعوّ و من المنافقين و اليهود أنّهما معذّبان في النار و ذلك جزاؤهم .

[يا أيّها الّذين آمنوا] إيماناً خالصاً [اتّقوا الله] و تحرّزوا عن العصيان بالطاعة و تجنّبوا عن الكفر بالشكر و توقّوا عن النسيان بالذكر [و لتنظر نفس ما قدّمت لغد] ما استفهاميّة أي أيّ شيء قدّمت من الأعمال ليوم القيامة و عبّر عن يوم القيامة بالغد لدنوّه لأنّ كلّ آت قريب سمّاه باليوم الّذي يلي يومك تقريباً له أو لأنّ الدنيا زمانها كيوم و الآخرة كغده .

[و اتّقوا الله] تكرير للتأكيد في شأن التقوى و الأوّل في أداء الواجبات والثاني في ترك المحرّمات كما يؤذن به الوعيد بقوله : [إنّ الله خبير بما تعملون] و التقوى هو التجنّب عن كلّ ما يؤثم من فعل و ترك و وقاية النفس في الدنيا عن ترتّب الضرر في الآخرة و تقوى العامّة عن ضرر الأفعال وتقوى الخاصّة عن ضرر الصفات من الأخلاق و تقوى أخصّ الخواصّ عن جميع ما سوى الله .

قال مالك بن دينار : دخلت جبانة البصرة فإذاً أنا بسعدون المجنون فقلت له : كيف حالك ؟ فقال كيف حال من أصبح و أمسى يريد سفراً بعيداً بلا اُهبة ، و تقدّم على ربّ عدل حاكم بين العباد ثمّ بكى بكاء شديداً قلت : ما يبكيك ؟ قال : أبكاني قلّة الزاد و بعد المسافة و العقبة الكؤود فقلت : إنّ الناس يزعمون أنّك مجنون فقال : و أنت اغتررت بقولهم مالي جنّة و لكن حبّ مولاي قد خالط قلبي وجرى بين لحمي ودمي فأنا من حبّه هائم ثمّ قال : يا مالك كن من الناس خائباً ، و ارض بالله صاحباً ، قلّب الناس كيف شئت تجدهم عقارباً .

[و لا تكونوا] أيّها المؤمنون [كالّذين] المراد بالموصول اليهود و المنافقين المعهودين أو الجنس كائناً من كان من الكفّار [نسوا الله] فيه حذف المضاف أي نسوا حقّ الله و تركوا أداء حقّ الله من الطاعات [فأنساهم] بسبب ذلك [أنفسهم] أي جعلهم ناسين لأنفسهم حتّى يتداركوا بالاعتذار و التوبة و هذا الإنساء مجازاتهم بسبب

إقدامهم على ترك طاعة الله و نسيانهم ذكر الله .

[اُولئك] الناسون المخذولون بالإنساء [هم الفاسقون] الخارجون عن طريق الطاعة و «هم» يفيد معنى شدّة الخروج عن الطاعة بل عن الإيمان و الإنسان العاقل لابدّ وأن يراعي حقّ ربوبيّة الله ومراعاة حظّ شخصه كي لايحرم السعادة لأنّ المنسي محروم لامحالة .

[لايستوي أصحاب النار]الّذين نسوا الله و استحقّوا النار ، والنار مع اللام من أسماء جهنّم في تعبير القرآن كالساعة للقيامة و جاء في الشعر أيضاً :

الجنّة الدار فاعلم إن عملت بما ❊ يرضي الإله و إن فرّطت فالنار

هما محلاّن ما للناس غير هما ❊ فانظر لنفسك ماذا أنت تختار

و يقال : أصحاب النار و أصحاب الجنّة فباعتبار الصحبة الأبديّة و الاقتران الدائم و الصحبة في الأصل اقتران الشيء بالشيء في زمان ممّا قلّ أو كثر و لا يقال للعصاة المؤمنين أصحاب النار قوله : [و أصحاب الجنّة] الّذين اتّقوا المعاصي أي لايستوون [أصحاب الجنّة هم الفائزون] بيان لكيفيّة عدم الاستواء بين الفريقين هم أهل الكرامة و أصحاب النار أهل الهوان فنبّه الله الناس بتذكير سوء حال أهل النار وحسن حال أهل الجنّة للاحتراز عن الغفلة .

قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم : إنّ أهون أهل النار عذاباً و أخفّهم من له شراكان و نعلان من النار ويغلي منها دماغه كما يغلي المرجل ما يرى إنّ أحداً أشدّ منه عذاباً و كان بعض العارفين ليلة يردّد قوله : « و جنّة عرضها السماوات والأرض [1] » و يبكي فقيل له : قد أبكتك ما تبكي عند مثلها ؟ فقال : فما ينفعني عرضها إذا لم يكن لي فيها موضع قدم .

قوله : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعاً متصدعا من خشية الله و تلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (٢١) هو الله الذى لا اله هو عالم الغيب و الشهادة هو الرحمن الرحيم (٢٢) هو الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان

(١) آل عمران : ١٣٣ .

الله عما يشركون (٢٣) هوالله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات و الارض و هو العزيز الحكيم (٢٤).

[لو أنزلنا هذا القرآن] العظيم الشأن المنطوي على فنون القوارع قال ابن عبّاس : إن السماء أطبّ من ثقل الألواح لمّا وضع الله عليها في وقت موسى فبعث الله لكلّ حرف منها ملكاً فلم يطيقوا حملهافخفّفها على موسى و كذلك الانجيل على عيسى و الفرقان على محمّد ثمّ إنّه لايلزم في الإشارة وجود حملة المشار إليه إي الأبعاض المترتّبة وجوداً بل يكفي وجود بعض الإشارة حقيقة و وجود بعض حكماً و يحتمل أن يكون المشار إليه هنا الآية السابقة من قوله : « ياأيّها الذين آمنوا ، إلخ» فإنّ لفظ القرآن كما يطلق على المجموع يطلق على البعض منه حقيقة بالاشتراك أو باللغة أو مجازاً بالعلاقة فيكون التذكير باعتبار تذكير المشار إليه .

[على جبل] من الجبال وهي ستّة آلاف وستمّائة و ثلاثة و سبعون جبلاً سوى التلول كما في زهرة الرياض .

[لرأيته خاشعاً] يا من شأنه الرؤية أو لرأيته يا محمّد مع أنّ شأن الجبل القسوة و الصلابة خاضعاً ذليلاً و الفرق بين الخشوع و الخضوع أنّ الخشوع انقياد الباطن للحقّ و الخضوع انقياد الظاهر له وقيل : الخضوع في البلدان و الخشوع في الصوت و البصر و أكثر ما يستعمل في القلب بسبب ضراعة القلب [متصدّعاً من خشية الله] أي متشققاً من أن يعصيه فيعاقبه و الصدع شقّ في الأجسام الصلبة كالزجاج و الحديد و الصخر و المراد علوّ شأن تأثير القرآن لما فيه من المواعظ و توبيخ الإنسان على عدم تخشّعه و قسوة قلبه عند تلاوته .

و حاصل المعنى أنّه لو ركّب في الجبل عقل و شعور كما ركّب فيكم أيّها الناس ثمّ أنزل عليه القرآن و وعد وواعد كما وعدتم و أوعدتم لخشع و تصدّع من خشية الله و أنتم لا تنفعلون و هذا البيان مثل قولك لمن تعظه و لا تنجع فيه وعظك : لوكانت هذا الحجر لأثّر فيه .

[و تلك الأمثال] إشارة إلى هذا المثل و إلى أمثاله في مواضع القرآن و المثل

حقيقة عرفيّة في القول المشهور السائر و يستعار لكلّ أمر غريب [نضربها للناس] و نبيّنها لهم [لعلّهم يتفكّرون] فيما ينفعهم و يتذكّرون به قال النبيّ ﷺ : أعطوا أعينكم حظّها من العبادة قالوا : ما حظّها من العبادة قال : النظر في المصحف والتفكّر فيه و الاعتبار عند عجائبه .

قال بعض العلماء : من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو و من لم يكن سكوته تفكّراً فهو سهو ومن لم يكن نظره عبرة فهو لهو و التفكّر إمّا أن يكون في الخالق أو الخلق و الأوّل إمّا في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله أمّا في ذاته فممنوع لأنّه لا يعرف الله إلّا الله إلّا أن يكون التفكّر في ذاته باعتبار عظمته و جلاله من حيث وجود الواجب و امتناع المكان و الصمديّة الّتي هي الاستغناء عن الكلّ وأمّا في صفاته فهو فيها باعتبار كمالها بحيث يحيط علمه بجميع المعلومات و قدرته بجميع الأشياء و نحو ذلك و أمّا في أفعاله فهو فيها بحسب شمولها و وقوعها على الوجه الأتمّ كلّ يوم هو في شأن والثاني إمّا أن يكون فيما كان من العلويّات و السفليّات أو فيما سيكون من أهوال القيامة و أحوال الآخرة إلى أبد الآباد مثل أن يتفكّر في وعد الله بالثواب فيتولّد منه الرغبة في الطاعة و إمّا في وعيد الله بالعقاب فيتولّد منه الرهبة من المعصية و إمّا في تفريط نفسه في جنب الله فيتولّد منه الندامة و التوبة .

[هو الله الّذي لا إله إلّا هو عالم الغيب و الشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله لا إله إلّا هو الملك] في سورة الحشر خواصّ بعض أسماء الحسنى و كلمة « هو » في أصل وضعه كناية عن المفرد المذكّر الغائب و كثيراً ما يكنّى به عن من لا يتصوّر فيه الذكورة و الأنوثة كما هو ههنا فإنّه راجع إلى الله و هو مبتدء و خبره لفظة الله أي هو المعبود بالحقّ المسمّى بالله الدالّ على جلال الذات و كمال الصفات فبهذا التعبير لا يلزم أن يتّحد المبتدء و الخبر بأن يكون التقدير الله الله حتّى لا يصحّ الحمل فحصل التغاير الاعتباريّ أو «الله» بدل من هو الموصول مع صلته خبر المبتدء أو «هو» إشارة إلى الشأن والله مبتدء و«الّذي لا إله إلّا هو» خبر و الجملة خبر ضمير الشأن و « إله » مبنيّ على الفتح مرفوع المحلّ على الابتداء و « لا » لنفي الجنس أي جنس المعبود بالحقّ لتعدّد

الآلهة الباطلة و « إلّاهو » مرفوع على البدليّة من محلّ المنفي أو من ضمير الخبر المقدّر للا و المقدّر موجود أو ممكن .

[الملك] بفتح الميم و كسر اللام هو المتصرّف بالأمر و النهي في الجمهور وذلك يختصّ بسياسة الناطقين و لهذا يقال : « ملك الناس » و لايقال : ملك الأشياء و الأنبياء والأوصياء عبيد الملك على حسب الحقيقة لأنّهم مستغنون عن غيره تعالى و احتياج الناس كلّهم إليهم في حياتهم العاجلة و الآجلة فهم الملوك في العالم العرضي و إلّا فلا ملك للعبد قيل : و خاصيّة اسم الملك صفاء القلب فمن واظب عليه وقت الزوال كلّ يوم مائة مرّة صفا قلبه و زال كدره و من قرأه بعد الفجر مائة وإحدى وعشرين مرّة أغناه الله من فضله .

[القدّوس] هو من صيغ المبالغة من القدس و هو النزاهة و الطهارة أي البليغ في النزاهة عمّا يوجب نقصاناً و هو بالعبريّ قديسا و حقيقة القدس الاعتلاء عن قبول التغيّر وروح القدس جبرئيل لأنّه عليه السلام ينزل بما يطهّر به نفوسنا من الفيض الإلهيّ و القرآن والحكمة و بيت المقدس لأنّه يتطهّر فيه من الذنوب ، قال السهرورديّ : من قرأه كلّ يوم ألف مرّة في خلوة أربعين يوماً شمله بما يريد .

[السلام] أي ذو السلامة من كلّ آفة و نقص و عجز هو مصدر بمعنى السلامة وصف به للمبالغة نحو زيد عدل فما ورد من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : أنت السلام معناه أنت الّذي سلم من كلّ عيب و نقص و منك السلام أي الّذي يعطي السلامة و إليك السلام أي يرجع السلامة إليك و كلّ من عليها فان و خاصيّة هذا الاسم صرف الآلام و المصائب و إذا قرىء على مريض مائة و إحدى عشرة مرّة بريء أو خفّف عنه مالم يحضر أجله .

[المؤمن] والإيمان التصديق بوحدانيّة الله و هو تعالى موحّد نفسه بقوله : «شهد الله أنّه لا إله إلّا هو » و قيل : المعنى واجب الأمن و الطمأنينة للنفوس بعدم ظلمه في اُمور لأنّ الإنسان في أصل فطرته عرضة للأخطار مثل المرض و الجوع و العطش و و المحرقة و المغرقة و الجارحة و الكاسرة و لم يؤمنه من هذه المخاوف إلّا الّذي أعدّ له الأسباب الدافعة له مثل الأطعمة وأعدّها لجوعه والأشربة لعطشه و نحو ذلك فهو تعالى أمّنه ثمّ خوّفه الأعظم من هلاك الآخرة و لايحصّنه منه إلّا كلمة التوحيد والله هاديه

إليها حيث قال : لا إله إلّا الله حصني فمن دخله أمن من عذابي فلا آمن في العالم إلّا وهو مستفاد من أسباب هو متفرّد بخلقها و أحقّ العباد بهذا الاسم من كان سبباً لأمن الخلق من عذاب الله بالهداية إلى طريق الله والإرشاد إلى سبيل النجاة و بهذا المعنى أشار صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله : إنّكم تتهافتون في النار تهافت الفراش و أنا آخذ بحجزكم .

فإن قيل : هو الّذي خلق أسباب الخوف فكيف ينسب إليه الأمن ؟

فالجواب أنّ الخوف تارة للعبد من معاصيه فهو المسبّب على نفسه الخوف و قد حذّره تعالى عن العصيان فالعبد أوجب على نفسه الخوف و تارة يكون الخوف من عظمته تعالى و ذلك أمر حسن له و أمّا الأمن فمنه تعالى و كونه تعالى مخوّفاً لايمنع كونه مؤمناً كما أنّ كونه مذلّاً لم يمنع كونه معزّاً ، انتهى .

[المهيمن] قيل : عدّ هذا الاسم من أسمائه الّتي علت لعلّ معناها عن مجاري الاشتقاق فلا يعلم تأويله إلّا الله و قال بعضهم : المبالغ في الصيانة عن المضارّ من قولهم : هيمن الطائر إذا نشر جناحه على فرخه حماية له و يؤول معناه إلى الرقيب الحافظ و قيل : معناه الشاهد و منه قوله تعالى : « ومهيمناً عليه » و قيل : مفيعل من الأمن وأصله مؤامن بهمزتين قلبت الهمزة الثانية ياء لكراهة اجتماعهما فصار مؤيمن ثمّ صيّرت الأولى هاء كما قالوا في أراق الماء و الدم : هراقه فيكون حينئذ بمعنى المؤمن .

حكي أنّ ابن قتيبة لمّا قال في المهيمن : إنّه مصغّر من مؤمن و الأصل مؤيمن فاُبدلت الهمزة هاء قيل له : هذا يقرب من الكفر فليتّق الله قائله لأنّ فيه ترك التعظيم و قد قيل : إنّه من أسماء الله في الكتب القديمة و قيل : إن خاصيّة هذا الاسم الإشراف على البواطن و الأسرار ومن قرأ مائة مرّة بعد الغسل و الصلاة في خلوة بجمع خاطر نال مانوى و نافذ للنسيان .

[العزيز] الغالب في حكمه أو من عزّ عزازه إذا قلّ والمراد عديم المثل وخاصيّة هذا الاسم الغنى و العزّ صورة أو معنى فمن ذكره أربعين يوماً في كلّ يوم أربعين مرّة أعزّه الله ولم يحوجه إلى أحد ، وفي الأربعين الإدريسيّة يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله من قرأ سبعة أيّام متواليات كلّ يوم ألفاً أهلك خصمه و إن ذكره في

وجه العسكر سبعين مرّة و يشير إليهم بيده فإنّهم ينهزمون .

[الجبّار] الّذي قهر خلقه أو أصلح حالهم و سمّي الّذين يدّعون أنّ الله يكره العباد على للماصي في عرف المتكلّمين بالمجبّرة وفي قول المتقدّمين : جبريّة و في وصف الله بالجبّار على أنّه يجبر الناس على ماهو المصلحة لهم من مرض أوموت و بعث و فقر و نحو ها و خاصيّة هذاالاسم الحفظ من ظلم الجبابرة يذكر عشر صباحاً و مساء إحدى و عشرين مرّة .

[المتكبّر]الّذي تكبّر عن كلّ مايوجب حاجة و نقصاناً أي إنّه المبالغ في الكبرياء والعظمة أقصى المراتب و الّذي تكبّر عن كلّ ما يوجب حاجة ونقصاناً وصيغة التفعّل للتكليف بما لم يكن فإذا قيل : تكبّر وتسخّى دلّ على أنّه يري و يظهر الكبر و السخاء و ليس بكبير و لاسخيّ والتكليف بما لم يكن لمّا كان على الله مستحيلاً حمل على لازمه و هو كمال الكبر و منه ترحّمت على إبراهيم بمعنى رحمة كمال الرحمة و الفرق بين المتكبّر أنّ المتكبّر عامّ لإظهار الكبر الحقّ كما وصف الله و لإظهار الكبر الباطل كما في قوله : « سأصرف عن آياتي الّذين يتكبّرون في الأرض بغير الحقّ » والاستكبار إظهار الكبرياء باطلاً كما في حقّ إبليس استكبر .

فإن قيل : إنّ التكبّر صفة ذمّ فكيف جعل من أسماء الله ؟

فالجواب أنّ التكبّر هو الامتناع عن الانقياد فلهذا كان مذموماً في حقّ الخلق و هو صفة مدح في حقّ الله لأنّه يفيد الاستغناء و المتكبّر هو الّذي يرى غيره حقيراً بالنسبة إلى شخصه و هذا المعنى لايتصوّر إلّا لله فهو المتكبّر و خاصيّة هذا الاسم ظهور الخير و البركة .

[سبحان الله عمّا يشركون] تنزيه له تعالى عن إشراكهم أي سبحّوا الله تسبيحاً ونزّهوه تنزيهاً عمّا يشركه الكفّار به من المخلوقات .

[هو الله الخالق] المقدّر للأشياء على مقتضى حكمته و معنى الحقّ التقدير يقال : خلق النعل إذا قدّرها وسوّاها بمقياس و خاصيّة هذا الاسم إذا ذكر في جوف الليل ساعة فما فوقها يتنوّر قلب الذاكر و يذكر لجمع الضايع و الغايب خمسة آلاف مرّة .

[البارىء المصوّر] الموجدللأشياء حالكون الأشياء بريئة من التفاوت والنقصان بحيث لايجوز أن يزيد عليها أو ينقص منها على حسب ما يقتضيه المصلحة مثل أن يكون اللازم من السماوات أن تكون في الخلقة عالية و الأرض سافلة المصوّر لصور الأشياء بالشكل المخصوص و مميّزها عن غيرها و قوله صلى الله عليه وآله وسلم : خلق الله آدم على صورته أراد بالصورة ماخصّ الإنسان به و لورجع الضمير إليه تعالى فمن قبيل إضافة التشريف مثل بيت الله و ناقة الله لاعلى سبيل التشبيه و البعضيّة تعالى شأنه عن الصورة و الصورة الإلهيّة عبارة عن الصفات السبع المرتّبة و هي الحياة و العلم و الإرادة والقدرة والسمع و البصر و الكلام وآدم مظهر هذه الصفات بالفعل دون سائر الموجودات .

بالجملة فقد يظنّ أنّ هذه الأسماء مترادفة و الكلّ يرجع إلى معنى و ليس كذلك بل « الخالق »في الأسماء المقدّر على وجه الحكمة « البارىء » الموجد علىذلك التقدير « و المصوّر » المبدع لأشكال المحدثات بحيث يترتّب عليها خواصّها و كلّ ما يخرج من العدم إلى الوجود يفتقر إلى التقدير أوّلاً و إلى الإيجاد على وفق التقدير ثانياً و إلى التصوير بعد الإيجاد ثالثاً فقدّم سبحانه ذكر الخالق على البارىء لأنّ الإرادة و التقدير متقدّمة على تأثير القدرة وقدّم البارىء على المصوّر لأنّ إيجاد الذات متقدّم على إيجاد الصفات و لوأنّه تعالى يوجّه الأشياء بتمامها أقلّ من طرفة عين إذا أراد لكن صورة الترتيب كما وصف الله نفسه تعالى .

[له الأسماء الحسنى] لدلالتها على المعاني الحسنة و الحسنى تفضيل الأحسن مؤنّثاً كالعليا في تأنيث الأعلى إذلانسبة لأسمائه إلى غيرالأسماء كما لانسبة لذاتهالمتعالية إلى ذوات الغير و تعدّد الأسماء لا يدلّ على تعدّد المسمّى كما أنّ الواحد يسمّى أباً من وجه وجدّاً من وجه و خالاً من وجه و عالماً من وجه وطبيباً من وجه .

و قيل : إنّ أسماء الله أربعة آلاف اسم ألف منها في القرآن و الأخبار و ألف في التوراة و ألف في الإنجيل و ألف في الزبور قال رسول الله في دعائه : أسألك بكلّ اسم سمّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علّمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب فعلىهذا كون أسماء الحسنى تسعة و تسعين ـ على ما قيل ـ بالنظر إلى الأشهر

الأشرف .

قال بعض أهل الذكر : إنّ من السرّ المكتوم في الأسماء أن يأخذ حروف الأسماء مثل قولك : الكبير المتعال ولايأخذ الألف و اللام بل يأخذ كبير متعال و ينظر كم لها من العدد بالجمل الكبير فتذكّر ذلك العدد في خلوة بالشرائط المعتبرة عند أهل الذكر من الطهارة و أمثالها لايزيد عن العدد و لا ينقص لأنّ العدد في الذكر بالأسماء كأسنان المفتاح و إنّها إذا زادت أو نقصت لاتفتح الباب فإنّه يستجاب لك و هو الكبريت الأحمر فضنّ الدرّ وافهم السرّ .

و اعلم أنّ إطلاق الاسم على الله توقيفيّ عندالأكثر و لايصحّ إطلاقه إلّا بعد أن كان وارداً في القرآن أو الحديث الصحيح و قيل : كلّ لفظ دلّ على جلالة الله و يليق به جائز الإطلاق و إلّافلا و استدلّوا بقوله تعالى : « و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها » فكلّ اسم دلّ على هذه المعاني كان اسماً حسناً و إنّه لافائدة في الألفاظ إلّا رعاية المعاني فإذا كانت المعاني صحيحة كان المنع من إطلاق اللفظ المقيّد غير لائق .

[يسبّح له ما في السماوات و الأرض] ينطق بتنزّهه عن جميع النقائص الأشياء إمّا نطقاً و بياناً و إمّا برهاناً و خلقاً لأنّ وجود كلّ موجود ينطق في عالم الصورة أو المعنى على قدرته لأنّ ذلك الموجود شاهد قدرته .

[هو العزيز الحكيم] الغالب على أمره الحكيم العالم بحقيقة الأشياء على ماهي عليه و هي أنفس المعارف و أكثرها خيراً كما قال : « و من يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً [١] » والإنسان إذا حصل له الحكمة لاينبغي له أن يفتخر بذاته بل بصفاته ولا ينبغي أن يمدح نفسه إلّا على مصلحة دينه و الفخر بالذات لايكون إلّا لله و هذا كما قال سبحانه : « قل إنّما أنا بشر مثلكم [٢] » لكنّ الترتّب و المزايا بالأوصاف ولذا ذكر سبحانه شرف التربة و الوصف بقوله : « يوحي إليّ » و قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : أنا سيّد ولد آدم و لا فخر أي لا افتخر عليكم بالسيادة و إنّما أفتخر بالعبودية فإذا كان هذا كلام

(١) البقرة : ٢٦٩ .

(٢) الكهف : ١١١ .

النبيّ ﷺ و هو أكمل الكاملين في الإمكان فكيف يجوز أن يمدح الناقص نفسه فمدحه لنفسه سمّ قاتل ينبيء عن العجب و شهادة الزور لجهله بمقامه عندالله هل هو مقبول أو مردود.

فائدة اعلم أنّ الحكمة الشريعة المحمّديّة هي الحكمة الكاملة الّتي نحن مأمورون بامتثالها و إنّما الأولى لنا أن نسكت عن أُمور يدقّ عن أفهامنا من العلوم الغامضة في علم الكلام مثلاً مثل أنّ الصفات الثابتة هل هي موجودات بوجودات مستقلّة غير وجوده أو لا ومثل أنّ الوجود هل هو واحد والله سبحانه هو ذلك الوجود و سائر الموجودات مظاهر له و لا وجود لها بالإستقلال أوله وجود زائد على ذاته واجب لها مقتضية هي إيّاه و أمثال هذه المباحث و أنّ ما أبهم علمه فالأدب فيه السكوت بعد الإيمان بالقرآن و الحديث فإنّ المرء لايسأل إلّا عن علم لزمه في إقامة الطاعة لمولاه بل لا يجوز أن يناظر أحد في ذات الله بل في صفاته المتعالية عن القياس.

و في الحديث إنّ هلاك هذه الأمّة إذا نطقوا في ربّهم و إنّ ذلك من أشراط الساعة فإنّه ﷺ يخرّ ساجداً متى ما سمع ما يتعالى عنه ربّ العزّة و لايجيب السائل عن ذلك إلّا بمثل ما جاء به القرآن في آخر سورة الحشر من ذكر أفعاله و صفاته و لا يدقّق الكلام فيه تدقيقاً فإنّ ذلك من الشيطان و ضرر ذلك و فساده أكثر من نفعه حتّى قيل: إنّه ما في فرق الإسلاميّة أسوء حالاً من المتكلّمين لأنّهم ادّعوا معرفة الله بالعقل على حسب ما أعطاهم نظرهم القاصر و الحقّ منزّه عن أن يدرك أو يعلم بأوصاف خلقه عقلاً كان أو علماً فإنّ الله ما جعل الحواسّ الظاهرة و الباطنة طريقاً إلّا إلى معرفة المحسوسات و العقل بلاشكّ منها فلا يدرك الحقّ بها لأنّه تعالى ليس بمحسوس و لا بمعلوم معقول و طريق المعرفة من طريق ما بيّنه القرآن و الرسل.

و الفاضل محمّد الشهرستاني صاحب كتاب الملل و النحل كان من كبار المتكلّمين و فحولهم وله مباحث كثيرة في علم الكلام حتّى قيل في حقّه: لم يسبق إليه سواه ثمّ انتهى إلى العجز و تحيّر في الذات حتّى رجع إلى مذهب العجائز فقال: عليكم بدين العجائز فإنّه أسنى الجوائز و أنشد:

لقد طفت في تلك المعاهد كلّها ※ و سيّرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلّا واضعاً كفّ حائر ※ على ذقن أو قارعاً سنّ نادم
أتيت بيوتاً لم تنل من ظهورها ※ و أبوابها عن فرع مثلك سدّت

و الوجه الأصح أن يعتقد العبد الدين الّذي جاء به محمد ﷺ و دعا إليه و لا يدخل إليه شيئاً من نظر عقله لا في تنزيه و لا في تشبيه بل يؤمن بكلّ آية جاءت في القرآن في ذاته و صفاته تعالى و يكل علمه إلى الله و هذا هو الطريق الصحيح و على ذلك كانت الصحابة و السالفون الصالحون و من طلب غير ذلك كان على خطر في المآل لأنّ فهم مثل هذه الأمور عسر لأنّا نرى أنّ العقلاء اختلفوا في الله و في الأدلّة ووقع بينهم اختلاف كثير في مثل هذا الأمر فالمعتزليّ يخالف الأشعريّ بل يكفّره وبالعكس و هم يخالفون الحكماء و بالعكس و كلّ طائفة تجهّل الأخرى وتكفّرها فعلم أنّ سبب ذلك هو اختلاف نظرهم و رأينا الأنبياء لم يختلف منهم اثنان في الله قطّ و كلّ دعوا إليه تعالى على باب واحد و كان اختلافهم في الفروع و ذلك بحكم الله في فصولها كما قال الله : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً و الّذي أوحينا إليك و ما وصّينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرّقوا فيه [1] » فقوله « و لا تتفرّقوا » دليل على اجتماعهم على أمر واحد في الأصول و اختلاف الفروع لايضرّ .

هذا آخر كلام الشيخ صدر الدين في رسالته المعمولة وصيّة للطالبين وعظة للراغبين .

و في عين المعاني قال ﷺ : سألت جبرئيل عن اسم الله الأعظم فقال : عليك بآخر الحشر فاكثر قراءته فأعدت عليه فاعاد عليّ .

و عن أبي أمامة يقول : قال رسول الله : من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار
فقبض ذلك اليوم أو الليلة فقد استوجب الجنّة و في رواية من قرء
سورة الحشر فان مات في يومه أو ليلته مات شهيداً
أي يثاب ثواب الشهادة على مرتبته و
للشهادة مراتب. تمت السورة بعون الله

(١) الشورى : ١٣ .

سورة الممتحنة

☼(مدنية)☼

و سمّيت سورة المودّة .

أبو حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين قال : من قرأ هذه الصورة في فرائضه و نوافله امتحن الله قلبه للإيمان ونوّر بصره ولايصيبه فقر ولاجنون . افتتح سبحانه هذه السورة بذكر تحريم موالاتهم و أيجاب معاداتهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى و عدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة و قد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول و اياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة و انا اعلم بما اخفيتم و ما اعلنتم و من يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل (١) ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء و يبسطوا اليكم ايديهم و السنتهم بالسوء و ودوا لو تكفرون (٢) لن تنفعكم ارحامكم و لا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير (٣) قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم و الذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم و مما تعبدون من دون الله كفرنا بكم و بدا بيننا و بينكم العداوة و البغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك و ما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا و اليك انبنا و اليك المصير (٤) ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا و اغفرلنا ربنا انك انت العزيز الحكيم (٥) .

سمّيت السورة ممتحنة لقوله : «يا أيّها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهنّ» فاُضيفت السورة إليها .

[يا أيّها الذين آمنوا] نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة العبسي - بالحاء المهملة - و كان حاطب يبيع الطعام و كان من المهاجرين و أصل القصّة أنّه لمّا تجهّز النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لغزوة الفتح في السنة الثامنة من الهجرة كتب حاطب إلى أهل مكّة إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريدكم فخذوا حذركم فإنّه توجّه إليكم في جيش كالليل و أرسل الكتاب مع امرأة يقال لها «سارة» و أعطاها عشرة دنانير و بردة و توجّهت إلى مكّة و معها كتاب حاطب .

فنزل جبرئيل و أخبره صلى الله عليه وآله وسلم فبعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً وعمّاراً و طلحة والزبير و المقداد و أبا مرثد و قال : انطلقوا حتّى تأتوا خاخ موضع بين الحرمين فإنّ بها ظعينة ـ و الظعينة المرأة مادامت في الهودج و إذا لم تكن في الهودج فهي المرأة ـ معها كتاب حاطب فخذوه منها و خلّوها فإن أبت فاضربوا عنقها فادركوها ثمّة فجحدت فسلّ عليّ عليه السلام سيفه فاخرجته من عقاصها .

(و روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمن جميع الناس يوم فتح مكّة إلّا أربعة هي أحدهم فأمر بقتلها) .

فاستحضر حاطباً فقال : ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت و لاغششتك منذ نصحتك و لكنّي كنت امرءاً حليفاً مع قريش ولم أكن منهم ، ومن معك من المهاجرين كان لهم فيهم قرابات يحمون أهاليهم و أموالهم و ليس لي من يحميني فأردت أن آخذ عندهم يداً و لم أفعله كفراً وارتداداً عن ديني و قد علمت أنّ كتابي لايغني عنهم شيئاً فصدّقه رسول الله و قبل عذره و قال صلى الله عليه وآله وسلم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم و إنّ حاطب ادّعى لعمله الفاسد تأويلاً فقبل منه و العذر عند كرام الناس مقبول انتهى .

قوله : « يا أيّها الّذين آمنوا » خاطب سبحانه المؤمنين و نهاهم أن يتّخذوا الكافرين أولياء يوالونهم ويستنصرون بهم وينصرونهم [تلقون إليهم بالمودّة] الودّ تمنّي كون الشيء و محبّته و يستعمل في كلّ من المعنيين أي توصلون محبّتكم بالمكاتبة و الهدية و نحوها من الأسباب المقتضية للمودّة و الباء زائدة مثل « بأيديكم إلى التهلكة» [و قد كفروا بما جاءكم من الحقّ] حال من فاعل « يلقون » و الحق القرآن أودين الاسلام أو النبيّ .

[يخرجون الرسول و إيّاكم] حال من فاعل كفروا أي مخرجين الرسول و إياكم من مكّة و المضارع لاستحضار الصورة [ان تؤمنوا بالله ربّكم] تعليل للإخراج أي لعلّة إيمانكم بالله خالقكم و مدبّركم [إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي و ابتغاء مرضاتي] أي لاتتولّوا أعدائي إن كنتم أوليائي و تبتغون مرضاتي و تجاهدون في سبيلي

لأنّكم إن كنتم خرجتم عن أوطانكم لأجل هذين الأمرين فلا ينبغي معهم التصادق . و المرضاة مصدر كالرضى .

[تسرّون إليهم بالمودّة] استيناف وارد على جهة التوبيخ كأنهم سألوا ماذا صدر عنّا ؟ فقيل : تلقون إليهم بالمودّة سرّاً [و أنا أعلم] حال من فاعل « تسرّون » [بما أخفيتم و ما أعلنتم] من مودّة الأعداء .

[و من يفعله منكم] و يتّخذ المنهيّ عنه [فقد ضلّ سواء السبيل] و أخطأ طريق الحقّ و الصواب و « من » من إضافة الصفة إلى الموصوف .

[إن يثقفوكم] و الثقف الحذق في إدراك الشيء أي إن يتمكّنوا منكم و يظفروا بكم [يكونوا لكم أعداء] يرتبوا عليكم مايقتضي عداوتهم إيّاكم ولاينفعكم إلقاء المودّة إليهم [و يبسطوا] و يطيلوا [إليكم أيديهم و ألسنتهم بالسوء] و بما يضرّكم من القتل و الأسر والشتم .

[و دّوا لو تكفرون] كلمة لو مصدريّة بمعنى أن و تمنّوا ارتداد كم و كونكم مثلهم كقوله : « و لن ترضى عنك اليهود و لا النصارى حتّى تتّبع ملّتهم » .

[لن تنفعكم أرحامكم] الرحم في الأصل وعاء الولد في بطن اُمّه فاستعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة [و لا أولادكم] الّذين يوالون المشركين لأجلهم و يتقرّبون إليهم محاماة عليهم .

[يوم القيامة] يوم يفرّ المرء من أخيه بجلب نفع أو دفع ضرّ والظرف متعلّق لقوله : « لن ينفعكم » فيوقف عليه ثمّ يبتدء بما بعده [يفصل بينكم] و يفرق بين الوالد و الولد بما يعتريكم من أهوال القيامة و يدخل أهل طاعته الجنّة و أهل معصيته النار . [والله بما تعملون بصير] فيجازيكم بحسبه .

[قد كانت لكم] أيّها المؤمنون [اُسوة حسنة] الاُسوة كالقدوة هي الحالة الّتي يكون الإنسان عليها في اتّباع غيره حسناً كان أو قبيحاً و اُسوة اسم كانت و لكم خبرها [في إبراهيم و الّذين معه] أي من أصحابه من المؤمنين ولي بك اُسوة أي اقتداء

في سنّتك و أقوالك و أفعالك و قيل : المراد من الّذين مع إبراهيم الأنبياء الّذين كانوا قريباً من عصره لأنّه لم يرد أنّ إبراهيم كان له أتباع مؤمنون في مكافحة نمرود حتّى قيل : إنّه عليه السلام قال لسارة حين رحل بها إلى الشام مهاجراً بلادنمرود: ماعلى الأرض من يعبدالله غيري و غيرك .

[إذ قالوا لقومهم]الكفّار: [إنّابرءاء منكم]جمع بريء أي برءاء منكم كظريف و ظرفاء [و ممّا تعبدون من دون الله] من الأصنام أظهروا البراءة أوّلاً منهم مبالغة و ثانياً من عملهم الشرك و حاصل الآية هلاّفعلتم كما فعل إبراهيم حيث تبرّء من عمّه و قومه لكفرهم [كفرنابكم] أي بدينكم على إضمار المضاف [و بدابيننا] أي ظهرظهور بيننا و البادية كلّ مكان يبدو مايعقّ و يعرض فيه و بيننا ظرف لبدا [و بينكم العداوة و البغضاء أبداً] أي هذاذأبنامعكم لانتركه و قد حصل بيننا و بينكم العداوة [حتّى] غاية لبدا [تؤمنوا بالله وحده] و تتركوا ما أنتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ الولاية و المقت مقة و الوحشة اُلفة .

[إلّا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك] أي اقتدوا وتأسّوا بإبراهيم في كلّ اُموره إلّا في هذا القول فلا تقتدوا به فيه فإنّه إنّما استغفرلأبيه عن موعدةوعدها إيّاه بالإيمان فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله تبرّء منه قال الحسن : و إنّما تبيّن له ذلك عند موت أبيه و لولم يستثن ذلك لظنّ أنّه يجوز الاستغفار للكفّار مطلقا من غيرموعدة بالإيمان منهم فنهوا لمن يقتدوا به في هذا خاصّة و قيل : كان آزر ينافق إبراهيم و يريه أنّه مسلم فيستغفر له و حاصل معنى الكلام والاستثناء أنّ استغفار إبراهيم لأبيه لا يحملنّكم على أن تتأسّوابه و تستغفرون للكفّار فذلك ممنوع لكم و أمّا استغفاره فكان لهذه الجهة ظنّاً منه أنّه مسلم أو سيسلم .

[و ما أملك لك من الله من شيء] بقيّة قول إبراهيم أي أستغفر لك و ليس في قدرتي دفع العذاب عنك إن لم تؤمن [ربّنا عليك توكّلنا] اعتمدنا [و إليك أنبنا] و رجعنا [و إليك المصير] و الرجوع في الآخرة و تقديم الجارّ و المجرور لقصر الإنابة و التوكّل عليه .

[ربّنالا تجعلنا فتنةللّذين كفروا] من بقيّة كلام إبراهيم و من معه أي لاتسلّطهم علينا فيفتنونا بعذاب لانطيقه فالفتنة بمعنى المفتون أو المعنى لاتقتر علينا الرزق و تبسط عليهم فيظنّوا أنّا على الباطل [و اغفرلنا] ما فرط منّا من التقصير [ربّنا] تكرير النداء للمبالغة في التضرّع فيكون لاحقاً بما قبله كما عليه السجاوندي حيث وضع علامة الوقف الجائز على ربّنا و تلك العلامة الجيم و قيل : ربّنا استيناف لما بعده توسّلاً إلى إثبات العزّة والحكمة [إنّك أنت العزيز الحكيم] الغالب في أمره الحكيم في أفعاله.

قوله تعالى : لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوالله و اليوم الاخر و من يتول فان الله هو الغنى الحميد (٦) عسى الله ان يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم (٧) لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين (٨) انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين و اخرجوكم من دياركم و ظاهروا على اخراجكم ان تولوهم و من يتولهم فاولئك هم الظالمون (٩) .

تكرير للمبالغة في الحثّ على الاتّساء بإبراهيم ومن معه من الأنبياء أو أمر الاتّساء في الآية السابقة بالقول وفي هذه الآية في الفعل و قيل : في الأولى التأسّي به في العداوة مع الكفّار و في الثانية في الخوف و الخشية من الله لتنالوا ثواب مانالوا [لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر] بالإيمان به تعالى و التصديق بالقيامة و وقوعها و الرجاء و الخوف و توقّع محبوب و خوف مكروه عن أمارات مظنونة و الرجاء أيضاً يستعمل في الخوف مجازاً .

[و من يتولّ فإنّ الله هو الغنيّ الحميد] أي و من يعرض عند الاقتداء بهم في التبرّي عن الكفّار و الاهم فإنّ الله مستغن عن خلقه و مستحقّ للحمد في ذاته و في الحديث القدسيّ من صحاح الأحاديث يا عبادي لو أنّ أوّلكم و آخركم و إنسكم و جنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئاً و إذا كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكي شيئاً ياعبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم

و إنسكم و جنّكم قاموا في صعيدواحد فسألوني فأعطيت كلّ إنسان مسألته مانقص ذلك من عندي إلّا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر يا عبادي إنّما هي أعمالكم اُحصيها لكم ثمّ اُوفيكم إيّاها فمن وجد خيراً فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه .

[عسى الله أن يجعل بينكم و بين الّذين عاديتم منهم] أي من أقاربكم المشركين و عسى و لعلّ في القرآن وعد من الله و تذكرة ليكون الإنسان منه على رجاء لا بمعنى أنّه تعالى راج . قوله : [مودّة] بأن يوافقوا كم في الدين و قد أنجز وعده حين أتاح لهم الفتح فأسلم منهم جمع و كانوا أعداء أشدّ العداوة ووقع بينهم التحابب و التصافي [والله قدير] مبالغ في القدرة [والله غفور رحيم] فيغفر لمن أسلم من المشركين أوغفور لما فرط منكم في موالاة أعداء الله بشرط إيمانكم و في الحديث من نظر إلى أخيه المؤمن مودّة لم يكن في قلبه إحنة لم يطرف حتّى يغفر الله لهما تقدّم من ذنبه .

[لاينها كم الله عن الّذين لم يقاتلو كم في الدين] أي لاينها كم الله عن مودّة الّذين لم يقاتلوكم و عاهدوكم على ترك القتال و لم يقاتلوكم على الدين [و لم يخرجو كم من ديار كم أن تبرّوهم] بدل الاشتمال عن الموصول و برّهم أن تعاملوهم بالعدل [و تقسطوا إليهم] أي تعدلوا فيما بينكم و بينهم من الوفاء بالعهد .

و قيل : إن المسلمين استأذنوا النبيّ في أن يبرّوا إلى أقربائهم من المشركين و يحسنوا إليهم و ذلك قبل أن يؤمروا بقتال جميع المشركين فنزلت هذه الآية و هي منسوخة بقوله : « فاقتلوا المشركين حيث وجد تموهم (١) » و قيل : إنّه عنى بالّذين لم يقاتلوكم من آمن من أهل مكّة و لم يهاجر و قيل : هي عامّة في كلّ من كان بهذه الصفة . والّذي عليه الإجماع أنّ برّ الرجل من يشاء قرابة كان أو غير قرابة ليس بمحرّم و إنّما الخلاف في إعطائهم الزكاة و الفطرة و الكفّارات و حاصل الكلام أنّكم غير منهيّين عن أن تبرّوا الّذين لم يقاتلوكم .

[إنّ الله يحبّ المقسطين] العادلين وقيل : المعنى : إنّ الله يحبّ الّذين يجعلون لقراباتهم قسطاً ممّا في بيوتهم من المطعومات و قيل : إنّ قوله : « لاينها كم الله ، الآية »

(١) التوبة : ٦ .

نزلت في قوم من خزاعة كانوا معاهدين مع رسول الله و لم يقصدوا بالمسلمين بسوء و ما نصروا أعداء النبيّ فنزلت الآية فيهم و القسط إذاكان بمعنى الجور فالإقساط بمعنى إزالة الظلم و الهمزة للسلب مثل أشكيته ، و من أزال الظلم اتّصف بالعدل .

[إنّما ينهاكم الله عن الّذين قاتلوكم في الدين] و إطفاء نوره [و أخرجوكم من دياركم] و هم عتاة مكّة و جبابرتهم [و ظاهروا على إخراجكم] و عاونوا الجبابرة في إخراجكم [أن تولّوهم] بدل من الموصول أي إنّما ينهاكم عن أن تتولّوهم .

[و من يتولّهم] و يتوادّهم [فأُولئك هم الظالمون] لوضعهم الولاية في موضع العداوة بتعريض أنفسهم للعذاب وأورد كلمة الحصر تغليظاً و لكنّ المبرّة غيرالموالاة و الموالاة للكافر غير جائز إجماعاً و المبرّة أيضاً لغير المقاتل و للمقاتل غير جائزة .

قوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتوهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن و آتوهم ماانفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن و لا تمسكوا بعصم الكوافر و اسئلواما انفقتم و ليسئلوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم (١٠) و ان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما أنفقوا و اتقوا الله الذى انتم به مؤمنون (١١) .

النزول : قال ابن عبّاس : صالح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالحديبية مشركي قريش على أنّ من أتاه من أهل مكّة ردّه عليهم و من أتى من أصحاب رسول الله فهولهم و لم يردّوه و كتبوا بذلك كتاباً و ختموا عليه كما سبق شرحه فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلميّة مسلمة بعد الفراغ من الكتاب و النبيّ بعد بالحديبية فأقبل زوجها رجل من بني مخزوم و كان كافراً فقال : يا محمّد اُردد إليّ امرأتي فإنّك قد شرطت لنا أن تردّ علينا من أتاك منّا و هذه طينة الكتاب لم تجفّ بعدوفنزلت الآية « يا أيّها الّذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات » من دار الكفر إلى دارالإسلام « فامتحنوهنّ » .

قال ابن عبّاس : امتحانهنّ أن يستحلفن أنّها ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا التماس دنياً و ماخرجت إلّا حبّاً لله و لرسوله فاستحلفهارسول الله

فحلفت بالله الّذي لا إله إلّا هو على ذلك فأعطى رسول الله صلّى الله عليه وآله زوجها مهرها و ماأنفق عليها و لم يردّها عليه فكان رسول الله يردّ من جاءه من الرجال و يحبس من جاءه من النساء إذا امتحنّ و يعطي أزواجهنّ مهورهنّ انتهى .

المعنى : [إذا جاءكم المؤمنات] و لعلّ التسمية بالمؤمنات لكونهنّ كذلك في علم الله و ذلك لا ينافي الامتحان لغيره [مهاجرات] حال من المؤمنات [فامتحنوهنّ] و اختبروهنّ أنّ قلوبهنّ موافقة للسانهنّ في الإيمان [الله أعلم بإيمانهنّ] منكم و الجملة اعتراض .

[فإن علمتوهنّ] بعد الامتحان [مؤمنات] العلم الّذي يمكنكم تحصيله وهو الظنّ الغالب بالحلف و ظهور الأمارات وإنّما سمّاها علماً إشعاراً بأنّه جار مجرى العلم في وجوب العمل به ففي علمتوهنّ استعارة تبعيّة [فلا ترجعوهنّ إلى الكفّار] ولاتردّوهنّ إلى أزواجهنّ الكفرة .

[لاهنّ حلّ لهم ولاهم يحلّون لهن] تعليل للنهي عن ردّهنّ إليهم لأنّه لاتحلّ مؤمنة لكافر لشرف الإيمان و لايجوز أن ينكح كافر مسلمة .

[و آتوهم ما أنفقوا] و أعطوا أزواجهنّ مثلما دفعوا إليهنّ من المهور و الشرط في الحديبية إنّما كان للرجال دون النساء لضعف النساء عن الدفع عن أنفسهنّ وعجزهنّ لكنّ المقيمة منهنّ على شركها مردودة عليهم و في الآية إيذان بأنّ الولي كائناً من كان لا يجوز له تزويج مؤمنة له ولاية عليها بمبتدع في الدين بحيث تفضي بدعته إلى الكفر فضلاً عن الكافر .

اقول : و لعلّ أن يكون بعض المتصوّفة من أهل زماننا داخلاً في هذا الحكم لأنّ بعضهم يدّعون القطبيّة العظمى وبسبب هذا العنوان يغيّرون بعض الفروعات من العبادات إلى ما لا ينبغي فعله أو تركه و ليست البدعة إلّا أمثال هذه الاُمور و لاشكّ أنّ القطبيّة لا يحصل إلّا لمن جعله الله قطباً لمدار أمر العالم و ذلك مختصّ بالنبيّ و الوليّ المنصوص عليه من قبل النبيّ خاصّة فادّعاؤهم هذا الأمر ليس إلّا كذباً محضاً و خارجاً عن الحكمة الإلهيّة و يؤول إلى تحريف الدين وتأسيس اُمور محرّفة عن وضعها

و هذه هي البدعة بل من أشراط الساعة لأن القيامة من أشراطها أن يتغير أحوال كل طائفة عاماً فعاماً شهراً فشهراً أسبوعاً فأسبوعاً يوماً فيوماً لايزال هذا التغير إلى انقراض الأخيار ولايقوم الساعة إلا على الأشرار .

و في الحديث مامن نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون يأخذون بسنته و يقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوفاً يقولون ما لايفعلون و يفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن و من جاهدهم بلسانه فهو مؤمن و من جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل .

و قال ﷺ : يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حثالة كحثالة الشعير والتمر لايبالي بهم الله وأول التغير في الأمراء ثم في العلماء ثم في الفقراء ففي كل طائفة أهل هدى و أهل هوى فكن من أهل الهدى و لاتكن من أهل الهوى أو المشبهين لهم فإن من تشبه بقوم فهو منهم و من كثر سواد قوم فهو منهم و في الحديث من أحب قوماً على فعلهم حشر في زمرتهم و حوسب بحسابهم و إن لم يعمل بعملهم انتهى .

قوله : [و لاجناح عليكم] هذا هو الحكم الثالث يقال : جنحت السفينة أي مالت إلى أحد جانبيها و الاثم المائل بالانسان عن الحق سمي جناحاً استعارة [أن تنكحوهن] أي تنكحوا المهاجرات و تتزوجوهن و إن كانت لهن أزواج كفار من أهل الحرب فإن إسلامهن حال بينهن و بين أزواجهن الكفار [إذا آتيتموهن أجورهن] إذا ظرفية أو شرطية جوابها محذوف دل عليه ما تقدمها شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيذاناً بأن ما أعطي أزواجهن لاتقوم مقام المهر لأن ظاهر النظم يقتضي إيتاءهن إيتاء إلى الأزواج و إيتاء إليهن على سبيل المهر .

[و لا تمسكوا بعصم الكوافر] هذا هو الحكم الرابع أي لا تمسكوا بنكاح الكافرات و أصل العصمة المنع و سمي النكاح عصمة لأن المنكوحة تكون في حبال الزوج و عصمته و في هذا دلالة على أنه لايجوز العقد على الكافرة سواء كانت حربية أو ذمية لأنه عام في الكوافر جمع كافرة و ليس لأحد أن يخص الآية بعابدة الوثن لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب و الكوافر طائفتان من النساء طائفة قعدت

عن الهجرة و ثبتت على الكفر في دار الحرب ارتدّت عن الهجرة و لحقت بأزواجها الكفّار و حاصل المعنى لا يكن بينكم و بين المشركات و الكافرات علقة زوجيّة .

قال بعض أهل التفسير من العامّة : المراد بالعصمة هنا النكاح بمعنى من كانت له زوجة كافرة بمكّة أو ارتدّت و رجعت إلى مكّة لا يعدّها من نسائه فيكون بيان حكم اللاتي بقين في دار الكفر وما أسلمن و لا هاجرن بعد الإسلام أزواجهن و هجرتهم .

قال الحقّي: هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر فيكون قوله : « ولا تمسكوا» بمقابلة قوله : « إذا جاءكم المؤمنات » أي حكم اللاتي أسلمن و هاجرن هذا و حكم المسلمات اللاتي ارتددن و خرجن من دار الإسلام إلى دار الكفر هذا .

قوله : [و اسألوا ما أنفقتم] هذا هو الحكم الخامس أي واسألوا الكفّار أيّها المؤمنون من مهور نسائكم اللاحقات بالكفّار أي إذا ارتدّت امرأة أحدكم و لحقت بدار الحرب فاسألوا ما أنفقتم لها ممّن تزوّجها [و ليسألوا] أي الكفّار منكم ما أنفقوا من مهور نسائهم المهاجرات إليكم أي يسأل كلّ كافر أسلمت امرأته و هاجرت إلينا ممّن تزوّجها منّا مهرها .

[ذلكم] الّذي ذكر في هذه الآية من الأحكام [حكم الله يحكم بينكم] مستأنف للتأكيد [والله عليم حكيم] قيل : كان في صدر الإسلام تكون المسلمة تحت الكافر و الكافرة تحت المسلم فنسخته هذه الآية .

و لمّا نزلت هذه الآية آمن المؤمنون بحكم الله وأدّوا ما اُمروا به من نفقات المشركين على نسائهم و أبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما أمرهم به من أداء نفقات المسلمين فنزل [و إن فاتكم شيء من أزواجكم] أي و إن سبقكم و أتلف منكم شيء من أزواجكم و المراد من الأزواج الزوجات وفاتكم شيء قلّ أو كثر من مهور أزواجكم [فعاقبتم] من العقبة وهي المناوبة و المعنى فجاءت نوبتكم و عقبتكم من أداء المهر مثل أن هاجرت امرأة الكافر مسلمة إلى المسلمين و لزمهم أداء مهرها إلى زوجها الكافر بعد أن فاتت امرأة المسلم إلى الكفّار [فآتوا الّذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا] أي من المهاجرة الّتي تزوّجتموها و لاتؤتوا زوجها الكافر أي إن فاتت امرأة مسلم إلى الكفّار

ولم يعط الكفّار مهرها فإذا هاجرت امرأة كافر إلى المسلمين وجب على المسلمين أن يعطوا المسلم الّذي فاتت امرأته إلى الكفّار مثل مهرز وجته الفائتة من مهر هذه المهاجرة ليكون كالعوض لمهرز وجته الفائتة و لا يجوز لهم أن يعطوا مهر هذه المهاجرة زوجها الكافر الأوّلي.

و إنّما عبّر سبحانه بالمعاقبة لأنّه شبّه ما حكم به على المسلمين و الكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أُولئك تارةو أداء أُولئك مهورنساء هؤلاء أُخرى بأمر يتعاقبون فيه مثل النوبة كما يتعاقب في الركوب.

[و اتّقوا الله الّذي أنتم به مؤمنون] لا بغيره فإن الإيمان به يقتضي التقوى منه.

يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لايشركن بالله شيئاً و لا يسرقن و لا يزنين و لا يقتلن اولاد هن ولاياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن و لا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم (١٢) يا ايها الذين امنوالا تتولواقوما غضب الله عليهم ويئسوا من الاخرة كمايئس الكفار من اصحاب القبور (١٣).

[يا أيّها النبيّ] نداء تشريف و تعظيم [إذاجاءك المؤمنات يبايعنك]مبايعات و قاصدات للبيعة. نزلت يوم الفتح فإنّه عليه السلام لمّا فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة النساء سمّيت البيعة لأنّ المبايع يبيع نفسه بالجنّة ومن عادة الناس حين المبايعة بعد أن يضع أحد المتبايعين يده على يد الآخر ليكون معاملتهم محكمة فمبايعة الأمّة رسولهم التزام طاعته و المعاونة له و مبايعة الرسول إيّاهم الوعد بالثواب والقيام بمصالحهم إن كانوا ثابتين على المعاهدة.

[على أن لايشركن بالله شيئاً] من الأشياء من الإشراك ولايتّخذون إلهاً غيرالله [و لا يسرقن] و السرقة أخذ ماليس له أخذه في الخفاء أي لايأخذن مال أحد بغيرحقّ [و لا يزنين] الزنا وطي المرءة من غير طريق مشروع [و لا يقتلن أولادهنّ] أُريدبه وأدالبنات و دفنهنّ أحياء خوف الفقر و العار و في تفسير أبي الليث: و لا يشربن دواء فيسقطن حملهنّ.

[و لا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهنّ و أرجلهن] البهتان الكذب الّذي يبهت المكذوب عليه و يدهشه فيكون أقبح أنواع الكذب ثمّ وصفه بكونه مفترى مبالغة في الكذب و الافتراء الاختلاق فري فلان كذباً إذا خلقه بين أيديهن و أرجلهنّ ظرف متعلّق بفعل تقديره يوجد بين أيديهنّ .

و حاصل المعنى لايلحقن بأزواجهنّ غير أولادهم . قال الفرّاء : كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها : هذا ولدي منك فذلك البهتان المفترى بين أيديهنّ و أرجلهنّ و ذلك أنّ الولد إذا وضعته الاُمّ سقط بين يديها و رجليها و ليس المراد نهيهنّ من أن يأتين بولد من الزنا فينسبنه إلى الأزواج لأنّ الشرط بنهي الزنا قد تقدّم . وقيل : معنى الآية في البهتان الّذي نهين عنه قذف المحصنات و الكذب على الناس و إضافة الأولاد على الأزواج باطلاً .

[ولا يعصينك في معروف] و لا يخالفنك فيماتأمرهنّ به وتنهاهنّ عنه و كلّ ما وافق في طاعة الله و رسوله فعلاً أوتركاً فهو معروف و المعروف خلاف المنكر مثل أن لايتركن الواجبات مثل الصلاة والصوم و لايرتكبن المنكرات مثل المحرّمات حتّى النياحة و تمزيق الثوب وحلق الشعر في المصيبة ونتفه ونشره وخمش الوجه ، و أن تحدّث المرأة الرجال إلّا ذارحم محرّم و أن تخلو برجل غير محرم و أمثاله و الآية شاملة للكلّ و تخصيص الاُمور المذكورة المعدودة بالذكر في حقّهنّ لكثرة وقوعها فيمابينهنّ و لتقدّم الأقبح على ما هوأدنى قبحاً منه .

[فبايعهنّ] جواب لا ذا و هو العامل فيه أي فبايعهنّ إذا قبلن هذه الشروط ومالم يذكر من الشروط في المبايعة كالصلاة و الزكاة و غيرها فذلك أمر منطبق مفهوم من قوله : « ولا يعصينك في معروف » .

[و استغفر لهنّ الله ان الله غفور رحيم] فيغفر لهنّ إذا وفين بما بايعن عليه قال بعض أهل التحقيق : إنّه تعالى غافر لأنّه يزيل معصيتك عن ديوانك و غفور لأنّه ينسيء الملائكة أفعالك السوء و غفّار لأنّه ينسيك أيضاً ذنبك كيلا تستحي .

روي أنّه ﷺ لمّا فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا و شرع في بيعة النساء و دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده الشريف ثمّ غمس أيديهنّ فجاءت هندة بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنكّرة خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها لماصنعته بحمزة يوم اُحد من المثلة .

فلّما قال عليه السلام : اُبايعكنّ على أن لا تشركن بالله شيئاً رفعت هندة رأسها فقالت : والله لقد عبدنا الأصنام و إنّك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الإسلام و الجهاد فلمّا قال ﷺ « و لا يسرقن » قالت : إنّ أباسفيان رجل شحيح و إنّي أصبت من ماله هنات أي شيئاً يسيراً فما أدري أيحلّ لي ؟ فقال أبوسفيان : ما أصبت فهو لك حلال فضحك ﷺ و قال : أنت هندة ؟ فقالت : نعم فاعف عمّا سلف يا نبيّ الله عفا الله عنك .

فقال : « و لا يزنين » فقالت : و هل تزني الحرّة ؟ .

فقال ﷺ : « و لا يقتلن أولادهنّ » فقالت : ربّينا هم صغاراً وقتلتهم كباراً فأنتم و هم أعلم ، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتّى استلقى وتبسّم رسول الله ﷺ .

فقال : « و لا يأتين ببهتان » فقالت : إنّ البهتان لأمر قبيح .

فقال : « و لا يعصينك في معروف » فقالت : والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك .

و روي أنّه ﷺ بايعهنّ و بين يديه و أيديهنّ ثوب قطري ضرب من البرد و يأخذ بطرف منه و يأخذن بالطرف الآخر توقّياً عن مساس أيدي الأجنبيّات .

و روي أنّه جلس على الصفا و معه عمر أسفل منه و هو ﷺ يشترط عليهنّ البيعة و عمر يصافحهنّ و في رواية : إنّ عمركان يبايع النساء بأمره و يبلّغهنّ عنه و قيل : إنّه ﷺ كلّفت امرأة وقفت على الصفا بايعتهنّ و هي اُميمة اُخت خديجه خالة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها و الأظهر الأشهر القدح و الغمس و كيف يجوز مصافحة عمر مع الأجنبيّات وهو أعلى حالاً من كلّ وجه و أولى ؟ انتهى

ثمّ خاطب سبحانه المؤمنين فقال : [يا أيّها الّذين آمنوا لاتتولّوا قوماً غضب الله عليهم] أي لاتتولّوا اليهود و قيل : المراد نوع الكفّار لأنّ كلّهم مغضوب عليهم لارحمة لهم من الرحمة الاُخرويّة وكان بعض فقراء المؤمنين يوا صلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فعلى هذا يكون المراد في الآية اليهود كما صرّح تعالى « و غضب الله عليهم وجعل منهم القردة والخنازير[1] » والقوم الرجال ويدخل فيه النساء تبعاً لأنّ قوم كلّ نبيّ رجال و نساء.

[قد يئسوا من الآخرة] قطعوا الطمع من ثواب الآخرة و ينبغي أن يقطعوا طمعهم عن ثواب الآخرة لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة أي إنّهم أهل الكتاب يؤمنون بالقيامة لكنّهم لمّا أصرّوا على كفرهم عناداً و حسداً لابدّ و أن ييأسوا من ثوابها .

[كما يئس الكفّار من أصحاب القبور] أي كما يئس من السعادة و أيقن الّذين ما توامنهم لأنّهم لمّا ماتوا وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من الثواب وابتلاءهم بالعذاب وقيل : معنى الآية كما يئس كفّار العرب من أن يحيي أهل القبور أبداً لأنّهم ماكانوا يعتقدون بالبعث وقيل : يعني يريد أنّهم يئسوا مثل يأسهم بعد دفن موتاهم منهم

و قيل : « من » في الآية تبيينيّة فحينئذ يكون يأسهم مثل يأس الكفّار المقبورين
وذلك لأنّ الكافر إذا وُضع في قبره أتاه ملك شديد الانتهار ثمّ يسأله : من
ربّك ومادينك ومن نبيّك ؟ فيقول : ما أدري فيقول الملك : أبعدك الله
انظر إلى منزلتك من النار فيدعو الكافر بالويل و الثبور ثمّ
يفتح له باب الجنّة فيقول : هذا لمن آمن بالله فلو كنت
آمنت بربّك نزلت الجنّة فيكون حسرة عليه
و تنقطع رجاؤه و ييأس من خير
الجنّة فذلك يأسه
تمّت السورة بعون الله

(١) المائدة : ٦٣ .

سورة الصف

(مدنية)

وتسمّى سورة الحواريّين وسورة عيسى .

اُبيّ بن كعب عن النبيّ صلى الله عليه وآله من قرأ سورة عيسى كان عيسى مستغفراً له مادام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه .

و عن أبي بصير عن الباقر عليه السلام قال : من أدمن قراءة سورة الصفّ في فرائضه و نوافله صفّه الله مع ملائكته وأنبيائه .

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السماوات وما في الارض و هو العزيز الحكيم (١) يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون (٢) كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون (٣) ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيل الله صفا كأنهم بنيان مرصوص (٤) واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين (٥) .

نزهه ما في السماوات من العلويات الفاعلة وما في الأرض من السفليات القابلة آفاقاً وأنفساً وسبحه جميع الأشياء من غير فرق بين موجود و موجود كما قال : « و إن من شيء إلّا ويسبّح بحمده »[١] [وهو العزيز] الغالب على أمره [الحكيم] في أفعاله و كلّ شيء هو يسبّحه طوعاً أو كرهاً حتّى الكافر لأنّ وجوده دالّ على موجده ولا حكيم على الإطلاق غيره ولذا يجب تسبيحه ومن أراد أن يصفوله تسبيحه فليصف عن آثار نفسه قلبه ومن أراد أن يصفوله في الجنّة عيشه فليصف عن أوضار الهوى دينه .

[يا أيّها الّذين آمنوا] إيماناً رسميّاً [لِمَ تقولون مالا تفعلون] روي أنّ المسلمين قالوا : لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلمّا نزل الجهاد كرهوه فنزلت الآية تعييراً لهم بترك الوفاء ولِمَ مركّبة من اللام الجارّة وما الاستفهاميّة قد حذفت ألفها لكثرة استعمالهما معاً كما في عمّ وفيم أي لأيّ شيء تقولون نفعل مالا تفعلون من الخير والمعروف ؟ ومدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وإنّما وجّهه إلى قولهم تنبيهاً على أنّ المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به أيضاً منكرٌ ولو قيل : لِمَ لا تفعلون ما تقولون لفهم منه أنّ المنكر هو ترك الموعود مثل أن تذمّون الدّنيا بلسان الظاهر وتمدحونها بلسان الباطن لشهادة ارتكابكم أنواع الشهوات الحيوانيّة وأصناف

---

(١) الاسراء : ٤٤ .

اللذّات الجسمانيّة .

[كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون] « كبر » مثل نعم و بئس فيه ضمير مبهم يفسّر بالنكرة بعده قوله : « وأن تقولوا » هو المخصوص بالذمّ و المقت البغض الشديد و حاصل المعنى أنّه عظم بغضاً في حكمته وعند علمه تعالى هذا القول المجرّد عن الفعل فهو أشدّ ممقوتيّة ومبغوضيّة ونعم ماقيل :

لا تنه عن خلقٍ و تأتي مثله ❊ عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

أوحى الله إلى عيسى يابن مريم عظ نفسك فإن اتّعظت فعظ الناس و إلّا فاستحي منّي . قيل لبعض السلف : حدّثنا فسكت ثمّ قيل : له حدّثنا فقال : لهم أتأمرونني أن أقول مالاأفعل فأستعجل مقت الله ؟ وقال : ثلاث آيات منعتني أن أقصّ على الناس « أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم »(١) الثانية « وماأُريد أن أُخالفكم إلى ماأنهاكم عنه »(٢) والثالثة هذه الآية .

[إنّ الله يحبّ الّذين يقاتلون] أعداء الله [في سبيله] وفي طريق مرضاته وإعلاء دينه يرضى عنهم و يثني عليهم [صفّاً] متصافّين قبالة أعداء الله وصفّاً مصدر وقع موقع الفاعل أي صافّين أوموقع المفعول أي مصفوفين [كأنّهم بُنيان مرصوص] و البُنيان الحائط والبناء ضدّ الهدم وبناه بناءً وبُنياناًمصدر بمعنى المبنيّ والرصّ اتّصال بعض البناء بالبعض واستحكامه بوضع الحجر على الحجر ثمّ يرصّ بأحجار صغار ثمّ يوضع عليه اللبن أوغيره يسمّيه أهل مكّة مرصوصاً شبّه سبحانه وقوفهم في تراصّهم من غير فرجة و خلل بميل هذا البناء وهذا تعليم من الله للمؤمنين كيف يكونون في قتال عدوّهم ولذلك لايجوز الخروج من الصفّ إلّا لحاجة تعرض للإنسان أوفي رسالة يرسله الإمام أومنفعة يظهر للمقام المنتقل إليه . وفي الخروج عن الصفّ للمبارزة و إرهاباً للعدوّ تحريضاً على القتال قيل : لابأس وقيل : لايجوز وإنّما يكون المبارزة إذاطلبها الكافر كماكانت في حروب النبيّ يوم بدر وخيبر وذلك صحيح وحسن بالاتّفاق وحكم الجهاد فرضٌ كفاية على المستطيع و

(١) البقرة : ٤٤ .

(٢) هود : ٨٨ .

إذا فعله البعض سقط عن الباقين وعندالنفير العام وهوهجوم العدو فهوفرض عين و هذا الجهاد أحياناً دون أحيان وهويقع مع الأعداء الظاهرة كالكفّار و المنافقين وأمّا الجهاد مع الأعداء الباطنة كالنفس والشيطان فثابت مستقر حكمه إلى زهوق الروح كما قال ﷺ المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ، والمهاجر هاجر الخطايا والذنوب ، وأعظم المجاهدات جهاد النفس .

[وإذ قال موسى لقومه] كلام مستأنف مقرّر لما قبله من شناعة ترك القتال أي اذكر لهؤلاء المتقاعدين عن القتال وقت قول موسى لبني إسرائيل حين ندبهم إلى قتال الجبابرة بقوله : « ياقوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم ولا ترتدّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين [1] » فلم يمتثلوا بأمره وعصوه حيث قالوا : « يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين وإنّا لن ندخلها حتّى يخرجوا منها فإنّا داخلون ـ إلى قوله : ـ فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون [2] » .

[ياقوم] أصله ياقومي ولولاتقديرالياء لقيل : يا قوم بالضم لأنّه حينئذ يكون مفرداً معرفة فبني على الضم لكن ليس كذلك وإنّما قوم بالكسر وهو نداء بالشفقة و الرفق كماهوشأن الأنبياء [لم تؤذونني] بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به قال في القاموس : آذى فعل الأذى فلفظ الايذاء من الأغلاط في أفواه الناس [و قد تعلمون أنّي رسول الله] جملة حاليّة مؤكّدة لانكارالأذيّة أي والحال أنّكم تعلمون علماً قطعيّاً بمشاهدة ماظهر بيدي من المعجزات أنّي مرسل من الله إليكم ومن لازم علمكم بذلك أن تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا إلى طاعتي .

و في الحديث رحم الله أخي موسى لقد اُوذي بأكثر من هذا فصبر وذلك أنّه ﷺ لمّا قسّم غنائم الطائف قال بعض المنافقين : هذه القسمة ما عدل فيها فتغيّر وجهه الشريف و قال ذلك .

[فلمّا زاغوا] الزيغ الميل عن الاستقامة أي أصرّوا على الزيغ و الميل عن الحق

(١) آل عمران : ١٤٩ .

(٢) المائدة : ٢٧ .

الّذي جاء به موسى و استمرّوا عليه [أزاغ الله قلوبهم] أي خلّاهم و سوء اختيار هم و منعهم الألطاف الّتي يهوي بها قلوب المؤمنين .

[و الله لا يهدي القوم الفاسقين] أي لا يهديهم إلى الثواب و الكرامة و الجنّة الّتي وعدها المؤمنين و لايفعل بهم الألطاف الّتي يفعلها بالمؤمنين بل يخلّيهم واختيارهم .

و اذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدق لما بين يدى من التوراة و مبشراً برسول ياتى من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين (٦) و من اظلم ممن افترى على الله الكذب و هو يدعى الى الاسلام و الله لا يهدى القوم الظالمين (٧) يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم و الله متم نوره و لو كره الكافرون (٨) هو الذى ارسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون (٩) .

[و إذ قال] معطوف على إذ الأولى و ابن فيهذه الآية و في «عزير» يثبت ألفه خطّاً [يا بني إسرائيل] ناداهم بهذه النسبة استمالة لقلوبهم إلى تصديقه في قوله : [إنّي رسول لله إليكم مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة]فإنّ تصديقه عليه السلام التوراة من أقوى الدواعي إلى تصديقهم إيّاه أي اُرسلت إليكم لتبليغ أحكامه الّتي لابدّ منها و أنّها من الله ويمكن أنّه عليه السلام ما خاطبهم بيا قوم كما قال موسى . لأنّه لا نسب له فيهم إذ النسب عندهم بالآباء .

[و مبشّراً برسول] أي حالكوني مصدّقاً لأحكام التوراة و مبشّراً برسول [يأتي من بعدي اسمه أحمد] أيّ إنّ ديني التصديق بكتب الله و أنبيائه ممّن تقدّم و تأخّر قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : أنا دعوة إبراهيم و بشرى عيسى وقيل : إنّ بين رفع المسيح ومولد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خمسمائة و خمس و أربعون سنة و عاش المسيح عليه السلام إلى أن رُفع ثلاثاً و ثلاثين سنة و بين رفعه والهجرة الشريفة خمسمائة و ثمان و تسعون سنة ونزل جبرئيل عليه السلام على عيسى عليه السلام عشر مرّات و كذلك أثبته النصارى على اختلافهم .

و خصّ لفظ أحمد فيما بشّر به عيسى تنبيهاً على أنّه صلى الله عليه وآله وسلم أحمد منه ومن الّذين من قبله من الأنبياء وهو محمود في أخلاقه وأقواله . قال السهيليّ في كتاب التعريف والأعلام :

أحمد اسم علم منقول من صفة و تلك أفعل الّتي يراد بها التفضيل فمعناه أحمد الحامدين لربّه وأمّا محمّد فمنقول أيضاً من صفة وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فمحمّد هو الّذي حمد مرّة بعد مرّة كما أنّ المكرّم من اُكرم مرّة بعد مرّة فهو صلى الله عليه وآله وسلم محمود في الدنيا بما هدى إليه و نفع به من العلم و الحكمة و أيضاً محمود في الآخرة بالشفاعة فقد تكرّر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ .

ثمّ إنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن محمّداً حتّى كان حمد ربّه فنبّأه و شرّفه و لذلك يقدّم اسم أحمد على الاسم الّذي هو محمّد فذكره عيسى عليه السلام فقال : اسمه أحمد و ذكره موسى حين قال له ربّه : تلك اُمّة أحمد فقال : اللّهمّ اجعلني من اُمّة أحمد فبأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمّد فلمّا وُجد و بُعث كان محمّداً و هذا بيان تقدّم ذلك الاسم على هذا الاسم و ما خُصّ به من الحمد و المحامد مشاكلاً لمعناه مصادقاً لصفته صلى الله عليه وآله وسلم لأنّ الله تعالى شرع له سنّة و قرآناً و أنزلت عليه سورة الحمد و خُصّ بلواء الحمد و بالمقام المحمود في الآخرة و شرّع في اختتام الاُمور ذكر الحمد كما قال سبحانه : « و قضى بينهم بالحقّ و قيل الحمد لله ربّ العالمين (١) » و قال : أيضاً « وآخر دعواهم أنّ الحمد لله ربّ العالمين (٢) » فهذا الاسم و المسمّى تطابقا لكونه خاتم الأنبياء و مؤذناً بانقضاء الرسالة و الوحي و خُتم به و تخصيص الله إيّاه بهذا الاسم و بهذه الكرامات قبل وجوده تكرمة له و إشعاراً بخاتميّته .

قال في فتح الرحمن : لم يسمّ بهذا الاسم أحد من العرب و لا غيرهم إلى أن شاع قبيل ميلاده من الكهّان و الأحبار أنّ نبيّنا اسمه محمّد يبعث فسمّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو و هم : محمّد بن اُحيحة بن الجلاح الأوسيّ و محمّد بن مسلمة الأنصاريّ و محمّد بن البراء البكريّ و محمّد بن سفيان بن مجاشع و محمّد بن حمدان الجعفيّ و محمّد بن خزاعة السلميّ فهم ستّة لا سابع لهم وحمى الله كلّ من سمّى به أن يدّعي النبوّة أو يدّعيها له أحد أو يظهر عليه سبب يشكّك أحداً في أمره من الموسومين

(١) الزمر : ٦٩ و٧٥ .
(٢) يونس : ١٠ .

السنّة حتّى ظهر صلى الله عليه وآله وسلم .

و من أسمائه صلى الله عليه وآله وسلم المقفّي بتشديد الفاء و كسرها لأنّه أتى بعد جميع الأنبياء و في قفاهم أو قفا آثارهم و أتبعهم في الآثار من الأصول .

و منها نبيّ التوبة لأنّه كثير الاستغفار أو لأنّ التوبة في اُمّته صارت أسهل و غيرهم يؤاخذ في الدنيا و في الآخرة و اُمّته لا يؤاخذ لا في الدنيا بعد التوبة ولا في الآخرة .

و منها نبيّ الرحمة لأنّه كان سبب الرحمة وهو سبب الوجود لقوله تعالى : لولاك لما خلقت الأفلاك و لأنّه هو الأمان الأعظم ما عاش و مادامت سنّته باقية على وجه الزمان قال الله : « و ما كان الله ليعذّبهم و أنت فيهم و ما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون (١) » .

و منها نبيّ الملحمة أي الحرب لأنّه بعث بالقتال . فإن قلت : المبعوث بالقتال كيف يكون رحمة ؟ فالجواب أنّ اُمم الأنبياء كانوا يهلكون في الدنيا إذا لم يؤمنوا بهم بعد المعجزات ويستأصلون ولكنّه صلى الله عليه وآله وسلم بُعث بالسيف ليرتدعوا به عن الكفر و لا يستأصلوا

و منها الماحي و قد محا الله به الكفر .

و منها الحاشر و هو الّذي يحشر الناس في دعوته و عهده من غير أن تنسخ .

و منها العاقب و هو الّذي ليس بعده نبيّ فانقطعت النبوّة .

و منها الفاتح لأنّ به فتح الإسلام .

و منها الكافّ قيل : معناه الّذي اُرسل إلى الناس كافّة و ليس هذا بصحيح لأنّ كافّة لا يتصرّف منه فيكون منه اسم فاعل و إنّما معناه الّذي كفّ الناس عن المعاصي و الشرك .

و منها الرؤوف و الرحيم و الشاهد و المبشّر و السراج المنير و طه ويس والمزّمّل و المدّثّر وعبد الله و قثم أي الجامع للخير . و« ن »إشارة إلى اسم النور و الناصر و المتوكّل و المختار و المحمود و المصطفى والخاتم بفتح التاء أي أحسن الأنبياء خلقاً و خلقاً كأنّه الخاتم الّذي يتجمّل به و لأجل كما له كان الخاتم الّذي يختم به الكتاب عند الفراغ

(١) الانفال : ٣٣ .

منه و أمّا الخاتم بالكسر فمعناه آخر الأنبياء اسم فاعل من ختم .

و منها راكب الجمل سمّاه به شعيا النبيّ كناية من أنّه صلى الله عليه وآله وسلم عربي .

و منها صاحب الهراوة أي العصا سمّاه به سطيح الكاهن قبل أن يلد صلى الله عليه وآله وسلم .

و منها روح الحقّ سمّاه به عيسى عليه السلام في الإنجيل في بيانه و سمّاه أيضاً المنحنا بمعنى محمّد بالسريانيّة .

ومنها حياطي بالعبرانيّة وبرقليطس بالروميّة بمعنى محمّد وماذ ماذ بمعنى طيّب طيّب و فارقليطا مقصوراً بمعنى أحمد و روي فارقليط بالباء ومعناه الّذي يفرق بين الحقّ والباطل .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : اسمي في التوراة أحيد لأنّي أحيد اُمّتي عن النار و اسمي في الزبور الماحي محا الله بي عبدة الأوثان و اسمي في الإنجيل أحمد و في القرآن محمّد لأنّي محمود في أهل السماء والأرض .

أقول : و تخصيص الوارد بالخمسة أوالأربعة لا ينافي ماسواه و إذا اشتققت أسماءه من صفاته كثرت جدّاً .

قوله : [فلمّا جاءهم] أي الرسول المبشّر به الّذي اسمه أحمد أي بني إسرائيل و النصارى و المشركين [بالبيّنات] و المعجزات و القرآن [قالوا هذا] مبشّرين إليه أو إلى ما جاء به لأنّه قرىء ساحر مكان [سحر مبين] .

[و من أظلم ممّن افترى على الله الكذب] الفرق بين الكذب و الافتراء أنّ الافتراء افتعال الكذب من قول نفسه و الكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه [و هو] أي و الحال أنّ ذلك المفتري [يدعى] من لسان الرسول [إلى الإسلام] الّذي فيه نجاته أو يدعى إلى الاستسلام لأمر الرسول و الانقياد لطاعته ، أي ومن أشدّ ظلماً ممّن اختلق الكذب على الله و نسب القرآن إلى السحر و الرسول إلى الساحر مع أنّه يدعوه للإسلام الّذي به نجاته فيضع موضع الإجابة الافتراء على الله بقوله للقرآن الّذي هو دعاء عباده إلى الحقّ : هذا سحر واللام في الكذب للعهد و من الافتراء على الله الكذب في الإخبار عن النبيّ أو الإمام و الكذب في الرؤيا والداعي في الحقيقة هو الله كما قال :

« و الله يدعو إلى دار السلام [١] » و الرسول يدعو بأمره تعالى كما قال : « و ادع إلى سبيل ربّك [٢] »[والله لا يهدي القوم الظالمين] و لا يرشدهم إلى طريق الجنّة بسبب إعراضهم عن الحقّ و عن متعابعة الداعي .

[يريدون ليطفئوا نورالله] الإطفاء الإخماد يريدون إخماد حجّته النيّرة و كتابه و دينه و اللام زائدة تأكيد المعنى الإرادة أو معنى الآية يريدون الافتراء ليطفئوا نورالله [بأفواههم] و أقوالهم السخيفة و بمفترياتهم في كلامهم [والله متمّ نوره] والله يتمّ حجّته و كتابه وينشره [و لو كره الكافرون] إتمامه إرغاماً لهم و « لو » في الآية بمعنى إن أي و إن كرهوا ذلك فإنّه تعالى يفعله لامحالة .

[هو الّذي أرسل رسوله] محمّداً صلّى الله عليه و آله و سلّم [بالهدى] أي القرآن و المراد من الهدى ما به الاهتداء إلى الصراط المستقيم [ودين الحقّ] و الملّة الحنيفة الّتي اختارها لرسوله و للناس و هو من باب إضافة الموصوف إلى الصفة مثل عذاب الحريق [ليظهره على الدين كلّه] ليجعله بالحجّة ظاهراً عالياً على جميع الأديان .

[ولو كره المشركون] ففي الآية السابقة أسند الإكراه إلى الكفّار لأنّه لمّا كان إتمام نوره من أجل النعم و الكافر أيّ كافر كان من أصناف الكفر كفروا بهذه النعمة العظيمة فأسند الكراهة إليهم وفي هذه الآية الّتي أسند الكراهة إلى المشركين فإنّه قدورد في مقابلة دين الحق الّذي معظم أركانه التوحيد و إبطال الشرك و كفّار مكّة كارهون له من أجل إنكارهم للتوحيد و إصرارهم على الشرك فالمناسب في الآية التعرّض لشكرهم فقال : « ولو كره المشركون » .

و لو قيل : إنّ دينه ما ظهر على جميع الأديان ؟ فقد روى العيّاشيّ بالإسناد عن عمران بن ميثم عن عباية إنّه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول : يظهر بعد ذلك فوالّذي نفسي بيده حتّى لاتبقي قريه إلّا وينادي فيهابشهادة أن لاإله إلّا الله بكرةوعشيّاً .

قال السهيلي في كتاب الأمالي في بيان فائدة كون أبواب النار سبعة : وجدنا

(١) يونس : ٢٥ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

الأديان سبعة واحد للرحمن و ستّة للشيطان فالّتي للشيطان اليهوديّة و النصرانيّة و الصابئيّة و عبادة الأوثان و المجوسيّة و اُمم لاشرع لهم و لايقولون بنبوّة وهم الدهريّة و الصنف السابع هو من أهل التوحيد لكنّهم المصرّون على المعاصي و الكبائر من غير استغفار و توبة فإنّ فيهم من ينفذ فيه الوعيد و النار و منهم من يعفو الله عنه فهؤلاء كلّهم صنف واحد غير أنّه لايحتم عليهم بالخلود فهؤلاء سبعة أصناف ستّة منها مخلّدون إجماعاً و الصنف السابع غير مخلّد و يخرجون بالشفاعة و وافق عدد الأبواب عدد الأصناف و تبيّنت الحكمة في ذكرها في القرآن لما فيها من التخويف و الإرهاب.

و أمّا معنى الإشراك هو إثبات الشريك لله تعالى في الاُلوهيّة سواء كانت بمعنى وجوب الوجود أو استحقاق العبادة لقوله في وصف المشركين « و لئن سألتهم من خلق السماوات و الأرض ليقولنّ الله (١) »، و الكفر لا يخلو عن الشرك و يدلّ على هذا المعنى قوله تعالى : « إنّ الله لايغفر أن يشرك » و قد ثبت ضرورة أنّه تعالى لايغفر كفر غير المشركين من اليهود و النصارى فيكون المراد في الآية : لايغفر أن يكفر به . انتهى.

يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم (١٠) تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون فى سبيل الله باموالكم و انفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (١١) يغفر لكم ذنوبكم و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار و مساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم (١٢) و اخرى تحبونها نصر من الله و فتح قريب و بشر المؤمنين (١٣) يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل و كفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين (١٤) .

[يا أيّها الّذين] في صراط الإيمان هل اُعلّمكم واُرشدكم و هل ترغبون في تجارة منجية من العذاب الأليم و هو الإيمان بالله وحده و الجهاد في سبيل دينه بالمال و النفس ؟ وصورة الكلام العرض والمراد الأمر على سبيل التلطّف في الاستدعاء فيكون العمل به سبباً لإنجاء الله إيّاكم من العذاب و عكسه عكسه لأنّ من التجارة ماتكون

(١) العنكبوت : ٦١ .

لصاحبها سبب العذاب كجمع المال و منع حقوق الله منه فهي تجارة خاسرة موجبة للنكال و أضعف أفراد الجهاد في الدين مع الباطل بالألسنة ، وكان حسّان مدّاح النبيّ يجلس على المنبر و يهجوالمشركين بإذن رسول الله . و التاجر الّذي يبيع و يشتري وليس في كلام العرب تاء بعدها جيم غير هذه اللفظة وأمّا كلمة «تجاه» فأصلها وجاه و «تجوب» تاؤه تاء المضارعة و هي قبيلة من حمير .

[ذلكم] أي ما ذكر من الإيمان و الجهاد [خير لكم إن كنتم تعلمون] أنّه خير لكم و تعقلون هذا الأمر فعل العاقل تبديل الفاني بالباقي و بعد نزول هذه الآية جاء رجل بناقة مخطومة و قال : هذه في سبيل الله فقال النبيّ : لك بهايوم القيامة سبعمائة ناقة كلّها مخطومة .

[يغفر لكم ذنوبكم] في الدنيا [ويدخلكم] في الآخرة [جنّات] لكلّ واحد منكم جنّة و لا بعد من لطفه أن يكون لكلّ واحد جنّات [تجري من تحتها الأنهار] من تحت أشجارها و تحت قصورها و غرفها الأنهار الأربعة من اللبن و العسل و الخمر و الماء .

[و مساكن طيّبة] و منازل نزهة كائنة [في جنّات عدن] أي إقامة و خلود بحيث لايخرج منها من دخلها و المسكن يستعمل في الاستيطان و سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن هذه المساكن الطيّبة فقال : قصر من لؤلؤ في الجنّة في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كلّ دار سبعون بيتاً من زمرّدة خضراء في كلّ بيت سبعون وصيفاً و وصيفة . و المرويّ عن ابن عبّاس أنّ الجنّات سبع جنّة الفردوس وجنّة عدن وجنّة النعيم و دارالخلد و هي جنّة الخلد و جنّة المأوى و دارالسلام و علّيّون و كلّ واحدة منها لها مراتب . وروي أيضاً أنّها ثمان : دار الجلال و دار القرار و دارالسلام و جنّة عدن و جنّة المأوى وجنّةالخلد وجنّة الفردوس و جنّة النعيم .

و قيل : الجنّات أربع كما قال الله : « و لمن خاف مقام ربّه جنّتان (١) » ثمّ قال سبحانه : « و من دونهما جنّتان (٢) »فذلك جنان أربع إحداهن جنّة الخلد والثانية

(١) الرحمن : ٤٦ .
(٢) الرحمن : ٦٢ .

جنّة الفردوس و الثالثة جنّة المأوى و الرابعة جنّة عدن و أبوابها ثمانية و خازن الجنّة يقال له «رضوان» وقد ألبسه الله الرأفة و الرحمة كما أنّ خازن النار يقال له «مالك» قد ألبسه الله الغضب و الهيبة .

[ذلك هو الفوز العظيم] أي ما ذكر من المغفرة و إدخال الجنّة هو الفوز الّذي لا فوز وراءه و الفوز يكون بمعنى النجاة من المكروه و بمعنى الظفر بالبغية و الأوّل يحصل بالمغفرة و الثاني بإدخال الجنّة .

[و اُخرى تحبّونها] أي ولكم إلى هذه النعمة العظيمة نعمة اُخرى مبتدء حذف خبره عطف على يغفر لكم على المعنى تحبّونها و ترغبون فيها تعريض بأنّهم يؤثرون العاجل على الآجل .

[نصر من الله] بدل أو بيان للاُخرى أي نصر على عدوّكم الكفّار أو قريش [و فتح قريب] أي فتح مكّة أو فتح غيرها [وبشّر المؤمنين] يا أكمل الرسل بأنواع النعمة .

[يا أيّها الّذين آمنوا كونوا أنصار الله] أي أنصار دينه [كما قال عيسى بن مريم للحواريّين من أنصاري إلى الله] و « من » يحتمل أن يكون استفهاماً حقيقة ليعلم وجود الأنصار و يحتمل العرض و الحثّ على النصرة و المعنى : مَن جندي إلى نصرة دين الله ؟

[قال الحواريّون نحن أنصار الله] فحاصل الآية مخاطباً للمؤمنين: كونوا أنصار الله كما كان الحواريّون أنصاره حين قال لهم عيسى : « من أنصاري إلى الله » أو قل لهم : كونوا كما قال عيسى للحواريّين ، و الحواريّون أصفياء عيسى من الحور و هو البياض الخالص وهم أوّل من آمن به و كانوا اثني عشر رجلاً قال الله لعيسى : إذا دخلت القرية فأت النهر الّذي عليه القصّارون فاسألهم النصرة فأتاهم عيسى و قال : من أنصاري إلى الله ؟ فقالوا : نحن ننصرك فصدّقوه ونصروه وقيل : كانوا صيّادين أوكانوا يطهّرون نفوس الناس بإفادتهم العلم والدين و إنّما قيل لهم إنّهم قصّارون على التمثيل و التشبيه أو قيل لهم : إنّهم صيّادون لاصطيادهم نفوس الناس إلى الحقّ .

[فآمنت طائفة من بني إسرائيل] آمنوا بعيسى وأطاعوه [و كفرت طائفة]الطائفة جماعة أقل من الفرقة [فأيدنا الّذين آمنوا] أي قوينا مؤمني قومه بالحجة أوبالسيف و ذلك بعد رفع عيسى [على عدوهم] أي على الّذين كفروا وفي لفظ العدو إيذان بأن الكافر لازال كان عدواً للمؤمن . ولما رفع عيسى تفرق القوم ثلاث فرق فرقة قالوا : كان ابن الله فرفعه الله إليه و فرقة قالوا :كان عبدالله و رسوله فرفعه الله و هم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا و ظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله محمداً فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى : « فأيدنا الّذين آمنوا على عدوهم » .

[فأصبحوا]صاروا [ظاهرين] غالبين عالين يقال : ظهرت على الحائط علوته . وسبقوهم أيضاً بالحجة لأنهم قالوا لهم : ألستم تعلمون أن عيسى عليه السلام كان ينام والله تعالى لاينام و إنه يأكل ويشرب والله منزه عن ذلك و قيل : المراد من قوله : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل » بمحمد و كفرت طائفة به صلى الله عليه وآله وسلم و صدقوا و كذبوا فأصبحت المؤمنة عالية على الكافرة بالحجة قال أمير المؤمنين : أيها الناس دينكم فإن السيئة فيه أحسن من الحسنة في غيره لأن السيئة فيه يغفر والحسنة في غيره لايقبل

تمت السورة بعون الله

سورة الجمعة

☼ (مدنية) ☼

عن أُبيّ ابن كعب عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : ومن قرأ سورة الجمعة أُعطي عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأت في أمصار المسلمين .

وعن منصور بن فخّام عن الصادق عليه السلام قال : من الواجب على كلّ مؤمن إذا كان لنا شيعة أن يقرء في ليلة الجمعة بالجمعة وسبّح اسم ربّك الأعلى وفي صلاة الظهر بالجمعة والمنافقين فإذا فعل فكأنّما يعمل عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان ثوابه الجنّة .

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السماوات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم(١)هوالذى بعث في الاميين رسولامنهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين (٢) وآخرين منهم لما يلحقوابهم وهوالعزيزالحكيم (٣) ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم (٤) مثل الذين حملوا التوراةثم لم يحملوهاكمثل الحماريحمل اسفارابئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين (٥) .

[يسبّح] جميعاًمن حيّ و جامد تسبيحات مستمرّة: فما في السماوات هي البدائع العلويّة و ما في الأرض هي الكوائن السفليّة فللكلّ نسبة إلى الله بالحياة و الوجود [الملك القدّوس] المنزّه من كلّ نقص [العزيز] الغالب على ماأمر ، أو [الحكيم] في أفعاله .

[هو الّذي بعث في الأمّيّين] و الأُمّيّ من لا يكتب ولا يقرء كأنّه بقي على ما تعلّمه من اُمّه ، منسوب إلى قبائل كثيرة .

و سمّي هو بالأُمّيّ لأنّه لم يكتب ولم يقرء لاستغنائه بضمان الله له في الفضل و الحفظ عن العلم بقوله : « سنقرئك فلا تنسى » أو لنسبته إلى اُمّ القرى مكّة و ليس المراد أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يعرف القراءة و الكتابة و لقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يقرء و يكتب باثنين و سبعين لساناً كما في الحديث عن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام قال الراوي : سألته يابن رسول الله لم سمّي النبيّ أُمّيّاً ؟ فقال : ما يقول الناس ؟ قلت : يزعمون أنّه لم يحسن أن يكتب و يقرأ فقال : كذبوا عليهم لعنة الله أنّى ذلك و الله تعالى يقول : « هو الّذي بعث في الأمّيّين » إلى أن قال : « ويعلّمهم الكتاب و الحكمة » فكيف يعلّمهم وهولايعرف

أن يقرأ ؟ و لقد يعرف و يكتب باثنين و سبعين لغة . الحديث .

أقول : ولو صحّ أنّه صلى الله عليه وآله وسلم ماكان يقرء ولايكتب فهذه فضيلة له لأنّه لايحتاج إلى القراءة وتحصيل الكتابة من كان القلم الأعلى في نظره واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره .

قيل : بدئت الكتابة في العرب بالطائف و تعلّمها ثقيف و أهل الطائف أخذوها من الحيرة و أهل الحيرة أخذوا من أهل الأنبار و هي مدينة قديمة على الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ولم يكن في أصحاب الرسول كاتب غير حنظلة غسيل الملائكة و عليّ عليه السلام ثمّ ظهر الخطّ في الصحابة بعد في معاوية وزيد بن ثابت وكانا يكتبان للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

[رسولاً] كائناً [منهم] من جملتهم و نسبهم عربيّاً اُمّيّاً مثلهم و في كتاب شعيا النبيّ عليه السلام مذكور أنّي أبعث اُمّيّاً في الاُمّيّين و أختم به النبيّين .

و اعلم أنّ البعث في الاُمّيّين لا ينافي عموم دعوته على الناس كافّة لأنّ التخصيص بالذكر لامفهوم له وله سلّم فلايعارض المنطوق مثل قوله : «وما أرسلناك إلّا كافّة للنّاس» على أنّه في الكلام فرق بين البعث في الاُمّيّين و البعث إلى الاُمّيّين فبطل احتجاج أهل الكتاب بهذه الآية .

[يتلو عليهم آياته] أي القرآن مع كونه اُمّيّاً مثلهم لم يعهد منه قراءة وتعلّم و الفرق بين التلاوة والقراءة أنّ التلاوة و قراءة القرآن متتابعة كالأوراد الموظّفة والقراءة أعمّ لأنّها جمع الحروف باللفظ لااتّباعها .

[و يزكّيهم] صفة اُخرى لرسولاً أي يحملهم على ما يصيرون أزكياء من خبائث الأعمال والعقائد والمزكّي في الحقيقة هو الله كما قال[1] : « بل الله يزكّي من يشاء » إلّا أنّ الإنسان الكامل مظهر الصفات الالهيّة .

[ويعلّمهم الكتاب و الحكمة] صفة اُخرى لرسولاً يعلّمهم القرآن و السنّة وهي ما شرع الله لعباده و المراد من الحكمة الفقه و العظة و الأحكام الشريعة الحُكميّة و الحِكميّة و نعم ما قال صاحب القصيدة البرديّة :

كفاك بالعلم في الاُمّيّ معجزة ❊ في الجاهليّة و التأدب في اليتم

---

(١) النساء : ٤٨ .

[و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين] و إن مخفّفة عن المثقّلة و ليست شرطيّة ولا نافية و اللاّم هي الفارقة بينها و بينهما أي و إنّ الشأن كان الاُميّون من قبل بعثته لفي ضلال ظاهر و هو الشرك و خُبث عادات الجاهليّة و نسبة الضلال إلى الجميع من باب التغليب و إلاّ فقد كان فيهم مهتدون مثل ورقة بن نوفل و زيد بن نفيل و قسّ بن ساعدة و غيرهم أو أنّ نسبة الضلالة إلى الجميع صحيحة لأنّ هؤلاء المذكورين و أمثالهم أيضاً كانوا في الضلالة من الأحكام ، النهاية أنّهم ما كانوا مشركين فكونهم مهتدين من وجه لا ينافي كونهم ضالّين من وجه آخر .

[وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم] أي و يعلّم قوماً آخرين من الاُمّيّين والمؤمنين يأتون بعد ذلك و لمّا يأتوا بعد وهم كلّ من بعد الصحابة إلى يوم القيامة لأنّ شريعته تلزمهم و إن لم يلحقوا بزمانه و قيل : هم الأعاجم لأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم مبعوث إلى من شاهده و إلى كلّ من لم يشاهده من العرب و العجم روي ذلك عن الباقر ، وروي أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم و آله قرأ هذه الآية فقيل له : من هؤلاء فوضع يده على كتف سلمان و قال : لو كان الإيمان في الثريّا لنالته رجال من هؤلاء فعلى هذا فإنّما قال : « منهم » لأنّهم إذا أسلموا صاروا منهم فإنّ المسلمين يد واحدة و اُمّة واحدة على من سواهم و إن اختلف أجناسهم و من لم يؤمن بالنبيّ فإنّهم ليسوا بمن عناهم الله بقوله : « و آخرين منهم » و إن كان صلّى الله عليه وآله وسلّم مبعوثاً إليهم و آخرين جمع آخر بمعنى غير وهو عطف إمّا على الاُمّيّين الّذين على عهده أو على المنصوب في يعلّمهم و يعلّم آخرين منهم أي من الّذين يأتون بعد هؤلاء الّذين تعلّموا منه فهم يتعلّمون مثل هؤلاء فيكونون من جنسهم و منفيّ كلمة «لمّا» مستمرّ النفي إلى الحال و متوقّع الثبوت بخلاف منفيّ «لم» .

[و هو العزيز] الغالب و المبالغ في العزّة و لذلك مكّن سبحانه رجلاً اُمّيّاً و ذلك الأمر العظيم من الرياسة على الملك و الجنّ و البشر [الحكيم] في رعاية المصلحة و لذلك اصطفاه من بين كافّة البشر .

[ذلك فضل الله] إشارة إلى هذا الأمر العظيم فضله و إحسانه [يؤتيه من يشاء] تفضيلاً [و الله ذو الفضل العظيم] الّذي يستحقر دونه نعم الدنيا بل نعيم الآخرة على

الخلق بإرسال محمد إليهم .

[مثل الّذين حمّلوا التوراة] أي علموها [ثمّ لم يحملوها] ولم يعملوا بما في تضاعيفها من آياتها الّتي من جملتها الآيات الناطقة بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم و اقتنعوا بمجرّد قراءتها والمراد اليهود [كمثل الحمار] و الكاف زائدة والحمار معروف (وفي حياة الحيوان إن اتّخذ خاتم من حافر الحمار الأهليّ ولبسه المصروع لم يصرع) يعبّر به عن الجاهل .

[يحمل أسفاراً] أي كُتُباً من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها و الأسفار جمع سفر بكسر السين و هو الكتاب مثل شبر و أشبار و إنّما سمّي الكتاب بسفر لأنّه يسفر و يكشف عن الحقائق وعلى هذا فمن تلا القرآن ولم يعمل به و أعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه كان هذا المثل لاحقاً به وإن حفظه و هو طالب لمعناه والعمل به فليس من أهل المثل .

[بئس مثل القوم الّذين كذّبوا بآيات الله] أي بئس مثلاً مثل القوم المكذّبين و التمييز محذوف و الفاعل المفسّر له مستتر و المخصوص بالذمّ اليهود [والله لا يهدي القوم الظالمين] الواضعين التكذيب موضع التصديق و الظالمين أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد باختيار الضلالة على الهداية .

قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين (٦) ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم و الله عليم بالظالمين (٧) قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (٨) .

[قل يا أيّها الّذين هادوا] من هاد يهود إذا اختار اليهوديّة فإنّ المهاداة الممايلة فإنّهم مالوا عن الحقّ و قال بعضهم : يهود من قولهم : « إنّا هُدنا إليك » أي تبنا و كان بالأوّل اسم مدح كما أنّ النصارى اسم مدح لقولهم : « نحن أنصار الله » .

[إن زعمتم] و الزعم هو القول بلا دليل و أكثر ما يستعمل فيما يشكّ فيه و قيل : الزعم حكاية قول يكون مظنّة للكذب و يقال للمتكفّل و الرئيس : زعيم [أنّكم أولياء الله] جمع وليّ بمعنى الحبيب [من دون الناس] صفة أولياء أي من دون

الأُمّيّين و غيرهم ممّن ليس من بني إسرائيل من العرب و العجم يريد بذلك قولهم : « نحن أبناء الله و أحبّاؤه » و يدّعون أنّ الدار الآخرة لهم عند الله خالصة و قولهم : « لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً » فأمر الله رسوله بأن يقول لهم إظهاراً لكذبهم : إن زعمتم ذلك [فتمنّوا الموت] أي تمنّوا من الله أن يميتكم من دار البليّة إلى دار الراحة والكرامة و الفرق بين التمنّي و الاشتهاء أنّ التمنّي أعمّ من الاشتهاء لأنّه يكون في الممتنعات دون الاشتهاء .

[إن كنتم صادقين] جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أي إن كنتم صادقين و واثقين فتمنّوا الموت و المحبّ يكون مشتاقاً إلى لقاء محبوبه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ ابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي اُمّه .

[ولا يتمنّونه أبداً] إخبار بما سيكون منهم و أبداً ظرف بمعنى الزمان المتطاول و المراد به ماداموا في الدنيا [بما قدّمت أيديهم] أي يأبون التمنّي بسبب ما عملوا من الكفر و المعاصي الموجبة للنار و لمّا كانت اليدين جوارح الإنسان مناط عامّة أفعاله عبّر بها تارة عن النفس و اُخرى عن القدرة و الأيدي هنا بمعنى الذوات استعملت فيها لزيادة احتياجها إليها فكأنّها هي .

[و الله عليم بالظالمين] وضع المُظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم في كلّ اُمورهم أي عليم بهم و بظلمهم و فنون ظلمهم و وقع الأمر كما ذكر فلم يتمنّ منهم أحد موته و في الحديث لايتمنّينّ أحدكم الموت إمّا محسناً فإن يعش يزدد خيراً فهو خير له وإمّا مسيئاً فلعلّه أن يستعتب أي يسترضى ربّه بالتوبة والطاعة روي أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال في حقّ اليهود : لو تمنّوا الموت لغصّ كلّ إنسان بريقه فمات مكانه و ما بقي على وجه الأرض يهوديّ .

[قل إنّ الموت الّذي تفرّون منه] ولا تجسرون أن تمنّوه مخافة أن تؤخذوا بوبال كفركم [فإنّه ملاقيكم] البتّة من غير صارف يلويه [ثمّ تردّون] بعد الموت الاضطراريّ ترجعون [إلى عالم الغيب و الشهادة] الّذي لاتخفى عليه أفعالكم وأحوالكم

الظاهرة و الباطنة [فينبئكم بما كنتم تعملون] من الكفر و المعاصي و يجازيكم بها .

يا أيها الذين امنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكرالله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (٩) فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (١٠) واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين (١١) .

النداء رفع الصوت ونداء الصلاة مخصوص في الشرع بالألفاظ المعروفة والمراد بالصلاة صلاة الجمعة ودلّ عليه يوم الجمعة .

أي إذا أذن لصلاة الجمعة وذلك إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة و ذلك لأنّه لم يكن على عهد رسول الله نداء غيره وكان لرسول الله مؤذّن واحد هو بلال فإذا كان ﷺ على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام الصلاة .

[من يوم الجمعة] بضمّ الميم وهو الأصل والسكون تخفيفاً منه وإنّما سمّي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة و أوّل من سمّى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤيّ لصغير لأي سمّاه بها لاجتماع قريش فيه إليه وكانت العرب قبل ذلك تسمّيه العروبة .

وقيل : إنّ الأنصار قبل الهجرة قالوا لليهود : يومٌ تجمعون فيه في كلّ سبعة وللنصارى كذلك فهلمّوا نجعل لنا يوماً نجمع فيه فنذكر الله ونصلّي فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلّى بهم ركعتين فسمّوه الجمعة ثمّ ذبح لهم شاة فأكلوا فدارت عادة الإطعام بعد الصلاة إلى يومنا هذا فأنزل آية الجمعة فهي أوّل جمعة في الإسلام .

وأمّا أوّل جمعة جمعها رسول الله فهي أنّه لمّا قدم المدينة مهاجراً نزل قبائل بني عوف يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل حين امتدّ الضحى ومن تلك السنة يعدّ التاريخ الإسلاميّ فأقام بها يوم الاثنين والثلثاء والأربعاء و الخميس وأسّ مسجدهم ثمّ خرج يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فدا تّخذ القوم في ذلك الموضع مسجداً فخطب ﷺ وصلّى الجمعة وهي أوّل خطبة خطبها بالمدينة وأوّلها : الحمدلله واستعينه إلخ .

[فاسعوا إلى ذكرالله] السعي المشي السريع دون العدو أي اقصدوا إلى الخطبة

والصلاة لاشتمال كلّ منهما على ذكر الله وفي الحديث إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صُحف من فضّة وأقلام من ذهب يكتبون الأوّل فالأوّل على مراتبهم فإذا خرج النبيّ أو الإمام طويت الصحائف واجتمعوا للخطبة والمهاجر إلى الصلاة كالمهدي بدنة ثمّ الّذي يليه كالمهدي بقرة ثمّ الّذي يليه كالمهدي شاة حتّى ذكر الدجاجة والبيضة وهذه المثوبات والأحكام هل هو خاصّ من زمان الإمام وحضوره أو هذا الحكم جار في زمن الغيبة فيه بيان ليس هنا موضع بسطه.

[وذروا البيع] أي اتركوا المعاملة قيل: إنّ البيع هنا مجاز عن المعاملة مطلقاً والنهي عن البيع على أيّ صورة في المعنى يتضمّن النهي عن الشراء لأنّهما متضايفان لا يعقلان إلّا معاً فاكتفي بذكر أحدهما عن الآخر.

[ذلكم خير لكم] أي ما أمرتكم من حضور الجمعة واستماع الذكر وأداء الفريضة وترك البيع أنفع لكم عاقبة [إن كنتم] عالمين بمنافع اُموركم ومصالح أنفسكم وفي الآية دلالة على وجوب الجمعة وتحريم اُمور مانعة عن الحضور، وفيها دلالة على أنّ الخطاب للاحتراز لأنّ العبد لا يملك البيع وعلى اختصاص الجمعة بمكان ولذلك أوجب السعي إليه وفرض الجمعة لازم بجميع المكلّفين إلّا أصحاب الأعذار من السفر أو المرض أو العمى أو العرج أو أن يكون امرأةً أو شيخاً همّاً لا حراك به أو عبداً أو يكون على رأس أكثر من فرسخين من الجامع وعند حصول هذه الشرائط لا يجب إلّا عند حضور السلطان العادل أو من نصبه السلطان للصلاة والعدد عند أهل البيت صلوات الله عليهم يتكامل بسبعة وقيل: ينعقد بثلاثة سوى الإمام عن أبي حنيفة وقيل: ينعقد بأربعين رجلاً أحراراً بالغين مقيمين عند الشافعيّ وقيل: ينعقد باثنين سوى الإمام وبالجملة الاختلاف بين الفقهاء في مسائل الجمعة كثير من أراد فموضعه كتب الفقه.

[فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض] فإذا قضيت الصلاة الّتي نوديتم لها واُدّيت وفرغ منها فانتشروا في الإرض لإقامة مصالحكم وتفرّقوا فيها لحوائجكم المشروعة والأمر أمر الرخصة لا أمر العزيمة.

[وابتغوا من فضل الله] واطلبوا لأنفسكم وأهليكم الرزق الحلال. قيل: إنّ هذا

الأمر للإطلاق بعد الحظر وهو الإباحة كقوله : « وإذا حللتم فاصطادوا[١] » وقال سعيد بن جبير : إنّه للندب وقال : إذا انصرفت من الجمعة فساوم بشيء و إن لم تشتره و قال ابن عبّاس : لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنّما هو عيادة المرضى وزيارة أخ في الله و حضور الجنائز وطلب العلم وأمثالها .

[واذكروا الله] بالجنان و اللسان [كثيراً] ذكراً كثيراً وزماناً كثيراً ولاتخصّوا ذكره تعالى بالصلاة و قيل : المراد من الذكر هنا الفكر كما قال : تفكّر ساعة خير من عبادة سنة وقيل : معناه اذكروا الله في تجاراتكم وأسواقكم كما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال : من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب له ألف حسنة و يغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر .

[لعلّكم تفلحون] أي لتفلحوا و تفوزوا بثواب النعيم وصحّ الحديث عن أبي ذرّ عن رسول الله قال : من اغتسل يوم الجمعة فأحسن غسله و لبس صالح ثيابه و مسّ من طيب بيته أو دهنه ثمّ لم يفرّق بين اثنين غفر الله ما بينه و بين جمعة الاُخرى وزيادة ثلاثة أيّام بعدها أورده البخاريّ في الصحيح و روى سلمان التيميّ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : إنّ لله تعالى في كلّ جمعة ستّمائة ألف عتيق من النار كلّهم قد استوجب النار .

[و إذا رأوا تجارة] فأخبر سبحانه عن أحوال أهل الدنيا أنّهم قابلوا أكرم الكرم بالأم اللؤم فقال : و إذا رأوا بتجارة المراد تجارة دحية الكلبيّ قبل أن يسلم روي أنّ دحية بن خليفة الكلبيّ قدم المدينة بتجارة من الشام و كان بالمدينة مجاعة و غلاء سعر وكان معه جميع ما يحتاج إليه من بُرّ و دقيق وزيت وغيرها و النبيّ يخطب يوم الجمعة فلمّا علم أهل المسجد ذلك قاموا إليه خشية أن يسبقوا في الشراء فما بقي إلّا ثمانية أو أحد عشر أو أربعون فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : والّذي نفس محمّد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادي ناراً .

[أو لهواً] و المراد الطبل و ما يشبهه و كانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبول و الدفوف و الصفيق و هو المراد من اللهو في الآية [انفضّوا إليها] و تفرّقوا وانتشروا إلى التجارة و اللهو .

(١) المائدة : ٣ .

[و تركوك] حالكونك قائماً على المنبر عن جابر بن عبدالله قال : كان النبيّ ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين قائماً يفصل بينهما بجلوس ومن ثمّـة كانت السنّـة في الخطبة ذلك و الخطبة مشتملة على التوحيد و الحمد و التصلية على النبيّ و النصيحة للمسلمين و الدعاء لهم .

[قل ما عند الله] من الثواب [خير من اللهو] و استماعه [و من التجارة] و نفعها [والله خير الرازقين] لأنّـه موجد الأرزاق و في قوله : خير من اللهو و التجارة و قوله : خير الرازقين من قبيل الفرض و التقدير إذا لاخيرة في اللهو و لارازق إلّا الله فيكون إن وجد في اللهو خيرة و إن وجد رازقون غير الله والله خيرهم .

قال في الأحياء : يستحبّ أن تقول بعد صلاة الجمعة : اللهمّ يا غنيّ يا حميد يا مبدىء يا معيد يا رحيم ياودود ، أغنني بحلالك عن حرامك و بفضلك عمّن سواك فيقال : من دوام على هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه و رزقه من حيث لا يحتسب و في الحديث من قال : يوم الجمعة اللهمّ أغنني بحلالك عن حرامك و بفضلك عمّن سواك سبعين مرّة لم تمرّ به جمعتان حتّى يغنيه الله ، عن أنس بن مالك

تمّت السورة بعون الله

سورة المنافقون

✡(مدنية)✡

من قرأها بريء من النفاق .

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون (١) اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ماكانوا يعملون (٢) ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون (٣) و اذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون (٤) و اذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورايتهم يصدون و هم مستكبرون (٥) سواء عليهم أستغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لايهدى القوم الفاسقين (٦) .

النفاق إظهار الإيمان باللسان و كتمان الكفر بالقلب و بعبارة اُخرى الدخول في الشرع من باب و الخروج منه من باب مأخوذ من النافقاء إحدى جحر اليربوع والضبّ يكتمها و يظهر غيرها فإذا اُتي من قبل القاصعاء و هو الّذي يدخل منه ضرب النافقاء برأسه فانتفق ، و النفق هو السرب في الأرض النافذ .

[إذا جاءك المنافقون] و حضروا مجلسك [قالوا نشهد إنّك] مؤكّدين كلامهم بأنّك [لرسول الله] و جواب إذا محذوف تقديره فاحذرهم و الشهادة قول صادر عن علم حصل بشهادة بصر أو بصيرة [والله يعلم أنّك لرسوله] أي والله يشهد إنّك لرسوله و كفى به شهيداً و كلّما جاء لفظة إنّ بعد العلم فهي مفتوحة إلّا إذا دخلت لام الابتداء على

خبرها فحينئذ تكون مكسورة و ذلك لأنّ اللام لتأكيد معنى الجملة و لا جملة إلّا في صورة المكسورة.

[والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون] أي إنّهم كاذبون و الظاهر في موضع الضمير إشعاراً لذمّهم.

[اتّخذوا] أي المنافقون [أيمانهم] الفاجرة [جنّة] أي تُرساً و وقاية عمّا يتوجّه إليهم من المؤاخذة بالقتل و غير ذلك و المعنى من اتّخاذ الأيمان جنّة إعدادهم وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ليخلصوا بها من المؤاخذة.

[فصدّوا عن سبيل الله] فمنعوا و صرفوا عن سبيل الإسلام من أراد الدخول فيه بقولهم : إنه صلى الله عليه وآله وسلم ليس برسول و منعوا من أراد الإنفاق في سبيله [إنّهم ساء ما كانوا يعملون] أي ساء الشيء الّذي كانوا يعلمونه من الصدّ والنفاق.

[ذلك بأنّهم] أي كونهم أسوأ الناس عملاً بسبب أنّهم [آمنوا] ونطقوا بكلمة الشهادة [ثمّ كفروا] و ظهر كفرهم من قولهم : إن كان ما يقوله محمّد حقّاً فنحن حمير و يجوز أن يراد بهذه الآية أهل الردّة منهم كما قال الزمخشريّ في الكشّاف.

[فطبع على قلوبهم] معاقبة على سوء أفعالهم و ليس لهم أن يقولوا : إنّ الله ختم على قلوبنا فكيف نؤمن ؟ لأنّه تعالى خلّاهم واختيارهم فصار ذلك طبعاً على قلوبهم وهو إلفهم إلى مااعتادوه من الكفر [فهم لايفقهون] ولايعلمون الحقّ من حيث إنّهم لايتفكّرون حتّى يميّزوا بين الحقّ و الباطل.

[إذا رأيتهم] و المراد الرؤية البصريّة [تعجبك أجسامهم] و يروقك منظرهم لصباحة وجوههم و العجيب هو الّذي يعظم في النفس أمره لغرابته [و إن يقولواتسمع لقولهم] أي ألسنتهم ذلقة لفصاحتهم و حلاوة كلامهم و كان عبدالله بن اُبيّ صبيحاً جسيماً يحضر مجلس رسول الله في نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة و الّذين معرسول الله من أصحابه يعجبون بهيا كلهم و يسمعون كلامهم فإنّ الفصاحة و حسن المنظر داعية إلى الميل غالباً ، قال بعضهم :

يدلّ على معروفة حسنوجهه ❊ و مازال حسنالوجه إحدىالشواهد

روي عن بعض الحكماء إنّه رأى غلاماً حسناً وجهه و استنطقه لظنّه ذكاء

فطنته فما وجد عنده معنى فقال : ما أحسن هذا البيت لو كان فيه ساكن .

[كأنّهم خشب مسنّدة] خبر مبتدء محذوف أي هم كالخشب بضمّتين جمع خشبة مثل أُكم و أكمة و الخشب ماغلظ من العيدان كأنّها اُسندت إلى موضع شبّههم سبحانه في جلوسهم مجلس رسول الله و مستندين فيه بأخشاب منصوبة مسنّدة إلى الحائط في كونهم أشباحاً خاليه عن الخير و الانتفاع فكما أنّ مثل هذا الخشب لانفع فيه فكذاهم لانفع فيهم و كذاقوله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عندالله جناح بعوضة ، على أنّ الكمال و النقصان بالأصغرين : اللسان و القلب لا بالأكبرين : الرأس و الجلد .

[يحسبون كلّ صيحة] يظنّون كلّ صوت ارتفع واقعة [عليهم] أي إذا نادى مناد في المدينة أو في العسكر لمصلحة أو انفلتت دابّة أو اُنشدت ضالّة بين الناس ظنّوه إيقاعاً بهم لجبنهم و استقرار الرعب في قلوبهم و الخائن خائف و في الآية تخفيف لقدرهم قال الشاعر : « إذا رأى غير شيء ظنّه رجلاً » ، و كانوا على وجل من أن ينزّل الله فيهم ما يهتك أستارهم و يبيح دماءهم و أموالهم .

[هم العدوّ] أي هم العدوّ لك يا محمّد و للمؤمنين في الحقيقة فاحذرهم من أن تأمنهم على سرّك و لاتثق بهم فإنّهم يفشون سرّك والعدوّ لكونه بزنة المصادر يقع على الواحد و الجمع .

[قاتلهم الله] دعاء عليهم و لعنهم سبحانه أو تعليم للمؤمنين بالبراءة منهم و هي كلمة ذمّ و توبيخ بين الناس [أنّى يؤفكون] تعجيب من حالهم أي كيف يصرفون عن الحقّ من الأفك بفتح الهمزة بمعنى الصرف عن الشيء .

[و إذا قيل لهم تعالوا] قيل : إنّه بعد نزول هذه الآيات قال بعض أصحاب ابن اُبيّ : إنّ هذه الآيات نزلت فيك اذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى يرضى عنك و يستغفر ربّه لك فقال اللعين : قال لي محمّد أن آمن فآمنت و قال : أدّ زكاة مالك فأدّيت مابقي لي إلّا أن أسجده فنزلت هذه الآية « و إذا قيل لهم تعالوا » أصله تعاليوا فاُعلّ بالقلب والحذف و إنّ واحد الماضي «تعالى» بإثبات الألف المقلوبة عن التاء المقلوبة عن الواو الواقعة رابعة

و واحد الأمر تعالَ بحذفها وقفاً و فتح اللام وأصل معنى التعالي الارتفاع فإذا أمرت منه قلت : تعال و تعالوا و معناه ارتفعوا ثمّ استعمل في كلّ داع يطلب المجيء ، لما فيه حسن الأدب في الطلب أي هلمّوا وائتوا و من الأدب أن لا يقال : تعالى فلان لأنّه ممّا اشتهر به الله فتعالى الله الملك الحقّ .

[يستغفر لكم رسول الله] جواب الأمر أي يدع الله لكم و يطلب منه أن يغفر ذنوبكم [لوّوا رؤوسهم] أي أمالوا و عطفوا رؤوسهم و وجوههم استكباراً [و رأيتهم يصدّون] و يعرضون عن القائل و الاستغفار [و هم مستكبرون] عن هذا الأمر لغلبة الشيطنة و في الحديث إذا رأيت الرجل لجوجاً مُعجباً برأيه فقد تمّت خسارته .

[سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم] و كلمة سواء اسم بمعنى مُستوٍ خبرٌ مقدّم وعليهم متعلّق به و ما بعده من المعطوف عليه و المعطوف مبتدء بتأويل المصدر و الأصل ءأستغفرت فحذفت همزة الوصل الّتي هي ألف الاستفعال للتخفيف ومعنى الآية : يتساوى الاستغفار و عدمه لهم ولايفيدهم .

[لن يغفر الله لهم] لأنّهم مبطنين الكفر و إن أظهروا الإسلام [إنّ الله لا يهدي القوم الفاسقين] الخارجين عن الدّين إلى طريق الجنّة أخبر سبحانه نبيّه أنّهم يموتون على الكفر و قد كان النبيّ ﷺ يستغفر لهم رجاء أن يسلموا و في الحقيقة استغفاره لهم طلب الهداية لهم لأنّه نبيّ الرحمة قيل : لمّا قال الله : « إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم » قال : لأزيدنّ على السبعين فأنزل الله « سواءٌ » إلخ ، فعلم ﷺ أنّهم يموتون على الكفر فترك الاستغفار .

هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون (٧) يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون (٨) يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله و من يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون (٩) و انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين (١٠) و لن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها و الله خبير بما تعملون (١١)

المنافقون[هم الّذين يقولون]للأنصار، تعليل لعدم مغفرتهم[لاتنفقوا] لاتعطوا النفقة الّتي يتعيّش بها [على من عند رسول الله] يعنون فقراء المهاجرين ، و قولهم : رسول الله إمّا للهزؤ و التهكّم أو لكونه كاللقب له أواشتهاره به فلو كانوا مقرّين برسالته لما صدر عنهم ماصدر أوتعبيرالله له إجلالاً له [حتّى ينفضّوا]ويتفرّقوا عن حوله ﷺ والانفضاض التفرّق و التشتّت وذلك لجهلهم عمّا في خزائن الله .

[ولله خزائن السماوات و الأرض] و بيده تعالى خزائن الأرزاق [ولكنّ المنافقين لايفقهون] ذلك لجهلهم قيل : لمّا بلّغ موسى عليه السلام جعله كلّاً على بني إسرائيل امتحاناً له فغلق موسى من تغيير الحال عليه و قال: يا ربّ أغنني عن بني إسرائيل فأوحى الله إليه أما ترضى أن أُفرغك لعبادتي وأجعل مؤونتك على غيرك فسكت ثمّ سأل ثانياً فأوحى الله إليه لا يليق بنبيّ أن يرى في الوجود شيئاً لغير سيّده فكلّ من رزق ربّك ولا منّة لأحد عليك فسكت، فالله تعالى يوصل الرزق إلى عبده بيد من يشاء من عباده مؤمناً كان أو كافراً فالأغنياء إن خُصّوا بوجود الأرزاق فالفقراء خصّوا بشهود الرزّاق وخزائن الله في السماوات الغيوب وفي الأرض القلوب فما انفصل من الغيوب وقع على القلوب ويمكن أنّ الأرزاق السماويّة المعارف و العلوم المخزونة لخواصّ العباد القابلين لها و خزائن الأرزاق الأرضيّة هي المأكولات و المشروبات وأمثالها .

[يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ] روي أنّ النبيّ ﷺ حين لقي بني المصطلق على المريسع من نواحي المدينة و قاتل معهم و هزمهم وسبى منهم و ازدحم على الماء جهجاه الغفاريّ و هو أجير لعمر بن الخطّاب و سنان الجهنّي المنافق حليف ابن أُبيّ المنافق واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين و سنان الأنصار فلطم رجل يقال له «جعال» من فقراء المهاجرين سناناًفاشتكى سنان إلى ابن أُبيّ فقال ابن أُبيّ : ما صحبنا محمّداً إلّا لنلطم و الله ما مثلنا و مثلهم إلّا كما قيل : سمّن كلبك يأكلك أما و الله لئن رجعنا من هذا السفر إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ـ و عنى بالأعزّ نفسه و بالأذلّ جانب المؤمنين ـ استناد القول إلى المنافقين مع أنّه هو

(١) التوبة : ٨١ .

القائل لرضاهم به ثمّ قال اللعين : ماذا فعلتم بأنفسكم ؟ أحللتوهم بلادكم و قاسمتوهم أموالكم فلاتنفقوا عليهم حتّى ينفضّوا من حول محمّد .

فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال له : أنت والله الذليل ومحمّد في عزّ الرحمن ثمّ أخبر زيد بذلك رسول الله فتغيّر وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال عليه السلام لابن اُبيّ : أنت صاحب الكلام الّذي بلغني قال : و الله الّذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً و إنّ زيداً لكاذب فقال الحاضرون : شيخنا و كبيرنا تصدّق عليه كلام غلام ؟ وعسى أن يكون وهمُ فروي أنّ رسول الله قال لزيد : لعلّك غضبت عليه قال زيد : لا ، قال : فعلّه أخطأك سمعك قال لا : قال : فلعلّه شبّه عليك قال : لا ، فلمّا نزلت الآية لحق رسول الله زيداً من خلفه فعرك اُذنه وقال : وفت اُذنك يا غلام إنّ الله صدّقك و كذّب المنافقين .

[و لله العزّة و لرسوله و للمؤمنين] أي ولله الغلبة و القوّة و لمن أعزّه من رسوله و المؤمنين لالغيرهم و من كان في الدنيا عبداً محضاً كان في الآخرة ملكاً محضاً ومن كان في الدنيا يدّعي الملك لشيء ولو من جوارحه نقص من ملكه في الآخرة بقدر ماادّعاه في الدنيا فلاأعزّ في الآخرة ممّن بلغ في الدنيا غاية الذلّ في جانب الله ولاأذلّ في الآخرة ممّن بلغ في الدنيا غاية العزّة في نفسه و عزّة الله العظمة و القدرة و عزّة الرسول النبوّة و الشفاعة وعزّة المؤمنين الإيمان و العبوديّة و العزّة لله بالأصالة و الدوام وعزّة غيره منه تعالى فللّه العزّة جميعاً ولهذا قيل : من عظم الربّ في قلبه صغر الخلق في عينه وهذا معنى قوله : من تواضع غنيّاً لأجل غناه ذهب ثلثا دينه لأنّ التواضع يكون بثلاثة أشياء بلسانه و بدنه و قلبه فإذا تواضع له بلسانه و بدنه و لم يعتقد له العظمة بقلبه ذهب ثلثا دينه فإن اعتقدها بقلبه أيضاً ذهب كلّ دينه .

قال بعضهم : رأيت رجلاً في الطواف و بين يديه خدم يطردون النّاس ثمّ رأيته بعد ذلك على جسر بغداد يتكفّف و يسأل فحدقت النظر إليه لأعرّفه هل هو ذلك الرجل أولا فقال لي : مالك تطيل النظر إليّ ؟ أنا ذاك إنّي تكبّرت في موضع يتواضع الناس فيه فوضعني في موضع يترفّع فيه الناس .

[و لكنّ المنافقين لا يعلمون] من فرط جهلهم ، ختم الآية الاُولى بلايفقهون

و الثانية بلا يعلمون للتفنّن المعتبر في البلاغة و تأكيد بيان جهلهم . روي أنّ عبدالله ابن اُبيّ لمّا أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبدالله بن عبدالله بن اُبيّ وكان مخلصاً وسلّ سيفه ومنع أباه من الدخول وقال : لئن لم تقرّ لله ولرسوله بالعزّ لأضربنّ عنقك فقال : ويحك أفاعل أنت ؟ قال نعم : فلمّا رأى منه الجدّ قال : أشهد أنّ العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال ﷺ لابنه : جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً .

ولمّا كان ﷺ بقرب المدينة هاجت ريح شديدة كادت يدفع الراكب فقال ﷺ : مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة ولأجل ذلك، عصفت الريح فكان كما قال ، مات في ذلك اليوم زيد بن رفاعة و كان كهفاً للمنافقين وكان من عظماء بني قينقاع و كان ممّن أسلم ظاهراً وإلى ذلك أشار السبكيّ في تائيّته بقوله :

و قد عصفت ريح فأخبر أنّها * لموت عظيم في اليهود بطيبة

[يا أيّها الّذين آمنوا] إيماناً صادقاً [لاتلهكم أموالكم و لاأولادكم عن ذكر الله] أي لايشغلكم الاهتمام بتدبير اُمورها و بمصالحها عن الاشتغال بذكره تعالى من الصلاة و سائر العبادات المذكورة للمعبود قيل : الذكر باللسان الصلاة و قراءة القرآن و التسبيح و التهليل والتمجيد وتعلّم علم الدّين وتعليمها والذكر بالقلب الخوف .

[و من يفعل ذلك] و تلهّى بالدنيا عن الدّين وعن الذكر [فاُولئك هم الخاسرون] الكاملون في الخسران و في الحديث : ما طلعت الشمس إلّا و بجنبيها ملكان يناديان و يسمعان الخلائق غير الثقلين يا أيّها الناس هلمّوا إلى ربّكم ، ماقلّ و كفى خيرٌ ممّا كثر وألهى ، يقول الله سبحانه لهم : لاتشغلكم أموالكم و أولادكم من إطاعتي و عن أداء الفرائض في أوقاتها .

[و أنفقوا ممّا رزقناكم] أي بعض ما أعطيناكم ادّخاراً للآخرة [من قبل أن يأتي أحدكم الموت] بأن يشاهد دلائله و يعاين أماراته [فيقول] عند تيقّنه بحلوله : [ربّ] يا إلهي [لولاأخّرتني] هلاّ أمهلتني للتحضيض و قيل : لا زائدة للتأكيد و لو للتمنّي بمعنى لو أخّرتني [إلى أجل قريب] أي أمد قصير و ساعة اُخرى قليلة و يقول ردّني إلى الدنيا و أبقني زماناً قليلاً [فأصّدّق] و هو بقطع الهمزة لأنّها للكلام و همزته

مقطوعة بتشديد الصاد لأنّ أصله أتصدّق و أُدغمت التاء في الصاد و ينصب المضارع بأن مضمرة بعد الفاء في جواب التمنّي [و أكن من الصالحين] بالجزم عطفاً على محلّ فأصّدّق لأنّ المعنى إن أخّرتني أصّدّق و أكن .

والفرق بين الصدقة والهديّة أنّ الصدقة للمحتاج بطريق الرحم والهديّة للتحبّب و المودّة و لذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يقبل الهديّة لاالصدقة فرضاً كانت أو نفلاً .

قال ابن عبّاس : الآية تشمل المؤمن و الكافر و من كان له مال تجب عليه الزكاة فلم يزكّه أو مال يبلغه إلى بيت الله الحرام فلم يحجّ يسأل الرجعةعندالموت، فسئل: وما توجب الزكاة؟ فقال : مائتا درهم فصاعداً قيل : ما توجب الحجّ؟ قال : الزاد والراحلة .

[ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها] ولن يمهلها مطيعة كانت أو عاصية صغيرة أو كبيرة إذا انتهى أمدها [و الله خبير بما تعملون] فيجازيكم عليه إن خيراً فخير و إن شرّاً فشرّ فسارعوا في الخيرات و بادروا لما هو آت قيل : حقيقة الإيمان غلبة حبّ الله على محبّة كلّ شيء و في الحديث لأن يتصدّق المرء في حياته بدرهم خيرٌ من أن يتصدّق بمائة عند موته .

قال رجل : يا رسول الله أيّ الصدقة أعظم أجراً ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : أن تتصدّق و أنت صحيح شحيح تخشى الفقر و تأمل الغنى

جعلنا الله من المنفقين مالاً و نفساً

في مرضاته

تمّت السورة بعون الله .

سورة التغابن

يختلف في كونها مكيّة أومدنيّة ؛ قال ابن عبّاس : هي مكيّة غير ثلاث آيات من آخرها نزلن بالمدينة: « يا أيّها الّذين آمنوا إنّ من أزواجكم» إلى آخر السورة

عن اُبيّ بن كعب قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : ومن قرأ سورة التغابن دُفع عنه موت الفجأة

ابن أبي العلا عن الصادق عليه السلام قال : من قرأ سورة التغابن في فريضته كانت شفيعته يوم القيامة و شاهد عدل عند من يجيز شهادتها ثمّ لا تفارقه حتّى يدخل الجنّة .

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السماوات و ما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (١) هو الذي خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن و الله بما تعملون بصير (٢) خلق السماوات و الارض بالحق و صوركم فاحسن صوركم و اليه المصير (٣) يعلم ما في السماوات و الارض و يعلم مايسرون و ما يعلنون والله عليم بذات الصدور (٤) الم يأتكم نبؤ الذين كفروا من قبل فذاقوا و بال أمرهم ولهم عذاب أليم (٥) .

المعنى : ينزّه الله [ما في السماوات] من الروحانيّات [وما في الأرض] من الجسمانيّات عمّا لايليق بجناب كبريائه تنزيهاً مستمرّاً و المراد إمّا تسبيح الإشارة الدالّة من وجود المسبّح على كمال تنزّهه تعالى عن جميع النقائص أوالمراد من التسبيح هو أن يقول : سبحان الله و على المعنى الأوّل فظاهر لأنّه في الحقيقة لم يتحرّك موجودٌ إلّا بأمره و خلقه و تلك الحركة والموجوديّة إجابة داعي القدم لذاته تعالى و ذلك محض التقديس .

[له الملك] الدائم الّذي لايزول [و له الحمد] أي حمد الحامدين و هو الثناء بذكر الأوصاف الجميلة و الأفعال الجزيلة وتقديم الجارّ و المجرور لتأكيد الاختصاص فان اللّام مشعر لمعنى الاختصاص وأمّا حمد غيره و ملك غيره لا من حيث الحقيقة بل عارية ومجاز تسليط من حيث الصورة .

[و هو على كلّ شيء قدير] لأنّ نسبة ذاته المفيضة للقدرة إلى الكلّ سواء فهو القادر على الإيجاد والإعدام و الإسقام و الإبراء والإعزاز والإذلال و التبييض والتسويد من الاُمور الغير المتناهية وقدرة الله تصلح للخلق وقدرة العبد مع أنّها عارية تصلح للكسب فالعبد لايوصف بالقدرة على الخلق والله لايوصف بالقدرة على الكسب .

[هو الّذي خلقكم] خلقاً بديعاً قابلاً لجميع مبادىء الكمالات العلميّة والعمليّة و مع ذلك [فمنكم كافر] فبعضكم مختار للكفر كاسب له حسبما يقتضيه سوء اختياره وميل نفسه مع أنّه كان الواجب عليكم جميعاً أن تكونوا مختارين للإيمان شاكرين لنعمة الإيجاد و الخلق و ما يتفرّع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكّنكم منه بل تشعّبتم شُعباً شُعباً، و الكفر والإيمان اكتساب العبد لقول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : كلّ مولود يولد على الفطرة إلّا أنّ أبويه يهوّدانه أو ينصّرانه، وقوله تعالى: «فطرة الله الّتي فطر الناس عليها»[1]، فلكلّ واحد من الفريقين كسب و اختيار، وهذا هو المذهب الحقّ خلاف ما يقول أهل السنّة [و منكم مؤمن] و مختارٌ للإيمان [و الله بما تعملون] مطلقاً [بصير] فيجازيكم بذلك.

[خلق السماوات والأرض بالحقّ] بالحكمة المتضمّنة للمصالح الدينيّة والدنيوية فإن قيل: ما وجه عدم ذكر العرش و الكرسيّ في أمثال هذه المواضع مع عظم خلقهما؟ فالجواب إنّهما و إن كانا من السماء لأنّ السماء هو الفلك والفلك جسمٌ شفّاف محيطٌ بالعالم، هما أوسع الأفلاك إحاطةً و عظمةً إلّا أن آثارهما غير ظاهرة للخلق بخلاف السماوات و الأرض و ما بينهما فإنّها معلوم حالها عند المخاطبين في الجملة و مكشوفة آثارها كما قالوا: إنّ الشمس تنضج الفواكه و القمر يلوّنها والكواكب تعطيها الطعوم و التغيّرات فيها أظهر فهي على عظم القدرة أدلّ و هذه الشؤون و التغيّرات فيها بأمر الله و وديعته إيّاها وهي في عالم الكون و الفساد الّذي هو عبارة عن السماوات والأرض إنهما من العنصريّات النهاية أنّ عنصر الأرض غير عنصر السماء لكنّها من العناصر بخلاف العرش والكرسيّ فإنّهما ليستا من العناصر ولهذا لايفنيان.

[و صوّركم فأحسن صوركم] الفاء للتفسير أي صوّركم أحسن تصوير و تقويم و خصّكم بخصائص مبدعاته و لذا لايتمنّى الإنسان أن يكون صورته خلاف ما هو عليه و لا يقدح في كونه أحسن الصور كون بعض الصور قبيحاً بالنسبة إلى بعض لأنّ الحسن هو الجمال في الوضع و ذلك القبيح الصورة إذا قابست وضعه و خلقته مع كلّ ذي روح

(١) الانعام: ٧٩.

من نوع الحيوان بل الأجسام السفليّة مطلقاً فذلك القبيح الصورة أحسن وضعاً وأتمّ خلقة . و المعتدّ به هو الحسن المعنوي و يكون مقارناً بالإيمان الّذي هو أحسن السير و في الحديث : خلق الله آدم على صورته أي على الصورة الالهيّة الّتي هي عبارة عن صفاته العُليا وأسمائه الحُسنى و إلّا فالحسن الصوريّ يوجد في الكافر أيضاً نعم قد يوجد في الكافر سيرة حسنة و خلقٌ حميد كعدل أنوشيروان لكنّ المعتدّ به أيضاً الإيمان و لو أنّ تلك السيرة الحسنة تنفعه لكن نفعاً مختصراً و الجميل لا يضيّع ولو في الجملة .

[و إليه المصير] و الرجوع إليه في النشأة الآخرة فأحسنوا سرائركم باستعمال قواكم في طاعته حتّى يوافق السيرة الجميلة و الصورة الحسنة في الرجوع فكم من صورة حسناء تكون في العُقبى شوهاء بقبح السريرة و كم من صورة قبيحة تكون حسناء بحسن السيرة و قد ثبت أنّ ضرس الكافر يوم القيامة مثل جبل اُحد و أنّ غلظ جسده مسافة ثلاثة أيّام وأنّه يسوء خلقه فيغلظ شفته العُليا حتّى تبلغ وسط رأسه و تسترخي شفته السفلى حتّى تضرب سرّته وإنّ أهل الجنّة ضوء وجوههم كضوء القمر ليلة البدر مكحلون أبناء ثلاث وثلاثون، فياعجباً من إنسان خفي عليه ما اُودع في أرض وجوده من كنز إلهيّ غيبيّ من نال إليه لو يفتقر أبداً و كيف أقام في الحضيض مع سهولة العروج .

[يعلم ما في السماوات و الأرض و يعلم ما تسرّون و ما تعلنون] من الأمور الكلّيّة والجزئيّة و الجليّة و الخفيّة [و الله عليم بذات الصدور] محيط بجميع المضمرات في الصدور و في الآية بيان ترقّ من الأظهر إلى الأخفى من الحقّ و الباطل و الرياء والإخلاص .

[ألم يأتكم نبأ الّذين كفروا] أيّها الكفرة؟ والهمزة للاستفهام ولم للجحد ومعناه التحقيق و المراد من نبأهم أي خبر قوم نوح و من بعدهم من الاُمم [من قبل] متعلّق بكفروا أي قبلكم [فذاقوا وبال أمرهم] و الذوق و إن كان في العرف للقليل لكنّه مستصلح للكثير إذ ما ذاقوا بالنسبة إلى عذاب جهنّم كالذوق و الوبال الثقل و الشدّة و منه الوابل للمطر الثقيل و المراد من الأمر الكفر عبّر عنه بالأمر للإيذان بأنّه أمر هائل و جناية عظيمة .

[ولهم] في الآخرة بعد ذلك الذوق [عذاب أليم] كثير الألم و فيه إخبار بأنّ ما أصابهم في الدنيا لم يكن كفّارة لذنوبهم و إلّا لم يعذّبوا في الآخرة بخلاف المؤمنين فإنّ ما أصابهم في الدنيا من الآلام والمصائب كفّارة لذنوبهم على ماورد في الأخبار الصحيحة .

ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا و تولوا و استغنى الله و الله غنى حميد (٦) زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى و ربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم و ذلك على الله يسير (٧) فامنوا بالله و رسوله و النور الذى انزلنا و الله بما تعملون خبير (٨) يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً نكفر عنه سيئاته و ندخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً ذلك الفوز العظيم (٩) والذين كفروا و كذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها و بئس المصير (١٠) .

المعنى : [ذلك] أي ما ذكر من العذاب الّذي ذاقوه و سيذوقوه في الآخرة [بأنّه] بسبب أنّ الشأن [كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات] و المعجزات الظاهرة و الباء إمّا للملابسة أو للتعدية [فقالوا] عطف على كانت [أبشر يهدوننا] و أنكروا أن يكون الرسول من جنسهم متعجّبين من ذلك أبشر و آدميّ مثلنا يهدينا إلى الله كما قالت ثمود : «أبشراً منّا واحداً نتّبعه» أنكروا أن يكون الرسول بشراً ولم ينكروا أن يكون المعبود حجراً و مثل أن عبدوا العجل و أقرّوا له بالمعبوديّة و أنكروا نبوّة موسى .

[وتولّوا] و أدبروا فيما أتوا به عن التصديق لهم فاستغنى الله أي أظهر استغناءه عن إيمانهم حيث أهلكهم و قطع دابرهم حيث علم سبحانه أنّه ليس فيهم من يؤمن [والله غنيّ] عن العالمين [حميد] في أفعاله يحمده كلّ مخلوق بلسان الحال و إن كان لم يعرفه و يقرّ بألوهيّته وفي الأربعين الإدريسيّة : ياحميد الفعال ذا المنّ على جميع خلقه بلطفه ، من داومه يحصل له من الأموال غاية .

[زعم الّذين كفروا أن لن يبعثوا] عبّر سبحانه بالزعم إشعاراً بأنّه لا سند في الحكم سوى ادّعائه إيّاه و المراد من الموصول كفّار مكّة و أن مخفّفة ادّعوا أنّ الشأن

لن يبعثوا بعد موتهم ولن يقاموا ، قيل : لكلّ شيء كناية و كناية الكذب زعم .

[قل] ردّاً لهم و إبطالاً لزعمهم [بلى] أن تبعثوا فإنّ بلى لإيجاب النفي الّذي قبله [و ربّي لتبعثنّ ثمّ لتنبؤنّ بما عملتم] أي لتحاسبنّ و تجزون بأعمالكم و بيان لتأكيد إثبات البعث و لتبعثنّ أصله لتبعثون حذفت واوه لاجتماع الساكنين وهو جواب قسم قبله [و ذلك] البعث و الجزاء [على الله يسير] لوجود القدرة التامّة وقبول المادّة .

و إذا كان الأمر كذلك [فآمنوا بالله ورسوله] محمّد [والنور الّذي أنزلنا] وهو القرآن حقّ نازل من عندالله مظهراً للحقّ و الباطل كما أنّ النّور كذلك و الالتفات إلى نور العظمة لإظهار العناية [والله بما تعملون] من الامتثال بالأمر وعدمه [خبير] .

[يوم يجمعكم] ظرف لتنبؤنّ و ما بينهما اعتراض أو مفعول لاذكر [ليوم الجمع] ليوم يجمع فيه الأوّلون و الآخرون من الجنّ و الإنس و أهل السماء والأرض لأجل الحساب و الجزاء و هو يوم القيامة و اللام للعهد عن النبيّ صلّى الله عليه وآله إذا جمع الأوّلين و الآخرين جاء مناد يُنادي بصوت يسمع الخلائق كلّهم سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم اليوم ثمّ يرجع ينادي : ليقم الّذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، فيقومون وهم قليل فيسرحون إلى الجنّة ثمّ يحاسب سائر الناس و قيل : المراد جمع الله و عمله . وقيل بين الظالم و المظلوم أو بين كلّ نبيّ و اُمّته .

[ذلك] اليوم [يوم التغابن] تفاعل من الغبن و هو أن تخسر صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفاء و التغابن أن يغبن بعضهم بعضاً و يوم القيامة يوم غبن بعض الناس بعضاً بنزول السعداء منازل الأشقياء و بالعكس فالكافر أخذ الشرّ و ترك الخير و المؤمن ترك حظّه من الدنيا و أخذ حظّه من الآخرة ترك ما هو شرّ له و أخذ ماهو خيرٌ له فكان غالباً والكافر كان مغبوناً فيظهر في ذلك اليوم التغابن لظهور الغبن في المباهاة المشار إليها بقوله : «إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة[1]» .

و قيل : يظهر الغبن من الكافر بترك الإيمان ومن المؤمن بتقصيره في الإحسان وفي الحديث لايلقى الله أحدٌ إلّا نادماً إن كان مسيئاً أن لم يحسن وإن كان محسناً أن لم يزدد .

---

(١) التوبة : ١١٢ .

[و من يؤمن بالله] بالإخلاص ويعمل صالحاً بمقتضى إيمانه، حكي أنّ إبراهيم ابن أدهم أراد أن يدخل الحمّام فطلب الحمّامي الاُجرة فتأوّه ثمّ قال : إذا لم يدخل أحد بيت الشيطان بلا اُجرة فأنّى يدخل بيت الرحمن بلاعمل ؟

[يكفّر] أي يغفر الله [عنه سيّئاته] يوم القيامة [ويدخله] بفضله له بالإيجاب [جنّات] على حسب درجات أعماله [تجري من تحتها الأنهار] الأربعة [خالدين فيها] و مؤبّدين [أبداً] نصب على الظرف تأكيد للخلود [ذلك] من تكفير السيّئات و إدخال الجنات [الفوز العظيم] الّذي لافوز وراءه لانطوائه على النجاة و الخلاص من أعظم الهلكات و الظفر بأجلّ الطيّبات .

[و الّذين كفروا بالله و كذّبوا بآياتنا] و حججنا [اُولئك أصحاب النار] ملازمون النار لخلودهم فيها [خالدين فيها و بئس المصير] هذه النار .

ما اصاب من مصيبة الا باذن الله و من يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم (١١) و اطيعوا الله و اطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين (١٢) الله لا اله هو و على الله فليتوكل المؤمنون (١٣) يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم و اولادكم عدوا لكم فاحذروهم و ان تعفوا و تصفحوا و تغفروا فان الله غفور رحيم (١٤) انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم (١٥) فاتقوا الله ما استطعتم و اسمعوا واطيعوا و انفقوا خيراً لانفسكم و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون (١٦) ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم و يغفر لكم والله شكور حليم (١٧) عالم الغيب و الشهادة العزيز الحكيم (١٨) .

المعنى : [ما أصاب] ما نافية ، أصاب الخلق [من مصيبة] من المصائب الدنيويّة و المصيبة المضرّة الّتي تلحق صاحبها كالرمية الّتي تصيبه و إنّما عمّ ذلك سبحانه و إن كان في المصائب ما هو ظلم و هو لايأذن بالظلم لأنّه ليس من أفراد الظلم إلّا ما أذن الله في وقوعه أو التمكّن منه و ذلك إذن للملك الموكّل به و المعنى أنّه لا يمنع من وقوع المصيبة و قد يكون ذلك بتمكين من الله فكأنّه يأذن أن يكون فيرجع المعنى بتخلية الله بينكم و بين من يريد فعلها و قيل : إنّه خاصّ فيما يفعله الله أو يأمر به و قيل : معنى

بإذن الله أي بعلم الله و لا يصيبكم مصيبة إلّا و هو عالم بها .

[و من يؤمن] بتوحيد الله و يصبر لأمر الله عند نزول المصيبة [يهد قلبه] فإن ابتلي صبر وإن أُعطي شكر و إن ظلم غفر قال ابن عبّاس : « يهد قلبه » للاسترجاع حتّى يقول : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون » فيثيب عند إصابتها و لا يضطرب بأن يقول قولاً يدل على التضجّر من قضاء الله . قال بعض المحقّقين : و من يؤمن بالله تحقيقاً يهد قلبه على العمل بمقتضى إيمانه .

[والله بكلّ شيء عليم] فيعلم إيمان المؤمن .

[و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول] إطاعة العبد لمولاه و إطاعة الأُمّة لنبيّها فيما يؤدّ به عن الله و لا يشغلنّكم المصائب عن الاشتغال بطاعته و العمل بكتابه و كرّر الأمر للتأكيد و الإيذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفيّة .

[فإن تولّيتم] و أعرضتم عن إطاعة الرسول [فإنّما على رسولنا البلاغ المبين] تعليل للجواب المحذوف تقديره فلا بأس عليه إذ ما عليه إلّا التبليغ و إضافة الرسول إلى نون العظمة و إظهار الرسول في مقام إضماره لتشريفه صلّى الله عليه وآله وسلّم .

[الله لا إله] في الوجود [إلّا هو وعلى الله] أي عليه تعالى خاصّة [فليتوكّل المؤمنون] فإنّ الأُلوهيّة مقتضية للتبتّل إليه وقطع التعلّق عمّا سواه بالمرّة و التوكّل إظهار العجز و الاعتماد على الغير .

[يا أيّها الّذين آمنوا إنّ من أزواجكم] الزوج يعمّ الحليل و الحليلة [و أولادكم] يعمّ الابن و البنت [عدوّاً لكم] يشغلونكم عن طاعة الله و إن لم يكن لهم عداوة ظاهرة فإنّ العدوّ لا يكون عدوّاً بذاته وإنّما يكون عدوّاً بفعله وقدّم الأزواج لأنّها مصادر الأولاد قيل : إنّ أُناساً أرادوا الهجرة عن مكّة فثبّطهم أزواجهم وأولادهم فرقّوا لهم و وقفوا فلمّا هاجروا بعد ذلك ورأوا الّذين قد فقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم و لهذا زيّن الله لهم العفو عن العقوبة .

[فاحذروهم] الحذر احتراز عن مخيف والضمير راجع إلى العدوّ فإنّه يطلق على الجمع أي احفظوا أنفسكم عن شدّة التعلّق بهم و لاتؤثروا حقوقهم على حقوق الله بترك

طاعته بالانهماك في محبّتهم و في الحديث إذا كان اُمراؤكم شراركم و أغنياؤكم بخلاءكم و أمركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها وفي الحديث شاوروهن وخالفوهنّ والسبب أنهنّ في الغالب ضعيفات العقول و الحظوظ و الإيمان و تطيع هوى نفسها لكنّ المرءة الفاضلة في الدين يجوز استشارتها و قد استشار النبي ﷺ اُمّ سلمة في قصّة صلح الحديبية لفضلها و وفور عقلها و قصّة خسرو و شيرين و الصيّاد و السمكة معروفة .

و حكي أنّ رجلاً من بني إسرائيل أتى سليمان عليه السلام و قال : يا نبيّ الله اُريد أن تعلّمني لسان البهائم فقال سليمان : إن كنت تحبّ أن تعلم لسان البهائم أنا اُعلّمك و لكن إذا أخبرت أحداً تموت من ساعتك فقال : لا اُخبر أحداً فقال سليمان : قد علّمتك و كان للرجل ثور وحمار يعمل عليهما في النهار فإذا أمسى أدخل عليهما علفاً فحطّ العلف بين يديهما فقال الحمار للثور أعطني الليلة عشاءك حتّى يحسب صاحبنا أنّك مريض فلا يعمل عليك فتستريح يوماً ثمّ أنا اُعطيك عشائي في الليلة القابلة فرفع الثور رأسه من علفه فضحك الرجل فقالت امرأته : لمَ تضحك قال : لاشيء فلمّا جاءت الليلة القابلة أعطى الرجل للحمار علفه و للثور علفه فقال الثور للحمار : اقضني السلف الّذي عندك فإنّي أمسيت مغلوباً من الجوع و التعب فقال له الحمار : إنّك لاتدري كيف كان الحال فقال الثور : و ما ذلك قال : إنّ صاحبنا ذهب البارحة و قال للجزّاز : ثوري مريض اذبحه قبل أن يعجف فاصبر الليلة وأسلفني عشاءك أيضاً حتّى إذا جاءك الجزّاز صباحاً و جدك عجيفاً ولست قابلاً للذبح فلايذبحك فتنجو من الموت ولو تعشّيت يمتلىء بطنك و يحسبك سميناً فيذبحك إنّي أردّ لك ما أسلفتني الليلتين فرفع الثور رأسه أيضاً من علفه و لم يأكل فضحك الرجل فقالت المرءة لمَ تضحك ؟ أخبرني و إلّا طلّقني فقال الرجل: إذا أخبرتك أموت في ساعتي فقالت : لا اُبالي إلّا أن تخبرني فقال : ايتني بالدواة و القرطاس حتّى أكتب وصيّتي ثمّ اُخبرك ثمّ أموت فناولته فبينما هو يكتب إذ طرحت المرأة كسرة من الخبز إلى الكلب فسبق الديك و أخذها بمنقاره قال الكلب : ظلمتني قال الديك : صاحبنا يريد الموت اصبر فتكون أنت شبعاناً من وليمة المأتم و لكن نحن نبقي في بيتنا إلى ثلاثة أيّام لايفتح لنا الباب و إن يمت يرضي امرأته أبعده الله وأسخطه

فإنّ لي تسع نسوة لاتقدر واحدتهنّ أن تسأل عن سرّي لو كنت أنا مكانه لأضربنّها حتّى تموت أو تتوب وبعد ذلك لاتسأل عن سرّ زوجها فأخذ الرجل عصاً ولم يزل يضربها حتّى تابت من ذلك الطلب، انتهى. و النساء إذا و افتتموهنّ في المعروف يطمعن في المنكر.

[و إن تعفو] عن ذنوبهم القابلة للعفو بأن تكون متعلّقة بأُمور الدنيا أو بأُمور الدين لكن مقارنة للتوبة [و تصفحوا] و تسامحوا [و تغفروا] بإخفائها و قبول عذرها [فإنّ الله غفور رحيم] يعاملكم بمثل ما عملتم.

و في الحثّ على العفو والصفح إشارة إلى أن ليس المراد من الأمر بالحذر تركهم بالكلّيّة و الإعراض من معاشرتهنّ كيف و بها نظام العالم. و ما روي عنه ﷺ أنّه كان يقول: اتّقوا الدنيا والنساء إنّما هو للتحذير عمّا يضرّ معاشرتها في محبّتها الشاغلة عن طاعة الله لا الترك بالكلّيّة.

[إنّما أموالكم وأولادكم فتنة] بلاء ومحنة يوقعونكم في الإثم من حيث لاتحتسبون و المعنى محنة امتحنكم الله بها حتّى يميّز المطيع و العاصي في محبّتهم و محبّة الله [والله عنده أجر عظيم] لمن آثر طاعته على محبّة الأموال و الأولاد و زهدهم في الدنيا و رغبتهم في الآخرة

عن ابن مسعود لا يقولنّ أحدكم: اللّهم أعصمني من الفتنة ولكن ليقل: اللّهم إنّي أعوذ بك من مضلاّت الفتن يقال: إنّما يتعلّق بالرجل يوم القيامة أهله و أولاده فيوقفونه بين يدي الله تعالى و يقولون: يا ربّنا خذ بحقّنا منه فإنّه ما علّمنا ما نجهل و كان يطعمنا الحرام و نحن لا نعلم فيقتصّ لهم منه و يأكل عياله حسناته فلا يبقى له حسنة و لذا قال ﷺ: يؤتي الرجل يوم القيامة فيقال له: أكل عياله حسناته.

قال بعض العارفين: العيال سوس الطاعات.

و بالجملة فكلّ شيء يشغل عن الله فهو مشؤوم على صاحبه قيل: إنّه ﷺ يقول في دعائه: اللّهمّ من أحبّني و أجاب دعوتي فأقلل ماله وولده و من أبغضني و لم يجب دعوتي فأكثر ماله وولده و هذا الغالب عليهم النفس و أمّا قوله ﷺ: في حقّ أنس

اللّهمّ أكثر ماله و ولده فهو لأمر هو أعرف بصلاحه .

[فاتّقوا الله مااستطعتم] أي أبذلوا في التقوى جهدكم و تحرّزوا عمّا يكون سبباً لمؤاخذة الله إيّاكم و هذه الآية نزلت بعد قوله : « اتّقوا الله حقّ تقاته » لمّا اشتدّ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأن قام في الصلاة حتّى ورمت قدماه و تقرّحت جبهته الشريفة فنزلت « فاتّقوا الله مااستطعتم» قال ابن عبّاس : كلتا الآيتين محكمة لا ناسخ فيها وحقّ التقوى ما يحسن أن يطلق عليه اسم التقوى و ذلك لا يقتضي أن يكون حقّ التقوى فوق الاستطاعة فإنّه سبحانه لايكلّف نفساً إلّا وسعها .

[و اسمعوا و أطيعوا] أوامره [و أنفقوا] ممّا رزقكم في الوجوه الّتي أمركم الله بالإنفاق فيها خالصاً لوجهه و المراد مطلق الإنفاق أو الزكاة كما قال ابن عبّاس: [خيراً لأنفسكم] مفعول لفعل محذوف أي افعلوا خيراً لأنفسكم أو يكون الإنفاق خيراً .

[و من يوق شحّ نفسه] أي و من يقه الله و يعصمه من بخل نفسه الّذي هي الرذيلة [فاُولئك هم المفلحون] الفائزون بكلّ مرام و في المقاصد الحسنة كفى بالمرء من الشحّ أن يقول : أخذ منه حقّي لا أترك منه شيئاً أبداً .

و روي عن النبيّ انّه كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلّق بأستار الكعبة و هو يقول : إلهي بحرمة هذا البيت إلّا غفرت لي فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما ذنبك؟ صفه لي قال : هو أعظم من أصفه لك قال صلى الله عليه وآله وسلم : و يحك ذنبك أعظم أم الأرضون؟ قال : بل ذنبي قال : و يحك ذنبك أعظم أم السماوات؟ قال : بل ذنبي قال . فذنبك أعظم أم العرش؟ قال : بل ذنبي أعظم قال : فذنبك أعظم أم الله ؟ قال : بل الله أعظم وأعلى قال : و يحك صف لي ذنبك قال : يا رسول الله إنّي ذوثروة من المال و إنّ السائل ليأتيني و يسألني فكأنّها يستقبلني بشعلة من النار فقال : إليك عنّي لاحرّقني الله بنارك فوالّذي بعثني بالهداية لو قمت بين الركن و المقام ثمّ بكيت ألفي عام حتّى يجري من دموعك الأنهار و تسقي بها الأشجار ثمّ متّ وأنت لئيم لكبّك الله في النار أما علمت أنّ البخل كفر و أنّ الكفّار في النار ثمّ تلا صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية انتهى و الإنفاق على الغير إنفاق على نفسك في الحقيقة.

[إن تقرضوا الله]بصرف أموالكم إلى المصارف الّتي عيّنها و ذكر القرض تلطّفاً

في الطلب و أصل القرض القطع و قيل للقرض : قرض لأنّه قطع شيء من المال و استعمل في أن يعطي أحداً شيئاً ليرجع إليه [قرضاً حسناً] مقروناً بالأخلاق و طيب النفس و قرضاً إن كان بمعنى الإقراض كان نصبه على المصدريّة و إن كان بمعنى مقرضاً كان مفعولاً ثانياً لتقرضوا لأنّ الإقراض يتعدّى إلى مفعولين .

[يضاعفه لكم] أي يجعل لكم أجره مضاعفاً و يكتب بالواحد عشرة و سبعين و سبعمائة و أكثر على حسب النيّات والأوقات والمحالّ .

[و يغفر لكم] ما فرط منكم من بعض الذنوب [والله شكور] يعطي الكثير بمقابلة اليسير من الطاعة وسمّي جزاء الشكر شكراً أوالمعنى و الله كثير الثناء على عبده بذكر أفعاله الحسنة و ينبغي أنّ العبد لا يقصّر في الشكر فشكر البدن أن لا يستعمل جوارحه في غير طاعته و شكر قلبه أن لايشتغل بغير معرفته و ذكره و شكر اللسان أن لايستعمل غير ثنائه و مدحته و حمده و شكر المال و هو أن ينفقه في محبّته و سبيله [حليم] لا يغافل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم من المنع و الإمساك و هو يرى مخالفة العاصين ولا يعتريه غيظ ولا يحمله علمه على المسارعة إلى الانتقام .

قيل : إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا رئي ملكوت السماوات و الأرض رأى عاصياً في معصيته قال : اللّهمّ أهلكه فأهلكه الله ثمّ رأى آخر فدعا عليه فأهلكه الله ثمّ رأى آخر فدعا عليه فأهلكه الله ثمّ رأى رابعاً فدعا عليه فأوحى الله إليه أن قف إبراهيم ، فلو أهلكنا كلّ عاص رأيناه لم يبق أحد من الخلق و لكنّا تحمّلنا لا نعذّبهم بل نمهلهم فإمّا أن يتوبوا و إمّا أن يصرّوا فلا يفوتنا بشيء .

قيل : الحلم حجاب الآفات و ملح الأخلاق و الفرق بين الصبور و الحليم أنّ المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم يعني إنّ الصبور يشعر بأنّه يعاقب في الآخرة بخلاف الحليم و التخلّق باسم الحليم إنّما هو بأن يصفح عن جنايات الناس بل يجازيهم بالإحسان .

قال السهروردي : ياحليم ذا الأناة فلايعادله شيء من خلقه ، من ذكره كان مقبول

القول وافر الحرمة قويّ الجاش بحيث لا يقدر عليه سبع ولاغيره .

[عالم الغيب و الشهادة] خبرٌ بعد خبر أي لايخفي عليه خافية [العزيز الحكيم] البالغ في القدرة و الحكمة و يعلم من هو في نيّة صادقة و في عمله خلوص و من ليس كذلك و من هوأهل للكرامة كما ردّ بلعم بن باعور وقبل كلب أصحاب كهف قيل : إنّهم لمّا طردوا الكلب ولم ينصرف أنطقه الله فقال : لمَ تصرفونني إن كان لكم إرادة فلي إرادة أيضاً و إن كان خلقكم فقد خلقني أيضاً فازدادوا بكلامه يقيناً و اتّفقوا على استصحابه معهم إلّا أنّهم قالوا : يستدلّ علينا بآثار قدمه فالحيلة أن نحمله فحمله الأولياء على أعناقهم و هم يمشون وذلك لخلوصه فأدركه من العناية الأزليّة كما أن الاستكبار أخرج إبليس من ذلك المقام المنيع و جعله في أسفل السافلين .

تمّت السورة بعون الله

سورة الطلاق

☼(مدنية)☼

عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : و من قرء سورة الطلاق مات على سنّة رسول الله .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة و تلك حدود الله و من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا (١) فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف اوفارقوهن بمعروف و اشهدوا ذوى عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله و اليوم الاخر و من يتق الله يجعل له مخرجاً (٢) و يرزقه من حيث لا يحتسب و من يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا (٣) و اللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر و اللائى لم يحضن و اولات الاحمال اجلهن أن يضعن حملهن و من يتق الله يجعل له من أمره يسراً (٤) ذلك امر الله انزله اليكم و من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجراً (٥) .

[يا أيّها النبي إذا طلّقتم النساء] أصل الطلاق التخلية من وثاق و يقال : أطلقت بعيراً من عقاله و منه استعير طلاق المرءة إذا خلّيتها فهي طالق أي مخلاّة عن حبالة النكاح. و الطلاق كالسلام و الكلام بمعنى التسليم و التكليم و المستعمل في المرأة لفظ التطليق و في غيرها لفظ الطلاق حتّى لو قيل : أطلقتك لم يقع الطلاق .

و تخصيص النداء به صلى الله عليه وآله وسلم مع عموم الخطاب لأمّته لتشريف الخطاب و لأنّ

النبيّ إمام اُمّته و قدوتهم كما يقال لرئيس القوم و كبيرهم : يا فلان افعلوا كيت و كيت اعتباراً الترؤّسه و إنّه لسان قومه وهذه العبارة مثل قوله : « يا أيّها النبيّ قل للمؤمنين إذا طلّقتم النساء » و قيل : إنّه في التقدير يا أيّها النبيّ و المؤمنون إذا طلّقتم فحذف المؤمنون لأنّ الحكم يدلّ على المحذوف أو من قبيل « إيّاك أعني » والمراد اُمّته .

[فطلّقوهنّ لعدّتهنّ] العدّة مصدر عدّه يعدّ ومن هذا قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : سئل عنه متى يكون القيامة؟ قال : إذا تكاملت العدّتان أي عدد أهل النار و عدد أهل الجنّة و سمّي الزمان الّذي تتربّص فيه المرأة عقيب الطلاق أو الموت عدّة لأنّ المرأة تعدّ الأيّام المضروبة عليها و تنتظر أيّام الفرج أي طلّقوهنّ مستقبلات لعدّتهنّ فاللاّم متعلّقة بمحذوف دلّ عليه معنى الكلام أي واقع وقت عدّتهنّ وذلك أن يطلّقها في طهر لم يجامعها فيه حتّى يحسب العدّة من ذلك اليوم و يصحّ الطلاق فإن لم يقع الطلاق في ذلك الطهر و وقع في طهر واقع الرجل فيه لم يقع الطلاق فهذا هو الطلاق للعدّة لأنّها تعتدّ بذلك الطهر من عدّتها وتحصل في العدّة عقيب الطلاق فيكون على هذا العدّة الطهر لا الحيض .

[و احصوا العدّة] أي اضبطوها بحفظ الوقت الّذي وقع فيه الطلاق و أكملوها ثلاثة أقراء لكنّ القرء بمعنى الطهر في الآية عندنا و قيل : اللام في « لعدّتهنّ » للسبب فالمعنى فطلّقوهنّ ليعتددن و لا شبهة أنّ هذا الحكم أي الاعتداد للمدخول بها لأنّ المطلّقة قبل المسيس لا عدّة عليها وقد ورد به التنزيل في سورة الأحزاب و هو قوله : «فما لكم عليهنّ من عدّة تعتدّونها[1]» .

و بالجملة و إنّما أمر سبحانه الرجال بالإحصاء و إن كانت النساء مأمورة لأنّهم أضبط للحساب وللزوج في هذا الضبط حقّ و هي المراجعة ولها حقّ وهو النفقة والسكنى و أيضاً قعود الزوجة عن اتّخاذ البعل حتّى تنقضي و قد يحصل الفراق بغير الطلاق كالارتداد و اللعان و إن لم يسمّ طلاقاً و يحصل أيضاً بالفسخ للنكاح بأشياء اُخر .

و الطلاق منهيٌ عنه من غير سبب و مبغوضٌ قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : تزوّجوا

(١) الاحزاب : ٤٩ .

ولاتطلّقوا فإنّ الطلاق يهتزّ منه العرش و عن ثوبان رفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أيّما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنّة وعن أبي موسى الأشعريّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : لاتطلّقوا النساء إلّا من ريبة فإنّ الله لايحبّ الذوّاقين والذوّاقات .

و اعلم أنّ العدّة على ضروب فضرب بالإقراء لمن تحيض و ضرب يكون بالأشهر للّتي لم تبلغ المحيض و مثلها تحيض و كذلك الآيسة من المحيض و مثلها تحيض فعدّتها بالشهور وحدّها أصحابنا بأن تكون سنّها أقلّ من خمسين سنة ومن ستّين سنة للقرشيّات فإن كان سنّها أكثر من ذلك فلا عدّة عليها عند أكثر أصحابنا و المتوفّى عنها زوجها عدّتها بالشهور أيضاً و ضربٌ تكون بوضع الحمل في الجميع إلّا المتوفّى عنها زوجها فإنّ عدّتها أبعد الأجلين ثمّ إنّ عدّة الطلاق للحرّة ثلاثة قروء أو ثلاثة أشهر وللأمة قرءان أو شهرٌ و نصف و وضع الحمل .

[و اتّقوا الله ربّكم] ولا تعصوه فيما أمركم به [ولا تخرجوهنّ] من بيوتهنّ [ولا يخرجن] هنّ أيضاً في زمان العدّة ولا يجوز للزوج أن يخرج المطلّقة المعتدّة من مسكنه الّذي كان يسكنها فيه قبل الطلاق و على المرأة أيضاً أن لا تخرج في عدّتها إلّا لضرورة ظاهرة فإن خرجت أثمت .

[إلّا أن يأتين بفاحشة مبيّنة] ظاهرة و اختلف في الفاحشة فقيل : إنّها الزنا فتخرج لإقامة الحدّ عليها و قيل : هي البذاء على أهلها فيحلّ لهم إخراجها عن ابن عبّاس و هو المرويّ عن الباقر عليه السلام و روى عليّ بن أسباط عن الرضا عليه السلام قال : الفاحشة أن تؤذي أهل زوجها و تسبّهم و قيل : هي النشوز فإن طلّقها على نشوز فلها أن تتحوّل من بيت زوجها و في رواية اُخرى إنّ كلّ معصية لله ظاهرة فهي فاحشة .

[و تلك حدود الله] ممّا ذكر من أحكام الطلاق [و من يتعدّ حدود الله] بأن على غير ما أمر الله به [فقد ظلم نفسه] و أثم فيما بينه و بين الله و خرج من الطاعة إلى المعصية و فعل ما يستحقّ به العقاب .

لا تدري [لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً] أي يغيّر رأي الزوج في محبّة الطلاق و يوقع في قلبه المحبّة لترجعها في ما بين الطلقة الواحدة و الثانية و في ما بين الثانية و

الثالثة و لعلّ الله يحدث الرجعة في العدّة و طلاق السنّة في مقابلة طلاق البدعيّ الّذي هو غير مشروع عندنا و الطلاق السنّيّ يطلق على الطلاق الّذي لم يطأ فيه بعد الرجعة و يكون طلاق عدّة إن و طيء بعد الرجعة و طلّق و الحاصل إنّ أصحابنا الإماميّة قد اصطلحوا على أن يسمّوا الطلاق الّذي لايزاد عليه بعد المراجعة طلاق السنّة و الطلاق الّذي يزاد عليه بشرط المراجعة طلاق العدّة ، فطلاق السنّة أيضاً طلاق العدّة و هوماكان مستجمعاً لشرائط الصحّة المذكورة في كتاب الطلاق .

قوله : [و إذا بلغن أجلهنّ] أي شارفن آخر زمان العدّة و لم تنقص و ذلك لأنّه لا يمكن الرجعة بعد بلوغهنّ آخر العدّة و حمل البلوغ في الآية عند الفريقين على المشارفة [فأمسكوهنّ بمعروف] فأنتم بالخيار إن شئتم راجعوهنّ بالمعروف و حسن المعاشرة و إنفاق لائق و في الحديث أكمل المؤمنين أحسنهم خلقاً و ألطفهم بأهله [أو فارقوهنّ بمعروف] بإيفاء الحقّ و إنفاء الضرار بأن يراجعها ثمّ يطلّقها تطويلاً للعدّة و خصومة لها .

[و أشهدوا ذوي عدل منكم] قال المفسّرون : اُمروا أن يشهدوا عند الطلاق و عند الرجوع شاهدي عدل حتّى لا يجحد المرأة المراجعة بعد انقضاء العدّة و الرجل الطلاق و قال أصحابنا : الإشهاد على الطلاق و هو المرويّ عن أئمّتنا و هذا أليق بظاهر الآية و عليه العمل عندنا لأنّ العطف على قوله : « إذا طلّقتم النساء » في الكافى عن الكاظم عليه السلام قال لأبي يوسف : إنّ الله تبارك و تعالى أمر في كتابه في الطلاق بشاهدين و لم يرض لهما إلّا عدلين و أمر في كتابه بالتزويج فأهمله بلاشهود و أنتم أثبتّم شاهدين و أوجبتم فيما أهمل و أبطلتم الشاهدين فيما أكّد .

[و أقيموا الشهادة لله] و هذا خطاب للشهود أي أقيموها لوجه الله لا لطلب رضاء المشهود له و الشهادة أمانة ولابدّ من تأدية الأمانة فلو كتمها أو حرّفها فقدخان والخيانة من الكبائر دلّ عليه : « و من يكتمها فإنّه آثم قلبه » [ذلكم] إشارة إلى الحثّ على جميع اُمور المذكورة من الشهادة و أحكام الطلاق و العدّة [يوعظ به من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر] إذ هو المنتفع به و المؤمن بالله و اليوم الآخر لا يترك العمل بما وعظ

به رغبة في الثواب و رهبة من العقاب .

[و من يتّق الله] عن مخالفته في هذه المذكورة و غيرها [يجعل له مخرجاً] مصدر ميمي أي خروجاً و خلاصاً يجعل سبحانه له من شبهات الدنيا و من غمرات الموت و من شدائد يوم القيامة و من الحرام إلى الحلال و من النار إلى الجنّة و عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أكثر الاستغفار جعل الله له من كلّ همّ فرجاً و من كلّ ضيق مخرجاً .

[و يرزقه من حيث لا يحتسب] قال الصادق : يبارك له فلما أتاه و عن أبي ذرّ الغفاري عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنّي لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم و هي قوله : « و من يتّق الله » الآية .

[و من يتوكّل على الله فهو حسبه] أي و من يفوّض أمره إلى الله و وثق بتقديره و تدبيره فهو كافيه و يعطيه ثواب الجنّة و يجعله مكفيّ في اُموره و في الحديث من سرّه أن يكون أقوى الناس فليتوكّل عليه .

[إنّ الله بالغ أمره] أي يبلغ ما أراد على ما أراد و لا يقدر أحد على منعه عمّا يريده أو المعنى أنّه تعالى منفذ أمره فيمن يتوكّل عليه [قد جعل الله لكلّ شيء قدراً] و بيّن لكلّ شيء مقداراً بحسب المصلحة في الاباحة و الوجوب و الترغيب والترهيب و الشدّة و الرخاء .

ثمّ بيّن تعالى اختلاف أحكام العدّة باختلاف أحوال النساء فقال : [و اللائي يئسن في المحيض من نسائكم]فلا يحضن[إن ارتبتم] اللائي من الموصولات جمع الّتي أي النساء اللائي دخلتم بهنّ و يئسن من الحيض لكبرهنّ يقال : آئس إذا كان يأسها من الحيض و لا يقال لها : آئسة لأنّ الياء إنّما تزاد في المؤنّث إذا استعملت الكلمة للمذكّر أيضاً فرقاً بينهما فاذا لم تستعمل له فأيّ حاجة إلى الزيادة مثل طالق وحائض. و المحيض و الحيض مصدر حائض و هو خروج الدم من قبلها و يكون للأرنب والضبع و الخفّاش و منه الحوض لأنّ الماء يسيل إليه .

[إن ارتبتم] و شككتم و أشكل عليكم لجهلكم بحكم عدّتهن أي شككتم في أمرهنّ فلاتدرون لكبر ارتفع حيضهنّ أم لعارض، عن أئمتنا عليهم السلام هنّ اللواتي أمثالهن يحضن

لأنهنّ لو كنّ في سنّ من تحيض لم يكن للارتياب معنى روي في المجمع كذلك .

[فعدّتهنّ ثلاثة أشهر] و اللائي يئسن مبتدء خبره : فعدّتهنّ و الشهر العدد المعروف من الأيّام و سمّي شهراً لأنّه يشهر و يعرف بالقمر و بإهلال الهلال .

[و اللائي لم يحضن] أي ما رأين الدم لصغرهنّ و الشابّة التى كانت تحيض فارتفع حيضها بعذر من الأعذار قبل بلوغها من الآيسات فتعتدّ بثلاثة أشهر أيضاً .

[و اُولات الأحمال] و واحدة الأولات ذات بمعنى صاحبه و المراد من الحمل الحبل و هو المحمول في البطن أي الحبالى منهنّ [أجلهنّ] أي منتهى عدّتهن [أن يضعن حملهنّ] قال ابن عبّاس : هذاالحكم خاصّ بالمطلّقات و هو المرويّ عن أئمّتنا فأمّا المتوفّى عنها زوجها إذا كانت حاملاً فعدّتها أبعد الأجلين فإذا مضت بها أربعة أشهر و عشراً و لم تضع انتظرت الوضع و إذا وضعت قبل المدّة انتظرت المدّة و لكن عند غيرنا أنّه عام في المطلّقات و المتوفّى عنها زوجها و إن كانت المرءة حاملاً باثنين و وضعت واحداً لم تحلّ للأزواج حتّى تضع جميع الحمل .

قال أصحابنا : إذا وضعت واحداً انقطعت عصمتها من الزوج و لا يجوز لها أن تعقد على نفسها لغيره حتّى تضع الآخر .

و الّذين قالوا : إنّ الآية عامّة في المطلّقة و المتوفّى عنها زوجها قالوا : إنّ هذه الآية نسخت قوله « و الّذين يتوفّون منكم و يذرون أزواجاً يتربّصن بأنفسهن أربعة و عشراً (١) » لتراخي نزوله لكن عندنا لايصحّ لأنّ النسخ لم يثبت و في الكافي عن الصادق عليه السلام سئل عنه عن الحبلى يموت زوجها فتضع و تزوّج قبل أن يمضي لها أربعة أشهر وعشر فقال عليه السلام : إن كان دخل بها فرّق بينهما و اعتدّت بما بقي عليها من الأوّل و استقبلت عدّة اُخرى من الأخير ثلاثة قروء ، الحديث .

[و من يتّق الله] فيما أمره بالطاعة و الاجتناب عن المعصية [يجعل له من أمره يسراً] و يسهّل عليه اُمور الدنيا و الآخرة إمّا بفرج عاجل أو عوض آجل و قيل : يسهّل عليه فراق أهله و يزول الغموم عن قلبه .

---

(١) البقرة : ٢٣٤ .

[ذلك] أي ما ذُكر من الأحكام [أمرالله أنزله إليكم و من يتّق الله يكفّر عنه سيّئاته] من الصلاة إلى الصلاة و من الجمعة إلى الجمعة قال الربيع : إنّ الله قدقضى على نفسه أنّ من توكّل عليه كفاه و من آمن به هداه و من أقرضه جازاه و من وثق به أنجاه و من دعاه لبّاه و تصديق ذلك في كتاب الله حيث قال : « و من يتوكّل على الله فهو حسبه » و قال عزّوجل : « و يؤمن بالله يهد قلبه [1] » و قال : « إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم [2] » و قال : « و من يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم [3] » و قال : « و إذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان [4] » .

[و يعظم له أجراً] وهو ثواب الجنّة لأنّه الأجر العظيم .

اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم و لاتضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى (٦) لينفق ذوسعة ومن قدرعليه رزقه فلينفق بما آتاه الله لايكلف الله نفسا الا ما آتيها سيجعل الله بعد عسر يسراً (٧) و كاين من قرية عتت عن امر ربها و رسله فحاسبناها حسابا شديدا و عذبناها عذابا نكرا (٨) فذاقت و بال أمرها و كان عاقبة امرها خسرا (٩) اعدالله لهم عذاباً شديدا فاتقوا الله يا اولى الالباب الذين آمنوا قدانزل الله اليكم ذكرا (١٠) .

« أسكنوهنّ » استيناف وقع جواباً عن سؤال نشأ ممّا قبله من الحثّ على التقوى كأنّه قيل : كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدّات؟ فقيل : [أسكنوهنّ من حيث سكنتم] أي بعض مكان سكناكم و الخطاب للمؤمنين المطلّقين [من وجدكم] و وسعكم ممّا تطيقونه و الوجد القدرة و الغنى يقال : فلان افتقر بعد وجده و هو عطف بيان لقوله : « حيث سكنتم » و البدل أحسن قال أبو حيّان : إنّه لم يعهد في عطف البيان إعادة العامل إنّما عهد ذلك في البدل .

---

(١) التغابن : ١١ .
(٢) البقرة : ٢٤٥ .
(٣) آل عمران : ١٠١ .
(٤) البقرة : ١٨٤ .

[و لا تضارّوهن] و لا تقصدوا عليهنّ الضرر [لتضيّقوا عليهنّ] و تلجئوهنّ إلى الخروج من مساكنكم.

[و إن كنّ أُولات حمل] أي المطلّقات ذوات حمل، و أُولات بالكسر على قانون جمع المؤنّث و تنوين حمل للتنكير أي أيّ حمل كان قريب الوضع أو بعيده [فأنفقوا عليهنّ حتّى يضعن حملهنّ] فيخرجن من العدّة و تحلّ لهنّ تزوّج غيركم أيّاً شئن فأمر سبحانه بالإنفاق على المطلّقة الحامل سواء كانت رجعيّة أو مبتوتة.

[فإن أرضعن لكم فآتوهنّ أُجورهنّ] أي فإن أرضعن الولد لأجلكم بعد البينونة فأعطوهنّ أُجرة الرضاع سواء كان الولد منهنّ أو من غيرهنّ فإنّ حكمهن في ذلك حكم الأظآر [و ائتمروا] أيّها الآباء و الأُمّهات [بينكم بمعروف] و الائتمار قبول الأمر أمرهم الله سبحانه بالتلقّي لأمره بما يوجب المعروف فلا يكون من الأب مماسكة و من الأُمّ معاسرة و عليهما الإشفاق للولد [وإن تعاسرتم] و تضايقتم في الرضاع و الأُجرة و اختلفتم في هذا الأمر [فسترضع له أُخرى] أي فليسترضع الوالد امرأة أجنبيّة و توجد مرضعة أُخرى ولا يجوز إجبارها على الإرضاع.

[لينفق] لام الأمر [ذوسعة] و ثروة و غنى [من سعته] و ماله أمر سبحانه أهل التوسعة أن يوسّعوا على نسائهم المرضعات أولادهنّ على قدرسعتهم [و من قدر عليه] وضيّق عليه رزقه [فلينفق] على قدر ذلك و على حسب إمكانه و طاقته [ممّا آتاه الله لا يكلّف الله نفساً إلّاما آتاها]من المال جلّ أو قلّ ولا يقع منه تعالى تكليف ما لايطاق.

[سيجعل الله بعد عسر يسراً] أكّد الوعد باليسر بعد العسر عاجلاً أو آجلاً و ليس في السين دلالة على تعيّن وقت، نعم السين تعيّن قرب الوعد و كلّ ماهو آت قريب ولو في الآخرة فلينتظر المعسر اليسر فإنّ الانتظار للفرج عبادة قال الزمخشري: هذا وعد لفقراء ذلك الوقت و الصحابة خصوصاً فإنّ الغالب على أكثرهم في ذلك الوقت الفقر ثمّ فتح عليهم البلاد فيما بعد.

[و كأيّن من قرية] بمعنى كم الخبريّة للتكثير و القرية اسم لموضع يجتمع و يسكن فيه الناس أي و كثير من أهل قرية [عتت عن أمر ربّها و رسله] استكبرت

وطغت عن قبول أمر ربّها و أمر رسل ربّها و في الآية تحذير للناس عن المخالفة وكأيّن مبتدء و من قرية بيان له و عتت خبره .

[فحاسبنا ها حساباً شديداً] أي ناقشنا ها في الحساب و شددنا عليها و أخذنا بدقائق ذنوبها في الدنيا قبل الآخرة من غير عفو بنحو من القحط و الجوع و الأمراض و السيف و تسليط الأعداء عليها معجّلاً على استيصالها العذاب الأكبر و ذلك لترجع إلى الله فلم تفعل فابتلاها الله بما فوق ذلك [و عذّبنا ها عذاباً نكراً] منكراً عظيماً لشدّته و إيلامه و النكر الأمر الصعب الّذي لا يعرف .

[فذاقت و بال أمرها] و ضرر كفرها و أحسّته إحساس الذائق الطعام [و كان عاقبة أمرها خسرها] لاخسرو راءه لتضييع رأس مالهم و هو العمر في المخالفة .

[أعدّ الله لهم] مع ذلك [عذاباً شديداً] و اللام للتخصيص فهم أهل الحساب و العذاب في الدنيا و الآخرة فإنّ ما أصابهم في الدنيا لم يكن كفّارة لذنوبهم لعدم رجوعهم عن الكفر فعذّبوا بعذاب الآخرة أيضاً و قيل : في الآية تقديم و تأخير فيكون المعنى إنّا عذّبناها عذاباً شديداً في الدنيا و نحاسبها حسابا شديداً في الآخرة و لفظ الماضي للتحقيق كأكثر ألفاظ القيامة .

[فاتّقوا الله يا أولي الألباب] واعتبروا بحال الأمم الماضين من المنكرين واتّقوا من مخالفة أمره تعالى إن خلصت عقولكم من شوائب كدورات النفس و اعلموا أنّ الدنيا دار تجارة [الّذين آمنوا] ثمّ وصف سبحانه أولي الألباب وخصّ المؤمنين بالذكر لأنّهم المنتفعون بذلك دون الكفّار .

[قد أنزل الله إليكم] والخطاب للالتفات [ذكراً رسولاً] وهو النبيّ وأبدل منه « رسولاً » و عبّر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن و تبليغه أو لأنّه سبب عن إنزال الوحي إليه يعني إنّ رسول الله شبّه بالذكر الّذي هو القرآن لشدّة ملابسته به فأطلق عليه اسم المشبّه به استعارة تصريحيّة و قرن به ما يلائم المستعارمنه وهوالإنزال ترشيحاً لها أو مجازاً مرسلاً من قبيل إطلاق السبب على المسبّب فإنّ إنزال الوحي إليه سبب لإرساله .

و قيل : معنى الآية قد أنزل إليكم ذكراً يعني القرآن و أرسل إليكم رسولاً يعني محمداً لكنّ الإيجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول وقد دلّ عليه القرينة و هو قوله : « أنزل » نظير قوله : « علّفتها تبناً و ماردا » أي و سقيتها ماء بارداً .

قوله تعالى : رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور و من يؤمن بالله و يعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا (١١) الله الذى خلق سبع سماوات و من الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير و ان الله قد احاط بكل شيء علما(١٢).

[رسولاً يتلو] و يقرء عليكم أيّها الناس [آيات الله] أي القرآن [مبيّنات] حال كون الآيات مظهرات لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام أو مبيّنات بالفتح أي واضحات لاخفاء فيها لأهلها أو لامرية في إعجازها و إنّما يتلوها .

[ليخرج] الرسول أو الله بناء على أنّ اللام متعلّقة بأنزل لا بقوله : « يتلو » [الّذين آمنوا و عملوا الصالحات] الموصول عبارة عن المؤمنين بعد إنزال القرآن و إلا فإخراج الموصوفين بالإيمان من الكفر لايمكن إذلا كفر فيهم حتّى يخرجوا منه [من الظلمات إلى النور] من الضلالة إلى الهدى و من الجهل إلى العلم و من الغفلة إلى اليقظة على طبقاتهم في السعي و الاجتهاد .

[و من يؤمن بالله و يعمل صالحاً] خالصاً من الرياء و إذا كان مكارم الأخلاق تنفع للإنسان في الجملة و لوكان كافراً فكيف إذا كان مؤمناً ؟ كما قيل : إنّه صلى الله عليه وآله وسلم لمّا عرج به أطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسّه النار فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما بال هذا الرجل في هذه الحظيرة لاتمسّه النار ؟ فقال جبرئيل : هذاحاتم طيّء صرف الله عنه جهنّم بسخائه وجوده كما في أنيس الوحدة و كما رئي أبو لهب في المنام و هو يمصّ ماء من إبهامه ليلة الاثنين لعتقه بعض جواريه حين بشّرته بولادة رسول الله .

[يدخله جنّات تجري من تحتها] أي من تحت قصورها أو أشجارها [الأنهار] الأربعة [خالدين فيها] و مقيمين في تلك الجنّات دائمين [أبداً] تأكيد للخلود لئلاّ يتوهّم أنّ المراد المكث الطويل المنقطع آخراً [قد أحسن الله له رزقاً] حال ثان من

مفعول يدخله و في الكلام معنى التعجّب و التعظيم لما رزق الله المؤمنين من الثواب كأنّه قيل : ما أحسن رزقهم و ما أعظمه !

[الله الّذي خلق سبع سماوات] أي الله الملك القادر الّذي خلق سبع سماوات على وفق حكمته الشاملة و قُدرته الكاملة [و من الأرض] أي و خلق من الأرض [مثلهنّ] في العدد و الطباق .

و اختلف في كيفيّة طبقات الأرض فقال قوم : إنّها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض كالسماوات لأنّها لو كانت مصمّتة لكانت أرضاً واحدة و في كلّ أرض خلق خلقهم الله كما شاء و روى أبو صالح عن ابن عبّاس إنّها سبع أرضين ليس بعضها فوق بعض بينهنّ البحار و يظلّ جميعهنّ السماء والله سبحانه أعلم بصحّة ما استأثر بعلمه وأبهم على خلقه .

و بالجملة ليس في القرآن آية تدلّ على أنّ الأرضين سبع مثل السماوات إلّا هذه الآية و بعض الأخبار الّتي ينقلونها أنّ في كلّ أرض آدم كآدمكم و نوح مثل نوحكم ضعيفة غير معلومة و لانعلم بصحّتها فالأولى السكوت عنها والله أعلم بصحّتها .

قوله : [يتنزّل الأمر] أي أمر الله و اللام عوض عن المضاف إليه [بينهنّ] أي بين السماوات السبع والأرضين السبع و المراد نفوذ أمره تعالى في العلويّات والسفليّات كلّها و الأمر عند الأكثرين القضاء أي يجري حكمه و ينفذ بينها و لا يقتضي من قوله : « بينهنّ » أن لا يجرى في العرش والكرسي لأنّ المقام اقتضى ذكر ما ذكره والتخصيص بالذكر لا يقتضي التخصيص بالحكم .

[لتعلموا أنّ الله على كلّ شيء قدير] متعلّق بخلق أو يتنزّل أي فعل ذلك لتعلموا أنّ من قدر على ما ذُكر قادر على كلّ شيء و منه البعث للجزاء فتطيعوا أمره و تستعدّوا لكسب السعادة و اللام لام الغرض والمصلحة [وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً] كما أحاط بهقدرة و قوله : «علماً» نصب على التمييز .

تمّت السورة

سورة التحريم

٭(مدنية)٭

قال أُبي: عن رسول الله ﷺ من قرأها أعطاه الله توبة نصوحاً .

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم (١) قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم و هو العليم الحكيم(٢) و اذا اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه و اعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انباك هذا قال نبأني العليم الخبير (٣) ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما و ان تظاهرا عليه فان الله هو موله و جبرئيل و صالح المؤمنين و الملائكة بعد ذلك ظهير (٤) عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات و ابكارا (٥) .

[يا أيّها النبيّ لمَ تحرّم] أصل لم لما و الاستفهام لإنكار التحريم .

النزول : فيه اختلاف قيل : إنّ رسول الله ﷺ كان إذا صلّى الغداة يدخل على أزواجه امرأة امرأة وكان قد اُهديت لحفصة عكّة عسل فكانت إذا دخلها عليها رسول الله حبسته و سقته منها و إنّ عايشة أنكرت احتباسه عندها فقالت لجويرية عندها : إذا دخل رسول الله على حفصة فادخلي عليها وانظري ماذا تصنع فأخبرتها الخبر وشأن العسل فغارت عائشة و أرسلت إلى صواحبها فأخبرتهنّ وقالت : إذا دخل عليكنّ رسول الله فقلن :

إنّما نجدريح المغافير وهو صمغ العرفط كريه الرائحة و كان رسول الله يكره و يشقّ عليه أن يوجد منه ريح غير طيّبة لأنّه يأتيه الملك .

قال : فدخل رسول الله ﷺ على سودة فقالت : ما أردت أن أقول ذلك لرسول الله ثمّ إنّي خفت من عائشة فقلت : يا رسول الله ما هذه الريح الّتي أجدها منك أكلت المغافير؟ فقال : لاولكن حفصة سقتني عسلاً ثمّ دخل على امرأة امرأة و هنّ يقلن له ذلك فدخل على عائشة فأخذت بأنفها فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أجدريح المغافير أكلتها يا رسول الله ؟ قال : لابل سقتني حفصة عسلاً فقالت : جرست إذاً نحلها العرفط فقال ﷺ والله لا أطعمه أبداً فحرّمه على نفسه فنزلت الآية و قيل : إنّ الّتي كانت تسقي العسل رسول الله اُمّ سلمة و قيل : كانت زينب بنت جحش .

و قيل في النزول : إنّ رسول الله قسّم الأيّام بين نسائه فلمّا كان يوم حفصة قالت يا رسول الله : إنّ لي إلى أبي حاجة فأذن لي أن أزوره فأذن لها فلمّا خرجت أرسل رسول الله إلى جاريته مارية القبطيّة و كان قد أهداها له المقوقس ملك مصر فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها فأتت حفصة فوجدت الباب مغلقاً وجلست عند الباب فخرج رسول الله و وجهه يقطر عرقاً فقالت حفصة : إنّما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي ثمّ وقعت عليها في يومي وعلى فراشي أما رأيت لي حرمة و حقّاً ؟ فقال ﷺ : أليس هي جاريتي قد أحلّ الله ذلك لي اسكتي فهو حرام عليّ والله ألتمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهنّ فلمّا خرج رسول الله قرعت حفصة الجدار الّذي بينها و بين عائشة فقالت : ألا اُبشّرك ! إنّ رسول الله قدحرّم أمته مارية عليه و أخبرت عائشة بما رأت فلم تكتم فطلّقها رسول الله بطريق الجزاء على إفشاء سرّه و اعتزل نساءه و مكث تسعاً و عشرين يوماً في غرفة مارية حتّى نزلت آية التخيير في سورة الأحزاب و هي : « ترجي من تشاء منهنّ و تؤوي إليك من تشاء (١) » الآية .

و بالجملة [يا أيّها النبيّ] ناداه بهذا النداء تشريفاً له و تعليماً لعباده كيف يخاطبونه في أثناء محاوراتهم [لم تحرّم ما أحلّ الله لك] من الملاذّ [تبتغي مرضات

(١) الاحزاب : ٥١ .

أزواجك] و تطلب رضاء نسائك و هن أحق بطلب مرضاتك منك و ليس في هذا مايدل على وقوع ذنب منه صلى الله عليه وآله وسلم لأن تحريم الرجل بعض نسائه أو بعض الملاذ لسبب أو لغير سبب ليس بقبيح و قد يكون خرج هذا القول مخرج المتوجع له صلى الله عليه وآله وسلم إذ بالغ في إرضاء أزواجه و تحمل في ذلك المشقة و لو أن إنساناً أرضى بعض نسائه بتطليق بعضهن لصح أن يقال له : لم فعلت ذلك وتحملت هذه المشقة و إن كان لم يفعل قبيحاً ولوقلنا: إنه عوتب على ذلك لأن ترك التحريم كان أفضل من فعله لم يمنع لأنه يحسن أن يقال لتارك النفل : لم لم تفعله ولم عدلت عنه و إن تطييب قلوب النساء مما لاينكره العقول .

حكي أن عبدالله بن رواحة كان من النقباء كانت له جارية فاتهمته زوجته ليلة بالنسبة إلى الجارية فقال قولاً يشبه الإنكار فقالت له زوجته : إن كنت لم تقربها فاقرء القرآن فأنشد :

و فينا رسول الله نتلو كتابه ❊ كما لاح معروف مع الصبح ساطع
أتى بالهدى بعد العمى فنفوسنا ❊ به موقنات إن ما قال واقع

فقالت : زدني ، فأنشد :

شهدت بأن وعد الله حق ❊ و أن النار مثوى الكافرينا
و إن محمداً يدعو بحق ❊ و إن الله مولى المؤمنينا

فقالت : إذا قرأت القرآن صدقتك فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتبسم و قال : خيركم خيركم لنسائه .

و اختلف فقهاء العامة فيمن قال لامرأته : أنت حرام علي فقال مالك : هو ثلاث تطليقات و قال أبو حنيفة : إن نوى به الظهار فهو ظهار و إن نوى الإيلاء فهو إيلاء و إن نوى الطلاق فهو طلاق بائن وإن نوى ثلاثاً كان ثلاثاً وإن لم يكن له نية فهويمين. و قال الشافعي: إن نوى الطلاق كان طلاقاً ، أو الظهار كان ظهاراً و إن لم يكن له نية فهويمين . و قال أصحابنا : إنه لا يلزم به شيء و وجوده كعدمه و إنما أوجب الله فيه الكفارة لأن النبي صلى الله عليه و آله كان حلف أن لا يقرب جاريته أولاً بشرب الشراب

المذكور فأوجب عليه أن يكفّر عن يمينه ويعود إلى استباحة ما كان حرّمه و هو قوله : والله لا أقربها قيل: إنّه صلى الله عليه وآله وسلم أعتق جارية في تحريم مارية و عاودها .

[والله غفور] لعباده [رحيم] بهم إذ ارجعوا إلى ما هو الأولى .

[قد فرض الله لكم تحلّة أيمانكم] أي قدقدّر الله تعالى لكم ما تحلّلون به أيمانكم إذا فعلتموها و شرّع لكم الحنث و الكفّارة فيها و اليمين ينحلّ بالحنث فسمّي ذلك تحلّة و قد بيّن الله كفّارة أيمانكم في سورة المائدة و في هذا دلالة على أنّه قد حلف ولم يقتصر على قوله : حرام عليّ لأنّ هذا القول ليس بيمين .

[والله هو مولاكم] ووليّكم يحفظكم وهو أولى بكم [و هو العليم] بمصالحكم [الحكيم] في تدبير أموركم في أوامره و نواهيه .

[و إذ أسرّ النبيّ إلى بعض أزواجه] و هي حفصة [حديثاً] أي كلاماً أمرها بإخفائه [فلمّا نبّأت به] أي أخبرت غيرها فأفشت سرّه إلى صاحبتها و هي عايشة أو إلى صواحبها نساء النبيّ [و أظهره الله عليه] أي اطّلع الله النبيّ على إفشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبرئيل ، وظهر الشيء أصله أن يحصل شيء على ظهر الأرض فلا يخفى و بطن إذا حصل في بطنان الأرض فيخفى .

[عرّف بعضه و أعرض عن بعض] أي عرّف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حفصة بعض الحديث الّذي أفشته إلى صاحبتها بأن قال : لها ألم أك أمرتك أن تكتمي سرّي وهو إمّا حديث الإمامة أوقصّة مارية و أخبرها ببعض ما أفشت و أعرض عن بعض آخر لمكارم أخلاقه لأنّ الكريم لا يستقصي قطّ وعلى قراءة عرف بالتخفيف فمعناه غضب عليها وجازاها بأن طلّقها تطليقة أوهمّ بطلاقها .

[فلمّا نبّأها به] و أخبر صلى الله عليه وآله وسلم حفصة بما أظهره الله عليه قالت حفصة : [من أنبأك هذا قال] رسول الله : [نبّأني العليم الخبير] بسرائر الصدور .

ثمّ خاطب سبحانه عائشة و حفصة [إن تتوبا إلى الله] من التعاون على النبيّ بالإيذاء و التظاهر عليه و الشرط و قيل في معنى الأمر : أي وجب عليكما التوبة [فقد صغت قلوبكما] ومالت قلوبكما إلى الإثم وعدلت عن الثواب وقيل: «إن» على معناه أي

إن تتوبا إلى الله يقبل توبتكما .

[و إن تظاهرا عليه] بإسقاط إحدى التاءين أي وإن يتعاونا على النبيّ بالإيذاء قال ابن عبّاس : قلت : لعمربن الخطّاب و المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله قال : عايشة و حفصة أورده البخاريّ في الصحيح [فإنّ الله هو مولاه] الّذي يتولّى نصرته [و جبرئيل] رئيس الكرّوبين قرينه [و صالح المؤمنين] قال قتادة : يعنى الأنبياء و قال الزجاج : صالح هنا ينوب عن جميع المؤمنين ولكن وردت الرواية من طريق الخاصّ و العامّ أنّ المراد بصالح المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهوقول مجاهد .

وفي كتاب شواهد التنزيل بالإسناد عن سدير الصيرفيّ قال : لقد عرف رسول الله عليّاً أصحابه مرّتين مرّة حيث قال : من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه و أمّا الثانية فحيث نزلت هذه الآية أخذ رسول الله بيد عليّ فقال : أيّها الناس هذا الصالح المؤمنين و قالت أسماء بنت عميس : سمعت أنّ النبيّ يقول : و صالح عليّ بن أبي طالب .

قيل : إنّ رجلاً قال لإبراهيم بن أدهم : إنّ الناس يقولون لي : صالح فبم أعرف أنّي صالح فقال : أعرض أعمالك على الصالحين فإن قبلوها ووافق مع القرآن فإن وافقت فاعلم أنّك صالح .

قوله : [و الملائكة] مع تكاثر عددهم [بعد ذلك] أي نصرة الله و رئيس الكرّوبين و ناموسه الأعظم وصالح المؤمنين وزيره الّذي بمنزلة هارون من موسى [ظهير] خبر و الجملة معطوفة على جملة « فإنّ الله مولاه » و ذكر نصرة غير الله مع الإخبار بكونه تعالى مولاه لتذكير كمال رفعة النبيّ و بيان لشأنه و لكون سوق الكلام في مقام التظاهر لكون عايشة و حفصة متظاهرتين .

[عسى ربّه] يعني النبيّ صلى الله عليه وآله و عسى للمقاربة [إن طلّقكنّ] وجواب الشرط مقدّم أي إن طلّقكنّ عسى [أن يبدله] ويبد لكنّ [أزواجاً له خيراً منكنّ] و أصلح له منكنّ ثمّ نعتّ سبحانه تلك الأزواج [مسلمات] و مسلّمات لأمر الله و نهيه [مؤمنات] مصدّقات الله و رسوله أو المعنى مصدّقات في أقوالهنّ و أفعالهنّ [قانتات] مواظبات على الطاعة والذكر [تائبات] من الذنوب [عابدات] متذلّلات لأمر الرسول

[سائحات] أي صائمات سمّي الصائم سائحاً لأنّه يسيح في النهار بلازاد أو المراد مهاجرات من مكّة إلى مدينة [ثيّبات و أبكارا] أي مدخولات و غير مدخولات وسّط بين هاتين الكلمتين بالعاطف دون غيرهما لتنافيهما و عدم اجتماعهما في ذات واحدة بخلاف سائر الصفات ويمكن أن يكون المراد بالأبكار تعريضاً لعايشة و بالثيّبات غيرها من بعض أزواج النبيّ .

قال بعض أهل التحقيق : إنّ في الآية إشارة إلى مريم البتول وهي البكر و إلى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون و أنّ الله سيزوّجه صلى الله عليه وآله وسلم إيّاهما في الجنّة كما روي عن ابن عبّاس قال أبو الليث : يكون وليمة في الجنّة ويجتمع عليها أهل الجنّة فيزوّج الله هاتين المرءتين من محمّد و بدأ في الآية بالثيّب قبل البكر لأنّ زمن آسية قبل زمن مريم .

و روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دخل على خديجة و هي تجود بنفسها فقال : أتكرهين مانزل بك يا خديجة و قد جعل الله في الكره خيراً كثيراً فإذا قدمت على ضرّاتك فاقرئيهنّ منّي السلام فقالت : من هنّ يارسول الله ؟ قال : مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم و حليمة اُخت موسى فقالت : بالرفاء و البنين ، وكان هذا دعاء الأوائل للمعرّس ثمّ نهى النبيّ عن هذا القول و أمر بقوله : بارك لك و بارك عليك و جمع بينكما في خير .

وفي الحديث أنّ الرجل من أهل الجنّة ليتزوّج خمسمائة حوراء و أربعة آلاف ثيّب و ثمانية آلاف بكر يعانق كلّ واحدة منهنّ مقدار عمره في الدنيا .

يا ايها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس و الحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون (٦) يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون (٧) يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لايخزى الله النبى و الذين آمنوا معهم نورهم يسعى بين ايديهم و بايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا و اغفر لنا انك على كل شىء قدير (٨) يا ايها النبى جاهد الكفار

و المنافقين و اغلظ عليهم و ما واهم جهنم و بئس المصير (٩) ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح و امرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً و قيل ادخلا النار مع الداخلين (١٠) و ضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة و نجني من فرعون و عمله و نجني من القوم الظالمين (١١) و مريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها و نفخنا فيه من روحنا و صدقت بكلمات ربها و كتبه كانت من القانتين (١٢).

[قوا] أصله او قيوا كاضربوا أي احفظوا [أنفسكم] بترك المعاصي و فعل الطاعات [و أهليكم] بالنصح و التعليم جمع أهلين حذفت النون بالإضافة و المراد من الأهل كلّ من في عيال الرجل و نفقته من المرأة و الولد و الأخ و الأخت بل قد يطلق على أصحابه.

و في الحديث كلّكم راع كلّكم مسؤولون عن رعيّته و هو من الرعاية و كلّكم مسؤول عمّا التزم حفظه يوم القيامة فالإمام راع على الناس والرجل راع على أهل بيته و المرءة راعية على بيت زوجها و عبد الرجل راع على مال سيّده والكلّ مسؤول وقد خصّ الأهلين لأنّ شرائط الأمر و النهي قدلا توجد في حقّ الأجانب بخلاف الأهلين و إلّا حكم الأجانب كحكمهم في الأمر و النهي لكنّ الأقرب مقدّم كما قال سبحانه: « و أنذر عشيرتك الأقربين [1] » فإذا طهّرتم أنفسكم عن دنس المعاصي و اتّباع الهوى فانصحوا إخوانكم حتّى يأتمّون بهدايتكم.

[ناراً وقودها] ما يوقد به النار يعني حطبها و الوقود بالفتح اسم لما توقد به النار من الحطب و بالضمّ مصدر بمعنى الاتّقاد [الناس] كفّار الإنس و الجنّ و إنّما لم يذكر الجنّ لأنّ كفّار الجنّ تابعة لكفّار الإنس [والحجارة] أي تتّقدبها أيضاً اتّقاد غيرها بالحطب فإنّ اتّقاد النار بالحجارة مكان الحطب يكون من زيادة حرّها و لذلك قال ﷺ: ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنّم قال ابن عبّاس: هي حجارة الكبريت و لها سرعة الاتّقاد ونتن الرائحة و كثرة الدخان و شدّة الالتصاق بالأبدان

(١) الشعراء : ٢١٤ .

و قيل : و قودها الناس إذا صاروا إليها و الحجارة قبل أن يصيروا إليها .

[عليها] أي على تلك النار [ملائكة] تلي أمرها و تعذيب أهلها و هم الزبانية التسعة عشر و أعوانهم و المراد بقوله : « عليها » ليس الاستعلاء الحسّيّ بل الولاية و الغلبة [غلاظ] القلوب خالية عن الرحمة [شداد] أقوياء أو غلاظ الأقوال شداد الأفعال إذا استرحموا لأنّهم خلقوا من الغضب وجبّلوا على القهر لالذّة لهم إلّا فيه ، مابين منكبيهم مسيرة سنة أو كما بين المشرق و المغرب يضرب أحدهم بمقمعته ضربة واحدة سبعين ألفاً فيهوون في النار .

[لا يعصون الله ما أمرهم] في عقوبة الكفّار [و يفعلون ما يؤمرون] من غير تثاقل و تأخير .

[يا أيّها الّذين كفروا] يقال لهم عند إدخال الملائكة إيّاهم في النار حسبما اُمروا به : [لا تعتذروا اليوم] أي في هذا اليوم والعذر تحري الإنسان بما يمحو به ذنوبه [إنّما تجزون ما كنتم تعملون] في الدنيا من الكفر و المعاصي بعد مانهيتم عنها أشدّ النهي فلا عذر لكم أبداً و قوله : « و لا يؤذن لهم فيعتذرون » فمواقف القيامة كثيرة .

[يا أيّها الّذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً] أبلغ وجوه الاعتذار مثل أن تقول : فعلت وأسأت وفي الشرع ترك الذنب لقبحه و الندم على ما فرط منه و العزيمة على ترك المعاودة و تدارك ما أمكنه أن يتدارك و النصح تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه و النصوح فعول من أبنية المبالغة أي بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك على الإسناد المجازيّ وهو وصف التائبين و هو أن ينصحوا أنفسهم بالتوبة و يأتوابها على طريقها .

و في الحديث قال ﷺ : أيّها الناس توبوا إلى الله فإنّي أتوب إلى الله في اليوم مائة مرّة و توبة العوامّ عن الزلّات و الخواصّ عن الغفلات و الأخصّ عن رؤية الحسنات و مراتب التوبة كمراتب التقوى فكما أنّ أوّل مراتب التقوى هو الاجتناب عن المنهيّات وآخرها الاتّقاء عن الأنانيّة والبقيّة (؟) فكذلك التوبة أوّلها الرجوع عن المعاصي و آخرها الرجوع عن ذنب الوجود الآنيّة و الإقبال حقيقة على طاعة الله بحيث لايكون له غير الطاعة شغل يشغله و هذه التوبة ترفو جميع خروق وقعت في ثوب دينه

و بالجملة النصوح في التوبة الصدق فيها و ترك ما منه تاب سرّاً و علناً قولاً و فكراً و هي واجبة على الفور لما في التأخير من الإصرار على المحرّم و الإصرار يجعل الصغيرة كبيرة و قصّة النصوح معروفة و قد شرح حاله المولوي في المثنوي فراجعه .

[عسى ربّكم أن يكفّر عنكم سيّئاتكم] بسترها بل بمحوها و يبدلها حسنات [و يدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار] قيل : ورود صيغة المقاربة و الإطماع و الترجية على سنن الكبرياء فإنّ الملوك يجيبون بلعلّ وعسى و يقع ذلك موقع القطع و الاشعار بأنّه تفضّل وأنّ العبد ينبغي أن يكون بين الخوف و الرجاء و إن بالغ في وظائف العبوديّة .

[يوم لا يخزي الله النبيّ] ظرف متعلّق ليدخلكم و الخزي إمّا الفضاحة فيكون تعريضاً للكفرة أومن الخزاية بمعنى الحياء و الخجل و هو الأنسب هنا بالنظر إلى شأن الرسول و إن اُريد المعنى الأوّل فباعتبار أنّ خزي الاُمّة لا يخلو عن إنشاء خزي كما قال ﷺ في دعائه : اللّهم لا تخزنا يوم القيامة ولم يقل : لا تخزني ليكون دعاؤه عامّاً لاُمّته و أدخل فيهم نفسه العالية من كمال مروّته و قيل : الخزي كناية عن العذاب للملازمة بينهما و الأولى العموم لكلّ خزي يكون سبباً من الأسباب من الحساب و الكتاب و العقاب وغيرها .

[و الّذين آمنوا معه] عطف على النبيّ و معه صلة أي لا يخزي معه الّذين آمنوا و اتّبعوه في الايمان [نورهم] أي نور إيمانهم و طاعتهم على الصراط [يسعى] السعي المشي القويّ السريع إشارة إلى اللمعان [بين أيديهم] أي قدّامهم يراد بين أيديهم قدّام الشيء لكونه بين اليدين غالباً [و بأيمانهم] أي و عن أيمانهم و تخصيص الجهتين لأنّ أرباب السعادة يؤتون صحائف أعمالهم منها كما أنّ أصحاب الشقاوة يؤتون من شمائلهم و من وراء ظهورهم فلكون ذلك علامة لذلك و قائداً على الصراط إلى دخول الجنّة و في الحديث من المؤمنون من نوره أبعد ما بيننا و بين عدن و منهم من نوره لا يجاوزه قدمه .

[يقولون] أي المؤمنين يقولون [ربّنا أتمم لنا نورنا] المراد بالإتمام الإدامة إلى أن يصلوا إلى دار السلام [و اغفرلنا إنّك على كلّ شيءقدير] من الإتمام والمغفرة و يمكن أنّ نورهم لمّا كان بحسب أعمالهم متفاوتاً فيسألون إتمامه تفضّلاً فيكون قوله : « يقولون » من باب بنو فلان قتلوا زيداً .

ثمّ إنّ الأنوار كثيرة نور الصفات و نور الأفعال و نور العبادات مثل الصلاة و و الوضوء كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : و الصلاة نور و السرّ فيه أنّ المصلّي يناجي ربّه و يتوجّه إليه و قد قال صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ العبد إذا قام يصلّي فإنّ الله ينصب له وجهه للقائه والله نور النور فالذات المظلمة إذا واجهت الذات المنيرة و قابلتها بمحاذاة صحيحة فإنّها تكتسب ألاترى أنّ القمر الّذي هو في ذاته جسم أسود مظلم كمد كثيف كيف يكتسب النور بالمقابلة و كيف يتفاوت نوره بحسب التفاوت الحاصل في المحاذاة و المقابلة فإذا تمّت المقابلة كمل اكتساب نوره و في الحديث: بشّر المشّائين في الظلم إلى المساجد بالنور التامّ يوم القيامة .

[ياأيّها النبيّ جاهد الكفّار] بالسيف [والمنافقين] وجاهد المنافقين بالحجّة و الموعظة والقول الرادع عن القبيح لابالحرب لأنّه فيه أيضاً بذل المجهود فلذلك سمّي جهاداً و إنّ رسول الله لم يقاتل منافقاً قطّ إنّما كان يتألّفهم و روي عن الصادق عليه السلام أنّه قرء جاهد الكفّار بالمنافقين .

[واغلظ عليهم] أي اُشدد عليهم قيل : أي على المنافقين من غير محاباة و قيل : اُشدد عليهم في اقامة الحدّ عليهم قال الحسن : أكثر من كان يصيب الحدود في ذلك الزمان المنافقون فأمر الله تعالى أن يغلظ عليهم في الحدود .

[و مأواهم] أي الكفّار و المنافقين [جهنّم و بئس المصير] و المستقرّ .

ثمّ مثّل الله و ضرب لأزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مثلاً حثّاً لهنّ على الطاعة و بياناً لهنّ أنّ مصاحبة النبيّ مع مخالفته لاينفعهنّ فقال : [ضرب الله مثلاً للّذين كفروا] وضرب المثل عبارة عن إيراد حالة غريبة لنعرف بها حالة اُخرى مشاكلة لها في الغرابة أي جعل

الله مثالاً لحال هؤلاء الكفّار حالاً و مآلاً و مثلاً مفعول ثان لضرب [امرأة نوح و امرأة لوط] أي حالهما و امرأة نوح اسمها واعلة أو والعة و امرأة لوط هي واهلة .

[كانتا تحت عبدين من عبدنا صالحين] و المراد بكونهما تحتهما كونهما في حكمهما و تصرّفهما بعلاقة النكاح و صالحين صفة عبدين أي كانتا تحت نكاح نبيّين و في عصمة رسولين و حيازة سعادتهما [فخانتاهما] بيان لما صدر عنهما من الخيانة العظيمة بالكفر و النفاق و النسبة إلى الجنون و الدلالة على الأضياف ليتعرّضوا لهم بالفجور و المراد بالخيانة هذه الأمور لا البغاء فإنّه ما بغت امرأة نبيّ قطّ فالبغيّ للزوجة أشدّ في إيراث الأنفة لأهل العار و الناموس من الكفر و إن كان الكفر أشدّ منه جرماً يؤاخذ به العبد يوم القيامة .

[فلم يغنيا] أي فلم يغن النبيّان [عنهما] عن تينك المرأتين بسبب حقّ الزواج [من الله] أي من عذاب الله [شيئاً] من الإغناء أي لم يدفعا العذاب عنهما فغرقت امرأة نوح واُمطرت بالحجارة امرأة لوط .

[و قيل لهما] عند موتهما أو يوم القيامة وصيغة الماضي للتحقيق قاله الملائكة الموكّلون بالعذاب : [ادخلا النار مع الداخلين] من الكفرة المعذّبين وجمع المذكّر لأنّهنّ لا ينفردن بالدخول وإذا اجتمعا فالغلبة للذكور فتحقّق أنّ الاتّصالات الدينيّة والروحانيّة هي المؤثّرة فحسب و أمّا العلائق الصوريّة و الدنيويّة لا يبقى لها أثر بعد الموت .

[و ضرب الله مثلاً للّذين آمنوا امرأة فرعون] سبحانه حالها مثلاً لحال المؤمنين بأنّ وصلة الكفر لا يضرّها حيث كانت في الدنيا تحت أعدى أعداء الله و هي في أعلى غرف الجنّة والمراد آسية بنت مزاحم و في الآية حثّ للمؤمنين على الصبر في الشدّة و الثبات في الدين حتّى لا يكونوا أضعف من امرأة فرعون .

[إذ قالت ربّ ابن لي] بيد قدرتك [عندك بيتاً في الجنّة] أي قريباً من رحمتك لأنّ الله منزّه عن الحلول في مكان أو المراد ابن لي من عند كرمك و فضلك لا باستحقاق منّي قيل : إنّها لمّا قالت ذلك : رفعت الحجب حتّى رأت بيتها في الجنّة من درّة بيضاء

و انتزع روحها [و نجّني من فرعون] الجاهل و عمله الباطل و سوء جواره [و نجّني من القوم الظالمين] عن القبط التابعين له في الظلم .

روي أنّه لمّا غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون و قيل : هي عمّة موسى فلمّا تبيّن لفرعون إسلامها طلب منها أن ترجع عن إيمانها فأبت فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد و ربّطها في الشمس فأمر الله ملائكته أن يظلّوها بأجنحتهم و أراها الله بينها في الجنّة بحيث نسيت ماهي فيه من العذاب فضحكت فعند ذلك قالوا هي مجنونة تضحك و هي في العذاب و قال الضحّاك : أمر فرعون بأن يلقى عليها حجر رحى و هي في الأوتاد فقالت : « ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة » فما وصل الحجر إليها حتّى رفع روحها إلى الجنّة فاُلقي الحجر عليها بعد خروج روحها ، و مسألة الخلاص والالتجاء إلى الله عند المحن و البلاء من سير الصالحين و يحسن إظهار التجلّد للهدي و يقبح غير العجز عند الأحبّة .

[و مريم ابنة عمران] عطف على امرأة فرعون و المعنى و ضرب الله مثلاً للّذين آمنوا حال مريم ابنة عمران و مريم بمعنى العابدة عندهم الإحصان العفاف أي حفظت فرجها عن مساس الرجال مطلقا حراماً و حلالاً وقال السهيليّ : معنى إحصان الفرج طهارة الثوب يريد فرج القميص يعني لم يعلّق بثوبها ريبة وسمّي الفرج بالسوءة استعارة من هذا المعنى و فروج القميص أربعة الكمّان والأعلى والأسفل فلا يذهبنّ وهمك إلى غير هذا لأنّ القرآن أنزه معنى وأوجز لفظاً و أحسن عبارة من أن يريد معنى ذهب إليه الناس .

[فنفخنا فيه] الباء سببيّة أي نفخنا و النفخ نفخ الريح في الشيء بسبب ذلك الإحسان في ما انفرج من جيبها و فرج درعها و هو إلى التذكير أقرب و إذا كان المراد من الفرج معنى المتبادر المعروف فحينئذ قوله : « فيه » من باب الاستخدام و أراد بالضمير معنى الثاني الّذي فسّره السهيليّ بالدرع و فروجه و قد نفخ جبرئيل في قميصها [من روحنا] أي من روح خلقناه بلا توسّط أصل و أضاف الروح إلى ذاته تفخيماً لها وتشريفاً

لعيسى أو المعنى من جهته روحنا جبرئيل .

[و صدّقت بكلمات ربّها] معطوف على أحصنت أي آمنت بالصحف المنزله على الأنبياء أو أيقنت بالبشارات و بما يكلّم الله به و أوحاه [و كتبه] المنزلة على رسله مثل التوراة و الإنجيل متقدّمة أو متأخّرة ومن وحّد وقرء و كتابه فالمراد الإنجيل [و كانت من القانتين] و من المطيعين المعتكفين في المسجد الأقصى والتذكير لتغليب المذكّر فإنّ مريم جعلت داخلة في ذلك اللفظ مع المذكّرين و الإشعار بأنّ طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتّى عدّت من جملتهم أو كانت من القانتين أي من نسلهم لأنّها من أعقاب موسى و هارون ولأنّ رهطها و عشيرتها كانوا من أهل بيت طاعة و صلاح و عن أبي موسى عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : الكمّل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء إلّا أربعة : آسيه امرأة فرعون ومريم ابنة عمران و خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم

تمّت السورة

سورة الملك

و تسمّى سورة المنجية لأنّها تنجي صاحبها من عذاب القبر و قدورد به الخبر . و تسمّى الواقية لما روي أنّها الواقية من عذاب القبر . و هي مكّيّة .

فضلها : أُبيّ بن كعب عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و من قرء سورة تبارك فكأنّما أحيا ليلة القدر .

وعن ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : و ددت أنّ تبارك في قلب كلّ مؤمن .

و عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ سورة تبارك من كتاب الله ماهي إلّا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار فأدخلته الجنّة .

و عن ابن مسعود قال : إذا وضع الميّت في قبره يؤتى من قبل رجليه فيقال : ليس لكم عليه سبيل لأنّه قدكان يقوم بسورة الملك ثمّ يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه : ليس لكم عليه سبيل لأنّه يقرء بي سورة الملك ثمّ قال : هي المانعة من عذاب القبر ، وهي في التوراة سورة الملك من قرءها فقد أكثر و أطنب و لم يكتب من الغافلين .

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير (١) الذى خلق الموت و الحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا و هو العزيز الغفور (٢) الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور (٣) ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً و هو حسير (٤) و لقد زينا السماء الدنيا بمصابيح و جعلناها رجوما للشياطين و اعتدنا لهم عذاب السعير (٥) .

البركة الثبوت والنماء والزيادة باعتبار تعاليه عمّا سواه في ذاته و صفاته وأفعاله و أمّا قوله : تخلّقوا بأخلاق الله فباعتبار اللوازم و بقدر الاستعداد من حصول فيوضاته سبحانه لا باعتبار الحقيقة فمثل إحياء عيسى الأموات من الله على يده بقدر استعداده منه تعالى له [الّذي] بقبضته [الملك] و التصرّف الكلّيّ بأمر ونهي و إعطاء و منع وإحياء و إماتة وغيره [و هو على كلّ شيء قدير] .

[الّذي خلق الموت والحياة] الموصول بدل الموصول الأوّل و الحياة ما يصحّ بوجوده الإحساس والموت عدم ذلك و قوله ﷺ : يذبح الموت بين الجنّة و النار على صورة كبش و لا شكّ أنّ الذبح إنّما يتعلّق بالأعيان لأنّ عالم الآخرة عالم الصفة يعني إنّ كلّ صفة باطنة في الدنيا تتصوّر بصورة ظاهرة في العقبى حسنة أو قبيحة فلا شيء من المعاني إلّا وهو مجسّم مصوّر .

و معنى قوله : « خلق الموت و الحياة» إيجاد ذلك المصوّر و إعدامه و إيجاد أثر الحياة بنفخ الروح و إضاءة ظاهر البدن و باطنه و إيجاد أثر الموت بقطع ضوء الروح عن ظاهر الحيّ و باطنه و بجعله معدوم الحركة فعدم تلك الملكة ليس عدماً محضاً بل فيه

شائبة الوجود و إلّا لم يعتبر فيه المحلّ القابل للأمر الوجودي فلذلك صحّ تعلّق الخلق بالموت كتعلّقه بالحياة وهذا التقرير دفع لما اعترضوا به من أنّ العدم حال يكون مخلوقاً هذا كلّه إذا كان الموت أمراً وجوديّاً في الجملة ولكن لو كان الموت عبارة عن عدم الحياة فمعنى « خلق الموت » أي قدّر الموت فإنّ الخلق يجيء بمعنى التقدير فمن جعله نصب عينه أفلح و في الحديث لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه : الفقر و المرض و الموت ثمّ إنّ الألف و اللام في « الموت و الحياة » عوض عن المضاف إليه أي موتكم و حياتكم أيّها المكلّفون.

[ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً] اللام لام العلّة والغرض خلافاً للأشاعرة أي ليعاملكم معاملة المختبر حتّى يجازيكم بموجب عملكم و البلوى الاختبار و ليس هنا على حقيقته لأنّ الاختبار إنّما يتصوّر ممّن يخفى عليه عواقب الأمور فالابتلاء من الله أن يظهر من العبد ما كان يعلم منه في الغيب لأنّه رتّب سبحانه الجزاء بعد وقوع الفعل و لو أنّه سبحانه يعلم الفعل من العبد قبل وقوعه لكنّ الجزاء يقع على تفاوت المراتب و الطبقات من العلم و العمل و أنّ العمل غير مختصّ بعمل الجوارح ولذلك فسّره صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله : أيّكم أحسن عقلاً و أورع من محارم الله و أسرع في طاعته وأتمّ عقلاً لمراده تعالى.

و أفضل العمل و أوجبه وأولاه معرفة الله و طريقها النظر و التفكّر في بدائع صنعه وآياته المنصوبة في الأنفس و الآفاق كما قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : لا تفضّلوني على يونس بن متّى فإنّه كان يرفع له كلّ يوم مثل عمل أهل الأرض و ذلك لكمال تدبّر يونس عليه السلام في بدائع صنعه تعالى ضرورة أنّ أحداً لا يقدر على أن يعمل بجوارحه كلّ يوم مثل عمل أهل الأرض و الحديث إشارة إلى أنّ أعمال المقرّبين واحد منها مقابل بمائة ألف باعتبار التفاوت بالنسبة إلى الأشخاص مثل بيتوتة أمير المؤمنين تلك الليلة في فراش رسول الله ولعلّ المراد من الحديث في قوله : « مثل عمل أهل الأرض » أهل الأرض في زمانه وقوله : لا تفضّلوني خضوع منه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

[و هو العزيز الغفور] و الحال أنّه غالب على حكمه غفور لمن تاب منهم.

[الّذي خلق سبع سماوات] أبدعها من غير مثال [طباقاً] صفة للسموات و الصفة

للأعداد يكون للمضاف إليه مثل[1] «سبع بقرات سمان» وطابقت بين الشيئين إذا جعلتها على حذو واحد و ألزمتها و المعنى مطابقة بعضها فوق بعض و سماء فوق سماء غلظ كلّ سماء خمسمائة عام و كذا جوّها بلا علاقة و لا عماد و لا مماسّة فالسماء الاُولى على ما قيل : موج ممنوع من السيلان و الثانية من دُرّة بيضاء والثالثة من حديد و الرابعة من نحاس أو صفر و الخامسة من فضّة و السادسة من ذهب و السابعة من ياقوتة حمراء و ما فوقهامن الكرسيّ والعرش بحار من نور .

[ماترى في خلق الرحمن من تفاوت] و الخطاب لرسوله أي اختلاف و تناقض من طريق الحكمة و ليس فيها عدم تناسب بل مستو مستقيم قيل : سلب التفاوت عنها مطابقة بعضها بعضاً وحسن انتظامها لأنّ أحد المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر فحينئذ لا يلائمه فلو قيل : إنّ التفاوت حاصل فيها أو في المخلوقات كما نشاهد مثل أنّ الليل غير النهار و في السماء الاُولى اُمور ليس في الثانية و هكذا فكيف يكون ليس في خلق الرحمن من تفاوت فالجواب بأنّ المعنى ليس تناقض أو تزايد غير محتاج إليه أو محتاج إليه بل الكلّ مستقيمة على قدر موافق للحكمة لا ينبغي أن ينقص منها شيء أو يزيد فيها شيء .

[فارجع البصر هل ترى من فطور] أي رُدّ البصر و أدره و استقص في النظر في السماء هل تُرى شقوق وفتوق أووهن و خلل ؟

[ثمّ ارجع البصر كرّتين] أي كرّر النظر و أدم و ارجع النظر و البصر مرّة بعد اُخرى و لا يريد حقيقة التثنية لقوله : « وهو حسير » و لا يصير حسراً بمرّتين وذلك مثل قولهم : لبّيك و سعديك و المعنى إلباباً بعد إلباب و إسعاداً بعد إسعاد كلّما دعوتني فأنا ذو إجابة و ثبات بمكاني بعد ثبات من قولهم : لبّ بالمكان و ألبّ إذا أقام .

[ينقلب إليك البصر خاسئاً] أي يرجع إليك بصرك بعيداً عن نيل المراد ذليلاً صاغراً [و هو حسير] أي طال ، و خاسئاً حال من البصر يقال : خسأ الكلب تباعد من ذُلّه كأنّه زُجر و طُرد مستهيناً به و ذلك إذا قيل له : إخسأ .

---

(١) يوسف : ٤٣ .

[ولقد زيّنّا السماء الدنيا] تصدير الجملة بالقسم لإبراز بيان خلوّها عن شائبة القصور و كونها في غاية الحسن و الانتظام أي و بالله لقد زيّنّا أقرب السماوات إلى الأرض و الناس وجمّلناها ، و الدنيا تأنيث الأدنى بمعنى الأقرب [بمصابيح] أي بالسرج و التنكير للتعظيم يعني بكواكب مضيئة بالليل كإضاءة السرج من السيّارات و الثوابت تتراءى كلّها مع أنّ بعضها في سائر السماوات لكن لمّا كانت السماوات صافية و أجراماً شفّافة فهي لابدّ وأن تظهر و تلوح منها .

[و جعلناها] أي المصابيح المعبّر بها عن النجوم [رجوماً] جمع رجم بالفتح و هو ما يرجم به و يرمي للطرد و الزجر أو جمع راجم كسجود جمع ساجد [للشياطين] و هم كفّار الجنّ و المعنى و جعلنا للكواكب فائدة اُخرى هي رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من الكواكب لا نفس الكواكب فإنّها قارّة في الفلك على حالها فمنهم من يقتله الشهاب و منهم من يفسد عضواً من أعضائه أو عقله و الشهاب شعلة ساطعة من نار تنفصل من النجم فأطلق عليها النجم . و قالت الفلاسفة : إنّ الشهب هي أجزاء ناريّة تحصل في الجوّ عند ارتفاع الأبخرة المتصاعدة و اتّصالها بالنار الّتي دون الفلك و هذا القول بمعزل عن القبول مع الآية ودلائل لا يسع هذا المقام بيانه .

[و أعتدنالهم عذاب السعير] أي هيّأنا للشياطين بعد الإحراق بالشهب عذاب النار المسعرة الموقدة .

و الذين كفروا بربهم لهم عذاب جهنم و بئس المصير (٦) اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا و هى تفور (٧) تكاد تميز من الغيظ كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير (٨) قالوا بلى قدجاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شىء ان انتم الا فى ضلال كبير (٩) و قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير (١٠) فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير (١١) .

[و للّذين كفروا بربّهم] من الشياطين و غيرهم بسبب كفرهم [عذاب جهنّم] أي الحركة الناريّة الّتي تلقاهم بالتجهّم و العبوسة و الكلوحة [و بئس المصير]

جهنّم و يجوز أن يكون جهنّم من الجهنام و هي بئر بعيدة القعر .

و دركات النار سبع و هي جهنّم ثمّ لظى ثم الحطمة ثمّ السقر ثمّ الجحيم ثمّ الهاوية و لكن كلّ من هذه الأسماء يطلق على جهنّم و كلّ فرقة دركة من الدركات السبع كعصاة أهل التوحيد والنصارى و اليهود و الصابئة و المجوس و المشركين والمنافقين و لم يذكروا الشياطين في واحدة من الدركات السبع ولعلّهم يقسّمون على مراتب إضلالهم و ضلالهم كما قال سبحانه : « و ترى المجرمين يومئذ مقرّنين (١) » أي مع شياطينهم .

[إذا اُلقوا] أي الّذين كفروا في جهنّم و طرحوا كما يطرح الحبّ في النار و في تعبير الإلقاء دون الإدخال إشعار بتحقيرهم و كون جهنّم سفليّة [سمعوا لها]لجهنّم نفسها [شهيقاً] أي صوتاً كصوت الحمار الّذي هو أنكر الأصوات و أفظعها غضباً عليهم و هو حسيس النار قالوا : الشهيق في الصدر و الزفير في الحلق أو الشهيق آخر صوت الحمير و الزفير أوّله و الشهيق ردّ النفس و الزفير إخراجه .

[و هي تفور] و الحال أنّها يغلي لهم غليان المرجل بما فيها من شدّة التلهّب و التعسّر فهم لا يزالون صاعدين هابطين كالحبّ إذا كان الماء يغلي به لاقرار لهم أصلاً و الفور شدّة الغليان و فعلت كذا من فوري أي من غليان الحال [تكاد تميّز من الغيظ] يقال : فلان يكاد ينشقّ من غيظه إذا وصف بالإفراط في الغضب والتميّز الانفصال والتقطّع و تميّز أصله تتميّز أي يقرب من شدّة غيظها أن يتمزّق تركيبها و استعير لفظ الغيظ لهذا الاستعمال استعارة تصريحيّة و ذلك كلّه لغضب سيّدها و تأتي يوم القيامة تقاد إلى المحشر بألف زمام لكلّ زمام سبعون ألف ملك و هي من شدّة الغيظ تقوى على الملائكة و تحمل على الناس فتقطع الأزمة و تحطم أهل المحشر وتقول : لأنتقمنّ اليوم ممّن أكل رزق الله و عبدغيره فلا يردّها عنهم إلّا النبيّ ﷺ يقابلها بنوره فترجع مع أنّ لكلّ ملك من القوّة مالوأن اُمر بهأن يقتلع الأرض و ما عليها من الجبال ويصعدبها فعل من غير كلفة قال ﷺ : لقد اُدنيت منّي النار حتّى جعلت أتقها خشية أن تغشاكم .

(١) ابراهيم : ٩٤ .

قال جعفر الطيّار : كنت مع النبيّ في طريق فاشتدّت عليّ العطش فعلمه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و كان حذاءنا جبل فقال صلى الله عليه وآله وسلم : بلّغ منّي السلام إلى هذا الجبل و قل له يسقيك إن كان فيه ماء قال : فذهبت إليه قلت : السلام عليك أيّها الجبل فقال الجبل بنطق فصيح : لبّيك يا رسول رسول الله فعرضت القصّة فقال الجبل : بلّغ سلامي إلى رسول الله وقل : منذ سمعت قوله تعالى : « فاتّقوا النار الّتي و قودها الناس و الحجارة [1] » بكيت لخوف أن أكون من الحجارة الّتي هي وقود النار بحيث لم يبق فيّ ماء .

[كلّما اُلقي فيها] أي في جهنّم [فوج] جماعة الكفرة بدفع الزبانية [سألهم خزنتها] أي سأل الخزنة و الزبانية ذلك الفوج و ضمير الجمع باعتبار المعنى [ألم يأتكم] في الدنيا [نذير] منذر يتلو عليكم آيات ربّكم و ينذركم لقاء يومكم هذا و الإنذار لا يكون إلّا في التخويف .

[قالوا] اعترافاً : [بلى] لإيجاب نفي إتيان التذكير [قد جاءنا نذير فكذّبنا و قلنا] ذلك النذير في كونه نذيراً من الله فإن قلت : هذا يقتضي أن لا يدخلها الفاسق المصرّ لأنّه لم يكذّب النذير فالجواب أنّ الأدلّة السمعيّة دلّت على تعذيب العصاة مطلقا

[ما نزّل الله]على أحد [من شيء] من الأشياء فضلاً عن تنزيل الآيات عليكم و قيل : المراد ما نزّل الله من كتاب ولا رسول [إن أنتم] أي ما أنتم أيّها الرسل في هذا الادّعاء [إلّا في ضلال كبير] بعيد عن الحقّ .

[و قالوا لو كنّا أو نعقل] من النذر و ما جاءونا به و دعونا إليه [ما كنّا في أصحاب السعير] و لو كنّا نسمع من يعي و نتفكّر و نعقل عقل من يميّز ما كنّا من أصحاب السعير و عن أنس قال : أثنى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم : كيف عقل الرجل؟ قالوا : نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير و تسألنا عن عقله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر و إنّما يرتفع العباد غداً في الدرجات و ينالون الزلفى من ربّهم على قدر عقولهم .

ثمّ قال : [فاعترفوا بذنبهم] في ذلك الوقت الّذي لا ينفعهم الإقرار فيه والإقرار

(١) البقرة : ٢٤ .

من قرّ الشيء يقرّ قراراً إذا ثبت و الاعتراف مأخوذ من المعرفة و هو الإقرار عن معرفة و الذنب مصدراً لا يثنّى ولا يجمع و يفيد فائدة الجمع بكونه اسم الجنس وشامل للقليل و الكثير أو أُريد به الكفر و هو و إن كان على أنواع فهو على ملّة واحدة .

[فسحقاً] مصدر إمّا لفعل من المزيد بحذف الزايد أي فأسحقهم الله من رحمته سحقاً أي إسحاقاً و إبعاداً أو أنّهم سحقوا سُحقاً أي بعدوا بُعداً [لأصحاب السعير] و قيل : ألزمهم الله سُحقاً عن الخير و بُعداً عن الرحمة فجاء المصدر على غير لفظه مثل « نباتاً حسناً » (١) و معنى سحقته باعدته بالتفريق عن حال اجتماعه حتّى صار كالغبار واللام في قوله : « لأصحاب السعير » للبيان .

ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة و اجر كبير (١٢) واسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور (١٣) الا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير (١٤) هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه و اليه النشور (١٥) ءامنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هى تمور (١٦) ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير (١٧) و لقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير (١٨) او لم يروا الى الطير فوقهم صافات و يقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شىء بصير (١٩) امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور (٢٠) امن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا فى عتو و نفور (٢١) .

[إنّ الّذين يخشون ربّهم بالغيب] و يخافون عذابه و هو عذاب القيامة و يوم الموت و يوم القبر خوفاً و راء عيونهم حالكون ذلك العذاب غائباً عنهم و لم يعاينوه [لهم مغفرة] عظيمة و لمّا كان السرور إنّما يتمّ بالإعطاء قال : و [وأجرٌ كبير] أي ثواب عظيم في الآخرة قال مسروق : إنّ المخافة قبل الرجاء فإنّ الله خلق جنّة و ناراً فلن تخلصوا الجنّة حتّى تمرّوا بالنار قال تعالى : « و إن منكم إلّا واردها » (٢) .

قال فُضيل بن عياض : إذا قيل لك : أتخاف الله ؟ فاسكت فإنّك إن قلت : لا فقد

(١) آل عمران : ٣٧ .
(٢) مريم : ٧١ .

جئت بأمر عظيم و إذا قلت : نعم فالخائف لا يكون على ما أنت عليه ؛ ألا ترى أنّ الله لمّا اتخذ إبراهيم عليه السلام خليلاً ألقى في قلبه الوجل حتّى أنّ خفقان قلبه يسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء .

[وأسرّوا قولكم أو اجهروا به] قال ابن عبّاس نزلت في المشركين كانوا يتكلّمون في شأن النبيّ فيما بينهم بأشياء فيظهره الله رسوله عليها فقال بعضهم لبعض أسرّوا قولكم كيلا يسمع ربّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فيخبره بما تقولون فقال لهم : « و أسرّوا قولكم » الآية [إنّه عليم بذات الصدور] و بمضمرات جميع الناس و أسرارهم وبما في قلوبهم .

[ألا يعلم من خلق] أي ألا يعلم الله من خلقه [و هو] و الحال أنّه [اللطيف] العالم بدقائق الأشياء [الخبير] المطّلع ببواطنها و إنّما يستحقّ اسم اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها ثمّ يسلك في إيصالها إلى المستصلح على سبيل الرفق دون العنف فا ذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الإدراك ثمّ معنى اللطف و لا يتصوّر كما ذلك في العلم و الفعل إلّا لله .

[هو الّذي جعل لكم الأرض] لمنافعكم اختلفوا في مبلغ الأرض و كميّتها قال مكحول : ما بين أقصى الدنيا إلى أدناها مسيرة خمسمائة سنة مائتان من ذلك في البحر و مائتان ليس يسكنها أحد و ثمانون فيها يأجوج و مأجوج و عشرون فيها سائر الخلق قال قتادة : بسيطها من حيث محيط بها البحر المحيط أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان منها اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ و ملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ و ملك العرب ألف فرسخ ، قال عبد الله بن عمر : ربع من لا يلبس الثياب من السودان أكثر من جميع الناس .

و قد خرّج بطلميوس مقدار قطر الأرض في المجسطي بالتقريب و هو كتاب له يذكر فيه القواعد الّتي يتوسّل بها في بيان الأوضاع الفلكيّة و الأرضيّة قال : بسيط الأرض مائة ألف و ثمانون ألف اسطاربوس و هي أربعة و عشرون ألف ميل فتكون على هذا ثمانية آلاف فرسخ و الفرسخ ثلاثة أميال و ثلاثة آلاف ذراع بالمكّيّ والذراع ثلاثة أشبار و كلّ شبر اثنتا عشر أصبعاً و الأصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها إلى

بعض و عرض الشعيرة الواحدة ستّ شعرات بغل و الأسطاربوس أربعمائة ألف ذراع .

قوله : [ذلولاً] أي منقادة يسهل عليكم السلوك فيها و السكونة بها ولتتوصّلوا إلى ما ينفعكم و الذلّ بالضمّ و الكسر ضدّ الصعوبة و الذلّ بمعنى الهوان بالضمّ فقط والذلول فعول بمعنى الفاعل ولذا عري عن علامة التأنيث مع أنّ الأرض مؤنث سماعيّ .

[فامشوا في مناكبها] و الأمر أمر إباحة أي فاسلكوا في جوانبها حيث إنّ منكبي الرجل جانباه و استعير للأرض كاستعارة الظهر لها في قوله :(١) « ما ترك على ظهرها » و المراد من مناكب الأرض جبالها و شُبّهت بالمناكب من حيث الارتفاع .

[و كلوا من رزقه] من الحبوب و الفواكه و نحوها [و إليه] أي إلى الله وحده [النشور] و المرجع بعد البعث .

[ءأمنتم] استفهام توبيخ [من في السماء] أي هل أمنتم من عذاب ملائكة السماء الموكّلين بتدبير أمر العالم أو الله سبحانه لا أنّه تعالى في جهة السماء لأنّ ذلك من صفات الأجسام و المراد بالفوقيّة القدرة و السلطنة لا فوقيّة الجهة مثل رفع الأيدي إلى السماء في الدعاء لكونها محلّ البركات وقبلة الدعاء ويجوز أن يكون الظرفيّة باعتبار زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنّه تعالى في السماء فحينئذ المعنى : أنتم من تزعمون أنّه في السماء .

[أن يخسف بكم الأرض] و يقلبها عليكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون و الباء في مثل هذه المواضع للتعدية و خسف الله به الأرض أي غاب به فيها [فإذا هي تمور] و تضطرب و تتحرّك و أنتم مخسفون فيها و الأرض تدور بكم إلى الأرض السفلى و المور التردّد في الذهاب و المجيء في مثل الموج .

[أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً] أي حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل والمعنى هل جعل لكم من هذين أماناً ؟ و إذ لا أمان لكم منهما فما معنى تماديكم في شرككم و عصيانكم [فستعلمون] عن قريب [كيف نذير] أي إنذاري عند مشاهدتكم للمنذر به أهو واقع أم لا ؟ أشديد أم ضعيف ؟

---

(١) فاطر : ٤٥ .

[و لقد كذّب الّذين من قبلهم] أي من قبل كفّار مكّة من كفّار الأمم السابقة كالمذكورين و أضرابهم و الالتفات إلى الغيبة إشعار بالإعراض عنهم [فكيف كان نكير] أي إنكاري عليهم بإنزال العذاب وإنكارالله على عبده أن يفعل به أمراً صعباً هائلاً لايعرف .

[أولم يروا] و ينظروا [إلى الطير] فالرؤية بصريّة لأنّها تتعدّى بإلى و أمّا القلبيّة فتعديتها بفي و الطير يطلق على جنس الطائر إمّا لكون جمعه في الأصل مثل ركب و راكب أو مصدره جعل اسماً لجنسه .

[فوقهم] ظرفاً ليروا أو حالاً من الطير أي كائنات فوقهم [صافّات] و الصفّ أن يجعل الشيء على خطّ مستو كالناس والأشجار والمعنى باسطات أجنحتهنّ في الجوّ عندطيرانها فإنّهنّ إذابسطنهاصففن قوادمها صفّاً وهي عشر في كلّ جناح الواحدة قادمة .

[و يقبضن] و يضممنها إذا ضربن بها جنوبهنّ حيناً فحيناً للاستظهار به على التحرّك فإنّ الطيران كالسباحة في الماء فكما أنّ السباحة مدّ الأطراف وبسطها فكذا الطيران لابدّ فيه صفّ الأجنحة و بسطها وحاصل المعنى أنّ الطيرفي الطيران صافّات وقابضات ولذا جاز العطف مع أنّ الثانية فعليّة .

[و ما يمسكهنّ] في الجوّ عن السقوط عند الصفّ و القبض على خلاف مقتضى الطبع الجسمانيّ فإنّه يقتضي الوقوع إلى السفل [إلّا الرحمن] الواسع رحمته كلّ شيء بأن خلقهنّ على خصائص و صنع تركيب للجري في الهواء [إنّه بكلّ شيء بصير] يعلم تدبير العجائب و يشاهد و ينكشف له كمال صفات المبصرات .

[أمّن هذا الّذي هو جندلكم ينصركم من دون الرحمن] أم منقطعة مقدّرة ببل لتوبيخه و المعنى بل من هذا الحقير الّذي هو في زعمكم جندلكم و عون من آلهتكم ينصركم عند نزول الآفات و العذاب من غير الله و ينصركم نصراً كائناً من دون نصره تعالى أو حاصل الكلام أنّ الله الّذي له هذه الأوصاف ينصركم و ينجيكم من الخسف و الحصب إن أصابكم أم الّذي تزعمون أنّه جند لكم وعلى هذا المعنى أم متّصلة .

[إن الكافرون إلّا في غرور] إن نافية أي ما هم في زعمهم أنّهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم و أنّ آلهتهم يحفظهم من بأس الله إلّا في غرور عظيم .

[أمّن هذا الّذي يرزقكم] و يعطيكم الرزق [إن أمسك] الرحمن و حبس [رزقه] بإمساك المطر و مباديه ولو كان الرزق موجوداً أو كثيراً و سهل التناول فوضع الأكلة في فمه فأمسك الله عنه قوّة الابتلاع عجز أهل السماوات و الأرض عن أن يسوغوه تلك اللقمة كما يقع هذا الأمر أحياناً لبعض المرضى . قيل : كان الكفّار يمتنعون عن الإيمان و يعاندون الرسول ﷺ معتمدين على شيئين : أحدهما بمالهم وعددهم و الثاني اعتقادهم أنّ الأوثان توصل إليهم جميع الخيرات و تدفع عنهم الآفات فأبطل الله عليهم الأوّل بقوله : « أمّن هذا الّذي هو جندٌ لكم » إلخ ، و ردّ عليهم الثاني بقوله : «أمّن هذا الّذي يرزقكم » إلخ .

[بل لجّوا في عتوّ ونفور] الكلام منبيء عن مقدّر يستدعيه المقام كأنّه قيل : إنّهم لم يذعنوا للحقّ بل لجّوا و تمادوا في عتوّ و عناد و استكبار و شراد عن الحقّ .

أفمن يمشي مكباً على وجهه اهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم (٢٢) قل هو الذى أنشأ لكم طريق السمع و الابصار و الافئدة قليلا ما تشكرون (٢٣) قل هو الذى ذرأكم في الارض واليه تحشرون (٢٤) و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (٢٥) قل انما العلم عند الله و انما أنا نذير مبين (٢٦) فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا و قيل هذا الذى كنتم به تدعون (٢٧) قل أرأيتم ان أهلكنى الله و من معنى فمن يجير الكافرين من عذاب أليم (٢٨) قل هو الرحمن آمنا به و عليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين (٢٩) قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين (٣٠) .

[أفمن يمشي مكبّاً على وجهه أهدى] مثل ضرب للمشرك و الموحّد توضيحاً لحالهما و إلغاء لترتيب البيان و تقديم الهمزة على إلغاء صورة لاقتضائها الصدارة و أمّا بحسب المعنى فالأمر بالعكس حتّى لو قيل مكان الهمزة «هل» لقيل : فهل يمشي مكبّاً و المكبّ الساقط على وجهه و المعنى فمن يمشي و هو يعثر في كلّ ساعة و يخرّ على وجهه في كلّ خطوة لتوعير طريقه واختلال قواه أشدّ هداية ورُشداً إلى المقصد الّذي يؤمّه .

[أمّن] أي هو أهدى أم من [يمشي سويّاً] قائماً سالماً من العثار [على صراط

مستقيم] مستوي الأجزاء و قيل: المكبّ كناية عن الأعمى قيل للنبيّ: و كيف يمشون على وجوههم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الّذين أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم.

[هو الّذي أنشأكم] أيّها الكفّار إنشاءً بعيداً بأن صوّركم فأحسن صوركم [و جعل لكم السمع] لتسمعوا آيات الله و تعملوا بموجبها و قدّم السمع لأنّ فوائد السمع أقوى بالنسبة إلى عموم الناس و إن كانت فوائد البصر أعلى بالنسبة إلى الخواصّ [و الأبصار] لتنظروا بها إلى الآيات الكونيّة الشاهدة بشؤون الخالق [و الأفئدة] و القلوب لتتفكّروا بها فيما تسمعونه و تتعقّلونه من الواردات عليكم و التفؤّد التوقّد ومنه الفؤاد للقلب لأنّ العلوم و المعارف يتّقد و ينكشف به و هو كالحوض حيث ينصبّ إليه ما حصل من طريق السمع والبصر.

[قليلاً ما تشكرون] باستعمالها فيما خلقت لأجله و قليلاً صفة لمحذوف و ما مزيدة لتأكيد القلّة أي شكراً قليلاً تشكرون و قيل: المراد من القلّة النفي إذا كان الخطاب للكفرة و بمعناه المعروف إذا كان الخطاب للكلّ قال بعض المتّقين:

لو عشت ألف عام في سجدة لربّي ❊ شكراً لفضل يوم لم أقض بالتمام
و العام ألف شهر والشهر ألف عام ❊ و اليوم ألف حين والحين ألف عام

و اعلم أنّ شكر السمع التعلّم و الاستماع من العلماء و المواعظ الحسنة و ردّ أقوال البدعة و الهوى و شكر البصر النظر بالدقّة إلى المصاحف و كتب الدين و إلى وجوه أهل الإيمان و الفقراء بعين الرحمة و شكر القلب قبول أحكام الله و اليقين بتوحيده و الخوف و الرجاء منه و به و المحبّة لأوليائه و البغض لأعدائه.

[هو الّذي ذرأكم في الأرض] أي خلقكم و كثّركم فيها و ذرأه أي كثره ومنه الذرّيّة [و إليه تحشرون] أي إليه تعالى تجمعون و تبعثون للحساب و الجزاء فابنوا أموركم على ذلك واستعدّوا لذلك اليوم و جميع البيان المذكور لإثبات هذا المطلوب.

[و يقولون] من فرط عنادهم أو بطريق الاستهزاء: [متى هذا الوعد] أي الحشر الموعود و كانوا يقولون: متى هذا [إن كنتم صادقين] يخاطبون به النبيّ و جواب الشرط

محذوف أي كنتم صادقين فيما تخبرون به من مجيء الساعة فبيّنوا وقته .

[قل] ما أعلم الخلق [إنّما العلم] بوقته [عند الله و إنّما أنا نذير مبين] مخوّف بلغة تعرفونها و أمّا العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الإنذار .

[فلمّا رأوه زلفة] أي فلمّا رأوا العذاب قريباً و ذاقرب أو على أنّه مصدر بمعنى الفاعل أي مزدلفاً و المراد يوم بدر أو المراد يوم القيامة و رأوا أنّ القيامة قد قامت و ما أعدّ لهم العذاب كما عليه أكثر المفسّرين و أتى بلفظ الماضي لتحقّق وقوعها و أراد به المستقبل [سيئت وجوه الّذين كفروا] قبحت وجوههم و ظهر عليها الكآبة ونالهم السوء و يقال لهم : [هذا الّذي كنتم به تدّعون] أي هذا الّذي كنتم به تستعجلون و تدّعون بتعجيله قال الفرّاء : تدّعون و تدعون واحد مثل : تدّخرون و تدخرون قيل : هو تدّعون من الدعوى أي تدّعون أن لا جنّة ولا نار .

و روى الحاكم أبو القاسم الحسكانيّ بالأسانيد الصحيحة عن شريك عن الأعمش قال : لمّا رأوا عليّ بن أبي طالب ومالهمن الزلفى و التقرّب عند الله سيئت وجوه الّذين كفروا و عن أبي جعفر عليه السلام فلمّا رأوا مكانة عليّ من النبيّ سيئت وجوه الّذين كفروا و كذّبوا بفضله و أصل الكلام أنّ رؤية الموعود ساءت وجوههم و السياءة من ساءه الشيء يسوؤه سوءاً و مساءةً نقيض سرّه وهذا المعنى متعدّ و يجوز أن يكون لازماً بمعنى قبح و منه «ساء مثلاً» فالمعنى حينئذ ساءوا وقبحوا وقيل : توبيخاً لهم هذا الكلام .

[قل] يا خير الخلق : [أرأيتم] أخبروني خبراً أنتم في الوثوق به مثل الرؤية قال بعضهم : لمّا كان الإخبار قويّاً بالرؤية شاع أرأيت في معنى أخبر [إن أهلكني الله] و أماتني و ذلك لما يتربّصون به ريب منون [و من معي] من المؤمنين و حصل مقصودكم [أو رحمنا] بتأخير آجالنا [فمن يجير الكافرين من عذاب أليم] استحقّوه بكفرهم ومن ينقذهم و قيل : معنى رحمنا غفرنا أي لا ينجيكم من عذابه أحد سواء متنا أو بقينا إنّما النجاة بالإيمان و العمل الصالح و وضع الكافرين موضع ضميرهم ليتخيّل عليهم بالكفر و بيان نفي الإنجاء بسبب الكفر .

[قل] يا محمّد : [هو الرحمن] الّذي أدعوكم إلى عبادته مولى التنعّم [آمنّا به]

ولم نكفر به كما كفرتم [و عليه توكّلنا] وفوّضنا اُمورنا عليه لا على غيره مثلكم حيث توكّلتم على عدّتكم و عددكم [فستعلمون] يا كفّار مكّة [من هو في ضلال مبين] من استفهاميّة أو موصولة منّا و منكم أيّنا المصيب وأيّنا المخطىء .

[قل] يا محمّد : [أرأيتم] أخبروني [إن أصبح ماؤكم غوراً] و صار غائراً في الأرض بالكلّيّة ونازلاً و ذاهباً فيها و نضب أو غار في المنبهط من الأرض [فمن يأتيكم] على عجزكم [بماء معين] جار ، من عان الماء أو معن الماء كلاهما أي ظاهر للعيون بجريه و بسهولة تناوله بالأيدي و كان ماء أهل مكّةمن بئرين : بئرزمزم وبئر ميمون الحضرميّ وإنّما خصّ سبحانه من النعم بذكر الماء لأنّه أصل الحياة وهو أهون موجود وأعزّ مفقود .

و في تفسير الزاهدي إنّ زنديقاً سمع معلّماً تلقّن تلميذه قوله : « فمن يأتيكم بماء معين » فأجاب الزنديق : يأتي به المعول فلمّا أمسى الزنديق و نام في فراشه فسمع هاتفاً و هو يسمع صوته ولا يرى شخصه فهتف الهاتف يا زنديق غار ماء عينك فقل حتّى يأتي به المعول ! فعوقب بذهاب ماء عينيه لأنّ الجزاء من جنس العمل ، ونعم ما حكى هذه القصّة المولوي في المثنوي نعوذ بالله من الجرءة على الله و ترك حرمة القرآن

تمّت السورة بعون الله

سورة ن و القلم

هي مكّيّة و قيل : بعضها مكّيّة و بعضها مدنيّة .

عليّ بن ميمون عن الصادق عليه السلام قال : من قرء سورة ن في فريضة أو نافلة آمنه الله أن يصيبه في حياته فقراً و أعاذه من ضغطة القبر .

بسم الله الرحمن الرحيم

ن و القلم و ما يسطرون (١) ما انت بنعمة ربك بمجنون (٢) و ان لك لاجراً غير ممنون (٣) و انك لعلى خلق عظيم (٤) فستبصر و يبصرون (٥) بايكم المفتون (٦) ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله و هو اعلم بالمهتدين (٧) فلا تطع المكذبين (٨) ودوا لو تدهن فيدهنون (٩) و لا تطع كل حلاف مهين (١٠) هماز مشاء بنميم (١١) مناع للخير معتد اثيم (١٢) عتل بعد ذلك زنيم (١٣) ان كان ذا مال و بنين (١٤) اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين (١٥) سنسمه على الخرطوم (١٦) .

أي هذه سورة « ن » أو بحقّ ن أقسم الله بها على سبيل التأكيد في إثبات الحكم على ما عليه عادة الخلق مع ما فيه من بيان عظم شأن المقسم به، و النون حرف واحد في في الكتابة و ثلاثة أحرف في التلفّظ و قد قال ﷺ : من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول :ألم حرفٌ بل ألف حرفٌ ولام حرفٌ وميم حرفٌ و قال بعضهم : هو مفتاح اسم النور و الناصر . و قيل فيه : إنّه اسم من أسماء النبيّ ﷺ . و قيل : النون الحوت العظيم قال عكرمة ، أقسم الله بالحوت الّذي لطخ سهم نمرود بدمه لمّارمى السهم نحو السماء عاد السهم مختضباً بدم سمكة في بحر معلّق في الهواء، فأكرم الله ذلك الحوت بأن أقسم به وأحلّ جنسه من غير ذكاة فانّه لا يحلّ إلّا ميتتان : السمك والجراد . و قيل : المراد الحوت الّذي احتبس يونس في بطنه . وقيل :هو الحوت الّذي على ظهر الأرض و هو في بحر تحت الأرض السفلى اسمه ليوثا أو يهموت أو برهوت . و قيل : هو الدواة . و قيل : هو نهر في الجنّة قال الله : له كن مداداً فحينئذ.

[و القلم] هو ما يكتب به و الواو للقسم على التقدير الأوّل و للعطف على الثاني و المراد قلم اللّوح كما جاء في الخبر إنّ أوّل ما خلق الله القلم و نظر إليه

فانشق بنصفين ثم قال : له أجر بما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك من الآجال و الأعمال و الأرزاق ثم ختم على القلم و هو قلم من نور طوله كما بين السماء و الأرض ، و بعد ما خلق القلم خلق النون فدحي الأرض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السماوات و اضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال .

و عن ابن عبّاس أنّ المراد بالقلم قلم الكرام الكاتبين أو جنس القلم أقسم الله بالدواة و القلم لكثرة منافعها كما قيل : البيان اثنان بيان لسان و بيان بنان و هو باق على الأيّام وبيان اللسان تدرسه الأعوام ولو لم يكن للقلم مزيّة سوى كونه آلة لتحرير كتب الله لكفى به فضلاً مرجباً لتعظيمه و من تعظيمه تعظيم برايته فتوضع حيث لا تطأها الأقدام و إلّا أورثت الآلام .

كفى قلم الكتّاب فخراً ورفعة ❊ مدى الدهر ، أنّ الله أقسم بالقلم

[و مايسطرون] ماموصولة والعائد محذوف والسطر الصفّ من الكتابة و من القوم الوقوف و ضمير الجمع لأصحاب القلم من الحفظة الملائكة أو غيرهم و لعلّ مناسبة كون « ن » من أسمائه تعالى هي أنّ النون في الرقم نصف دائرة محسوسة و نصف دائرة معقولة تشعر نقطتها بأحديّة ذاته تعالى و النصف المحسوس مظهر و ظرف مداد عالم الخلق و النصف المعقول ظرف عالم الأمر فالمناسبة حاصلة .

قوله : [ما أنت بنعمة ربّك بمجنون] جواب القسم أي لست مجنوناً و ليس شيء حائلاً بين نفسك وعقلك و أنت ملتبس بنعمة ربّك و هي نعمة النبوّة و الرياسة العامّة و المراد تنزيهه ﷺ عمّا كانوا ينسبونه إليك حسداً و مكابرة مع كونه في غاية من حصافة العقل ورزانة الرأي و قوله : « بنعمة ربّك » قسم اعترض به بين المحكوم عليه و الحكم ـ على ما قال أبو حيّان ـ على سبيل التأكيد في انتفاء الوصف الذميم عنه و ذهب غيره أيضاً أنّ الباء للقسم مثل شيخ نجم الدين في تأويلاته .

و قيل في النزول : إنّه ﷺ غاب عن خديجة إلى حراء جبل النور قالت خديجة : فلم نجده ﷺ فإذا هو قد طلع ووجهه متغيّر بلاغبار فقالت له : مالك ؟ فذكر نزول جبرئيل و أنّه قال : له اقرأ باسم ربّك فهو أوّل ما نزل من القرآن قال ﷺ :

نزل جبرئيل إلى قرار الأرض فتوّضأ و توضّأت ثمّ صلّى و صلّيت معه ركعتين و قال : هكذا الصلاة يا محمّد فذكر ذلك ﷺ لخديجة فذهبت خديجة إلى ورقة بن نوفل و هو ابن عمّها و كان قد خالف دين قريش ودخل في النصرانيّة فجاء ورقة إلى النبيّ ﷺ وقال: هل أمرك جبرئيل أن تدعو أحداً؟ فقال : لا فقال ورقة : لئن بقيت إلى دعوتك لأ نصرنّك نصراً عزيزاً ثمّ مات قبل دعاء الرسول .

و وقعت تلك الواقعة في ألسنة كفّار قريش فقالوا : إنّه مجنون فأقسم الله على أنّه ليس بمجنون و هو خمس آيات عن أوّل هذه السورة لكن قال ابن عبّاس : أوّل ما نزل « سبّح اسم ربّك » و«اقرأ» هي الثانية .

قوله : [و إنّ لك] بمقاساة تحمّلك أعباء الرسالة و ألوان الشدائد من جهة الكفّار [لأجراً غير ممنون] و غير مقطوع و منه قيل «المنون» للمنيّة لأ نّها تقطع العدد و المدد و يجوز أن يكون معناه غير مكدّر بسبب المنّة .

[و إنّك لعلى خلق عظيم] لا يدرك شأوه أحد من الخلق لأ نّك تحتمل من جهتهم مالا يكاد يحتمله أحد و دلّت الآية على أنّك مستول على الأخلاق الحميدة و الأفعال المرضيّة حتّى صارت بمنزلة الاُمور الطبيعيّة و لذا قال : « قل لا أسألكم عليه أجراً و ما أنا من المتكلّفين (١) » أي لست متكلّفاً فيما يظهر من أخلاقي لأنّ المتكلّف لا يدوم أمره طويلاً بل يرجع إليه الطبع وسمّي خلقاً لرسوخه وثباته حتّى صار بمنزلة الخلقة الّتي جبّل عليها الإنسان و إن احتاج في كونه ملكة راسخة إلى اعتقال و مجاهدة طويلة و لذا يتبدّل بالمصاحبة فيكون الحسن قبيحاً و القبيح حسناً على حال المصاحبين كما في الحديث المرء علي دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل و في حديث آخر : لا تجالسوا أهل الهوى و البدع فإنّ لهم عرّة كعرّة الجرب و لذلك صنّف أطبّاء الأرواح أبواباً في علم الأخلاق لترتيب الصحّة الروحانيّة كما ألف أطبّاء الأشباح فصولاً في علم الأبدان .

و إنّما وصف سبحانه خلقه بالعظمة كما وصف العرش و القرآن بالعظيم لبيان

---

(١) ص : ٨٨ .

أنّ ذلك الخلق جامع لمكارم الأخلاق اجتمع فيه شكر نوح وخلّة إبراهيم و إخلاص موسى و صدق إسماعيل و صبر يعقوب و أيّوب و اعتذار داود و تواضع سليمان و عيسى و هكذا من أخلاق سائر الأنبياء كما قال: «فبهداهم اقتده[1]» إذ ليس هذا الهدى معرفة الله لأنّ ذلك تقليد و هو غير لائق بالرسول و ليس الشرائع لأنّ شريعته ناسخة لشرائعهم و المراد الاقتداء بكلّ منهم فيما اختصّ به من الخلق الكريم إذ كان كلّ واحد منهم مختصّاً بخلق حسن غالب على سائر أخلاقه و هذه درجة عالية لم يتيسّر لأحد من الأنبياء.

لكلّ نبيّ في الأنام فضيلة * و جملتها مجموعة لمحمّد

و كان صلى الله عليه وآله وسلم متحلّياً بما في القرآن من مكارم الأخلاق وقد جمع فيه صلى الله عليه وآله وسلم ما في الآي العشر في سورة المؤمنين من قوله: «قد أفلح» فذلك خلقه العظيم و هو عين الصراط المستقيم.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ لله ثلاثمائة و ستّين خلقاً من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنّة و أحبّها إلى الله السخاء.

قال بعض المحقّقين: من أراد أن يرى رسول الله ممّن لم يدركه من اُمّته فلينظر إلى القرآن فإنّه لافرق بين النظر فيه و بين النظر إلى رسول الله فكأنّ القرآن انتشاء صورة جسديّة يقال له محمّد: و الأنبياء كلّهم أنوارهم كالكواكب بالنسبة إلى نوره و مع أنّه كان غائباً عنهم استناروا من صفاء نوره؛

فاق النبيّين في خلق و في خلق * و لم يدانوه في علم و لا كرم

[فستبصرو يبصرون] عند كشف الغطاء فيعلمون حينئذ أنّك مجنون أو أنّهم مجانين [بأيّكم المفتون] أي أيّكم الّذي ابتلي بفتنة الجنون على أنّ المفتون بمعنى الفتون و هو الجنون كالمعقول بمعنى العقل و الباء مزيدة في المبتداء كما في بحسبك زيد أوالباء بمعنى «في» أي الفريقين من المؤمنين و الكافرين يوجدون من يستحقّ عليه هذا الاسم.

---

(١) الانعام: ٩٠.

[إنّ ربّك هو أعلم بمن ضلّ من سبيله] الحقّ المؤدّي إلى سعادة الدارين أوهام في تيه الضلال متوجّهاً إلى ما يفضيه إلى الشقاوة الأبديّة و هو المجنون الّذي لا يفرّق بين النفع و الضرّ [و هو أعلم بالمهتدين] إلى سبيله فيجزي كلا الفريقين حسبما يستحقّه و إعادة « هو أعلم » لزيادة التقرير و حصول الهداية أمر متوقّف على قبول المهتدي لأنّ الرسول الصادق الأمين قال : « إنّي دعوت قومي ليلاً و نهاراً فلم يزدهم دعائي إلّا فراراً (١) ».

[فلا تطع المكذّبين] أي إذا تبيّن عندك حالهم فدم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم فقوّى سبحانه قلبه ﷺ بالتشدّد مع قومه مع قلّة العدد و كثرة الكفّار و في الآية بيان للأُمّة أنّ الإطاعة للعاصي عصيان والاقتداء بالطاغي طغيان.

[ودّوا لو تدهن فيدهنون] لو للتمنّي و المراد من الإدهان الملاينة و التسهيل و المسامحة و ترك الدعوة أي إنّهم لو سامحتهم في الدعوة يداهنونك حينئذ بترك الطعن و الفرق بين المداهنة و المداراة إنّ الإدهان الملاينة لمن لا ينبغي له ذلك و تغضي عنهم لحظّ نفسك و سلامة جاهك و اجتلاب نفعك و المداراة لما ترى فيه من اصطلاح الأمر بالإغضاء وهي في الغالب مع من يخاف شرّه .

قوله : [و لا تطع كلّ حلّاف مهين] كثير الحلف في الحقّ و الباطل لجهله حرمة اليمين و عدم مبالاته من الحنث لسوء عقيدته و أصل الحلف اليمين الّذي كان يأخذ بعضهم من بعض على أمر أي العهد ثمّ عبّر بهعن كلّ يمين و المهين الحقيرالرأي و هي الحقارة في التدبير .

[همّاز] عيّاب طعّان يلوي شدقيه في أقفية الناس و في الحديث لايكون المؤمن طعّاناً و لا لعّاناً و الهمّاز مبالغة هامز و الهمز الطعن و منه المهمزة حديدة تطعن بها الدابّة قيل لأعرابيّ : أتهمز الفار ؟ قال : السنّور يهمزها استعير للمغتاب الّذي يذكر الناس بالمكروه و يظهر عيوبهم و يكسر أعراضهم .

[مشّاء بنميم] نقّال للحديث من قوم إلى قومعلى وجهه السعاية والإفسادبينهم

(١) نوح : ٥ .

و إظهار الحديث بالوشاية و هو من الكبائر أمّا نقل الكلام بقصد النصيحة للمؤمنين فواجب كما قال من قال : « يا موسى إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنّي لك من الناصحين [١] » و في الحديث لا يدخل الجنّة نمّام .

[منّاع للخير] الخير المال أي بخيل يمنع الناس من أقسام الخير من الإيمان و الطاعة والإنفاق و كان للوليد بن المغيرة عشرة من البنين و كان يقول لهم و لأقاربه: من تبع منكم دين محمّد لا أنفعه بشيء و كان موسراً .

[معتد] متجاوز في الظلم من استغراقه في الأخلاق الذميمة و مجاوزة الحقّ و الحدّ [أثيم] كثير الاسم و المعصية .

[عتلّ بعد ذلك زنيم] عتله إذا قاده بعنف و غلظة أي جاف غليظ القلب بحيث لا يقبل الخير و النصح « بعد ذلك » أي بعد هذه القبايح « زنيم » دعيّ ملتصق بالقوم و ملحق بهم في النسب و ليس منهم فالزنيم هو الّذي تبنّاه أحدوا تخذه ابناً و ليس بابن له في الحقيقة و الزائد في القوم تشبيهاً بالزنمتين من الشاة و هما المند لبتان من اُذُنها أو شيء يقطع من اُذُن البعير فيترك معلّقاً .

قال العتبيّ : لانعلم أنّ الله وصف أحداً و لاذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عاراً لايفارقه أبداً و كان الوليد دعيّاً في قريش و ليس من سنخهم ، ادّعاه أبوه المغيرة بعد ثمان عشرة سنة من مولده و حاصل معنى الزنيم و لدالزنى .

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغيّ الأمّ ذو حسب لئيم

وفي الحديث لايدخل الجنّة جوّاظ ولاجعظريّ ولاالعتلّ الزنيم. والجوّاظ : الجموع المنوع، والجعظريّ : الفظّ الغليظ ، والعتلّ : رحيب الجوف أكول شروب غشوم ظلوم .

[أن كان ذا مال و بنين] متعلّق بقوله : « لا تطع » بحذف الجارّ أي لأن كان مستظهراً بالمال و البنين، ومن قرء بالاستفهام فيكون المعنى ألأن كان ذامال وبنين يجحد آياتنا و جعل مجازاة النعم الكفر بآياتنا ؟

(١) سورة القصص : ٢٠ .

[إذاتتلى عليه آياتنا قال أساطير الأوّلين] استيناف جار مجرى التعليل المنهيّ أي إذا تقرء عليه آياتنا و كلامنا قال : هي أحاديث و قصص لااعتبار بها اكتتبوها كذباً .

[سنسمه على الخرطوم] أصله سنوسمه من الوسم و هو إحداث السمة و العلامة والمسيم المكواة و آلة الكيّ والخرطوم الأنف أو مقدّمه أو ما ضممت عليه الحنكين أي سيجعل له كيّاً على أكرم مواضعه لإهانته و إذلاله إذ الأنف أكرم موضع من الوجه لتقدّمه له و لذلك جعلوه مكان العزّ والحميّة و اشتقّوا منه الأنفة فيقال : فلان شامخ العرنين و يقال للذليل : رغم أنفه .

و لقد وسم العبّاس أباعره في وجوهها فقال ﷺ : أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها أي في أدبارها و في التعبير عن الأنف بلفظ الخرطوم استقباحاً لصاحبه و استهانة له لأنّه لا يستعمل إلّا في الفيل والخنزير .

انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين (١٧) ولايستثنون (١٨) فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون (١٩) فأصبحت كالصريم (٢٠) فتنادوا مصبحين (٢١) أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين (٢٢) فانطلقوا وهم يتخافتون (٢٣) ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين (٢٤) و غدوا على حرد قادرين (٢٥) فلمارأوها قالوا انا لضالون (٢٦) بل نحن محرومون (٢٧) قال أوسطهم ألم أقل لكم لولاتسبحون (٢٨) قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين (٢٩) فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون (٣٠) قالوا ياويلنا انا كنا طاغين (٣١) عسى ربنا ان يبدلنا خيراً منها انا الى ربنا راغبون (٣٢) كذلك العذاب ولعذاب الاخرة اكبر لوكانوا يعلمون (٣٣) .

[إنّا بلوناهم] يقال : بلي الثوب أي خلق ، وبلوته : اختبرته كأنّني أخلقته من كثرة اختباري له والمعنى إنّا ابتلينا أهل مكّة بالقحط و الجوع سبع سنين بدعوة النبيّ ﷺ حتّى أكل الجيف لتمرّدهم [كما بلونا أصحاب الجنّة] مثل ابتلاء أصحاب الجنّة المعروف خبرها عندهم و اللام في الجنّة للعهد .

و أصحاب الجنّة قوم من أهل صنعاء قيل : كانوا إخوة و كانت الجنّة لأبيهم دون

صنعاء بفرسخين و قيل : هي جنّة بضروان و ضروان على فرسخ من صنعاء و كان أصحاب هذه الجنّة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير و كانوا بخلاء و كان أبوهم يأخذ من البستان قوت سنة و يتصدّق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام و يترك لهم ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القطّاف من العنب وما بقي على البساط الّذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير و يتزوّدون به أيّاماً .

فلمّا مات أبوهم قال بنوه : إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر و نحن اُولو عيال فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى : [إذ أقسموا] والاقسام الحلف [ليصرمنّها مصبحين] ويقطعون الثمار من النخل والعنب و يجمعنّ محصولها مبكرين و سواد الليل باق « ليصرمنّها » جوابٌ للقسم [ولا يستثنون] ولا يقولون : إن شاء الله وكانوا غيرمستثنين فلم يقولوا : إن شاء الله وقيل : المعنى ولا يستثنون حصّة المساكين ولا يخرجونها كما يفعل أبوهم و قال أبو حيّان : المعنى لا يستثنون عمّا عزموا عليه من حرمان المساكين .

[فطاف عليها] أي أحاط على الجنّة [طائفٌ] أي بلاء طائف و ذلك بالليل إذ لا يكون الطائف إلّا بالليل و كان ذلك الطائف ناراً نزلت من السماء فأحرقتها [من ربّك] من جهته تعالى أي من جهة أمره و هو منزّه عن الجهة و الطوف الدوران حول الشيء و منه الطائف لمن يدور حول البيت حافظاً و منه استعير الطائف من الجنّ و الخيال و الخادم .

[وهم نائمون] غافلون بالنوم عمّا جرت به المقادير و النوم استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه أو أن يتوفّى الله النفس من غير أن يقطع ضوء الروح عن الجسد فالنوم موت خفيف و الموت نوم ثقيل .

[فأصبحت كالصريم] كالبستان الّذي صرمت ثماره حيث لم يبق فيها شيء وقيل : معناه كالليل لأنّ الليل يقال له الصريم ، أي صارت سوداء كالليل لاحتراقها [فتنادوا مصبحين] أي نادى بعضهم بعضاً حالكونهم داخلين في الصباح [أن اغدوا على حرثكم] أي اُخرجوا غدوةً على ضيعتكم و بستانكم و الحرث يجوز أن يراد به الحاصل مطلقاً

و أن يراد به الزرع خصوصاً و تعدية الغدوّ بعلى لتضمّنه الاستيلاء [إن كنتم صارمين] و قاصدين للصرم و قطع الثمرة و جمع المحصول .

[فانطلقوا] و مضوا إليها [و هم يتخافتون] أي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافة و السرّ كيلا يسمع أحد ولا يدخل عليهم [أن لا يدخلنّها] في الجنّة [اليوم عليكم مسكين] من المساكين فضلاً عن أن يكثروا .

[و غدوا على حرد] أي مشوا بكرةً على الحدّة و الغضب و الامتناع من مخالطة المساكين [قادرين] حالٌ من فاعل « غدوا » فلم يحصل لهم إلّا النكد و الحرمان وذلك أنّهم قصدوا حرمان الفقراء فتعجّلوا الحرمان جزاء .

[فلمّا رأوها] الجنّة [قالوا] قال بعضهم لبعض : [إنّا لضالّون] طريق جنّتنا [بل نحن قوم محرومون] قالوه بعد ما تأمّلوها و وقفوا على حقيقة الأمر أي لسنا ضالّين بل حرمنا خيرها بجنايتنا على أنفسنا بسوء نيّتنا .

[قال أوسطهم] أي أعدلهم و خيرهم و أصوبهم رأياً و الوسط تارة يقال : فيما له طرفان مذمومان كالجود الّذي بين البخل و السرف فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط و تارةً يقال : فيما له طرف محمود و طرف مذموم كالخير والشرّ ويراد به الرذل [ألم أقل لكم لولا تسبّحون] لو لاتذكرون الله بالتسبيح و تتوبون إليه من خبث نيّتكم و قدكان قال لهم : حين عزمواعلى ذلك اُذكروا الله و توبوا من هذه العزيمة الخبيثة فعلّلوه و لم يقبلوا منه فعيّرهم لعلّ كانت الاُمم السابقة يؤاخذون علىماعزموا عليه من المعصية .

[قالوا] معترفين بالذنب [سبحان ربّنا] نزّهه عن كلّ سوء سيّما عن أن يكون ظالماً فيما فعل بنا [إنّا كنّا ظالمين] بقصد حرمان المساكين كأنّهم قالوا : نستغفر الله من سوء صنيعنا ولو تكلّموا بهذه الكلمة قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنّهم تكلّموا بعد خراب البصرة .

[فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون] يلوم بعضهم بعضاً فإنّ منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه و منهم من أنكره [قالوا ياويلنا] أي الويل والسخط لنا [إنّا كنّا

طاغين] متجاوزين حدود الله .

[عسى ربّنا أن يبدلنا] و يعوّضنا بدلاً منها ببركة التوبة [خيراً منها] من هذه الجنّة [إنّا إلى ربّنا راغبون] راجعون العفو .

روي أنّهم تعاقدوا : إن أبدلنا الله خيراً منها لنصنعنّ كما صنع أبونا فأبدلهم الله من ليلتهم ما هو خيرٌ منها قالوا : إنّ الله أمر جبرئيل أن يقتلع تلك الجنّة المحترقة فيجعلها بزغر من أرض الشام أي موضع قليل النبات و يأخذ من الشام جنّة فيجعل مكانها قال ابن مسعود : إنّ القوم لمّا تابوا وأخلصوا أبدلهم جنّة يقال لها الحيوان ، فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً . قال أبوخالد اليمانيّ : دخلت تلك الجنّة فرأيت كلّ عنقود منها كالرجل الأسود القائم .

[كذلك العذاب] جملة من مبتدء وخبر مقدّم لإفادة القصر والألف واللام للعهد أي مثل الّذي بلونا به أهل مكّة من القحط وأصحاب الجنّة كذلك أفعل بأمّتك إذا لم تعطف أغنياؤهم على فقرائهم بأن أمنعهم القطر وأرفع البركة من زروعهم و تجاراتهم وفيه وعيد لمانعي الزكاة بأيّ طريق كان .

[و لعذاب الآخرة أكبر] و أشدّ [لو كانوا يعلمون] أنّه أشدّ وأكبر لاحترزوا عمّا يؤدّيهم .

ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم (٣٤) افنجعل المسلمين كالمجرمين (٣٥) ما لكم كيف تحكمون (٣٦) ام لكم كتاب فيه تدرسون (٣٧) ان لكم فيه لما تخيرون (٣٨) ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون (٣٩) سلهم ايهم بذلك زعيم (٤٠) ام لهم شركاء فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين (٤١) يوم يكشف عن ساق و يدعون الى السجود فلا يستطيعون (٤٢) خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة و قد كانوا يدعون و هم سالمون (٤٣) فذرني و من يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (٤٤) و املى لهم ان كيدى متين (٤٥) .

[إنّ للمتّقين] من الكفر والمعاصي [عند ربّهم] في الآخرة وذكر «عنده» للتشريف و التكريم لأنّ كلّ شيء حقيقة و صورة له و ملكة فكأنّها حاضرة عنده و إلّا فمحال

كون عنديّة الجنّة بالنسبة إلى الله مكانيّة و عند لفظ موضوع للقرب فتارةً يستعمل في المكان و تارة يستعمل في الاعتقاد مثل عندي الأمر كذا و تارة في المنزلة كقوله : «أحياء عند ربّهم (١) » وعلى ذلك يقال : الملائكة المقرّبون .

[جنّات النعيم] أي جنّات ليس فيها إلّا التنعّم الخالص و استفيد الحصر من الإضافةاللاميّة الاختصاصيّة فإنّها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف إليه .

[أفنجعل المسلمين كالمجرمين] كان صناديد قريش يرون وُفور حظّهم من الدنيا و قلّة حظوظ المسلمين منها فإذا سمعوا بحديث الآخرة و ما وعدالله المسلمين قالوا : إن صحّ أنّا نبعث كما يزعم محمّد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلّا مثل ماهي في الدنيا وأقصى أمرهم أن يساوونا فردّهم الله و الهمزة للإنكار أي أنحيف في الحكم فنجعل المؤمنين كالكافرين في حصول النجاة والوصول إلى الدرجات؟ والمراد من المجرمين الكافرون على ما دلّ عليه سبب النزول و إلّا فالإجرام في الجملة لاينافي الإسلام .

[ما لكم كيف تحكمون] تعجّباً من حكمهم ، و ما استفهاميّة في موضع الرفع بالابتداء و «لكم» خبرها و المعنى أيّ شيء ظهر لكم حتّى حكمتم هذا الحكم ؟

[أم لكم] أي بل ألكم [كتاب] نازل من السماء [فيه] متعلّق بقوله : «تدرسون» [تدرسون] وتقرءون فيه [أنّ لكم فيه لما تخيّرون] والمعنى تقرءون في الكتاب أنّ لكم ما تختارونه لانغلبكم و أنّ في ذلك الكتاب أنّ العاصي كالمطيع بل أرفع حالاً .

[أم لكم أيمان علينا بالغة] أي أضمنّا أو أقسمنا بأيمان مغلّظة فثبت لكم علينا عهود مؤكّدة بالأيمان [إلى يوم القيامة] ثابتة لكم إلى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها ولاتنقطع ذلك العهد إلى يوم الحشر [إنّ لكم لما تحكمون] لأنفسكم من الخير و ما تطلبونه وتحكمون به حاصل لكم .

[سلهم أيّهم بذلك زعيم] تلوين للخطاب و توجيه إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بإسقاطهم عن رتبة الخطاب أي سلهم مبكّتاً بهم أيّهم بذلك الحكم الغلط الخارج عن العقول قائم يتصدّى بتصحيحه كما يقوم زعيم القوم بإصلاح اُمورهم ويقيم الحجّة عليها و يتكفّل بها .

(١) آل عمران : ١٦٩ .

[أم لهم شركاء] يشاركونهم في هذا القول و يذهبون مذهبهم [فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين] في دعواهم أي إذا كان ليس لهم دليل في هذا القول الغلط وهو التسوية بين المحسن و المسيء إذ لاأقلّ من التقليد فليأتوا بمن يوافقهم من العقلاء على صحّة هذا القول حتّى يقلّدوهم والأدلّة من السمع والعقل قائمة بخلافه .

[يوم يكشف عن ساق] الظرف متعلّق باذكر المقدّر و « عن ساق » قائم مقام الفاعل « ليكشف » و المراد يوم القيامة أو المعنى فليأتوا بشركائهم و بشهدائهم في ذلك اليوم الشديد الّذي تظهر فيه الأهوال و كشف الساق مثل و كناية عن الشدّة في الأمر .

قال عكرمة : سئل ابن عبّاس عن معنى قوله : « يوم يكشف عن ساق » فقال : إذاخفي عليكم شيء في القرآن فابتغوه في الشعر أما سمعت العرب تقول : « و قامت الحرب بنا على ساق » و يريدون شدّة اليوم و الحرب و أصله أنّ الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى الجدّ يشمّر عن ساقه فاستعير كشف الساق عن الشدّة استعارة تمثيليّة قال دريد بن الصمّة :

كميش الإزار خارج نصف ساقه * بعيد من الآفات طلّاع أنجد

[ويدعون إلى السجود] أي يقال للكفّار والمنافقين : على وجه التوبيخ اُسجدوا تعنيفاً على تركهم السجود في الدنيا لاتكليفاً لأنّه لاتكليف لهم ذلك في ذلك اليوم فلا يستطيعون ، و فيه دلالة على أنّهم يقصدون السجود فلا يتأتّى لهم ذلك عن ابن مسعود عن النبي ﷺ : تعقم أصلابهم أي ترد عظاماً بلامفاصل لاتنثني عند الرفع والخفض فيبقون قياماً على حالهم وفي الحديث : وتبقى أصلابهم طبعاً واحداً أي فقارة واحدة كأنّ سفافيد الحديد في ظهورهم لاتنثني .

[خاشعة أبصارهم] ذليلة لايعرفون نظرهم عن الأرض ذلّة و مهانة [ترهقهم ذلّة] الرهق غشيان الشيء الشيء أي تغشاهم ذلّة شديد بيان لخضوع أبصارهم [و قد كانوا] في الدنيا [يدعون] دعوة التكليف [إلى السجود] و المراد به الصلاة و خصّ السجود بالذكر من حيث إنّه أعظم الطاعات و أنّ الدعوة إلى الصلاة دعوة إلى السجدة و من

أعظم الدعوة أذان المؤذّنين فإنّ قولهم : حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح .

[و هم سالمون] أي أصحّاء يمكنهم السجود فلم يفعلوا.

قال كعب الأحبار : ما نزلت هذه الآية إلّا في الّذين يتخلّفون. حكي عن الربيع بن خثيم أنّه عرض له الفالج فكان يهاوي بين رجلين إلى المسجد فقيل له : يا أبايزيد لوجلست فإنّ لك رخصة قال : من سمع حيّ على الفلاح فليجب و لوحبواً .

و في الآية وعيد لمن ترك الصلاة المعروضة حتّى لو تخلّف عن الجماعة المشروعة من غير عذر سيّما إذا سمع النادين أوكان في جوار المسجد ، و حدّ الجوار على قاله بعض العلماء : أن تكون بينه و بين المسجد مائة دار ، وتعمير بيت الله الصلاة فيه . قال أبوالدرداء: عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من أحبّ الأعمال إلى الله ثلاثة أمر بصدقة و خطوة إلى الصلاة جماعة و إصلاح بين الناس . و حديث أمير المؤمنين عليه السلام أن احرقوا عليهم بيوتهم صحيح السند، إذا كان ترك مستحبّ هذا حكمه فكيف المخالطة مع الزنادقة ؟

قال مجاهد و قتادة و غيرهما : يؤذّن المؤذّن يوم القيامة فيسجد المؤمن و تصلب ظهور الكافرين و المنافقين فيصير سجود المؤمنين حسرة على المنافقين و الكافرين .

[فذرني و من يكذّب بهذا الحديث] أي كل أمرهم إليّ و إذا كان حالهم كذلك فدعني و من يكذّب بالقرآن و توكّل عليّ في الانتقام منهم و في الآية دليل على حدوث القرآن و كلّ كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي يقال له : حديث

[سنستدرجهم] استدرجه إليه درجة درجة باستحقاقهم و قبولهم الكفر أي سنستنزلهم إلى العذاب درجة فدرجة بالإحسان وإدامة الصحّة و ازدياد النعمة [من حيث لا يعلمون] أي الجهة الّتي لا يشعرون أنّه الهلاك و في الحديث إذا رأيت الله ينعم على عبد وهو مقيم على معصية فاعلم أنّه مستدرج و تلا هذه الآية .

روي أنّ رجلاً من بني إسرائيل قال : يا ربّ كم أعصيك و كم أنت لا تعاقبني فأوحى الله إلى نبيّ زمانه أن قل له : كم من عقوبة لي عليك و أنت لا تشعر كونها عقوبة و إنّ جمود عينك و قساوة قلبك استدراج منّي و عقوبة لو عقلت . قيل : من المقت الإلهيّ بالعبد أن يرزق العلم و يحرم العمل به أو يرزق العمل و يحرم الإخلاص فيه

فمن علم اتّصافه بهذا من نفسه فليعلم أنّه ممقوت به .

[و أُملي لهم] الإملاء الإمهال با طالة العمر و ازدياد النعمه [إنّ كيدي] أي أخذي بالعذاب [متين] قوي شديد لايطاق ولا يدفع بشيء و الكيدضرب من الاحتيال و قد يكون محموداً و مذموماً و إن كان يستعمل في المذموم أكثر و كذلك الاستدراج و المكر و هو من الخلق الحيلة السيّئة و من الله التدبير بالحقّ لمجازاة أعمال الخلق .

ام تسألهم اجراً فهم من مغرم مثقلون (٤٦) ام عندهم الغيب فهم يكتبون (٤٧) فاصبر لحكم ربك و لاتكن كصاحب الحوت اذنادى و هو مكظوم (٤٨) لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم (٤٩) فاجتباه ربه فجعله من الصالحين (٥٠) و ان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر و يقولون انه لمجنون (٥١) و ما هو الاذكر للعالمين (٥٢).

[أم تسألهم أجراً] على التبليغ [فهم من مغرم مثقلون] فلأجل ذلك من الغرامة الماليّة مكلّفون حملاً ثقيلاً فيعرضون عنك [أم عندهم الغيب] و المغيبات [فهم يكتبون] منه ما يحكمون به من أباطيلهم .

[فاصبر لحكم ربّك] في تأخير نصرتك و إمهالهم [ولا تكن] في التضجّر بعقوبة قومك [كصاحب الحوت] يونس عليه السلام في استعجال عقاب قومه لا تخرج من بين قومك من قبل أن يأذن الله لك كما خرج هو [إذنادى و هو مكظوم] أي دعا ربّه و هو في بطن الحوت محبوس عن التصرّف ومملوّ من الغمّ ، و كظم السقاء إذاملأه و شدّ رأسه و أمسك عليه والّذي نادى بقوله : «لا إله إلّا انت سبحانك إنّي كنت من الظالمين»[1] .

قوله : [لولا أن تداركه] و ناله و وصل إليه [نعمته] و رحمة كائنة [من ربّه] و هو توفيقه سبحانه و تفضيله [لنبذ] و طرح من بطن الحوت [بالعراء] بالأرض الخالية من الأشجار و العراء مكان لاسترة به [و هو مذموم] مليم لكنّه رحم فنبذ غير مذموم .

[فاجتباه ربّه] و قرّبه بالتوبة عليه من ترك الأولى إذا صحّ هذا القول بأن ردّ

---

(١) الانبياء : ٧٨ .

إليه الوحي و أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون يقال : جبيت الماء في الحوض جمعته و الحوض الجامع له جابية و الاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء و كان رسولاً قبل احتباسه في بطن الحوت .

[فجعله من الصالحين] بأن عصمه من أن يفعل فعلاً يكون تركه أولى قيل: إنّ هذه الآية بأُحد حين همّ رسول الله أن يدعو على المنهزمين فيكون الآية مدنيّة .

و المعتزلة فسّروا قوله : « فجعله من الصالحين » أنّه سبحانه أخبر بصلاحه .

[و إن يكاد الّذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم] إن مخفّفة و اللام دليلها ، أزلّ رجله أزلقها و«لمّا»ظرفيّة أي إنّهم من شدّة عداوتهم لك ينظرون إليك شرزاً نظر الغضبان بمؤخّر العين بحيث يكادون يزلّون قدمك فيرمونك وقت سماعهم القرآن [لمّا سمعوا الذكر] و ذلك لاشتداد حسدهم مأخوذ المعنى من قولهم : نظر إلّي نظراً يكاد يصرعني أو أنّهم يكادون يصيبونك بالعين و الجمهور على هذا القول .

روي أنّه كان في بني أسد عيّانون و العيّان شديد الإصابة بالعين وكان الواحد منهم إذا أراد أن يعين شيئاً يتجوّع له ثلاثة أيّام ثمّ يتعرّض له فيقول : رأيتما أحسن من هذا فيتساقط ذلك الشيء و كان الرجل منهم ينظر إلى الناقة السمينة أو البقرة السمينة ثمّ يعينها فتقول لجاريته : خذي المكتل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتّى تقع فتنحر فسأل الكفّار من قريش من بعض من كانت له هذه الصفة أن يقول : في رسول الله هكذا فعصمه الله .

و في الأسرار المحمّديّة قيل : إنّ في هذه الآية خاصيّة لدفع العين تعليقاً و غسلاً و شرباً و في الحديث : العين حقّ أي أثرها في العين واقع ولمّا خاف يعقوب عليه السلام على أولاده من العين لأنّهم كانوا أُعطوا جمالاً و قوّة و كانوا ولد رجل واحد قال : « يا بنيّ لاتدخلوا من باب واحد و ادخلوا من أبواب متفرّقة [1] » لئلّا يصابوا بالعين .

و كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يعوّذ الحسن و الحسين فيقول : أعوذ بكلمات الله التامّة

---

(١) يوسف : ٦٧ .

من كلّ شيطان و هامة ومن كلّ عين لامة و يقول : هكذا كان يعوّذ إبراهيم إسماعيل و إسحاق .

و عن عبادة بن الصامت قال : دخلت على النبيّ ﷺ في أوّل النهار فرأيته شديد الوجع ثمّ عدت إليه آخر النهار فوجدته معافى فقال ﷺ : إنّ جبرئيل أتى ورقّاني فقال : بسم الله أُرقيك من كلّ شرّ يؤذيك و من كلّ عين و حاسد يشفيك قال ﷺ : فأفقت و إنّما تكره الرقية إذا كانت بغير لسان العرب و الدعاء و لا يدري ما هو و لعلّه سحر أو كفر و أمّا إن كان من القرآن أو شيء من الدعوات فلا بأس به

و لا تختصّ العين بالإنس بل تكون في الجنّ أيضاً حتّى قيل : إنّ عيونهم أنفذ من أسنّة الرماح و عن اُمّ سلمة إنّ النبيّ ﷺ رأى في بيتها جارية تشتكى و في وجهها صفرة فقال : استرقوا لها فإنّ بها النظرة و أرادبها العين أصابتها من الجنّ .

و في الحديث لو كان شيء يسبق القدر لسبقه العين وقال ﷺ : إنّ العين لتدخل الرجل القبر و الجمل القدر .

قيل : و من الشفاء من العين أن يقال على ماء نظيف و يسقيه منه و نغسله عبس عابس بشهاب قابس رددت العين من العين عليه إلى أحبّ الناس إليه فارجع البصر هل ترى من فطور الفاتحة و آية الكرسي و ستّ آيات الشفاء و هي « و يشف صدور قوم مؤمنين (١) ، و شفاء لما في الصدور (٢) ، فيه شفاء للناس (٣) ، و ننزّل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين (٤) ، وإذا مرضت فهو يشفين (٥) ، قل هو للذين آمنوا هدىً و شفاء (٦) » . انتهى

[ويقولون إنّه لمجنون] لتنفير الناس عنه وجهلهم و عنادهم أنّه ﷺ لمجنون أي هو مصاب الجنّ أوهو معلّم من جنّي كما قال الوليدبن المغيرة : يأتيه جنّي فيعلّمه .

ثمّ ردّ سبحانه قولهم فيه ﷺ فقال : [وما هو إلّا ذكر للعالمين] على أنّه حال

(١) التوبة : ١٥ . (٢) يونس : ٥٧ .

(٣) النحل : ٦٩ . (٤) الاسراء : ٧٢ .

(٥) الشعراء : ٨٠ . (٦) حم السجدة : ٤٤ .

من فاعل «يقولون» مفيدة لبطلان قولهم أي و الحال أنّ القرآن ذكر للعالمين و تذكّر و بيان للجنّ والإنس :

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة * فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

و قيل : إنّ الضمير راجع إلى النبيّ و كونه ذكراً أو شرفاً لا ريب فيه

تمّت السورة بحمد الله

سورة الحاقة

☆(مكية)☆

روى جابر الجعفيّ عن الباقر عليه السلام قال : أكثروا من قراءة الحاقّة فإنّ قراءتها في الفرائض و النوافل من الإيمان بالله ورسوله ولم يسلب قارئها دينه حتّى يلقى الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة (١) ما الحاقة (٢) و ما ادراك ما الحاقة (٣) كذبت ثمود و عاد بالقارعة (٤) فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية (٥) واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية (٦) سخرها عليهم سبع ليال و ثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية (٧) فهل ترى لهم من باقية (٨) و جاء فرعون و من قبله و المؤتفكات بالخاطئة (٩) فعصوا رسول ربهم فاخذهم أخذة رابية (١٠).

[الحاقّة] هي عن أسماء القيامة من حقّ يحقّ إذا وجب و ثبت لأنّها يجب مجيئها [ما الحاقّة] الأصل ماهي أي أيّ شيء هي في حالها فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيداً لهولها كما يقال : زيدٌ ما زيد على التعظيم لشأنه فقوله : « الحاقّة » مبتدء و ما مبتدء ثان و ما بعده خبره و الجملة خبرٌ للمبتدء الأوّل و المراد أنّ الحاقّة أمر بديع و خطب فظيع .

[و ما أدراك] من الدراية بمعنى العلم يقال : درى به أي علم به و أدراه أي أعلمه و المعنى وأيّ شيء أعلمك يا محمّد بها و بأهوالها لأنّه لا يكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه من شدّة عظمتها و أهوالها و جملة ما الحاقّة في موضع المفعول الثاني لأدراك و يمكن أن يكون صلّى الله عليه وآله وسلّم عالماً بوقوعها ولكن لم يكن عالماً بكمال كيفيّتها و يحتمل أن يقال له و إسماعاً لغيره .

[كذّبت ثمود] قوم صالح من الثمد و هو الماء القليل الّذي لا مادّة له [و عاد] قوم هود و تمنع ثمود و هي قبيلة [بالقارعة] من أسماء القيامة لأنّها تقرع و تضرب بفنون الأفزاع والأهوال و تصيبهم كأنّهم تقرعهم و السماء بالانشقاق والانفطار والأرض و الجبال بالدكّ و النسف و النجوم بالطمس والانكدار و يقال : قارعة الدهر أي شدّتها .

[فأمّا ثمود] كانوا عرباً منازلهم بالحجر بين الشام و الحجاز [فاُهلكوا] لتكذيبهم [بالطاغية] بالصيحة الّتي جاوزت عن حدّ سائر الصيحات فرجفت منها الأرض و تصدّعت القلوب .

[و أمّا عاد] و كانت منازلهم بالأحقاف و هي الرمل بين عمّان إلى حضرموت و اليمن و كانوا عرباً أيضاً ذوي بسطة في الخلقة و كان أطولهم مائة ذراع و أقصرهم ستّين و أوسطهم ما بين ذلك و كان رأس الرجل منهم كالقبّة يفرخ في عينيه ومنخريه السباع [فاُهلكوا بريح صرصر] شديدة الصوت في هبوبها أو شديدة البرد تحرق ببردها النبات و الحرث [عاتية] مجاوزة الحدّ لشدّة العصف و الرياح مسخّرة لميكائيل تهبّ باذنه وتنقطع باذنه .

[سخّرها عليهم] التسخير سوق الشيء إلى الغرض المختصّ به قهراً فسلّط الله تلك الريح الموصوفة عليهم و في الكلام بيان لدفع ما يتوهّم من كون هذه الواقعة باتّصالات فلكيّة مع أنّه لو كان كذلك لكان بتسبيبه أيضاً [سبع ليال] منصوب على الظرفيّة و أنّث العدد لكون الليالي جمع ليلة يقال : ليل و ليلة و لا يقال : يوم و يومة و تجمع الليل على الليالي بزيادة الياء على غير القياس فتحذف ياؤها حالة التنكير بالإعلال إلّا حالة النصب نحو « سيروا فيها ليالي و أيّاماً آمنين (١) » لأنّه غير منصرف و الفتح خفيف .

[و ثمانية أيّام] ذكّر العدد لكون الأيّام جمع يوم و هو مذكّر [حسوماً] جمع حاسم مثل شهود جمع شاهد بمعنى حاسمات حال من مفعول « سخّرها » أي حال كون الريح متتابعات حتّى أهلكتهم تمثيلاً بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكيّ على داء الدابة مرّة بعد اُخرى حتّى ينقطع و ينحسم الدم أي تلك الرياح المتتابعة حسمت و استأصلت دابرهم و من ذلك يسمّي السيف حساماً لأنّه يقطع و يحسم العدوّ .

و هي كانت أيّام برد العجوز من صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوّال أو آخر أربعاء من شهر صفر إلى غروب الأربعاء الآخر و عن ابن عبّاس برفعه : آخر أربعاء في

(١) سبا : ١٨ .

الشهر يوم نحس مستمرّ وسمّيت عجوزاً لأنّ عجوزاً توارت في سرب فانتز عتها الريح في اليوم الآخر فأهلكتها و قيل : هي أيّام الفجر وهي آخر الشتاء .

و في روضة الأخبار: رغبت عجوز إلى أولادها أن يزوّجوها وكان لها سبعة بنين فقالوا : إلى أن تصبري على البرد عارية لكلّ واحد منّا ليلة ففعلت فلمّا كانت في السابعة ماتت فسمّيت تلك الأيّام أيّام العجوز و أسماء هذه الأيّام : الصنّ بالكسر أوّل أيّام العجوز، والصنبر وهي الريح الباردة و هو الثاني، و الوبر وهو الثالث، و المعلل كمحدث و هو الرابع، ومطفىء الجمر و هو الخامس أو مكفىء الظعن أي مميلها و هو جمع ضعينة وهو الهودج ، والآمر وهو السادس ، و المؤتمر وهو السابع . والتاريخ يكون بالليالي دون الأيّام ولذلك لم يذكر الثامن .

[فترى القوم] أي قوم عاد [فيها] في محالّ هبوب تلك الريح أو في تلك الليالي و الأيّام [صرعى] موتى جمع صريع مثل قتلى و قتيل ساقط على الأرض [كأنّهم أعجاز نخل خاوية] مشبهين بأصول نخل خاوية أي خالية مجوّفة لأنّ أبدانهم خلت من أرواحهم و كانت الريح يدخل في أفواههم فيخرج ما في أجوافهم من أدبارهم كالنخل الخالية المجوّفه .

[فهل ترى لهم من باقية] و الباقية اسم كالبقيّة لا وصف و التاء للنقل إلى الاسميّة و من زائدة أي ما ترى منهم بقيّة من صغارهم و كبارهم غير المؤمنين و يجوز أن يكون صفة موصوف محذوف بمعنى نفس باقية أو مصدر بمعنى البقاء كالكاذبة و الطاغية .

[و جاء فرعون و من قبله] و تقدّمه من الكفرة و قرأ أبو عمرو و الكسائيّ و من قبله بكسر القاف و فتح الباء بمعنى و من معه من القبط [و المؤتفكات] القميّ المؤتفكات البصرة و الخاطئة فلانة . أي قرى قوم لوط فهي المنقلبات بالخسف و هي خمس قريات صبعه و سعده و عمره و دوما وسدوم [بالخاطئة] بالأفعال ذات الخطاء العظيم الّتي من جملتها تكذيب البعث و ذلك الفعل الرجس .

[فعصوا رسول ربّهم] أي فعصى كلّ أُمّة من المذكورين رسل ربّهم والرسول

بمعنى الجمع لأنّ فعول يستوي فيه المذكّر و المؤنث و الواحد و الجمع [فأخذهم]الله بالعقوبة [أخذة رابية] زائدة في الشدّة على عقوبات سائر الكفّار لمّازادت معاصيهم في القبح .

انا لماطغا الماء حملناكم فى الجارية (١١) لنجعلها لكم تذكرةوتعيها اذن واعية (١٢).

[إنّا لمّا طغا الماء] المعهود وقت الطوفان و جاوز حدّه المعتاد حتّى ارتفع على كلّ شيء حتّى الجبال الشامخة فانتقم‌الله منهم بالإغراق [حملناكم]أي حملنا آباءكم و أنتم في أصلابهم فكأنّكم محمولون بأشخاصكم و إنّ نجاة آبائهم سبب ولادتهم[في الجارية] في السفينة لأنّ من شأنها أن تجري على الماء.

[لنجعلها] أي فعلة النجاة للمؤمنين و إغراق الكافرين [لكم تذكرة] و عبرة لكمال قدرة الله و قوّة قهره على العاصين المتمرّدين .

[و تعيها اُذن واعية] وتحفظ هذه التذكرة اُذن من شأنها أن تحفظ ما يجب و ينبغي حفظه و الإفراد في الاُذن حيث لم‌يقل الآذان الواعية لعلّ للإشعار على قلّتها قيل : الاُذن الواحدة إذا وعت و عقلت عن الله فهي السواد الأعظم عندالله و إنّ ما سواها لايبالي بهم و إنّ ملاءوا الخافقين .

و عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم عند نزول هذه الآية إنّه صلى الله عليه و آله و سلم قال : لعليّ عليه السلام سألت الله أن يجعلها اُذنك ياعليّ قال عليّ عليه السلام : فما نسيت بعد ذلك شيئاً و ماكان لي أن أنسي فصار عليه السلام حافظاً للأسرار الإلهيّة و قد قال عليه السلام : ولدت على الفطرة و سبقت إلى الإيمان و الهجرة و فيرواية أخذ باُذن عليّ بن أبيطالب عليه السلام و قال : هي هذه و قدصحّ هذا الحديث عند الفريقين و رووها .

فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة (١٣) و حملت الارض و الجبال فدكتادكة واحدة (١٤) فيومئذ وقعت الواقعة (١٥) و انشقت السماء فهى يومئذ واهية (١٦) و الملك على ارجائها وتحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (١٧) يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية (١٨) فاما من اوتي كتابه

بيمينه فيقول هاؤم اقروا كتابيه (١٩) انى ملاق حسابيه (٢٠) فهو فى عيشة راضية (٢١) فى جنة عالية (٢٢) قطوفها دانية (٢٣) كلوا واشربوا هنيئاً بما اسلفتم فى الايام الخالية (٢٤).

[فإذا نفخ في الصور] النفخ إرسال الريح من الفم والصور قرن من نور أوسع من السماوات ينفخ فيه إسرافيل فيحدث صوت عظيم فإذا سمع الناس ذلك الصوت يصيحون ثمّ يموتون و المصدر المبهم يكون لمجرّد التأكيد و المراد النفخة الأولى و إن كانت النفختان فالمعنى أنّها لاتثنّى في وقتها وذكر الواحدة للتأكيد مثل نفخة واحدة.

[و حملت الأرض و الجبال] أي قلعت و رفعت من أماكنها بتوسّط الزلزلة و الريح العاصفة فإنّ الريح في قوّة عصفها تحمل الأرض و الجبال كما حملت قوم عاد [فدكّتادكّة واحدة] أي ضربت جملة الأرضين و جملة الجبال بعضها ببعض ضربة واحدة بلا احتياج إلى تكرار الضرب وتثنية الدقّ والدكّ أبلغ من الدق ودكّه إذا ضربه و كسره حتّى سوّاه بالأرض فتصير كثيباً مهيلاً.

[فيومئذ وقعت الواقعة] أي فحينئذ وقعت القيامة والواقعة من أسماء القيامة بالغلبة لتحقّق وقوعها.

[و انشقّت السماء فهي يومئذ واهية] و انفرجت السماء لأمر عظيم أراده الله أو بسبب شدّة ذلك اليوم « فهي » أي السماء « يومئذ » ظرف لقوله : « واهية » ضعيفة ساقطة القوة بعدما كانت محكمة أي انشقّت و انخرقت و استرخت.

[و الملك] أي الخلق المعروف بالملك [على أرجائها] أي على جوانب السماء جمع رجاء بالقصر أي بعد انشقاق السماء الّتي هي مساكن الملك يلجؤون إلى أكنافها و حافاتها وقوفهم على حافاتها لحظة وموتهم بعدها فإنّ الملائكة يموتون عند النفخة الأولى و يمكن أن يكون هم المستثنون بقوله : « إلّا من شاء الله » أن يموتوا في هذا الوقت المخصوص.

[و يحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانية] العرش جسم عظيم لا يعلم عظمته إلّا الله و إنّه في الآفاق بمنزلة القلب في الأنفس وهو معنى الحديث: قلب المؤمن عرش الرحمن

و ظاهر الآية في ذكر العرش عقيب ما تقدّم أنّ العرش بحاله خلاف السماء و الأرض « فوقهم » أي فوق الملائكة أو فوق الثمانية أي يحملون العرش « يومئذ » يوم القيامة ثمانية من الملائكة قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيّدهم الله بأربعة اُخرى وقيل : المراد بالثمانية الثمانية آلاف و قيل : ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلّا الله .

[يومئذ] متعلّق بقوله : [تعرضون] على الله أي تسألون و تحاسبون عبّر عنه بذلك تشبيهاً له بعرض السلطان العسكر ليعرف أحوالهم .

روي أن في يوم القيامة ثلاث عرضات عرضتان اعتذار و احتجاج و توبيخ و أمّا الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه و الهالك بشماله و هذا العرض وإن كان بعد النفخة الثانية لكن لمّا كان اليوم اسماً لزمان متّسع يقع فيه النفخات و الصعقة والنشور والحساب صحّ جعله ظرفاً للكلّ كما تقول : جئت عام كذا وإنّما كان المجيء في وقت واحد من أوقاته و ذهب و المشبّهة الضالّة من حمل العرش و العرض إلى كونه تعالى محمولاً في العرش لكنّه هذا المعنى كفر و غلط بل تمثيل لعظمة الله و المراد في هذه الآية و من إتيانه في ظلل من الغمام إتيان أمره سبحانه وقضائه و بالجملة يا معاشر المكلّفين يوم القيامة يوم العرض لأعمالكم .

[لا تخفى منكم خافية] أي فعلة خافية أو نفس خافية و قيل : الخافية مصدر كالعاقبة أي خافية أحد لاتخفى و هو كقوله : « يوم تبلى السرائر [1] » فيظهر أحوال المؤمنين فيتكامل سرورهم و أحوال غيرهم فيحصل الحزن و الفضيحة .

[فأمّا من اُوتي كتابه] أي مكتوبه الّذي كتبته الحفظة [بيمينه] تعظيماً له لأنّ اليمين يتبرّك بها و الباء بمعنى في أو للإلصاق و المراد الأبرار فإنّ المقرّبين لا كتاب لهم لمكانتهم من الله [فيقول] فرحاً و سروراً و ليظهر ذلك لغيره: [هاؤم اقرءوا كتابيه] أي هلمّوا و خذوا كتابي و اقرءوه وهاء اسم فعل معناه خذ يقال : هاءيا رجل ـ بفتح الهمزة ـ وهاء ـ بكسرها ـ يا امرءة وهاؤما يا رجلان أو ياامرءتان وهاؤم يا رجال

(١) الطارق : ٩ .

وهاؤنّ يا نسوة بمعنى خذ خذاخذوا خذي خذا خذن ومفعوله محذوف و كتابي مفعول اقرءوا لأنّه أقرب العاملين فهو أقوى و الهاء هاء الاستراحة لنظم الآي وهذه الهاء لا تكون إلّا ساكنة و تسمّى هاء السكت و هي في سبعة مواضع في القرآن في لم يتسنّه و في بهداهم اقتده و في كتابيه و في حسابيه و في ماليه و في سلطانيه و في ماهيه وأمّا الهاء الّتي في القاضية و الهاوية و في خاوية و ثمانية و عالية و أمثالها للتأنيث فيوقف عليهنّ بالهاء و يوصلن بالتاء .

[إنّي ظننت أنّي ملاق حسابيه] أي علمت و أيقنت أنّي مصادف حسابي في ديوان الحساب الإلهيّ وأُحاسب عليه وإنّما فسّر الظنّ بالعلم لأنّ البعث و الحساب ممّا يتيقّن المؤمن بهما و لا إحسان بدون اليقين و يمكن أن يكون المراد أنّي ظننت أنّي ملاق حسابي على الشدّة و المناقشة لما سلف منّي من الهفوات و الآن أزال الله عنّي ذلك .

قال في الكشّاف : وإنّما أجرى الظنّ مجرى العلم لأنّ الظنّ الغالب يقام مقام العلم في العبادات و الأحكام ثمّ إن الظنّ استعمل بمعنى العلم في مواضع من القرآن كما في قوله تعالى حكاية : « قال الّذين يظنّون أنّهم ملاقوالله [1] » و هم المؤمنون بالآخرة وفي قوله : « وظنّ داود إنّما فتنّاه [2] » أي علم .

[فهو في عيشة راضية] أي من اُوتي كتابه بيمينه في نوع من العيش و إذ كسر العين من العيش يلزمه التاء و العيش الحياة المختصّة بالحيوان « راضية » ذات رضى يرضاها من يعيش فيها أو بمعنى مرضيّة « كماء دافق » أي مدفوق .

[في جنّة عالية] مرتفعة المكان لأنّها في السماء كما أنّ النار سافلة لأنّها تحت الأرض [قطوفها دانية] جمع قطف وهوما يقطف و يجتنى بسرعة و القطف بالفتح مصدر و القطف بالكسر العنقود دانية أي قريبة من مريديها ينالها القائم و القاعد و المضطجع من غير تعب و نعيم الجنّة تابع لإرادة المتنعّم به .

(١) البقرة : ٤٤ .

(٢) ص : ٢٤ .

[كلوا و اشربوا] أمر باحة يقال لهم : كلوا و اشربوا من طعام الجنّة وشرابها [هنيئاً] سائغاً لا تنغيص فيه في الحلقوم و جعل الهنأ صفة للأكل و الشرب لأنّ المصدر يتناول المثنّى و منه اليهناىء في اللحم المطبوخ و يستعمله الناس بالخاء المعجمة بدل الهاء من هنأ يهنأ ويهنى هناءة أي صار سائغاً [بما أسلفتم] بمقابلة ما قدّمتم من الأعمال الصالحة [في الأيّام الخالية] الماضية في الدنيا و قيل : المراد أيّام الصيام أي تدلّ ما أمسكتم عن الأكل و الشرب لوجه الله و هذا المعنى أنسب لأنّ الجزاء لابدّ وأن يكون من جنس العمل .

[و أمّا من أوتي كتابه بشماله] تحقيراً له لأنّ الشمال يتشأم بها [فيقول يا ليتني لم اُوت] أي لم اُعط هذا المكتوب الّذي جمع جميع سيّئاتي [ولم أدرما حسابيه] من الدراية بمعنى العلم لما شاهد من سوء الجزاء .

[ياليتها كانت القاضية] تكرير للتمنّي و تجديد للتحسّر أي ياليت الموتة الّتي ذقتها كانت قاطعة لأمري ولم اُبعث بعدها و كانت دائمة عليّ الموتة و الموتة وإن لم يكن مذكورة إلّا أنّها في حكم المذكور بدلالة المقام و لمّا كانت تلك الحالة عليه أمر من الموت فتمنّاها عندها قال الشاعر :

و شرّ من الموت الّذي إن لقيته ✻ تمنيّت منه الموت والموت أعظم

[ما أغنى عنّي ماليه] و لم يدفع عنّي شيئاً من العذاب الّذي كان لي في الدنيا من المال و هذا المعنى على كون ما نافية و المفعول محذوفاً و على كون ما موصولة فاللام جارّة داخلة على ياء المتكلّم، ويمكن أن تكون للاستفهام على سبيل الإنكار أي أيّ شيء أغنى عنّي ماكان لي في الدنيا من اليسار ؟

[هلك عنّي سلطانيه] السلاطة التمكّن من القهر أي هلك و فنى سلطاني وملكي و بقيت ذليلاً وضلّت عنّي حجّتي كما قال ابن عبّاس : لأنّ الحجّة سلطة و استعملت في السلطة .

[خذوه فغلّوه] حكاية لما يقوله الله يومئذ للزبانية أي خذوا هذا العاصي المتمرّد لربّه و اجمعوا يديه إلى عنقه بالقيد و الحديد و الغلّ بالضمّ الطوق من حديد الجامع

لليد الى العنق المانع عن تحرّك الرأس [ثمّ الجحيم صلّوه] دلّ التقديم على التخصيص أي لا تدخلوه إلّا الجحيم و هي النار العظمى.

[ثمّ في سلسلة] من نار وهي حلق منتظمة و الجارّ متعلّق بقوله: « فاسلكوه » [ذرعها] مبتدء خبره [سبعون] أي طول السلسلة [ذراعاً] تميز [فاسلكوه] السلك هو الإدخال في الطريق و الخيط و القيد و تقديم السلسلة على السلك كتقديم الجحيم على التصلية و الملازمة بالنار وجعل السلسلة سبعين ذراعاً إرادة الوصف بطول السلسلة لأنّ هذا العدد معروف و مستعمل في الكثرة كما قال سبحانه: « إن تستغفر لهم سبعين مرّة (١) » يزيد مرّات كثيرلا خصوص السبعين من العدد.

و قال بعض أهل التحقيق: و لامنع من الحمل على ظاهره من العدد و المراد من الذراع ذراع الملك و ذراع الملك سبعون باعاً و مساحة باع الملك كلّ باع ما بين الكوفة إلى مكّة. قال كعب: لو جمع حديد الدنيا ماوزن حلقة منها ولو وضعت حلقة من تلك السلسلة على جبل لذاب مثل الرصاص، تدخل السلسلة في فيه وتخرج من دبره و يلوى فضلها على عنقه و جسده و يقرن بها بينه و بين شيطانه و حينئذ يشمل الآية الكافر لأنّ جسده يكون في العظم مسيرة ثلاثة أيّام و ضرسه مثل جبل اُحد على ما جاء في الحديث وعن النبيّ ﷺ لو أنّ رضاضة مثل هذه - وأشار إلى صخرة مثل الجمجمة - سقطت من السماء إلى الأرض وهي خمسمائة عام لبلغت الأرض قبل الليل و لو أنّها اُرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل و النهار قبل أن تبلغ أصلها وقعرها و اللام في السلسلة في هذا الحديث للعهد إشارة إلى السلسلة الّتي ذكرها الله في قوله: « ثمّ في سلسلة ».

حكي أنّ شابّاً حضر صلاة الفجر من الجماعة خلف واحد من المشايخ فقرء الشيخ سورة الحاقّة فلمّا بلغ إلى قوله: « خذوه فغلّوه ثمّ الجحيم صلّوه » صاح الشابّ وسقط وغشي عليه فلمّا أتمّ الشيخ صلاته قال: من هذا؟ قالوا: شابّ صالح خائف من الله وله والدة عجوز ليس لها غيره قال الشيخ: ارفعوه واحملوه حتّى نذهب به إلى اُمّه ففعلوا فلمّا

---

(١) التوبة: ٨١.

رأت اُمّه فزعت و أقبلت و قالت : ما فعلتم بولدي؟ قالوا : ما فعلنا به شيئاً إلّا أنّه حضر الجماعة و سمع آية مخوّفة من القرآن فلم يطق سماعها فقالت : أيّة آية هي ؟ فاقرؤوها حتّى أسمع، فقرأها الشيخ فلمّا وصلت الآية إلى سمع الشابّ شهق شهقة اُخرى خرجت معها روحه فلمّا رأت الاُمّ ذلك و سمعت الآية خرّت ميتة فهكذا تفعل المواعظ في القلوب الواعية .

[إنّه كان لا يؤمن بالله العظيم] كأنّه قيل : ماله يعذّب بهذا العذاب الشديد؟ فاُجيب : بهذا السبب عذّب هذا العذاب [ولا يحضّ على طعام المسكين] الحضّ الحثّ على الفعل و أصله من الحثّ على الحضيض و الحضيض قرار الأرض والمعنى لا يحثّ أهله و غيرهم على إعطاء طعام يطعم به الفقير فضلاً عن أن يعطي من ماله و ذكر الحضّ دون الفعل ليعلم أنّ تارك الحضّ بهذه المنزلة فيكون ترك الفعل أشدّ عقوبة وجعل سبحانه حرمان المسكين قريبة للكفر حيث عطفه عليه و لذلك قال ﷺ : البخل كفر والكافر في النار و تخصيص الأمرين بالذكر لما أنّ أقبح العقايد الكفر و أشنع الرذائل البخل و عن أبي الدرداء أنّه كان يحضّ امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين وكان يقول : جعلنا نصف السلسلة بالإيمان أفلانخلع نصفها الآخر بالإطعام والحضّ عليه .

[فليس له اليوم] و هو يوم القيامة [ههنا] أي في هذا المكان و هو مكان الأخذ الغلّ [حميم] أي قريب نسباً أو وداداً و هذا الكلام من بقيّة ما يقال للزبانية حثّاً لهم على بطشه [ولا طعام إلّا من غسلين] أي ولا طعام إلّا من غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد و القيح و الدم بعصر قوّة الحرارة الناريّة روي أنّه لو وقعت قطرة منه على الأرض لأفسدت على الناس معايشهم و وجه التلفيق بين هذه الآية و بين قوله : « ليس لهم طعامهم إلّا من ضريع » أنّ للنار دركات و لكلّ دركة نوع طعام والشراب ، و قيل : الغسلين شجر في النار أخبث طعامهم .

[لايأكله إلّا الخاطئون] أصحاب الخطايا أو الخاطئون طريق التوحيد والخاطىء هو الّذي يفعل ضدّ الصواب متعمّداً و المخطىء هو الّذي يفعله غير متعمّد أي يريد الصواب فيصير إلى غيره .

[فلا اُقسم] أي فاُقسم على أنّ «لا» مزيدة للتأكيد أو المعنى نفي الإقسام لظهور الأمر و استغنائه عن التحقيق بالقسم و قيل : هو جملتان و التقدير و ماقال المكذّبون فلا يصحّ لأنّه قول باطل ثمّ قال : اُقسم [بما تبصرون و ما لا تبصرون] قسم عظيم لأنّه قسم بالأشياء كلّها على سبيل الشمول والإحاطة لأنّها لا تخرج عن قسمين مبصر و غير مبصر فالمبصر المشاهدات و غير المبصر المغيبات فدخل فيهما الدنيا و الآخرة و الأجسام و الأرواح و الإنس و الجنّ و الخلق و الخالق و النعم الظاهرة و الباطنة ممّا يكون لائقاً بأن يكون مقسماً به إذمن الأشياء ما لا يكون لائقاً بأن يكون مقسماً به

و قيل : إنّ المراد بما أظهره للخلق والملائكة و القلم و اللوح و بما اختزن في علمه و لم يجر القلم به ولم يشعر أحدبه من الملائكة و ما أبدى لهم من علمه في جنب ما اختزنه في علمه عنهم إلّا كذرّة في جنب الدنيا و الآخرة ولوأظهر الله ما اختزن اذاب الخلائق عن آخرهم فضلاً عن جملة .

[إنّه] أي القرآن [لقول رسول كريم] على الله و قوله قول الحقّ و أضاف القول إليه لأنّه لمّا قال : « قول رسول » اقتضى مرسلاً و ما يقرؤه ليس من كلامه بل هو مبلّغ ذاك الكلام و هوقول مرسلة فالإضافة إلى الرسول من حيث التبليغ إذ الرسول شأنه التبليغ لا الاختراع وقيل : معنى الرسول الكريم المراد جبرئيل أي هو قول جبرئيل الرسول الكريم و النسبة و الإضافة إليه من حيث إنّه أنزله من السماوات إلى الأرض و أملاءه على خاتم النبيّين فجبرئيل أيضاً منزّل و مبلّغ لاأنّه قوله و القول الأوّل أنسب في المقام و يدّل عليه مقابلة رسول بشاعر و كاهن لأنّهم كانوا يقولون للنبيّ : شاعروكاهن و لم يقولوا لجبرئيل : شاعر و كاهن .

[و ما هو بقول شاعر] كما تزعمون تارة [قليلاً ما تؤمنون] أي إنّ القليل منكم تؤمنون أو إيماناً قليلاً تؤمنون بالقرآن و الرسول ، أو المراد بالقلّة النفي أي لا تؤمنون أصلاً كقولك لمن لا يزورك : قلمّا تأتينا وأنت لا تأتينا أصلاً .

[ولا بقول كاهن] أي القرآن ليس بقول الكاهن كما يزعمون و الكاهن هوالّذي يخبر عن الكوائن من مستقبل الزمان أو الّذي يزعم أنّ له خدماً من الجنّ يأتونه

بضرب من الأخبار و قد انقطعت الكهانة بعد نبيّنا لأنّ الجنّ منعوا من الاستماع .

و قال الراغب في المفردات : الكاهن الّذي يخبر بالأخبار الماضية الخفيّة بضرب من الظنّ كالعرّاف الّذي يخبر بالأخبار المستقبلة بالظنّ ولكون هذه الصناعتين مبنيّتين على الظنّ الّذي يخطىء و يصيب قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه بما قال : فقد كفر بما أنزل الله على محمّد و في شرح المشارق : العرّاف من يخبر بما اُخفى من المسروق والضالّة و الكاهن من يخبر بما يكون في المستقبل وفي الصحاح: العرّاف الكاهن .

[قليلاً ما تذكّرون] أي تذكّراً قليلاً أوزماناً قليلاً تذكّرون و المراد لاتذكّرون أو المتذكّر منكم قليل و النسبة الّتي نسبوا إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من الشعر و الكهانة ناشئة من عدم شعورهم و قصورهم لأنّ معاني ما يلقيه صلّى الله عليه وآله وسلّم منافية لمعاني أقوال الكهنة فإنّهم لا يدعون الناس إلى تهذيب الأخلاق و الأعمال المتعلّقة بالمعاد والمبدء بل الكاهن ينصب نفسه للدلالة على بعض الضوائع و بعض الأخبار بالمغيبات حدثاً يصدق فيها تارة ويكذب كثيراً و يأخذ جعلاً على ذلك فلو تذكّر و تعقّل أهل مكّة معاني القرآن و معاني أقوال الكهنة لما قالوا بأنّه كاهن .

[تنزيل من ربّ العالمين] أي القرآن منزل من الله نزله على لسان جبرئيل تربية و تبشيراً للسعداء و إنذاراً للأشقياء و عبّر سبحانه عن المفعول بالمصدر مبالغة .

[و لو تقوّل علينا بعض الأقاويل] أي و لو ادّعى محمّد علينا شيئاً لم نقله كما تزعمون و التقوّل افتعال القول و اختراعه [لأخذنا منه باليمين] أي بيمينه و سلبنا منه القوّة على التكلّم بذلك وقيل ، المعنى منعناه بقوّتنا و قدرتنا فيكون المعنى من قبيل ذكر المحلّ و إرادة الحالّ و ذكر الملزوم و إرادة اللازم .

[ثمّ قطعنا منه الوتين] أي أهلكناه و قطعنا نياط قلبه و النياط عرق أبيض غليظ كالقصبة علّق به القلب إذا انقطع مات صاحبه و في الآية بيان لإهلاكه بأفظع ما يكون .

[فما منكم من أحد عنه حاجزين] أي ما من أحد أيّها الناس يقدر على منع إهلاكه و حاصل المعنى أنّه لو قال من عند نفسه شيئاً أوزاد أو نقص على ما اُوحي إليه لعاقبه الله و هو أكرم الناس .

[و إنّه] أي القرآن [لتذكرة] موعظة [للمتّقين] من الشرك و حبّ الدنيا بخلاف المشرك و من مال إلى الدنيا فإنّه يكذّب به ولا ينتفع منه [و إنّا لنعلم أنّ منكم مكذّبين] منكم أيّها الناس مكذّبين بالقرآن فنجازيهم على تكذيبهم .

[و إنّه] أي القرآن [لحسرة] وندامة يوم القيامة [على الكافرين] عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين المصدّقين بالقرآن .

[إنّه لحقّ اليقين] أي القرآن هو الحقّ و اليقين صفتان بمعنى واحد اُضيف أحدهما إلى الآخر إضافة الشيء إلى نفسه مثل «حبّ الحصيد» للتأكيد فإنّ الحقّ هو الثابت الّذي لايتطرّق إليه الريب و كذا اليقين فالتجلّيات في المعلومات ثلاثة : تجلّي علميّ وتجلّي عينيّ و تجلّي حقّيّ فاليقينيّ هو العلم الحاصل بالإدراك من النظر و الاستدلال بحيث يحصل به اطمينان و يزول الارتياب منه و هو المعبّر عنه بعلم اليقين و مرتبة عين اليقين أعلى من المرتبة الاُولى لأنّ أهل الطبقة الاُولى يمكن أن يقع لهم خطرات بخلاف أهل عين اليقين فإنّهم أهل إرشاد و النبوّة و أهل حقّ اليقين مرتبة أكمل من المرتبة الثانية بحيث لورأوا ماكان غائباً لايزداد في يقينهم يقين وهذه مرتبة الأكملين من الأنبياء والأولياء كما قال علي عليه السلام : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً مثاله فالأوّل كعلم الكعبة علماً ضرورياً من غير رؤية والثاني مثل رؤيتها من بعيد والثالث كدخولها فافهم .

[فسبّح بسم ربّك العظيم] أي فسبّح الله بذكر إسمه العظيم بأن تقول : سبحان الله تنزيهاً عن الرضى بالتقوّل عليه فمفعول سبّح محذوف و الباء في « باسم ربّك » للاستعانة كما في ضربته بالسوط .

روي أنّه لمّا نزلت الآية قال رسول الله : اجعلوها في ركوعكم و معنى هذا التسبيح

تنزيهه تعالى عن شوب الغير و التشريك و تجريد غيره عن الاستحقاق لهذا

الاسم الأعظم الحاوي للأسماء و لكن لا يظهر في قلبك و شهودك أيّها

المسبّح تلوين من النفس أو القلب و التوجّه لغيره تعالى فتكون

مشبّهاً لامسبّحاً لا ومشركاً لا مخلصاً موحّداً

تمّت السورة بعون الله

سورة المعارج

مكّيّة إلّا قوله : « و الّذين في أموالهم حق معلوم » مدنيّة .

و عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : من أدمن قراءة سورة سأل سائل لم يسأله الله يوم القيامة عن ذنب عمله و أسكنه جنّته مع محمّد صلى الله عليه و آله و سلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل بعذاب واقع (١) للكافرين ليس له دافع (٢) من الله ذى المعارج (٣) يعرج الملائكة و الروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة (٤) فاصبر صبراً جميلا (٥) انهم يرونه بعيداً (٦) و نراه قريبا (٧) يوم تكون السماء كالمهل (٨) و تكون الجبال كالعهن (٩) و لا يسأل حميم حميماً (١٠).

السؤال بمعنى الدعاء و الطلب و اختلف أنّ هذا السائل من هو قيل : القائل هو الّذي قال : « اللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك[(١)] » الآية ، هو النضر بن الحارث العبدري ّ[(٢)] فالمعنى دعا داع على نفسه بعذاب واقع مستعجلاً له وقيل : معنى الآية سأل بعض المشركين من النبيّ فقالوا : لمن هذا العذاب الّذي تذكر ؟ جوابه بأنّه [للكافرين] ليس له [دافع] و قيل : معناه دعا داع بعذاب على الكافرين وذلك الداعي هو النبيّ فحينئذ الباء زائدة للتأكيد كما في قوله : « و هزّي إليك بجزع النخلة » ، و قرىء « سال سائل بعذاب واقع » على قراءة الألف من سال يسيل سيلاً و التقدير سال سيل سائل بعذاب واقع .

وأخبرنا[(٣)] السيّد أبو الحمد قال : حدّثنا الحاكم أبوالقاسم الحسكانيّ قال : حدّثنا أبوعبدالله الشيرازيّ قال ، حدّثنا أبوبكر الجرجانيّ قال :حدّثنا أبو أحمد البصريّ قال : حدّثنا محمّد بن سهل قال : حدّثنا زيدبن أبي إسماعيل مولى الأنصار قال : حدّثنا محمّد بن أيّوب الواسطيّ قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمّد الصادق عن آبائه عليهم السلام قال : لمّا نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً يوم غدير خمّ و قال : من كنت مولاه فعليّ

(١) الانفال : ٨ . (٢) منسوب الى عبدالدار .
(٣) نقله عن مجمع البيان .

مولاه انتشر ذلك في البلاد فقدم على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم النعمان بن الحرث الفهريّ فقال : أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلّا الله و أنّك رسول الله و أمرتنا بالجهاد و الحجّ والصوم و الصلاة فقبلناها ثمّ لم ترض حتّى نصبت هذا الغلام فقلت : من كنت مولاه فعليّ مولاه فهذا شيء منك أو أمر من عند الله ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : والله الّذي لا إله إلّا هو إنّ هذا من الله فولّى النعمان بن الحرث و هو يقول : « اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » فرماه بحجر على رأسه فقتله و أنزل الله تعالى « سأل سائل بعذاب واقع ليس له دافع من الله » إذا جاء وقته و أوجبت الحكمة وقوعه .

[من الله ذي المعارج] صفة لله تعالى مثل « فالق الإصباح » و المعارج المصاعد و المراد الأفلاك التسعة المرتّبة بعضها فوق بعض أي له مواضع العروج و منه الأعرج لارتفاع إحدى رجليه عن الأخرى .

[تعرج الملائكة] المأمورون بالنزول و الصعود [و الروح] أي جبرئيل أفرده بالذكر لتميّزه و فضله [إليه] أي يعرجون من مسقط الأمر إلى عرشه فجعل عروجهم إلى العرش عروجاً إلى الربّ لأنّ منه تبتدء الأحكام و إلى حيث شاء الله تهبط الملائكة بأمور بني آدم [في يوم] متعلّق بتعرج [كان مقداره خمسين ألف] ممّا يعدّه الناس و قوله : « خمسين » خبر كان و المعنى كمقدار خمسين ألف سنة اختلف في معناه :

فقيل : تعرج الملائكة إلى الموضع الّذي يأمرهم به في يوم كان مقداره من عروج غيرهم خمسين ألف سنة و ذلك من أسفل الأرضين إلى فوق السماوات السبع و قوله تعالى في سورة السجدة :[1] « في يوم كان مقداره ألف سنة » هو لما بين السماء الدنيا و الأرض خمسمائة في النزول و المراد أنّ الآدميّين لواحتاجوا إلى قطع هذا المقدار الّذي قطعته الملائكة في يوم واحد لقطعوه في هذه المدّة .

و قيل : إنّه يعني يوم القيامة وإنّه سبحانه يفعل فيه من الأمور و يقضي فيه من الأحكام بين العباد مالو فعل في الدنيا لكان مقداره خمسين ألف سنة عن الجبّائيّ و قتادة و عكرمة . و روى أبو سعيد الخدريّ قال : قيل لرسول الله : ماأطول هذا اليوم ! فقال :

(١) الآية :٥ .

و الّذي نفس محمّد صلى الله عليه وآله بيده إنّه ليخفّ على المؤمن حتّى يكون أخفّ من صلاة مكتوبة في الدنيا . و روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : لو ولّي الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين ألف سنة من قبل أن يفرقوا و الله سبحانه يفرغ عن ذلك في ساعة و عنه أيضاً قال : لا ينتصف ذلك اليوم حتّى يقيل أهل الجنّة في الجنّة و أهل النار في النار .

و قيل : معناه إنّ أوّل نزول الملائكة في الدنيا و أمره و نهيه و قضائه بين الخلائق إلى آخر عروجهم إلى السماء و هو القيامة هذه المدّة فيكون مقدار الدنيا خمسين ألف سنة لايدري كم مضى و كم بقي و إنّما يعلمه الله .

و قال الزجّاج : يجوز أن يكون المعنى سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة و ذلك العذاب يقع يوم القيامة .

و في الكافي مقطوعاً أنّ قوله : « سأل سائل بعذاب واقع للكافرين » نزلت للكافرين بولاية عليّ قال : هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمّد صلى الله عليه وآله وهكذا هو والله مثبت في في صحف فاطمة عليها السلام . القمّي عن النبيّ صلى الله عليه وآله في معنى قوله : « يعرج الملائكة والروح » في صبح ليلة القدر إلى محلّ أمره سبحانه من عند النبيّ و الوصيّ .

و اليوم يوم كالآن و هو أدنى ما يطلق عليه و منه يمتدّ الكلّ و هو المشار إليه بقوله تعالى : « كلّ يوم هو في شأن (١) » فسمّي الزمن الفرد يوماً لأنّ الشأن يحدث فيه وهو أصغر الأزمان و يوم كألف سنة وهو اليوم الإلهيّ كما قال : « و إنّ يوماً عند ربّك كألف سنة (٢) » و قال تعالى : « يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض في يوم كان مقداره ألف سنة ممّا تعدّون (٣) » للصعود و الهبوط خمسمائة من سماء الدنيا إلى الأرض و خمسمائة إلى السماء للملائكة المأمورين و يوم كخمسين ألف و هو أوّل أيّام الآخرة و هو يوم القيامة و يوم أهل الجنّة و النار إلى مالايتناهى .

و إنّ للقيامة خمسين موقفاً يسأل العبد في كلّ موقف منها عن أمر من اُمور

---

(١) الرحمن : ٢٩ .
(٢) الحج : ٤٧ .
(٣) حم السجدة : ٥ .

الدين فإن لم يقدر على الجواب وقف كلّ موقف بمقدار اليوم الإلهي الّذي هو ألف سنة ثمّ لاينتهي اليوم إلى ليل لأنّ زمان أهل الجنّة كالنهار أبداً و زمان أهل النهار كالليل أبداً .

و بالجملة في الآية تنبيه و تذكير على أنّ أيّام الآخرة إذاكان يومه وأوّل يومه مقدار خمسين ألف فالويل للعاصي و طوبى للمطيع .

و قيل : المعنى سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره كذا و الباء بمعنى عن فيكون قوله : « تعرج الملائكة » معترضة بين الظرف و متعلّقه انتهى .

[فاصبر] يا محمّد [صبراً جميلاً] على أذاهم و تكذيبهم إيّاك لأنّ سؤالهم كان عن استهزاء و تكذيب و ذلك ممّا يضجره صلّى الله عليه وآله وسلّم [إنّهم] أي المكذّبين و أهل مكّة [يرونه] العذاب الواقع يزعمونه [بعيداً] أي يستبعدونه بطريق المحاليّة كما كانوا يقولون : « أإذا متنا و كنّا تراباً » ، الآية ، يقول المرء لخصمه : هذا بعيد أي لايكون [ونراه] أي نعلمه [قريباً] . و المراد من القرب قرب الإمكان كما أنّ مرادهم من البعد بعد الإمكان لابعد الزمان أو من باب كلّ ما هو آت قريب :

هل الدنيا و ما فيهما جميعاً ❊ سوى ظلّ يزول مع النهار

و في الحديث ما الدنيا فيما مضى و ما بقي إلّا كثوب شقّ باثنين و بقي خيط واحد و كاد ذلك الخيط قد انقطع .

و من عجب الأيّام أنّك قاعد ❊ على الأرض في الدنيا و أنت تسير

فسيرك يا هذا كسير سفينة ❊ بقوم قعود و القلوب تطير

[يوم تكون السماء كالمهل] و هو ههنا خبث الحديد و نحوه ممّا يذاب على مهل و تدريج أو دُرديّ الزيت لسيلانه على مهل لثخانته قال ابن مسعود : كالفضّة المذابة في تلوّنها أو كالقير و القطران في سوادهما و الظرف متعلّق بقريباً أو متعلّق بمقدّر مؤخّر عن الظرف أي يوم تكون السماء كالمهل تكون من العذاب والأحوال مالا يوصف .

[و تكون الجبال كالعهن] العهن الصوف المصبوغ أي تكون الجبال كالصوف المصبوغ ألواناً فإذا لفّت و طيّرت في الجوّ أشبهت العهن المنفوش إذا طيّرته الريح

و أوّل ما تتغيّر الجبال تصير رملاً مهيلاً ثمّ عهناً منفوشاً ثمّ هباء منثوراً .

[و لايسأل حميم حميماً] أي لايسأل قريب قريباً عن أحواله و لايتكلّمه لابتلاء كلّ منهم بشغله عن ذلك و إذا كان حال القريب هكذا فكيف الأجنبيّ ؟ والتنكير للتعميم .

[يبصّرونهم] استيناف لبيان معنى كأنّه قيل : لعلّه لا يبصره فكيف يسأل عن حاله فقيل : يبصّرونهم والضمير الأوّل لحميم الأوّل و الثاني للثاني و جمع الضميرين لعموم الحميم و يعدّى بصر إلى المفعول الثاني بالباء و قد تحذف الباء و إذا نسبت الفعل للمفعول به حذفت الجارّ وقلت : بصرت زيداً و يعدّى بالتضعيف إلى ثان و يقوم الأوّل مقام الفاعل لكنّ الشايع تعديته إلى الثاني بحرف الجرّ يقال : بصرته به ، لكنّ الآية من قبيل الأوّل .

[يودّ المجرم] أي يتمنّى الكافروقيل : كلّ مذنب [لو يفتدي]لو بمعنى التمنّي [من عذاب يومئذ] بكسر الميم في يومئذ لإضافة العذاب إلى يوم وقرىء أيضاً بالفتح بناء على أنّ الاضافة إلى غير متمكّن أي يتمنّى الكافر أو المذنب أن يفتدي [ببنيه] بأولاده أصله بنين سقطت نونه بالإضافة و جمعه .

[و صاحبته] زوجته الّتي يصاحبها [و أخيه] الّذي كان ظهيراً له و المراد أنّ اشتغالهم بنفسهم في العذاب بلغ إلى حيث يتمنّى أن يفتدي بأقرب الناس إليه حتّى ينجو فضلاً عن أن يهتمّ بشأنهم [و فصيلته الّتي تؤويه] الفصيلة في الأصل القطعة المفصولة من الجسد و الجسم و تطلق على الآباء الأقربين و الأولاد . و المراد في الآية الآباء الأقربون لأنّ الأولاد قد ذكروا لقوله : « و بنيه » ومعنى « تؤويه » أي تضمّه إليها في النسب ، آوى إلى كذا : انضمّ إليه ولاذ بها عند الشدائد أي كانوا في الدنيا ملاذهم و كهفهم .

[و من في الأرض جميعاً] من الثقلين و الخلائق [ثمّ ينجيه] عطف على يفتدي أي يودّ أن يفتدي بهم ثمّ ينجيه الافتداء و ثمّ لاستبعاد الإنجاء و هيهات أن ينجيه !

[كلّا] للمجرم المتمنّي وتصريح بامتناع الافتداء و فائدته و في الحديث يقول الله سبحانه لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة : لو أنّ لك ما في الأرض من شيء أكنت

تفتدي به ؟ فيقول : نعم فيقول الله : أردت منك أهون من هذا و أنت في صلب آدم أن لا تشرك بي .

[إنّها لظى] أي النار المدلول عليها بقرينة العذاب « لظى » علم للدرك الثاني من جهنّم منقول من اللهب الخالص الّذي لا يخالطه دخان فيكون في غاية الإحراق لقوّة حرارته النارية بالصفاء و هو خبر « إنّ » و المراد إنّ النار الّتي تتمنّون أن تفدون عنها لهب خالص .

[نزّاعة للشّوى] النزع جذب الشيء و قلعه من مقرّه و الشوى جمع شواة وهي جلدة الرأس فالنار تقشّرها عنه، والشوى الأطراف و الأعضاء فالنار قلّاعة و نزّاعة لها بقوّة الإحراق ثمّ تعود كما كانت و هكذا أبدالآباد .

[تدعو من أدبر وتولّى] عن الحقّ ومعرفته و تجذب النار إلى نفسها مجازعن إحضارهم لأنّها تدعوهم فتحضرهم من مسافة ما بين سنة كالمغناطيس و تقول لهم : إليّ إليّ يا كافر و يا منافق ويازنديق فإنّي مستقرّك أو المراد أنّ النار تدعوهم بلفظ فصيح بأسمائهم ثمّ تلقطهم مثل التقاط الطير الحبّ أو تدعو زبانيتها المعرضين عن الطاعة و الإيمان والمقبلين على الكفر و الدنيا .

[و جمع فأوعى] و جمع المال حرصاً فجعله في وعاء و كنزه و لم يؤدّ حقوقه الواجبة فيه و تشاغل به عن الدين و تكبّر باقتنائه و ذلك لطول أمله و انعدام شفقته على عباد الله و في الآية تنبيه على قباحة البخل وأنّه لا يليق بالمؤمن و في الخبر أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بصق يوماً في الأرض و وضع عليها أصبعه ثمّ قال : يقول الله لا بن آدم : تعجزني و قد خلقتك من مثل هذه حتّى إذا سوّيتك وعدلتك مشيت بين بردين و للأرض منك وئيد أي صوت شديد فجمعت و منعت حتّى إذا بلغت التراقي قلت : إنّي أتصدّق و أنّى أوان الصدقة ؟

[إنّ الإنسان خلق هلوعا] أي جنس الإنسان خلق حال كونه هلوعاً مبالغة هالع أي سريع الجزع عند مسّ المكروه و سريع المنع عند مسّ الخير يقال : ناقة هلوع حريص سريعة السير .

[إذا مسّه الشرّ] إذا ظرف لجزوعاً أي وصل إليه الفقر أو المرض و نحوهما [جزوعاً] مظهراً للجزع و هو ضدّ الصبر قال ابن عطا : الهلوع الّذي عند الموجود يرضى وعند المفقود يسخط .

[و إذا مسّه الخير منوعا] أي الصحّة و الخير والسعة مبالغ في الإمساك والمنع أي منوع عند الجدة وجزوع لدى الشدّة قال مقاتل : الهلوع دابّة وراء جبل قاف تأكل كلّ يوم كلاء سبعة أودية و تشرب مياه سبعة أبحرومع ذلك لاتطيق الحرّ و القرّ و تضطرب لأكل غدها و الأوصاف الثلاثة و هي هلوعاً و جزوعاً و منوعاً اُمور يتعلّق بها الذمّ وليست هذهالأوصافمع أنّها طبايع جبّل الإنسان عليها لايمكنه أن يفارقها بل يجب عليه تنزيه نفسه عنها لأنّها ليست من اللوازم المهيّة للوجود بل إنّما حصولها فيه بوضع الله و جعل ما يزيلها أيضاً بالأسباب الّتي سبّبها في كتب الأخلاق وليس الإنسان مجبوراً في ارتكابها لأنّها كبرودة الماء و حرارته بل هي صفات تتغيّر في مراتبها كزيد و القائم و النائم وزيد هوهو وواحد ، فصفة السبعة أوالملكيّة ليست جزء ذات زيد كملازمة الجسميّة لماهيّة زيد ولك الخيار في الصفات فيختار واحد السلمانيّة والآخر الأباجهليّة قال المتنبّي :

الظلم من شيم النفوس فإن تجد * ذاعفّة فلعلّه لا يظلم

و الحكمة في وضع هذه الأُمورفي الطبيعة كخلق الشهوة ليصحّ التكليف ويحارب نفسه و شيطانه فيستحقّ به الثواب إذ لا يحصل الترقّي إلّا بالمحاربة فأصل النفس أمّارة لكن لا يظهر أثر ها في الكاملين و الممتثلين لأوامر الإلهيّة كما يظهرللناقصين .

[إلّا المصلّين] استثناء من الإنسان أيالمطبوعين على الصفات الرذيلة مستمرّون عليها « إلّا المصلّين » فإنّهم بدّلواتلك الطبايع و اتّصفوا بأضدادها [الّذين هم على صلاتهم دائمون] لايشغلهم عنها شاغلفيواظبون على أدائها قال ﷺ . أوّل ما افترض الله على اُمّتي الصلاةالخمس و أوّلما يرفع من أعمالها الصلاة الخمس و أوّل مايحاسب به العبد صلاته و إنّه آخر ما يجبعليه رعايته فإنّه يؤخّر الصوم في المرض دونالصلاة و كان آخر ما أوصى ﷺ به الصلاة وما ملكت أيمانكم .

[و الّذين في أموالهم حقّ معلوم] أي و إلّا الّذين في أموالهم نصيب معيّن يجعلونه تقرّباً إلى الله من الزكاة المفروضة و الصدقة [للسائل] للّذي يسأل [والمحروم] الفقير الّذي يتعفّف و لا يسأل قال أبو عبدالله عليه السلام : الحقّ المعلوم ليس من الزكاة و هو الشيء الّذي تخرجه من مالك للفقير .

[و الّذين يصدّقون بيوم الدين] و يتعبون أبدانهم و أنفسهم في الطاعة لتصديقهم بيوم الجزاء فمجرّد التصديق بالجنان و اللسان و إن كان ينجي من الخلود في النار لكن لا يؤدّي إلى أن يكون صاحبه مستثنى من المطبوعين بالأحوال المذكورة .

[و الّذين هم من عذاب ربّهم مشفقون] خائفون على أنفسهم مع مالهم من الأعمال الفاضلة استصغاراً لها و استعظاماً لجنابه تعالى و علامة الخوف الاجتناب عن المعاصي و الملاهي و المؤمن الكامل خوفه من أن لا يقبل حسناته

[إنّ عذاب ربّهم غير مأمون] لا يمكن الأمن من عذابه و الآية بيان أنّه لا ينبغي لأحد أن يأمن من عذابه بل يكون بين الخوف و الرجاء لأنّه لا يعلم أحد عاقبته .

[و الّذين هم لفروجهم حافظون] فرج الرجل و المرأة سوآتهما و الجارّ متعلّق بقوله : « حافظون » عن مباشرة الحرام و حفظ الفرج كناية عن العفّة .

[إلّا على أزواجهم] وعلى بمعنى «من» أي إلّا من نسائهم المنكوحات و مضيّ مدّة الاستبراء و إيراد ما ملكت الأيمان يدلّ على أنّ المراد من الحافظين إلّا على ملك اليمين هذا الاستثناء خاصّ بالذكور دون الإناث بمعنى أنّ المرأة تملك يمينها لا يجوز لها أن لا تحفظ نفسها عن مملوكها بل واجب عليها صون نفسها عن مملوكه [فإنّهم غير ملومين] أي لا تؤاخذون في موارد الاستثناء في الدنيا و لا في الآخرة .

[فمن ابتغى وراء ذلك] الّذي ذكر [فأُولئك هم العادون] فالمبتغون بغير ما شرع الله هم المتعدّون حدوده الكاملون في العدوان و التجاوز عن الحد و حدّ النكاح أربع من الحرائر و لكن عقد التمتّع و ملك اليمين لا حدّ له و دخل في المنع حُرمة وطيء الذكران و البهائم و الزنا و الاستمناء روي أنّ العرب كانوا يستمنون في الأسفار

فنزلت الآية .

و في الحديث و من لم يستطع التزويج فعليه بالصوم فلوكان الاستمناء مباحاً لكان الإرشاد إليه أسهل لكنّ الحنابلة و بعض الحنفيّة يجوّزونها لكنّه هذا رأي فاسدحتّى عند علماء السنّة و الجماعة قال ابن عطا : سمعت أنّ قوماً يحشرون حبالى و أظنّهم هؤلاء قال البغويّ : والآية دليل على حرمة الاستمناء و الواجب على فاعله التعزير كما قال سعيد بن جبير : عذّب الله قوماً كانوا يعبثون بمذاكيرهم و يجب العمل بالإرشاد النبويّ الّذي هو الصوم حين التوقان و الحقّ أحقّ أن يتّبع .

[و الّذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون] و الأمانة اسم لجنس ما يؤتمن الإنسان عليه سواء كان من جهة الباري و هي أمانات الدين و الشرائع أو من جهة الخلق وهي الودايع و نحوها و قد جعل النبيّ ﷺ الخيانة عند الائتمان و الكذب عندالتحديث والخلف عند المعاهدة والفجور عندالمخاصمة من خصال المنافق ، قال بعض الكبار : من اتّصف بالأمانة كاملاً و كتم الأسرار سمع كلام الموتى و عذابهم و نعيمهم كما سمعت البهائم عذاب أهل القبور لعدم نطقها .

[و الّذين هم بشهاداتهم قائمون] و الجمع باعتبار أنواع الشهادة قال ﷺ : إذا علمت مثل الشمس فاشهد و إلّا فدع و تخصيصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات للتأكيد بها لأنّ في إقامتها إحياء الحقوق و في كتمها تضييعها و إبطالها و لايحلّ أخذ اُجرة عليها بالاتّفاق .

[و الّذين هم على صلاتهم يحافظون] تقديم الجارّ و المجرور تفيد الاختصاص أي يراعون شرائطها و سننها و يحفظونها من الإحباط باقتران الذنوب و القيام بأوقاتها و إنّهم إذا حافظوا عليها فهي يحفظهم أيضاً كما قال سبحانه : « إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر [1] » و في الحديث من حافظ عليها كانت له نوراً و برهاناً و نجاة يوم القيامة و من لم يحافظ عليها لم تكن له نور و لا برهان و لانجاة و كان يوم القيامة مع قارون و فرعون و هامان و اُبيّ بن خلف وهو الّذي ضربه النبيّ في غزوة اُحدبرمح في

---

(١) العنكبوت : ٤٥ .

عنقه فمات منه في طريق مكّة و كان أشدّ و أطغى من أبي جهل دلّ على ذلك كونه مقتولاً بيد النبيّ ﷺ و لم يقتل بيده غيره .

[أُولئك في جنّات مكرمون] الموصوفون مكرمون بالثواب الأبديّ مستقرّون في جنّات لا يقادر قدرها ولعلّ تقديم الجنّات لمراعاة الفواصل أو المعنى مكرمون كائنين في جنّات .

[فما للّذين كفروا] ما استفهاميّة للإنكار في موضع الرفع بالابتداء و « الّذين كفروا » خبرها أي أيّ شيء للّذين كفروا بتوحيد الله و ما بالهم و ما حملهم على مافعلوا [قبلك] عندك يا محمد [مهطعين] مُسرعين إليك أي ناظرين إليك بالعداوة مبادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك .

[عن اليمين وعن الشمال عزين] الجارّ متعلّق بعزين مفترقين فرقاً شتّى والأصل عزوه من العزو بمعنى الانتساب كان كلّ فرقه تعتزي إلى غير من يعتزي إليها الاُخرى و كان المشركون يتحلّقون حول رسول الله حلقاً حلقاً و فرقاً فرقاً و يستهزءون بكلامه و يقولون : إن دخل هؤلاء الجنّة كما يقول محمد فلندخلنّها قبلهم فنزلت .

[أيطمع كلّ امرىء] من هؤلاء المهطعين [أن يدخل جنّة نعيم] ليس فيها إلّا التنعّم [كلّا] ردع لهم عن ذلك الطمع الفارع أي اتركوا هذا الطمع و في تنكير جنّة إشعار بأنّه لا يدخلون في كلّ جنّة [إنّا خلقناهم ممّا يعلمون] العلم بالنشأة الاُولى من حال النطفة ثمّ العلقة ثمّ المضغة .

[فلا اُقسم] أي اُقسم أي ليس الأمر كما يقولون، اُقسم [بربّ المشارق والمغارب المراد مشرق كلّ يوم من السنة و مغربه فيكون مائة وثمانون مشرقاً و مغرباً أو المعنى مشرق كلّ كوكب و مغربه أو أنواع الهدايات و الخذلانات .

[إنّا لقادرون] جواب القسم [على أن نبدّل خيراً منهم] و حذف المفعول الأوّل أي نبدّلهم خيراً منهم و خيراً مفعوله الثاني بمعنى التفضيل على فرض التسليم إذ لاخير في المشركين و قد قيل : إنّ الله بدّل بهم الأنصار و المهاجرين [و ما نحن بمسبوقين] و مغلوبين إن أردنا ذلك لكن حكمتنا اقتضت تأخير عقوبتهم و عدم إهلاكهم .

[فذرهم] وخلّهم لشأنهم يخوضوا و يشرعوا في باطلهم ويلعبوا في الدنيا بالاشتغال بمالا ينفعهم و هذه الآية منسوخة بآية السيف [حتّى يلاقوا] من المعاينة [يومهم] هو يوم البعث والإضافة لأنّه يوم كلّ الخلق و هم منهم أو لأنّ يوم القيامة يوم الكفّار من حيث العذاب و يوم المؤمنين من حيث الثواب فكأنّه يومان : يوم للكافر و يوم للمؤمن [الّذي يوعدون] .

[يوم يخرجون من الأجداث] بدل من يومهم و الأجداث جمع جدث وهو القبر [سراعاً] جمع سريع حالكونهم مسرعين إلى جانب الداعي و صوته و هو إسرافيل [كأنّهم إلى نصب] هو كلّ ما نصب فعبد من دون الله و قيل : النصب شبكة يقع فيها الصيد فيسارع إليها صاحبها ، ونصب واحدالأنصاب وكان للعرب حجارة تعبدها و تذبح عليها قال الأخفش : نصب جمع كرهن و رُهُن و الأنصاب جمع الجمع [يوفضون] أي يسرعون أيّهم يستلمه و في الآية تهكّم بهم بذكرجهالتهم الّتي اعتادوها من الإسراع إلى ما لا يملك نفعاً ولاضرّاً .

[خاشعةأبصارهم]حال من فاعل يوفضون والمعنى أبصارهم ذليلة ووصف أبصارهم بالخشوع مع أنّ الدلالة شاملة لهم لغاية ظهورها فيها [ترهقهم ذلّة] أي تغشاهم حقارة عظيمة و يحيط بهم [ذلك اليوم الّذي كانوا يوعدون] أي ذلك اليوم المذكور بهذه الكيفيّات الّتي سيقع ، مبتدء و خبره اليوم الّذي و عدوابه على ألسنة الرسل تمّت السورة بحمدالله

سورة النوح عليه السلام

(مكية)

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الّذين تدركهم دعوة نوح.

قال أبوعبدالله عليه السلام : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلاتدع أن يقرء سورة إنّا أرسلنا فأيّ عبد قرأها محتسباً صابراً في فريضة أو نافلة أسكنه الله مساكين الأبرار و أعطاه ثلاث(٤) مع جنّته ، كرامة من الله و زوّجه مائة حوراء و أربعة آلاف ثيّب.

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحاً الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم (١) قال ياقوم انى لكم نذير مبين (٢) ان اعبدوا الله و اتقوه واطيعون (٣) يغفر لكم من ذنوبكم و يؤخركم الى اجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون (٤) قال رب انى دعوت قومى ليلا و نهارا (٥) فلم يزدهم دعائى الا فرارا (٦) و انى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى آذانهم و استغشوا ثيابهم و اصروا و استكبروا استكبارا (٧) ثم انى دعوتهم جهاراً (٨) ثم انى اعلنت لهم و أسررت لهم اسراراً (٩) فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً (١٠) يرسل السماء عليكم مدرارا (١١) و يمددكم باموال و بنين و يجعل لكم جنات و يجعل لكم انهارا (١٢) مالكم لا ترجون لله و قارا (١٣) و قد خلقكم اطورا (١٤).

النون نون العظمة و الإرسال يقابل بالإمساك أرسل نوح عليه السلام و اسمه عبدالغفّار سمّي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه أو هو سرياني معناه الساكن لأنّ الأرض سكنت إليه لأنّها طهرت به من خبث الكفّار وهو أوّل أولي العزم من الرسل على قول الأكثرين و كان قومه يعبدون الأصنام و أوّل من عذّبت اُمّته و هو شيخ المرسلين، بعث ابن اربعين سنة أو ثلاثمائة وخمسين أو أربعمائة و ثمانين ولبث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان تسعين سنة .

قال بعض المفسّرين : إنّ في الآية دلالة على أنّه لم يرسل إلى أهل الأرض كلّهم لأنّه تعالى قال : « إلى قومه » فلو اُرسل إلى الكلّ لقيل : إلى الخلق أو ما يشابهه كما قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « و ما أرسلناك إلّا كافّة للناس[1] » و لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : كان نوح النبيّ بعث إلى قومه خاصّة و بُعثت إلى الناس عامّة .

(١) سبا : ٢٨ .

ثمّ قال : إن قيل : فما جريمة غير قومه حتّى عمّم الناس في الدعاء عليهم فقال : « لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً » ؟ فإنّه إذا لم يرسل إليهم لم يكن كلّهم مخالفاً لأمره حتّى يستحقّوا الدعاء اُجيب بأنّه تحقّق أنّ الناس في زمانه في الكفر على سجيّة واحدة يستحقّون بذلك و لمّا أخبر بأنّه لا يؤمن منهم إلّا من آمن معه دعا على من عدا باستيصال العذاب لهم .

و قال بعضهم : إنّه كان مرسلاً لجميع أهل الأرض لأنّه لو لم يكن مرسلاً لجميع ما دعا عليهم لقوله تعالى : « و ما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً (١) » .

فإن قلت : إذا كانت رسالته عامّة لجميع الناس فكانت مساوية لرسالة نبيّنا فما معنى قول النبيّ : إنّ نوحاً بُعث إلى قومه خاصّة و بُعثت إلى الناس عامّة ؟

فالجواب إنّ رسالة نوح عامّة في زمنه و رسالة نبيّنا محمّد ﷺ عامّة لجميع من في زمنه و من يوجد بعد زمنه إلى يوم القيامة فلا مساواة فحينئذ سقط السؤال و في الكلام بيان آخر و هو أنّ هذا العموم الّذي حصل له بعد الطوفان لم يكن من أصل بعثته بل طرأ بعد الطوفان بخلاف رسالة نبيّنا ﷺ .

[أن أنذر قومك] وخوّفهم بالنار على عبادة الأصنام كي ينتهوا عن الشرك وأن مفسّرة لما في الإرسال من معنى القول [من قبل أن يأتيهم عذاب أليم] من الله عاجل كالطوفان أو آجل كعذاب الآخرة لئلّا يبقى لهم عذر .

[قال يا قوم] وأصله قومي، خاطبهم بإظهار الشفقة على قومه [إنّي لكم نذير] منذر من عاقبة الكفر و أفرد الإنذار مع كونه بشراً لأنّ الإنذار أقوى في تأثير الدعوة و هو مقدّم كما قال لنبيّنا ﷺ : « قم فأنذر » والإنذار متعلّق بالكافر كما أنّ التبشير متعلّق بالمؤمن و قومهم كانوا كفرة ولا يستحقّون حال الكفر التبشير [مبين] أي موضح لكم أمركم بلغة تعرفونها .

[أن اعبدوا الله] أي بأن اعبدوا الله و الأمر بالعبادة يتناول جميع الواجبات و الأحكام من الأفعال القلوب و الجوارح [و اتّقوه] يتناول الزجر والمنع عن جميع

(١) الاسراء : ١٥ .

المحظورات [و أطيعون] في أخلاقي و صفاتي و أضاف الإطاعة إلى نفسه لأنّ طاعة الرسول طاعة الله و إن كانت تقع له عليه السلام في الظاهر .

[يغفر لكم] جواب الأمر [من ذنوبكم] أي بعض ذنوبكم هو ما سلف في الجاهليّة لا ما تأخّر عن الإسلام فإنّه يؤاخذ به ولا يكون مغفوراً بسبب الإيمان لأنّ الإسلام يجبّ ما قبله [و يؤخّركم إلى أجل مسمّى] بالحفظ من عذاب الاستيصال و استحقاق العذاب إلى زمان مقدّر عندالله أي لا يصيبكم في هذه المقدّرة هلاك بسبب كفركم إذا آمنتم .

[إنّ أجل الله إذا جاء] وهو الأجل الّذي قدّر لكم على تقدير بقائكم على الكفر و هو الأجل القريب الّذي استحققتم بسبب الكفر [لا يؤخّر] فبادروا إلى الإيمان قبل وقوعه [لو كنتم تعلمون] شيئاً لسارعتم إلى ما أمرتكم به .

[قال] أي نوح مناجياً لربّه و حاكياً له و هو أعلم بحال ماجرى بينه و بين قومه من القيل و القال بعد ما بذل مجهوده في الدعوة و ضاقت عليه الحيل : [ربّ إنّي دعوت قومي] إلى الايمان [ليلاً و نهاراً] أي دائماً بلا فتور فهما ظرفان لدعوت أراد على الدوام لأنّ الزمان منحصر فيهما و كان عليه الصلاة والسلام يأتي بالليل على أبوابهم و يرد على جماعتهم بالنهار فيقرع الباب فيقول صاحب البيت: من على الباب؟ فيقول أنا نوح : قل لا إله إلّا الله .

[فلم يزدهم دعائي إلّا فراراً] ممّا دعوتهم إليه [و إنّي كلّما دعوتهم] إلى الإيمان [لتغفر لهم] بسبب قبول الدعوة [جعلوا أصابعهم في آذانهم] و سدّوا مسامعهم قصداً إلى عدم الاستماع [و استغشوا ثيابهم] الاستغشاء التقنّع و التغطّي باللباس و بالغوا في التغطّي بثيابهم لئلّا يبصروا نوحاً كراهة منه فإنّ المبطل يكره رؤية المحقّ و لئلّا يعرفهم و يدعوهم [و أصرّوا] و أقاموا على الكفر و الماضي و أكبر الإصرار السعي في طلب الأوزار و قيل : في معنى الإصرار في الآية أن يعتقد بقلبه أنّه متى قدر على الذنب فعله [و استكبروا استكباراً] تعظّموا عن طاعتي و أخذتهم العزّة لأنّهم قالوا : « أنؤمن لك و اتّبعك الأرذلون » .

[ثمّ إنّي دعوتهم جهاراً] أظهرت لهم الدعوة علناً و الجهر ظهور الشيء بإفراط لحاسّة البصر و السمع [ثمّ إنّي أعلنت لهم و أسررت لهم إسراراً] إشارة إلى ذكر عموم الحالات بعد ذكر جميع الأوقات أي دعوتهم على وجوه متخالفة و أساليب متفاوته و ثمّ لتفاوت الوجود .

و في بعض التفاسير أنّ نوحاً عليه السلام لمّا آذوه بحيث لا يوصف حتّى كانوا يضربونه في اليوم مرّات قلّ صبر نوح فسأل الله أن يواريه عن أبصارهم بحيث يسمعون كلامه و لا يرونه ينالونه بمكروه ففعل الله ذلك به فدعاهم كذلك زماناً فلم يؤمنوا فسأل أن يعيده إلى ما كان و هو قوله : « أعلنت لهم و أسررت لهم إسراراً » .

[فقلت استغفروا ربّكم] أي قلت لهم عقيب الدعوة عطف على قوله : « دعوت » اطلبوا المغفرة منه لأنفسكم بالتوبة عن الكفر و المعاصي [إنّه كان غفّاراً] للتائبين و المراد من كونه غفّاراً في الأزل كونه مريداً للمغفرة في وقتها المقدّر و هو وقت وجود المغفور له و في الحديث من اُعطي الاستغفار لايمنع المغفرة لأنّه قال : « استغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً » و لذا كان أمير المؤمنين يقول : ما ألهم الله عبداً الاستغفار و هو يريد أن يعذّبه و الغفّار أبلغ من الغفور و الغفر الستر والتغطيه و منه قيل لجنّة الرأس «المغفر» لأنّه يستر الرأس والمغفرة من الله سترة للذنوب و عفوه عنها بفضله و رأيت في بعض الأخبار من كتب أهل السنّة عبدي لو أتيتني بتراب الأرض ذنوباً لغفرتها لك مالم تشرك بي .

حكي أنّ شيخاً حجّ مع شابّ فلمّا أحرم الشيخ قال : لبيّك اللّهم لبيّك فقيل له : لالبيّك فقال الشابّ للشيخ : أماتسمع هذا الجواب؟ فقال : كنت أسمع هذا الجواب منذ سبعين سنة قال ، فلأيّ شيء تتعب نفسك ؟ فبكى الشيخ فقال : فإلى أيّ باب ألتجيء ؟ فقيل له : قد قبلناك .

[يرسل السماء] أي المطر كما قال الشاعر : « إذا نزل السماء بأرض قوم » و قيل : حذف المضاف أي ماء السماء [عليكم] حالكونه [مدراراً] كثير الدّرور و السيلان و الانصباب و في الإرسال مبالغة بالنسبة إلى الإنزال و كذا

المدرار صيغة مبالغة و مفعال ممّا يستوي فيه المذكّر و المؤنّث و يُرسل جواب شرط محذوف و التقدير : إن تستغفروا يرسل السماء ولمّا طالت الدعوة و ماانفعت و كذّبوه حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وقيل : سبعين سنةفوعدهم إن آمنوا أن يرزقهم الله الخصب و يدفع عنهم ما كانوا فيه .

[و يمددكم بأموال و بنين] و يعط لكم المددوالقوّة بهما [و يجعل لكم] و ينشيء لكم [جنّات] بساتين ذوات أشجار و أثمار [و يجعل لكم] فيها [أنهاراً] جارية تزيّنهابالنبات .

[ما لكم لا ترجون لله وقارا] أي أيّ سبب حصل لكم في أنّكم غير معتقدين لله عظمة موجبة لتوحيده و الطاعة له و الرجاء بمعنى الاعتقاد و الظنّ و كذلك لاتخشون منه عقاباً و لا ترجون منه ثواباً .

[و قد خلقكم أطواراً] يقال : عداطوره أي تجاوز حدّه و المعنى و الحال أنّه تعالى خلقكم تارات حالاً بعد حال عناصر ثمّ أغذية ثمّ أخلاطاً ثمّ نطفاً ثمّ علقة ثمّ مضغاً ثمّ عظاماً و لحوماً ثمّ أنشأكم خلقاً آخر وقيل : المراد خلقكم صبياناً و شباباً و شيوخاً و طوالاً و قصاراً و أقوياء و ضعفاء مختلفين في الخلق و الخلق فحينئذ التقصير في توقير من هذه قدرته ممّا لا يكاد يصدر من العاقل .

[ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات] الرؤية يمكن أن يكون بمعنى العلم لأنّ ذلك علم بالسماع من أهله أو بمعنى الإبصار و المراد مشاهدة الصنع الدالّ على العلم كيف خلق هذه السماوات المرفوعة حالكونها [طباقاً] مطابقاً بعضها فوق بعض .

[و جعل القمر فيهنّ نوراً] أي جعله منوّراً لوجه الأرض في ظلمة الليل ونسبة إلى الكلّ مع أنّه في السماء الدنيا لأنّ كلّ واحدة من السماوات شفّافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكلّ كأنّها سماء واحدة ، ومن ضرورة ذلك أن يكون ما في واحدة منها كأنّه في الكلّ على أنّه ذهب جماعة مثل ابن عبّاس و وهب بن منبّه إلى أنّ الشمس و القمر و النجوم وجوهها ممّا يلي السماء و ظهورها ممّا يلي الأرض و لفظ السراج يقتضي ذلك لأنّ ارتفاع نوره في طرف العلوّ و لولا ذلك لأحرقت جميع ما في الأرض

لشدّة حرارتها و نورها فجعلها الله نوراً و سراجاً لأهل الأرض والسماوات على أن لوكان في واحدة منهن يجوز أن يقال : فيهنّ كما يقال : أتيت بني تميم و إنّما أتى بعضها .

[و جعل الشمس سراجاً] أي مصباحاً يضيء لأهل الأرض فهي سراج العالم كما أنّ المصباح سراج الإنسان هي في السماء الرابعة و قيل : في الخامسة و قيل : في الشتاء في الرابعة و في الصيف في السابعة و لو أضاءت من الرابعة أو من سماء الدنيا لم يطق لها شيء لكنّ الجمهور على أنّها في الرابعة لا يختلف و قوله تعالى : « سراجاً » من باب التشبيه البليغ و كذلك شبّه الله نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بالسراج قال : « وسراجاً منيراً » لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم أزال ظلمة الكفر و أنار الخلق بنور التوحيد .

[والله أنبتكم من الأرض نباتاً] أي إنباتاً عجيباً بواسطة إنشاء أبيكم آدم منها أو إنشاء الكلّ منها من حيث إنّه خلقهم من النطف المتولّدة من الأغذية المتولّدة من النبات المتولّدة من الأرض استعير الإنبات للإنشاء لكونه أولّ التكوين والحدوث و وضع نباتاً موضع إنباتاً مصدر بحذف الزوائد و قيل : نباتاً حال لامصدر .

[ثمّ يعيدكم فيها] في الأرض بالدفن [و يخرجكم] منها عند البعث [إخراجاً] محقّقاً لاريب فيه لمجازاة الأعمال [والله جعل لكم] كرّرالاسم الجليل للتعظيم [الأرض بساطاً] مبسوطة متّسعة كالفراش تتقلّبون عليها تقلّبكم على بسطكم .

[لتسلكوا فيها سبلاً فجاجاً] من السلوك وهو الدخول لامن السلك و هوالإدخال طرقاً واسعة جمع سبيل وفجّ هو الطريق الواسع وجعل صفة لسبلاً و يستعمل في الطريق الواسع أي لتسلكوا متّخذين من الأرض سبلاً فتتصرّفوا فيها مجيئاً و ذهاباً و جعلها مبسوطة للسلوك و العيش كالنوم و الاستقرار و الحرث و الفرش و السلوك جسمانيّ و روحانيّ كطلب العلم والحجّ و المعرفة والتجارة والطرق الموصلة إلى الكمال والأحوال كالعبادة و الزهد و السلوك الروحانيّ لايحصل إلّا بالسلوك الجسمانيّ كما كان معراجه صلى الله عليه وآله وسلم بالبدن .

[قال نوح] أُعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربّه فهو بدلٌ من « قال » الأوّل ولذا ترك العطف أي قال مناجياً لربّه : أي [ربّ] بحذف الياء [إنّهم عصوني]

و داموا على عصياني مع ما بالغت في إرشادهم بالعظة [و اتّبعوا من لم يزده ماله وولده إلّا خساراً] استمرّوا على اتّباع رؤسائهم الّذين أبطرتهم أموالهم وأولادهم وصارت سبباً لخسارتهم في الآخرة فصاروا أُسوة لهم في الخسار واتّبعوهم لو جاهتهم بسبب المال و الأولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصحّحة للاتّباع كما قالت قريش: لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فجعلوا إقبال الدنيا سبباً مصحّحاً للاتّباع .

[و مكروا مكراً كبّارا] أي الكبرياء منهم مكروا مكراً كبيراً في الغاية و الكبّار نحو الطوّال بالتشديد أبلغ من الكبار بالتخفيف و مكرهم الكبير احتيالهم في منع الناس عن اتّباع نوح و تحريض الناس على أذيّة نوح ، ولمّا كان التوحيد أعظم المراتب كان المنع منه أعظم الكبائر ولذا وصف بالكبائر .

[و قالوا] أي الرؤساء للأتباع و السفلة : [لاتذرنّ آلهتكم و لاتذرنّ ودّاً و لا سواعاً] أي لاتتركوا عبادتها [و لا يغوث و يعوق و نسراً] جرّد يغوث و يعوق عن حرف النفي إذ بلغ التأكيد نهايته وخصّ عبادة هؤلاء بالذكر فهو من باب عطف الخاصّ على العامّ لأنّها كانت أكبر أصنامهم و أعظم ما عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام عنهم إلى العرب فكان ودّ لكلب بدومة الجندل ولذلك سمّت العرب بعبدودّ .

قال الراغب : الودّ صنم سمّي عند العرب لاعتقادهم أن بينه و بين الله مودّة وكان سواع لهمدان قبيلة باليمن ويغوث لمذحج كمجلس و عنه كانت العرب تسمّي عبديغوث و يعوق لمراد أبو قبيلة سمّي به لأنّه تمرّد عن قبيلته و نسرلحمير موضع غربيّ صنعاء اليمن و انتقلت أسماء هذه الأصنام إلى العرب فاتّخذوا أمثالها فعبدوها .

و قيل : إنّها أعيان تلك الأصنام و الطوفان دفنها و غمرها في ساجل جدّة فلم تزل مستورة حتّى أخرجها العين لمشركي العرب نظيره ما روي أنّ آدم عليه السلام كتب اللغات المختلفة في طين و طبخه فلمّا أصاب الأرض الغرق بقي مدفوناً ثمّ وجد كلّ قوم كتاباً مكتوبة فأصاب إسماعيل الكتاب العربيّ .

و قيل : إنّ الأصنام أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم و نوح ماتوا فحزن الناس عليهم حزناً شديداً و اجتمعوا حول قبورهم لاتكادون يفارقونها وذلك بأرض بابل فلمّا رأى

إبليس فعلهم ذلك جاء إليهم في صورة إنسان و قال لهم : هل لكم أن أصوّر لكم صورهم إذا نظرتم إليها ذكرتموهم و استأنستم و تبرّكتم بهم قالوا : نعم فصوّر لهم صورهم من صفر و رصاص و نحاس و خشب و حجر و سمّى الصور بأسمائهم ثمّ لما تقادم الزمن و انقرضت الآباء و الأبناء و أبناء الأبناء قال اللعين لهم : إنّ من قبلكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها في زمان مهلاييل بن قينان ثمّ صارت سنّة في العرب في الجاهليّة .

و قيل : إنّ المؤسّس لعبادة الأصنام في العرب عمرو بن لحيّ بن قمعة علّمه جنّيّ كان تابعه فقال له : اذهب إلى جدّة و ائت منها بالآلهة الّتي تعبد في زمن نوح وإدرس و هي ودّ ، فذهب وأتى بها إلى مكّة و دعا إلى عبادتها فانتشرت عبادة الأصنام في العرب و عاش عمرو ثلاثمائة و أربعين سنة و رأى من ولده و ولد ولده ألف مقاتل ومكث هو و ولده في ولاية البيت خمسمائة سنة ثمّ انتقلت الولاية إلى قريش مكثوا فيها خمسمائة سنة اُخرى فكان البيت بيت الأصنام ألف سنة .

وذكر الشعرانيّ أنّ أصل وضع الأصنام إنّما هو من قوّة التنزيه من العلماء الأقدمين فإنّهم نزّهوا الله عن كلّ شيء وأمروا بذلك عامّتهم فلمّا رأوا أنّ بعض عامّتهم صرّح بالتعطيل وضعوا لهم الأصنام وكسوها الديباج والحليّ والجواهر وعظّموها بالسجود و غيره ليتذكّروا بها الحقّ الّذي غاب عن عقولهم و غاب عن اُولئك العلماء الجهلاء أنّ ذلك لا يجوز إلّا بإذن الله وإنّ ما اُمروا به يفضي إلى هذا الأمر الشنيع .

و قيل : إنّ هذا الأمر سرى من الهند إلى أرض العرب ، و ودّ كان على صورة رجل و سواع على صورة امرأة و يغوث على صورة أسد و يعوق على صورة فرس و نسر على صورة نسر .

[و قد أضلّوا] الرؤساء أو الأصنام والجملة حاليّة [كثيراً] جمعهم جمع العقلاء لعدّهم آلهة [ولاتزد الظالمين] بالإشراك فإنّ الشرك ظلم عظيم [إلّا ضلالاً] الجملة عطف على قوله : « ربّ إنّهم عصوني » أي قال : ربّ إنّهم عصوني و قال : « ولا تزد الظالمين إلّا ضلالاً » من غير أن يعطف أحدهما على الآخر فحكى الله أحد قولي نوح بتصديره بلفظ «قال» وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الأوّل بالواو النائبة عن لفظ «قال»

ولا يلزم عطف الإنشاء على الإخبار .

والمراد من الضلال في الآية الضياع والهلاك والضلال في تمشية مكرهم بالاهلاك لافي أمر دينهم حتّى يقال : إنّ هذا الدعاء يتضمّن الرضى بكفرهم و قد بعث ليصرفهم عن الضلال فكيف يليق أن يدعو الله في ضلالهم و إن‌كان يمكن أن يجاب عن‌هذا الإيراد بأنّه بعد ما اُوحي إليه أنّه لايؤمن من قومك إلّا من قد آمن و نظيره دعاء موسى بقوله : « و اشدد على قلوبهم »[1] و من أحبّ عذاب الكافر و أحبّ موت الشرير بالطبع على الكفر حتّى ينتقم الله منه لاضرر فيه فيؤول المعنى « و لاتزد الظالمين إلّا ضلالاً » و غيّاً ليزداد و اعقاباً نظير قوله : « إنّي اُريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار[2] » و قد دعا عليه السلام بهذا الدعاء بعد أن دعا الأبناء بعدالآباء بلغوا سبعة قرون فلمّا آيس من إيمانهم و اُخبر أنّهم لا يؤمنون دعا عليهم .

[ممّا خطيئاتهم] أي من أجل خطيئات قوم نوح و كفرهم و معاصيهم و ما زائدة بين الجارّ و المجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم الظرف أي إغراقهم بالطوفان لم يكن إلّا من أجل خطيئاتهم تكذيباً لقول المنجّمين من أنّ ذلك كان لاقتضاء الأوضاع الفلكيّة و هذا القول كفر لكونه مخالفاً لتصريح هذه الآية و لزيادة «ما» الإبهاميّة فائدة غير التأكيد وهي تفخيم خطيآتهم العظيمة ومن‌لم يرزيادتها جعلها نكرة وجعل خطيآتهم بدلاً منها [اُغرقوا] في الدنيا بالطوفان [فاُدخلوا ناراً] تنكير النار لتعظيمها أوالمراد عذاب القبر عقيب الإغراق وإن‌كانوا في الماء فإنّ من مات في ماء أو في نار أو أكلته السباع أو الطير أصابه ما يصيب المقبور من العذاب :

لا تعجبنّ لأضداد إذا اجتمعت ❊ فالله يجمع بين الماء والنار

أو المراد من النار نار جهنّم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقّب لاقترابه و تحقّقه [فلم يجدوالهم من دون الله أنصاراً] و فيه تعريض باتّخاذهم آلهة من دون الله و بأنّها غير قادرة على نصرهم [و قال نوح] بعد أن قنط من اهتدائهم بالأمارات و بإخبار الله إيّاه

(١) يونس : ٨٨ .
(٢) المائدة : ٣٢ .

[ربّ لا تذر على الأرض] و لا تترك [من الكافرين] بك [ديّاراً] يدور في الأرض و يتحرّك فيذهب و يجيء أي فأهلكهم بالاستيصال .

و قال بعض : إنّ معنى الدّيار ليس من الدور بل من الدار و أصله ديوار و قد فعل به مافعل بأصل «سيد» و المراد لا تذر ممّن ينزل الدار و يسكنها إذلو كان بمعنى الدوران كما فسّرنا لم يبق على وجه الأرض جنّي ولاشيطان و إنّما أراد صلّى الله عليه أهل كلّ ساكن دار من الكفّار أي كلّ إنسيّ . لكن هذا القول : ضعيف لأنّ نوح ما كان الجنّ و الشيطان من اُمّته إذلم يكن نوح مبعوثاً إلى الثقلين فهذا الدليل الّذي قال : لم يبق على وجه الأرض جنّي و لا شيطان غير موجّه على أنّه ليس ديّار فعالاً من الدار و إلّا لقيل : دوّار لأنّ أصل دار دورفقلبت واوه ألفاً فلمّا ضعّفت عينه كان دوّاراً بالواو و المشدّدة و لاوجه لقلبها ياء .

[إنّك إن تذرهم] عليها كلاً أو بعضاً بيانٌ لوجه دعائه عليهم و إظهارٌ بأنّه كان من الغيرة في الدين لا لغلبة غضب النفس لهواها [يضلّوا عبادك] عن طريق الحقّ و يصدّوهم عن السبيل لأنّ الرّجل منهم كان ينطلق بابنه إلى نوح عليه السلام فيقول له : اُحذر هذا فإنّه كذّاب و إنّ أبي حذّرنيه و أوصاني بمثل هذه الوصيّة فيموت الكبير و ينشأ الصغير على ذلك .

[و لا يلدوا إلّا فاجراً] و الفجور شقّ ستر الديانة [كفّاراً] مبالغة في الكفر أي لا يلدون و لا ينتجون إلّا مَن سيفجر و يكفر و إنّما قاله بالوحي لقوله في سورة هود : « و اُوحي إلى نوح أنّه لن يؤمن من قومك إلّا مَن قد آمن » و هذا الدعاء كان في الأواخر .

[ربّ اغفرلي و لوالدي] أبو نوح اسمه ملك بن متوشلخ على وزن متدحرج و اُمّه سمخاء بنت أنوش كانا مؤمنين قال ابن عبّاس : لم يكفر لنوح أبٌ ما بينه و بين آدم و في إشراق التواريخ اُمّه قسوس بنت كابيل و قيل : هيجل بنت لاموس و كانا مسلمين على ملّة إدريس و قيل : المراد بوالديه آدم و حوّاء [و لمن دخل بيتى] أي منزلي و قيل : مسجدي و قيل : سفينتي فإنّها له بمنزلة البيت [مؤمناً] حال كون الداخل مؤمناً و

بهذا القيد خرجت امرأته واعلة وابنه كنعان و [للمؤمنين و للمؤمنات] خصّ أوّلاً من يتّصل به نسباً و ديناً ثمّ عمّ المؤمنين والمؤمنات .

وفي الحديث ما الميّت في قبره إلّا كالغريق المتغوّث ينتظر دعوة يلحقه من أب أو أخ أو صديق فإذا لحقته كانت أحبّ إليه من الدنيا وما فيها و إنّ الله ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثال الجبال وإنّ هديّة الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم .

[ولا تزد الظالمين إلّا تباراً] أي هلاكاً والتبر دقاق الذهب قال عليه السلام في الأوّل : « ولا تزد الظالمين إلّا ضلالاً » لأنّه وقع بعد قوله : « وقد أضلّوا كثيراً » و في الثاني « إلّا تباراً » لأنّه وقع بعد قوله : « ولا تذر على الأرض » فذكر في كلّ مكان ما شاكل معناه و ما اقتضاه فاستجيب دعاؤه وعمّهم الطوفان بالغرق و أهلكهم عن آخرهم و ما نقل عن بعض المنجّمين من أنّه أراد جزيرة العرب فوقع الطوفان عليهم دون غيرهم فذلك كلام فاسد مخالف للقرآن والسنّة و تفسير العلماء وأصحاب التواريخ .

وأمّا صبيانهم قيل : إنّ الله أعقم أرحام نسائهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبيّ ولا مجنون حين غرقوا لأنّ الله قال : « و قوم نوح لمّا كذّبوا الرسل أغرقناهم[1] » ولم يوجد التكذيب من الأطفال والمجانين و قيل : غرق معهم صبيانهم أيضاً لكن لا على وجه العقوبة لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمّهاتهم بإراءة إهلاك أطفالهم الّذين كانوا أعزّ عليهم من أنفسهم قال صلى الله عليه وآله وسلم : يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتّى ، وعن الحسن أنّه سئل عن ذلك فقال : علم الله سرايتهم فأهلكهم بغير عذاب و كم من صبيان يموتون بالغرق والحرق وسائر أسباب الهلاك والله أعلم بمصالح الحكمة

تمّت السورة بحمد الله

(١) الفرقان : ٣٧ .

سورة الجن

(مكية)

أُبيّ بن كعب عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : ومَن قرء سورة الجنّ أُعطي بعدد كلّ جنّي وشيطانٍ صدّق بمحمّد و كذّب به عتق رقبته .

وقال الصادق عليه السلام : مَن أكثر قراءة قل أُوحي لم يصبه في حياة الدنيا من أعين الجنّ ولا من نفثهم و لا من كيدهم و سحرهم و كان مع محمد و آله .

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجباً (١) يهدى الى الرشد فآمنا به و لم نشرك بربنا احدا (٢) و انه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة و لا ولدا (٣) و انه كان يقول سفيهنا على الله شططا (٤) و انا ظننا ان لن تقول الانس و الجن على الله كذباً (٥) و انه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا (٦) و انهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا (٧) و انا لمسنا السماء فوجدنا ها ملئت حرساً شديداً وشهبا (٨) وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهاباً رصدا (٩) و انا لاندرى اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا (١٠) .

[قل] يا محمد لقومك : [اُحي إليّ] و اُلقي عليّ بطريق الوحي و اُخبرت بأعلام من الله و الإيحاء إعلام في خفاء [أنّه] بالفتح لأنّه فاعل اُوحي والضمير الشأن والحديث [استمع] أي القرآن أوطه أواقره والمفعول محذوف لدلالة ما بعده عليه والمستمع من كان قاصداً للسماع مصغياً إليه و السامع من اتّفق سماعه من غير قصد إليه [نفرٌ من الجنّ] جماعة منهم ما بين الثلاثة و أقل من العشرة و الجنّ واحده جنّي كروم و روميّ .

قال ابن عبّاس : انطلق رسول الله في طائفة من أصحابه إلى سوق عكاظ فأدركهم وقت صلاة الفجر وهم بنخلة فأخذ ﷺ يصلّي بأصحابه صلاة الفجر فمرّ عليهم نفرٌ من الجنّ و هم في الصلاة فلمّا سمعوا القرآن استمعوا له وفيه دليل على أنّه ﷺ لم ير الجنّ حينئذ إذلو رآهم لما أسند معرفة هذه الواقعة إلى الوحي و كذا لم يشعر بحضورهم و باستماعهم و لم يقرء عليهم و إنّما اتفق حضورهم في قراءة فسمعوها فأخبر الله بذلك .

و الجنّ أجسام رقاق في صورة تخالف صورة الملك و الجنّ عاقلة مدركة كالإنس خفيّته عن الأبصار لا يظهرون لهم ولا يكلّمونهم إلّا صاحب معجزة ويغلب عليهم الناريّة

و الهوائيّة والمركّبات كلّها من العناصر فما يغلب عليهم للناريّة فناريّ كالجنّ وما يغلب فيه الهواء فهوائيّ كالطير وما يغلب فيه الماء فمائيّ كالسمك ، وما يغلب فيه التراب فترابيّ كالإنسان و سائر الحيوانات الأرضيّة .

[فقالوا] لقومهم عند رجوعهم إليهم : [إنّا سمعنا قرآناً] أي كتاباً مقروءاً على لسان الرسول [عجباً] مصدر بمعنى العجيب وُضع موضع العجيب للمبالغة أي بديعاً مبايناً لكلام الناس .

و فيه إشارة إلى أنّهم كانوا من أهل اللسان ؛ قال عيزار بن حريث : كنت عند عبدالله بن مسعود فأتاه رجل فقال له : كنّا في سفر فإذاً بحيّة جريحة تتشحّط في دمها فقطع رجل قطعة من عمامته فلفّها فيها فدفنها فلمّا أمسينا ونزلنا أتانا امرأتان من أحسن نساء الجنّ فقالتا : أيّكم صاحب عمرو ، أي الحيّة الّتي دفنتموها ؟ فأشرنا لهما إلى صاحبها فقالتا : إنّه آخر من بقي ممّن استمع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان بين كافري الجنّة و مسلميهم قتال فقتل فيهم فإن كنتم أردتم به الدنيا عوّضنا كم ، فقلنا : لا إنّما فعلنا ذلك لله ، فقالتا : أحسنتم و ذهبتا فقال : إنّ اسم الّذي لفّ الحيّة صفوان بن معطّل المراديّ .

[يهدي إلى الرشد] إلى الحقّ و صلاح الدين و الدنيا ، و الرشد كالقفل خلاف الغيّ ، و الرشد كالذهب يقال في الاُمور الاُخرويّة فقط [فآمنّا به] أي بذلك القرآن [و لن نشرك] بعد اليوم [بربّنا أحدا] و لا نعبد غيره .

[و أنّه تعالى جدّ ربّنا] أي و أنّ الشأن ارتفع عظمة ربّنا مستعار من الجدّ الّذي معناه الحظّ و البخت و الغنى [ما اتّخذ صاحبة و لا ولدا] أي لم يختر لنفسه لكمال تعاليه زوجة و لا ابناً و لا بنتاً لأنّهم بعد ما سمعوا القرآن و وفقوا للتوحيد تنبّهوا للخطاء فيما اعتقده كفرة الجنّ من تشبيه الله بخلقه فاستعظموه و نزّهوه عن هذه النقيصة و لوازم الإمكان والحدوث .

[و أنّه كان يقول سفيهنا] و جاهلنا و مردة الجنّ [على الله شططا] و تجاوزاً عن الحدّ في الظلم و وصف القول بالمصدر للمبالغة في التجاوز في الظلم و هو نسبة الشريك

و الصاحبة و الولد إليه .

[و أنّا ظننّا أن لن تقول الإنس و الجنّ على الله كذبا] اعتذارهم من تقليدهم لسفيههم أي كنّا نظنّ أنّ الشأن و القصّة : لن يكذب على الله أحد أبداً ولذلك اتّبعنا قولهم فلمّا سمعنا القرآن علمنا أنّهم كذبوا عليه تعالى، و « كذباً » مصدر مؤكّد لتقول .

[و أنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ] أي و أنّ الشأن كان في الجاهليّة رجال كائنون من الإنس يلتجئون ويتعلّقون برجال من الجنّ قال أهل التفسير كان الرجل من العرب إذا أمسى في واد قفر في بعض مسائره و خاف على نفسه يقول : أعوذ بسيّد هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه فيبيت في أمن وجوار حتّى يصبح فاذا بذلك استكبروا و قالوا : سدنا الإنس و الجنّ و ذلك قوله تعالى : [فزادوهم رهقاً] أي فزاد الرجال العائذون الإنسيّون الجنّ رهقاً و تكبّراً وعتوّاً و سفهاً والرهق محرّكة يجيء على معان : منها السفه وركوب الشرّ و الظلم ، ويجوز أن يكون المراد من الرجال العائذين رجال الجنّ زادوا الأنس ظلماً و ضلالة .

[و أنّهم ظنّوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً] اُختلف في معناها قيل : إنّ هذه الآية بقيّة من حكاية قول مؤمني الجنّ لكفّارهم إنّ الكفّار الّذين يعوذون برجال من الجنّ الكفرة في الجاهلية حسبوا كما حسبتم أن لن يبعث الله رسولاً بعد موسى و عيسى و قيل : هذه الآية ما قبلها اعتراض من كلام الله و معناه إنّ الجنّ ظنّوا كما ظننتم معاشر الإنس أنّ الله لا يحشر أحداً يوم القيامة و لا يحاسبه أولن يبعث الله أحداً رسولاً .

[و أنّا لمسنا السماء] أي طلبنا و التمسنا قرب السماء لاستراق السمع أوطلبنا الصعود إلى السماء فعبّر باللمس مجازاً [فوجدناها ملئت حرساً شديداً] أي حفظة من الملائكة شداداً [و شهباً] و الشهُب جمع شهاب و هو نور يمتدّ من السماء كالنار أي ملئت السماء من الحرس و الشهب .

[و أنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع] لاستراق السمع أي كان يتهيّأ لنا فيما قبل القعود في مواضع الاستماع فنسمع منها بعض كلام الملائكة و من أحاديث البخاري

عن عايشة عن رسول الله أنّ الملائكة تنزل في العنان بالفتح و هو السحاب فتذكر الأمر الّذي قضى في السماء فتسترق الشياطين السمع و تسمعه ثمّ توحيه إلى الكهّان فيكذبون معه مائة كذبة من عند أنفسهم .

[فمن يستمع الآن] في مقعد من المقاعد و الآن أي في هذا الزمان و بعد البعث [يجدله] جواب للشّرط أي يجدلنفسه [شهاباً رصداً] أي شهاباً راصداً لأجله ومترقّباً له يصدّه عن الاستماع بالرجم أو ذوي شهاب راصدين ليرجموا المستمع بمامعهم من الشهب فلمّا رأى الجنّ ذلك قالوا : ما هذا إلّالأمر أراده الله بأهل الأرض وذلك قولهم :

[و أنّا لا ندري أشرّ أريد بمن في الأرض] بحراسة السماء منّا [أم أراد بهم ربّهم رشداً] خيراً و صلاحاً، و في بيان الآية أدب أدّب الله الخلق لأنّ نسبة الخير في الآية إلى الله و نسب الشرّ مجهولاً .

و انا منا الصالحون و منادون ذلك وكنا طرائق قددا (١١) وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض و لن نعجزه هربا (١٢) و انا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً و لا رهقا (١٣) و انا منا المسلمون و منا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا (١٤) و اما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً (١٥) و ان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً (١٦) لنفتنهم فيه و من يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا (١٧) و ان المساجد لله فلا يدعوا مع الله احدا (١٨) وانه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا (١٩) قل انما ادعو ربى و لا اشرك به احداً(٢٠).

ثمّ قال في تمام الحكاية عن الجنّ الّذين آمنوا عند سماع القرآن : [و أنّامنّا الصالحون] وهم الّذين عملوا الصالحات المخلصون [و منّا دون ذلك] أي دون الصالحين في الرتبة [و كنّا طرائق قددا] أي فرقاً شتّى و متباينة كلّ فرقة تباين صاحبتها كما يبيّن المقدود بعضه من بعض والجنّ أمثال الإنس فمنهم قدريّة ومرجئة وشيعة وخوارج و صفت الطرائق بالقدد لدلالتها على التقطّع والاختلاف .

[و أنّا ظننّا] أي علمنا الآن بالاستدلال [أن لن نعجز الله في الأرض] و لن نفوته إذا أرادبنا أمراً [و لن نعجزه هرباً] و أنّه تعالى يدركنا حيث كنّا .

[و أنّا لمّا سمعنا الهدى] أي القرآن [آمنّا به] من غير تأخير و تردّد [فمن يؤمن بربّه] و بما أنزله من الهدى [فلا يخاف بخساً و لا رهقاً] نقصاً في الجزاء و لا ترهقه و تغشاه ذلّة و ظلم فلا يخاف نقصاً في حسناته و لا زيادة في سيّئاته أو لا يخاف نقصاً قليلاً و لا كثيراً و ذلك أنّ أجره وثوابه موفّر وهذا حكاية عن قوّة إيمان الجنّ و صحّة إسلامهم .

ثمّ قالوا : [و أنّا منّا المسلمون] الّذين انقادوا للحقّ [و منّا القاسطون] الجائرون عن طريق الحق الّذي هو الإيمان و القاسط الجائر لأنّه عادل عن الحق و المقسط العادل لأنّه عادل إلى الحق يقال : قسط إذا جار و أقسط إذا عدل .

قال صاحب تفسير روح البيان : و قد غلب هذا الاسم على حزب معاوية و منه الحديث خطاباً لعليّ عليه السلام : تقاتل الناكثين و القاسطين والمارقين. فالناكثون أصحاب عايشة فإنّهم الّذين نكثوا البيعة و استنزلوا عايشة و ساروا بها إلى البصرة على جمل اسمه عسكر ولذا سميّت الوقعة يوم الجمل ، والقاسطون أصحاب معاوية لأنّهم قسطوا و جاروا حين حاربوا الإمام الحقّ والواقعة تعرف بصفّين ، و المارقون الخوارج فإنّهم الّذين مرقوا و خرجوا من دين الله و استحلّوا القتال مع خليفة رسول الله و هم عبدالله بن وهب الراسبيّ و حرقوس بن زهير البجليّ المعروف بذي الثّديّة و تعرف تلك الواقعة بيوم النهروان هي من أرض العراق على أربعة فراسخ من بغداد انتهى كلامه .

[فمن أسلم] يجوز أن يكون من بقيّة كلام الجنّ ويجوز أن يكون مخاطبة من الله لرسوله [فأُولئك] إشارة إلى من أسلم والجمع باعتبار المعنى [تحرّوا رشدا] التحرّي طلب الأليق أي طلبوا الهداية العظيمة .

[و أمّا القاسطون] الجائرون عن سُنن الهدى [فكانوا لجهنّم حطباً] أي هم حطب توقد بهم في جهنّم .

[و أن لو استقاموا] أن مخفّفة من المثقّلة أي أنّ الشأن : لو استقام الجنّ أو الإنس أو كلاهما [على طريقة] الإسلام [لأسقيناهم ماء غدقاً] الإسقاء و السقي بمعنى و قيل : السقي و السقيا هو أن تعطيه ماء ليشرب و الإسقاء أن تجعل له ذلك حتّى يتناوله

كيف شاء و غدق إذا غزر وصف الماء به في غزارته كرجل عدل و تخصيص الماء الكثير بالذكر لأنّه أصل السعة و المعنى لأعطيناهم مالاً كثيراً وعيشاً رغداً .

[لنفتنهم فيه] و لنعاملهم معاملة المختبر في ذلك التوسيع أيشكرونه أم يكفرون به و فيه إشارة إلى أنّ المرزوق يجب عليه القيام بشكره و ذلك لوظائف الطاعات و العبادات و الواجبات .

[و من يعرض عن ذكر ربّه] و وحيه [يسلكه] يدخله [عذاباً صعداً] أي شاقّاً صعباً يعلو المعذّب و يغلبه على أنّه مصدر وصف العذاب به للمبالغة ثمّ إن كان إعراضه عن الوحي و الذكر بعدم التصديق كان عذاب التأبيد و إلّا فبقدر جرعة إن لم تغفر له و روي أنّ «صعد» جبل في النار إذا وضع عليه يديه أورجليه ذابتا و إذا رفعهما عادتا وقيل : «صعد» جبل أملس في جهنّم ويكلّف الوليد بن المغيرة صعوده أربعين عاماً فيجذب في أعلاه بالسلاسل فإذا انتهى إلى أعلاه انحدر إلى أسفله ثمّ يكلّف ثانياً و هكذا يعذّب أبد الآباد .

[و أنّ المساجد لله] عطف على قوله : « استمع » أي واُوحي إليّ أنّ المساجد مختصّة بالله و بعبادته خصوصاً المسجد الحرام فالمراد بالمساجد المواضع الّتي بنيت للصلاة و العبادة كمسجد رسول الله و مسجد بيت المقدس و أمثالها و حاصل المعنى أن لاتذكروا مع الله في المواضع الّتي بنيت للعبادة أحداً على وجه الإشراك في عبادته كما يفعل النصارى في بيعهم و المشركون في الكعبة قال الحسن : و من السنّة عند دخول المساجد أن يقال: لا إله إلّا الله لا أدعو مع الله آخر .

و قيل : المراد من المساجد مواضع السبعة في السجود من الإنسان و هي الجبهة و الكفّان و أصابع الرجلين و عينا الركبتين و هي لله فلا ينبغي أن يسجد بها إلّا الله و روي أنّ المعتصم سأل أبا جعفر محمّد بن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن قوله : « و أنّ المساجد لله » فقال : هي الأعضاء السبعة الّتي يسجد عليها .

و قيل : إنّ المراد بالمساجد البقاع كلّها و ذلك لأنّ الأرض كلّها جعلت للنبيّ مسجداً قال سعيد بن جبير : قالت مؤمنو الجنّ للنبيّ صلّى الله عليه و آله : كيف لنا أن نأتي المسجد

و نشهد معك الصلاة و نحن ناءون عنك ؟ فنزلت الآية و يروى عن كعب أنّه قال : إنّي لأجد في التوراة أنّ الله يقول : إنّ بيوتي في الأرض المساجد و إنّ المسلم إذا توضّأ فأحسن الوضوء ثمّ أتى المسجد فهو زائر الله و حقّ على المزور أن يكرم زائره و لعلّ الحكمة في إيجاب السجود على هذه الأعضاء أنّ هذه الأعضاء الّتي عليها مدار الحركة هي المفاصل الّتي تنفتح و تنطبق و السعي و يحصل بها اجتراح السيّئات و ارتكاب موجبات الشهوات فشرع الله بها السجود للتكفير و التطهير و محو الذنوب .

[و أنّه لمّا قام عبدالله] أي و اُوحي إليّ أنّ الشأن والقصّة : لمّا قام النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم و لذا جعلوه في أسمائه صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّه هو العبد الحقيقيّ لمّا قام يدعو يقول : لا إله إلّا الله ويقرء القرآن [كادوا] يعني قريشاً [يكونون عليه لبداً] جمع لبدة بالكسر مثل قربة و قرب ، و هي ماتلبّد بعضه على بعض و تراكب و تلاصق و منها لبدة الأسد و هي الشعر المتراكب بين كتفيه .

و المعنى أنّ قريشاً و مشركي العرب يتراكمون و يزدحمون للإنكار و يتعاونون عليه ، عن الحسن و قتادة .

و قيل : الضمير في كادوا راجع إلى الجنّ من ازدحامهم عليه تعجّباً ممّا رأوامن قراءته و عبادته عن ابن عبّاس و الضحّاك .

و قيل : هو بيان قول النفر من الجنّ : لأصحابهم حين رجعوا إليهم و مرادهم أنّ أصحاب النبيّ يتزاحمون عليه لاستماع القرآن منه يودّ كلّ واحد منهم أن يكون أقرب من صاحبه فيتلبّد بعضهم على بعض فعلى هذا المعنى هذا الكلام حكاية الله حال النفر من الجنّ وليس من جملة ما أوحى الله إلى النبيّ .

و بالجملة إذا كان المراد من الآية ما ذهب إليه ابن عبّاس و أكثر المفسّرين ، فالازدحام و التلبّد من النفر القليل يمكن أن يراد منه أنّ النفر لم يزالوا يدنون من جهة واحدة حتّى كانوا عليه لبداً أو بأن يتجوّز في النفروهم أكثر من النفر وحينئذ تعيين العدد على ما فعله بعضهم بلا معنى قال ابن مسعود : وقع الازدحام في المجنون بعدّ العود من نخلة ،

[قل إنّما أدعو ربّي و لا اُشرك به أحداً] و ذلك أنّ قريش قالوا للنبيّ ﷺ : إنّك جئت بأمر عظيم لم نسمع مثله فارجع عنه فأمره سبحانه قل لهم : إنّما أدعو ربّي و معنى هذه يعضد قول الحسن : حيث ردّ ضمير كادوا إلى قريش .

قل اني لا املك لكم ضرا و لارشداً (٢١) اقل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا (٢٢) الابلاغا من الله و رسالاته و من يعص الله و رسوله فان له نارجهنم خالدين فيها ابداً (٢٣) حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عددا (٢٣) قل ان ادرى أقريب ما توعدون ام يجعل له ربى أمدا (٢٥) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا (٢٦) الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا (٢٧) ليعلم ان قدا بلغوا رسالات ربهم و احاط بما لديهم و احصى كل شيء عددا (٢٨) .

ثمّ خاطب نبيّه فقال :

[قل] يا محمّد : للناس لا أقدر على دفع الضرر عنكم و لا إيصال الخير إليكم و إنّما القادر على ذلك هو الله تعالى وهذا اعتراف بالعبوديّة وإضافة الحول والقوّة إليه .

ثمّ قال : [قل] يا محمّد لهم : [إنّي لن يجيرني من الله أحد] و لا يمنعني أحد ممّا قدّره الله عليّ و لا يخلّصني من الله إن خالفت أمره أحد [و لن أجد من دونه ملتحدا] يقال : التحد فيه أي مال عنه و يقال للملتجأ : الملتحد أي لن أجد عند الشدائد ملتجأ غيره وإذاً لا أملك لنفسي شيئاً فكيف أملك لكم شيئاً .

[إلّا بلاغاً من الله] استثناء متّصل من قوله : « لا أملك » و فائدة الاستثناء المبالغة في توصيف نفسه بالتبليغ للدلالة على أنّه لايدع التبليغ الّذي يستطبعه و قوله : «من الله» صفة بلاغاً أي بلاغاً كائناً منه و بلاغاً واقع موقع التبليغ كما يقع السلام و الكلام موقع التسليم و التكليم و المعنى لا أملك شيئاً سوى تبليغ وحي الله [و رسالاته] الّتي أرسلني بها و جمع الرسالة باعتبار تعدّد ما أرسل هو به .

[و من يعص الله و رسوله] أي خالف أمره في التوحيد و ارتكب الكفر و المعاصي

[فإنّ له نار جهنّم خالدين فيها أبداً] جزاء على ذلك و الجمع باعتبار المعنى و قوله : « أبداً » دفع لأن يراد بالخلود المكث الطويل .

[حتّى إذا رأوا ما يوعدون] غاية لمحذوف يدلّ عليه الحال من استضعاف الكفّار له و لأنصاره و لاستقلا لهم لعددهم حتّى قالوا هم بالإضافة إلينا كالحصاة من جبال كأنّه قيل : لا يزالون على ما هم عليه حتّى إذا رأوا ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة [فسيعلمون] حينئذ عند حلول العذاب بهم [من أضعف ناصراً و أقلّ عدداً] أهم أم المؤمنون ؟ و ناصراً و عدداً منصوبان على التمييز وحمل بعضهم ما توعدون على ما رأوه يوم بدر وأيّاً ما كان ففيه دلالة على أنّ الكفّار مخذولون و إن كثروا عدداً لأنّ الكافرين لا مولى لهم و الواحد على الحقّ هو السواد الأعظم فإنّ نصره ينزل من العرش .

[قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربّي أمداً] أي ما أدري ، «أقريب» خبر مقدّم لقوله : « ما توعدون » أو يكون ما توعدون فاعلاً لقريب سادّ مسدّ الخبر لوقوعه بعد همزة الاستفهام و ما موصولة و العائد محذوف أي ما أدري أقريب الّذي توعدونه أم غاية تطول مدّتها و الأمد و إن كان يطلق على القريب إلّا أنّ المقابلة تخصّصه بالبعيد والفرق بين الزمان والأمد أنّ الأمد يقال باعتبار الغاية و الزمان عامّ في المبدء والغاية و حاصل المعنى أنّ الموعود كائن لا محالة و أمّا وقته فما أدري لأنّ الله لم يبيّنه لما رأى في إخفاء وقته من المصلحة .

فإن قيل : أليس قال ﷺ : بعثت أنا و الساعة كهاتين ؟ فكان عالماً بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا : لا أدري أقريب أم بعيد ؟

فالجواب أنّ المراد بقرب وقوعه هو أنّ ما بقي من الدنيا أقلّ ممّا انقضى فهذا القدر من القرب كان معلوماً عنده ﷺ و أمّا قربه بمعنى كونه يتوقّع ساعته و يعرف زمانه فغير معلوم عنده و عند غيره ، على أنّ كلّ آت قريب .

[عالم الغيب] وحده أي هو عالم لجميع ما غاب عن الخلق و اللام للاستغراق [فلا يظهر على غيبه أحداً] أي لا يطلع على الغيب أحداً من عباده .

ثمّ استثنى فقال : [إلّا من ارتضى من رسول] يعني الرسل فإنّه يستدلّ على

نبوّتهم بأن يخبروا بالغيب لتكون آية معجزة لهم فمن اختار للرسالة فإنّه يطّلعه على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحة و هو قوله :

[فإنّه يسلك من بين يديه و من خلفه رصداً] أي يدخل و يثبت قدّام الرسول المختار المرتضى و من جوانب الرسول عند إظهاره له على الغيب حرساً من الملائكة يحرسونه من بعض الشياطين و لمّا أظهره عليه من الغيوب المتعلّقة برسالته يعني إنّ جبرئيل كان إذا نزل بالرسالة نزل معه ملائكة يحفظونه من أن يسمع الجنّ الوحي فيلقونه إلى كهنتهم فتخبر به الكهنة قبل الرسول فيختلط على الناس أمر الرسالة هذا كما جرّ بعادة الملوك بأن يضمّوا إلى الرسول جماعة من خواصّهم تشريفاً له كما روي أن سورة الأنعام نزلت و معها سبعون ألف ملك ، والراصدون هم الراقبون من الملائكة لهذا الأمر .

و قيل : معنى الآية أنّ الله يجعل لرسوله المختار للرسالة رصداً و طريقاً إلى علم ماكان قبله من الأنبياء و السلف و علم ما يكون بعده .

[ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربّهم] ليعلم الرسول أنّ الملائكة قد أبلغوا قال سعيد بن جبير : ما نزل جبرئيل بشيء من الوحي إلّا و معه أربعة من الملائكة حفظة فيعلم الرسول قد أبلغ الرسالة على الوحي الّذي قدأُمر به . و قيل : ليعلم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الرسل قبله قد أبلغوا جميع رسالات ربّهم كما أبلغ أو كانوا محروسين محفوظين بحفظ الله. وقيل : ليعلم الله أن قد أبلغوا لا أنّه سبحانه ما كان يعلم قبل وقوعه قبل الإبلاغ بل المعنى ليظهر المعلوم على ماكان سبحانه عالماً به ويعلمه واقعاً كما كان يعلم أنّه سيقع و قيل : المعنى ليبلغوا فجعل بدل ذلك ليعلم إبلاغهم توسّعاً .

[و أحاط بمالديهم] أي أحاط سبحانه علماً بمالدى الأنبياء و الخلائق و هم لا يحيطون إلّا بما يطّلعهم الله عليه ممّا هو عندالله .

[و أحصى كلّ شيء عدداً] أي عرف عدد ما خلق لم يفته علم شيء حتّى مثاقيل الذرّ و الخردل و لا شيء يعلمه عالم أو يذكره ذاكر إلّا و هو تعالى عالم و إن حمل الإحصاء على العلم تناول جميع المعلومات و إن حمل على العدّ تناول الموجودات .

و الآيه صريحةعلى أنّ علمه بالأشياء ليس على وجه كلّي إجمالي بل على جزئي تفصيلي
و أيضاً يستدل من الآية على أنّ المعدوم ليس بشيء لأنّه لوكان شيئاً لكانت
الأشياء غير متناهية و كونه أحصى عددها يقتضي كونها متناهية
لأنّ الإحصاء إنّما يكون في المتناهي فيلزم الجمع
بين كونها متناهية و غير متناهية و ذلك
محال تمّت السورة بعون الله

سورة المزمل

مكيّة و قيل : مدنيّة و قيل : بعضها مكّي و بعضها مدني. قال رسول الله : و من قرء سورة المزمّل دفع عنه العسر في الدنيا و الآخرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل (١) قم الليل الاقليلا (٢) نصفه اوانقص منه قليلا (٣) أو زد عليه و رتل القرآن ترتيلا (٤) انا سنلقي عليك قولا ثقيلا (٥) ان ناشئة الليل هي أشد وطئاً و اقوم قيلا (٦) ان لك في النهار سبحاً طويلا (٧) و اذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا (٨) رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا (٩) و اصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلا (١٠) .

[ياأيّها المزّمّل] و المتلفّف بثيابه والمتغطّي بها، اُدغمت التاء في الزاي لقرب المخرج و لأنّه أبدى إلى المسموع من التاء فقيل : المزمّل بتشديدين ،كان صلى الله عليه وآله وسلم نائماً بالليل في قطيفة فاُمر أن يترك التزمّل إلى التشمّر للعبادة ويختار التهجّد على الهجود قال ابن عبّاس : أوّل ما جاءه جبرئيل خافه فظنّه صلى الله عليه وآله وسلم مسّاً من الجنّ فرجع من جبل حراء إلى بيت خديجه مرتعداً و قال : زمّلوني فبينماهو كذلك إذ جاء جبرئيل و قال : [يا أيّها المزّمّل] و عن عكرمة أنّ المعنى يا أيّها الّذي زمّل أمراً عظيماً و حمله و الزمل الحمل و ازدمله احتمله .

قال السهيليّ : ليس المزّمّل من أسمائه و إنّما المزّمّل مشتقّ من حالته الّتي كان عليها وقت الخطاب و كذا المدّثّر وفي هذا الخطاب الملاطفة فإنّ العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب سمّوه باسم مشتقّ من حالته الّتي هو عليها كقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ حين وقعت معاتبة بينه و بين فاطمة فأتاه صلى الله عليه وآله وسلم و عليّ نائم قد لصق بجبينه التراب

فقال له : قم يا أبا تراب ، ملاطفة له و كذلك قوله لحذيفة : قم يا نومان و كان حذيفة نائماً و إنّما خوطب صلى الله عليه وآله بهذا الخطاب في بدو الوحي و لم يكن قد بلغ شيئاً ثمّ خوطب بعد ذلك بالنبيّ و الرسول .

[قم الليل] أي لا تزمّل و ترقدودع هذه الحال لما هو أفضل منها و قم إلى الصلاة في الليل وحذف «في» واُوصل الفعل إلى الظرف فنصب لأنّ عمل الجرّ لا يكون في الفعل و النصب أقرب إليه من الرفع و من ذلك قال بعضهم : هو مفعول نظراً إلى الظاهر في الاستعمال [إلّا قليلاً] استثناء من الليل .

[نصفه] بدل من الليل بدل البعض من الكلّ أي قم نصفه و التعبير عن المخرج بالقليل لإظهار كمال الاعتناء بشأن النصف المقارن للقيام و الإيذان بفضله و كون القيام فيه بمنزلة القيام في أكثره في كثرة الثواب بمعنى أنّه يجوز أن يوصف النصف المستثنى بكونه قليلاً بالنسبة إلى النصف المشغول بالعبادة مع أنّهما متساويان في المقدار حيث إنّ النصف الفارغ لا يساويه بحسب الفضيلة و الشرف فالاعتبار بالكيفيّة لا بالكمّيّة .

[أو انقص منه] أي انقص القيام من النصف إلى الثلث [قليلاً] أي نصفاً قليلاً أو مقداراً قليلاً [أوزد عليه] أي على النصف إلى الثلثين بمعنى أن قُم وصلّ ثُلثي الليل الليل و نم ثلثه قال الصادق عليه السلام القليل النصف . أو انقص من القليل قليلاً أوزد على القليل قليلاً وقيل : معنى الآية قُم نصف الليل إلّا قليلاً من الليالي وهي ليالي العذر كالمرض وغلبة النوم وعلّة العين ونحوها أو انقص من النصف قليلاً أوزد عليه و بالجملة خيّر الله سبحانه نبيّه في هذه الساعات للقيام بالليل و جعله موكولاً إلى رأيه .

و كان النبيّ صلى الله عليه وآله و طائفة من المؤمنين معه يقومون على هذه المقادير وشقّ ذلك عليهم و كان الرجل منهم لا يدري كم صلّى و كم بقي من اليل فكان يقوم الليل كلّه مخافة أن لا يحفظ قدر الواجب حتّى خفّف عنهم بآخر هذه السورة .

و عن سعيد بن هشام قال : قلت لعائشة : أنبئيني عن قيام رسول الله فقالت : ألست تقرء يا أيّها المزّمّل ؟ قلت : بلى قالت : فإنّ الله أفرض قيام الليل في أوّل هذه السورة فقام النبيّ و أصحابه حولاً و أمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتّى أنزل

الله في آخر هذه السورة التخفيف بقوله تعالى : «فاقرءوا ما تيسّر من القرآن» فصار قيام الليل تطوّعاً بعد أن كان فريضة .

و قيل : كان بين أوّل السورة و آخرها الّذي نزل فيه التخفيف عشر سنين ، و القائل سعيد بن جبير ، و قيل : هذا كان بمكّة قبل فرض الصلوات الخمس ثمّ نسخ بالخمس وقيل: هذا التخيير في القيام بين نصف الليل أو أقلّ منه أو أزيد منه في الآية على حسب طول الليل وقصره فالنصف إذا استوى الليل و النهار و النقص منه إذا قصر الليل والزيادة إذا طال الليل .

[و رتّل القرآن ترتيلاً] أي بيّنه بياناً و اقرءه على هنيئتك و لا تنثره نثر الرمل و اقرءه بالتثبت و النظم و التوالي والتؤدة و توفّ حقّها في أداء الحروف و لا تغيّر لفظاً و لا تقدّم مؤخّراً و هو مأخوذ من ترتّل الأسنان إذا استوت و أحسن انتظامها يقال : ثغر رتل إذا كانت أسنانه مستوية لا تفاوت فيها .

و بالجملة رتّله ترتيلاً بليغاً في قراءتك في القيام و غيره بحيث يتمكّن السامع من عدّها و لذا نهى ابن مسعود عن التعجيل و قال : لا يكن همّ أحدكم آخر السورة و لذا قيل : شرّ القراءة الهذرمة أي السرعة و كان ﷺ يجوّد القرآن ، و تجويده تحسين ألفاظه بإخراج الحروف من مخارجها و إعطاء حقوقه من صفاته كالجهر و الهمس و اللين ونحوها بغير تكلّف من التمطيط و التجاوز عن الحدّ وكان ينبغي للقاري أن يحذر عن الإدماج والتخليط بحيث يلفّ بعض الكلمات في بعض آخر لزيادة السرعة كالبياض إن قلّ صار سمرة و إن كثر صار برصاً و ما فوق الجعودة فهو القطط .

قال النبيّ ﷺ : من قرء القرآن أقلّ من ثلاث لم يفهمه و عن النبيّ ﷺ أنّه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرّة و كان له كلّ مرّة فهم و في كلّ كلمة علم و قد كان بعض الأصحاب يقول : كلّ آية لا أفهمها ولا يكون قلبي فيها لم أعدّ لها ثواباً و إذا قرء سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية .

قال بعض العلماء : لكلّ آية ستّون ألف فهم و مابقي من فهمها أكثر و المقصود

من إنزال القرآن فهم الحقائق و العمل بالفحاوي شرّع الا نصات لقراءة القرآن وجوباً عند بعض و ندباً عند بعض أو وجوباً في القراءة في الصلاة و ندباً في غيرها على الاختلاف بين العامّة و الخاصّة و للقاري أجر و للمستمع أجران .

قال صاحب روح البيان ختم القرآن في ركعة واحدة أربعة : تميم الداريّ وعثمان ابن عفّان و سعيد بن جبير و أبو حنيفة و كان همس بن المنهال يختم في الشهر تسعين ختمة و ما لم يفهم رجع فقرء مرّة اُخرى . و في القاموس : و أبو الحسن عليّ بن عبد الله ابن ساوان ختم في النهار أربع ختمات إلّا ثمناً مع إفهام التلاوة .

و في الخبر طيّبوا طرق القرآن من أفواهكم باستعمال السواك ، والصلاة بعد السواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفاً .

و فيما روى أبو عبيد القاسم بن سلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن قال السيّد المرتضى في الغرر والدرر : معناه أراد أن يستغني بالقرآن تقول العرب تغنّيت تغنّياً و تغانيت تغانياً قال ابن مسعود : من قرأ سورة آل عمران فهو غنيّ أي مستغن قال الأعشى :

و كنت امرءاً زمناً بالعراق　*　عفيف المناخ طويل التغنّ

و في حديث : نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها في آخر الليل . و في حديث آخر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي لحامل القرآن أن يظنّ أنّ أحداً اُعطي أفضل ممّا ممّا اُعطي لانّه لوملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل ممّا ملكه ولو كان معنى ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن الترجيع و حسن الصوت لعظمت المحنة على أكثر الناس بذلك .

و ذكر الأنباريّ وجهاً آخر في الخبر و هو أنّ المراد من لم يتلذّذ بالقرآن و لم يستحله ولم يستعذب تلاوته كاستحلاء أصحاب الطرب للغناء والتذاذهم به وسمّي ذلك تغنّياً توسّعاً نظير قولهم : العمائم تيجان العرب و الجبى حيطان العرب و الشمس حمّامات العرب انتهى .

[إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً] أي سنرمي إليك قولاً ثقيلاً و هو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقّة ثقيلة بالنسبة إلى عدم التكليف و الثقل حقيقة في الأجسام ثمّ

يقال : للمعاني باعتبار اللازم منه أو ثقيلاً حين إلقائه عليه كما سئل رسول الله كيف تأتيك الوحي ؟ قال : يأتيني مثل صلصلة الجرس أحياناً وهو أشدّ عليّ فيفصم و يقلع عنّي و قد وعيت ما قال و أحياناً تمثيل إلى الملك رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول : قالت عائشة : و لقد رأيته صلى الله عليه وآله وسلم ينزّل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه و إنّ جبينه ليترشّح عرقاً .

و قوله « إنّا سنلقي ، الآية » اعتراض بين الأمر وهو « قم الليل » و تعليله و هو [إنّ ناشئة الليل] لتسهيل ما كلّفه من القيام و عن أبي جعفر و أبي عبد الله قالا : « الناشئة » هي القيام في آخر الليل إلى صلاة الليل و قيل : معناه ساعات الليل لأنّها تنشأ ساعةً بعد ساعة أي إنّ ساعات الليل الناشئة و قيل : الناشئة بالجنسيّة قيام الليل .

[هي أشدّ وطأً] أي كلفةً و ثقلاً مصدر وطىء الشيء أي داسه برجله لأنّ العبادة في تلك الساعات أثقل على الإنسان من العبادة في النهار و المقصود بيان أفضليّة العبادة في ذلك الوقت و قد جعل الله الليل لباساً يستر الناس و يمنعهم عن الاضطراب والحركة و أقدامهم للعبادة أثبت بخلاف النهار فإنّهم فيه مباشرون اُمور معاشهم .

[وأقوم قيلاً] اسم من القول بمعناه فقُلب الواو ياء أي أزيد في الاستقامة في المقال و الطبع أفرغ فيه و قيل : الناشئة أن تكون بعد النوم فلولم يتقدّمها نوم لم تكن ناشئة .

[إنّ لك في النهار سبحاً طويلاً] أي تقلّباً و تصرّفاً في مهمّاتك كتردّد السابح في الماء و مشتغلاً بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرّغ كاملاً في العبادة و قيل : المعنى إن فاتك من الليل شيء من العبادة فلك فراغ في النهار فتداركه فيه حتّى لا ينقص شيء من حظّك من العبادة لربّك .

وفي بعض كلمات المحقّقين : من فاته نافلة من النوافل أو ورد من الأوراد استحبّ له فعل مثله متى ذكره لا على وجه القضاء في الأوراد ولكن على سبيل التدارك و رياضة النفس كيلا تعتاد الرخص و أمّا في النوافل لا بأس على وجه القضاء بتداركها .

[و اذكر اسم ربّك] و دم على ذكره تعالى ليلاً و نهاراً على أيّ وجه كان من

تسبيح و تهليل وتحميد و صلاة و قراءة قرآن و دراية علم خصوصاً بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس فإنّهما من ساعات الفتح و الفيض قلباً لساناً أركاناً قياماً و قعوداً لأنّ العبد بسبب دوامه و اشتغاله بهذا الفيض الأعظم و هذه المناسبة يغلب قدسه على دنسه إن كان من أهل الدنس وتصير مناسباً لعالم القدس و إن كان أهل السعادة فحينئذ يترقّى مقامه من مرتبة إلى مرتبة وهلّم جرّا و يفيض عليه من العلوم ما شاء الله .

[و تبتّل إليه تبتيلا] أي انقطع إلى ربّك انقطاعاً بالعبادة و التوجّه الكلّيّ و إخلاص النيّة و جرّد نفسك عن اُمور الصادّة عن مراقبة الله و اقطع العلائق عمّا سواه و ليس هذا منافيا لقوله : لارُهبانيّة ولاتبتّل في الاسلام فإنّ التبتّل هنا هو الانقطاع عن النكاح و منه قيل لمريم : البتول ، أي المنقطعة عن الرجال و أمّا إطلاق البتول على فاطمة عليها السلام فلكونها شبيهة بمريم في أنّها سيّدة نساء بني إسرائيل في الانقطاع عمّاسوى الله لاعن النكاح .

و قيل : تبتيلاً مكان تبتّلاً لأنّ معنى التبتّل بتّل نفسه ، فجيء على معناه مراعاة لحقّ الفواصل أو من قبيل قوله : « و الله أنبتكم من الأرض نباتاً » تقديره أنبتكم منها إنباتاً فنبتم نباتاً و كذا هنا التقدير تبتّل إليه تبتّلاً بتبتّلك عمّاسواه تبتيلاً .

فإن قيل : إنّ التبتّل و الانقطاع الكلّي يناقي معه قوله : « إنّ لك في النهار سبحاً طويلاً » .

فالجواب أنّ عمل الظاهر لايقع الكامل عن ذكره و مراقبته فمن مستنفل و من ذاكر و ذلك بحسب اختلاف الأحوال والأشخاص و قد يكون مشاغله الظاهرة في حكم العبادة و الانقطاع .

[ربّ المشرق و المغرب] أي هو ربّهما وخالقهما يريد بهجنس المشارق والمغارب في الشتاء و الصيف [لا إله إلّا هو] استيناف لبيان ربوبيّته بنفي الاُلوهيّة عمّا سواه [فاتّخذه] لمصالح دينك و دنياك ، والفاء لترتيب الأمر وموجبة على اختصاص الربوبيّة [و كيلاً] مفوّضاً إليه موكولاً له لإصلاحها واسترح أنت .

و اعلم يا أخي أنّ من جعل الله و كيلاً لزمه أيضاً أن يكون و كيلاً لله على نفسه

في استحقاق حقوقه و فرائضه و كلّ ما يلزمه فيخاصم نفسه في ذلك ليلاً و نهاراً لايقصر لحظة و لا يقصر طرفة قال الزورقي : خاصيّة الاسم نفي الحوائج و المصائب فمن خاف ريحاً أو صاعقة أو نحوهما فليكثر منه فإنّه يصرف عنه السوء و يفتح له أبواب الرزق .

[و اصبر على ما يقولون] يعني قريشاً من الخرافات و الهذيانات في حقّ اللهمن الشريك والصاحبة والولد و في حقّك من الساحر والشاعر و الكاهن و المجنون و في حقّ القرآن من أنّه أساطير الأوّلين و نحو ذلك .

[و اهجرهم هجراً جيلاً] تأكيد للأمر بالصبر أي و اتركهم تركاً حسناً بأن تجانبهم بقلبك و هواك و الهجر و الهجران مفارقة الإنسان غيره وذلك يكون بالبدن أو باللسان أو بالقلب وقوله : «واهجرهم» يحتمل للثلاثة .

ذرني و المكذبين اولى النعمة و مهلهم قليلا (١١) ان لدنيا انكالا و جحيماً (١٢) و طعاماً ذاغصة و عذاباً اليماً (١٣) .

[ذرني و المكذّبين] أي دعني و إيّاهم و كل أمرهم إليّ و لا تشتغل قلبك بمجازاتهم . والآية للتهديد كما يقول القائل : دعني و إيّاه . و « ذر » أمرمن وذر لكن لم يجعلوا له ماضي مثل دع لم يجعلوا و دع لأنّ الابتداء بالواو يستكرهونه و لذلك أبدلوا في بعض الموارد الواو بالهمزة أو التاء مثل أُقّتت وتراث وتخمه ، والمكذّبين مفعول معه و يجوز على العطف أي دعني على أمري ودع المكذّبين .

[أُولي النعمة] صفة للمكذّبين أي أرباب التنعّم و الترفّه قريشاً لاسيّما بني المغيرة . والنعمة بفتح النون التنعّم وبكسرها الإنعام وما أُنعم به عليك وبالضمّ السرور و التنعّم استعمال ما فيه النعومة و اللين من المأكول و الملبوس و معلوم أنّ متعلّق الذمّ ليس نفس النعمة والرزق بل المتنعّم كماقال ﷺ لمعاذحين بعثه إلى اليمن واليآ : إيّاك و التنعّم فإنّ عباد الله ليسوا بالمتنعّمين ، وفيه تسلية للفقراء فإنّهم يدخلون الجنّة قبل الأغنياء بخمسمائة عام .

[و مهّلهم قليلاً] والمهل التؤدة والسكون أي مهّلهم زماناً قليلاً و أجلاً يسيراً و لاتعجل فإنّ الله سيعذّبهم في الآخرة إذ عمر الدنيا قليل و كلّ آت قريب .

[إنّ لدينا] في الآخرة [أنكالا] أي قيوداً ثقالاً يقيّد بها أرجل المجرمين إهانة لهم و تعذيباً لاخوفاً من فرارهم جمع نكل بالكسر و هو القيد الثقيل بيان الاقتدار على الانتقام منهم و مضادّة على تنعّمهم الباطل في الدنيا بكفران النعمة [وجحيماً] و هي كلّ نار عظيمة في مهواة شديدة الحرّ والاتّقاد .

[و طعاماً ذاغصّة] هو ما ينشب في الخلق و يعلّق من عظم و غيره فلا ينساغ لا هو نازلٌ و لا هو خارج كالضريع و الزقوم وهما في الدنيا من النباتات و الأشجار سمّان قاتلان للحيوان الّذي يأكلهمامستكرهان فما ظنّك بضريع جهنّم وزقّومها ؟

[و عذاباً أليماً] و نوعاً آخر من العذاب مؤلماً لا يقادر قدره كما يدلّ عليه التنكير . في التفسير : إنّه لمّا نزلت هذه الآية خرّ النبيّ ﷺ مغشياً عليه .

قيل : إنّ حسن البصريّ أمسى صائماً فأُتي بطعام فعرضت له هذه الآية فقال : ارفعه و وضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال : ارفعه و كذلك الثالثة فأُخبر ثابت البنانيّ و يزيد الضبيّ و يحيى البكّاء فجاءوا فلم يزالوا حتّى شرب شربة من سويق .

يوم ترجف الارض و الجبال و كانت الجبال كثيباً مهيلا (١٤) انا ارسلنا اليكم رسولاشاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا (١٥) فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا (١٦) فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا (١٧) السماء منفطر به كان وعده مفعولا (١٨) ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا (١٩) .

[يوم ترجف] ظرف للاستقرار من الأنكال و الجحيم و الرجفة الزلزلة و الزعرة الشديدة أي تضطرب بهيبة الله ليكون علامة القيامة و أمارة لجريان حكم الله في مؤاخذة العاصي وأفرد الجبال بالذكر لعظمتها و غلظ أجسامها وهي أوتاد فإذا تزلزلت الأوتاد لم يبق للأرض قرار وأيضاً زلزلة العلويّات أظهر من زلزلة السفليّات ومن زلزلتها تبلغ القلوب الحناجر خوفاً من الوقوع .

[و كانت الجبال كثيباً مهيلاً] من شدّة الرجفة مع صلابتها مثل رمل هيل هيلاً و أُسيل و نثر بحيث لو حرّك من أسفله انهال من أعلاه و مهيل اسم مفعول من هال و أصله مهيول كمبيع و الحاصل أنّ الأرض و الجبال يدقّ بعضها ببعض فتصير الجبال

كالمجموعة من الرمل المهيل ثمّ ينسفها الريح فيصير هباءً منبثاً و تبقى الأرض مكانها ثمّ تبدل .

[إنّا أرسلنا إليكم رسولاً] أيّها الناس ، يعني محمّداً [شاهداً عليكم] في الآخرة يشهد بما يكون منكم وقع في الدنيا [كما أرسلنا إلى فرعون] بمصر [رسولاً] يعني موسى بن عمران [فعصى فرعون الرسول] و تخصيص فرعون لأنّه الرئيس و الباقي تبع فعصى فرعون المعلوم حاله تنعماً و كبراً الرسول الّذي أرسلناه إليه فعصيتم أنتم رسولكم كما كذّب فرعون و قومه موسى [فأخذناه] بسبب عصيانه [أخذاً] ثقيلاً [و بيلاً] لا يطاق و أذهبناهم من طريق الماء إلى النار و الوبيل الثقيل الغليظ و منه الوابل للمطر العظيم .

[فكيف تتّقون] إن كفرتم كأنّه قيل : هبوا أنّكم لا تؤخذون في الدنيا أخذة فرعون فكيف تتّقون أنفسكم ، اتّقى بمعنى وقى المتعدّي إلى مفعولين [إن كفرتم] أي بقيتم على الكفر [يوماً] أي عذاب يوم مفعول به لتتّقون [يجعل الولدان شيباً] من شدّة هوله والولدان جمع وليد يقال : ويستعمل في من يقرب عهده بالولادة و إن كان يستعمل فيمن بعد عهده منها تجوّزاً « شيباً » و شيوخ جمع أشيب و هو بياض الشعر .

قال الزمخشريّ : رأيت في بعض الكتب أنّ رجلاً أمسى فاحم الشعر كحلك الغراب و أصبح هو أبيض الرأس و اللحية كالثغامة بياضاً و هو نبت أبيض قال : رأيت القيامة والجنّة والنار ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار فمن ذلك أصبحت كما ترون .

و قال أحمد الدورقيّ : مات رجل من جيراننا شاباً فرأيته و قد شاب فقلت : و ما قصّتك قال : دُفن رجل في مقبرتنا فزفرت جهنّم زفرة شاب منها كلّ من في المقبرة كما في فصل الخطاب .

فإن قلت : إيصال الضرر و الألم إلى الصبيان غير جائز لكونهم غير مكلّفين .

أجابوا أنّه إذا كان في القيامة من هيبة المقام ما يجثو به الأنبياء على الركب فما ظنّك بغيرهم ؟ النهاية أنّ هذا المكروه لهم لعلّ لوجوب الاستحقاق للنعيم الدائم لهم لأنّهم ليس لهم عمل أو أنّه محمول على التمثيل ، وسرعة الشيب موجبها الهموم والأحزان

لأنّ الهمّ إذا تفاقم على المرء ضعفت قواه لأنّه يوجب انعصار الروح إلى داخل القلب و ذلك الانعصار يوجب انطفاؤها الحرارة الغريزيّة وضعفها وانطفائها يوجب بقاء الأجزاء الغذائيّة غير تامّة النضج و ذلك يوجب بياض الشعر لعدم استعداد بصلة الشعر كاملاً من منبته فيسرع الشيب و قيل : يجوز ذلك أن يكون وضعاً لليوم بالطول يعني على الكناية بأنّه في طوله بحيث يبلغ الأطفال فيه أوان الشيخوخيّة و الشيب لا أنّه تقدير حقيقيّ من هو لا ينقضي بعد بل يمتدّ إلى حيث يكون مقداره خمسين ألف سنة .

[السماء منفطر به] السماء مبتدء خبره منفطر به أي منشق بسبب ذلك اليوم فذكر سبحانه من هول ذلك اليوم هذا الانفطار فإذا انفطرت السماوات و انشقّت على عظمتها بسبب ذلك الهول فما ظنّك بغيرها من الخلائق ؟ فالباء للسببيّة أي بسبب الهول والشدّة و يجوز أن يكون الباء بمعنى في أي في ذلك اليوم ، قال المكّيّ في قوت القلوب : حرف العوامل يقوم بعضها مقام بعض و استشهد بهذه الآية و قيل : الباء للاستعانة مثل فطرت العود بالقدوم فالمعنى السماء منفطر باستعانة شدّة ذلك اليوم و هذا المعنى الآخر ركيك جدّاً لأنّ اتّخاذ الآلة و الاستعانة لا يليق بجنابه تعالى .

[كان وعده مفعولاً] الضمير راجع إلى الله تعالى و إن لم يجر له ذكر ، للعلم به و المصدر مضاف إلى فاعله أي كان وعده كائناً متحقّقاً أو الضمير راجع لليوم و المصدر مضاف إلى مفعوله و الفاعل مقدّر وهو الله ، قال في الصحاح : الوعد يستعمل في الخير و الشرّ فإذا أسقطوا الخير و الشرّ قالوا في الخير : الوعد و العدة و في الشرّ : الإيعاد و الوعيد .

[إنّ هذا] إشارة إلى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة [تذكرة] موعظة لمن يطلب الخير لنفسه و كيف لا و القرآن موعظة للمتّقين طريق للمساكين و نجاة للهالكين و بيان للمستبصرين و شفاء للمتحيّرين و أمان للخائفين و أنس للعابدين و نور للعارفين و هدىً لمن أراد الطريق إلى ربّ العالمين .

[فمن شاء] من المكلّفين [اتّخذ إلى ربّه سبيلاً] بالتقرّب إليه بالإيمان والقبول .

ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل و نصفه و ثلثه و طائفة

من الذين معك و الله يقدر الليل و النهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون يبتغون من فضل الله و آخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه و اقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و اقرضوا الله قرضا حسنا و ما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا و اعظم اجرا و استغفروا الله ان الله غفور رحيم (٢٠) .

ثمّ خاطب نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال : [إنّ ربّك يعلم] يا محمّد إنّك تقوم أقلّ من ثلثي الليل و أقلّ من نصفه وأقلّ من ثلثه و الهاء تعود إلى الليل أي نصف الليل و ثلث الليل فحاصل المعنى يكون إنّك تقوم في بعض الليالي قريباً من الثلثين و في بعضها قريباً من نصف اللّيل و في بعضها قريباً من ثلث اللّيل و قيل : إنّ الهاء تعود إلى الثلثين أي أقرب من نصف الثلثين و من ثلث الثلثين ولكن إذا قرئت نصفه و ثلثه بالنصب فالمعنى تقوم نصفه وثلثه و إطلاق الأدنى على الأقلّ مجاز مرسل من قبيل إطلاق الملزوم على اللازم لأنّ المسافة بين الشيئين إذا دنت قلّ ما بينهما من الأحياز و الحدود و إذا بعدت كثر ذلك .

روي أنّه تعالى افترض قيام اللّيل في أوّل هذه السورة فقام النبيّ و أصحابه حولاً مع مشقّة عظيمة من حيث إنّه يعسر عليهم تمييز القدر الواجب حتّى قام أكثر الصحابة اللّيل كلّه خوفاً من الخطاء في أصابة المقدار المفروض و صاروا بحيث انتفخت أقدامهم واصفرّت ألوانهم و أمسك الله خاتمة السورة من قوله : « إنّ ربّك الخ » اثنى عشر شهراً في السماء حتّى أنزل الله في آخر السورة التخفيف فنسخ تقدير القيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فريضة أصل التهجّد حسبما تيسّر ثمّ نسخ نفس الوجوب أيضاً بالصلوات الخمس .

[و طائفة من الّذين معك] مرفوع معطوف على الضمير في « تقوم » أي و يقوم معك طائفة من أصحابك و تبايعك و هم عليّ و أبوذرّ كما قال ابن عبّاس : [و الله يقدّر اللّيل و النهار] يعلم مقادير اللّيل و النهار فيعلم القدر الّذي يقومونه من اللّيل و العالم بمقادير ساعات اللّيل و النهار و مكوّرهما على الحقيقة هو الله و أنتم تعلمون ذلك

بالتحرّي و الاجتهاد الّذي يقع فيه الخطاء أحياناً .

[علم أن لن تحصوه] ولا تطيقوا المداومة و معرفة الساعات و يقع منكم التقصير فيه لا يحصل لكم العلم الحقيقي بتقدير اللّيل و أوقاته [فتاب عليكم] و خفّف بأن جعله تطوّعاً بعد و رفع التبعة عن الحكم الوجوبيّ كرفع التبعة عن التائب ولم يلزمكم إثماً كالتائب لا يلزمه إثم بعد التوبة فاستعمل لفظ المشبّه به في ثمّ اشتقّ منه فقال : « فتاب » أي فرخّص وسهّل لكم ترك القيام بنفي الوجوب و العزيمة و جعل الحكم رخصة و ندباً .

[فاقرءوا ما تيسّر من القرآن] أي فصّلوا ما تيسّر لكم من صلاة اللّيل غير مقدّرة بكونها هذا المقدار أو نحوه و لو قدر حلب شاة وقيل : معنى الآية فاقرءوا في صلاة اللّيل ما تيسّر من القرآن و عبّر عن الصلاة بالقرآن لأنّها تتضمّنه و من قال : إنّ المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة فهو محمول على الاستحباب عند الأكثرين دون الوجوب و لكن فسّر أبو مسلم بالقيام لقراءة القرآن لا غير و الّذين حملوا المعنى على قراءة القرآن استحباباً .

اختلفوا في القدر الّذي تضمّنه هذا الأمر من القراءة فقال سعيد بن جبير : خمسون آية و قال ابن عبّاس : مائة آية قال الحسن : و من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجّه القرآن و قال كعب : من قرأ مائة آية كان من القانتين و قيل : مائتا آية و القائل السدّي وقال جويبر : ثلث القرآن لأنّ مقدار الثلث متيسّر .

و الظاهر أنّ المراد من معنى ما تيسّر مقدار ما أردتم و حصل لكم اليسر في قراءته قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : إنّ الله ليبغض كلّ جعظريّ أي الفظّ الغليظ جوّاظ أي الضخم المختال سخّاب بالأسواق أي شديد الصوت جيفة باللّيل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة وبالجملة فللعاجز لمرض أو ضعف أو عذر آخر يقرء بالآيتين من سورة البقرة في ليلة والمراد « آمن الرسول الخ » و الأعجز منه قراءة سورة الإخلاص ثلاث مرّات يقوم مقامه ختمه .

[علم أن سيكون منكم مرضى] استيناف داع إلى الترخيص و التخفيف

[و آخرون] أي و منكم قوم آخرون [يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله] يسافرون فيها للتجارة ابتغاء الرزق و طلب الأرباح و تحصيل العلم طلب رزق الأرواح كما أنّ طلب الربح في الأموال طلب رزق الأجسام و في حديث أبي ذرّ أنّه قال : حضور مجلس العلم يعني علم آداب الشريعة أفضل من صلاة ألف ركعة و أفضل من شهود ألف جنازة و من عيادة ألف مريض .

[و آخرون يقاتلون] الأعداء [في سبيل الله] عطف على مرضى كالجهاد و في الآية إشعار بأنّ المكتسب للمال الحلال للنفقة على نفسه و عياله و للإنفاق في سبيل الله للفقراء و ذوي الحاجات بمنزلة الجهاد له من الثواب كما يفصح من هذا المعنى ما رواه عبد الله بن مسعود قال : إنّما رجل جلب شيئاً من مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء .

[فاقرءوا ما تيسّر منه] أي إذا كان الأمر كما ذكر وتعاضدت المعاذيرفاقرءوا ما تيسّر من القرآن من غيرتحمّل المشاقّ .

[و أقيموا الصلاة] المفروضة [و آتوا الزكاة] الواجبة و قيل : المراد من هذه الزكاة هي زكاة الفطرة إذ لم يكن بمكّة زكاة غيرها و إنّما وجبت الزكاة المفروضة بعدها و من فسّرها بالزكاة المفروضة جعل الآية مدنيّة [و أقرضوا الله قرضاً حسناً] و القرض القطع و سمّي ما يدفع إلى الإنسان من المال بشرط ردّ بدله قرضاً لأنّه مقطوع من ماله أُريد من معنى القرض في الآية الإنفاقات في سبيل الله و في الآية حثّ على التطوّع دون المفروض كما قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : إنّ في المال حقّاً سوى الزكاة على أحسن وجه و معنى أحسن الوجه إخراجها من أطيب المال لأنّ الله تعالى طيّب ولا يقبل إلّا الطيّب ولا بدّ أن ينفق المنفق للفقراء بحسن النيّة و صفاء الخاطر إلى أحوج الصلحاء و شروط أُخر و قوله : « قرضاً حسناً » يشعر بهذه الشروط و تسمية الإنفاق لوجه الله اقتراضاً استعارة تشبيهاً له بالإقراض من حيث إنّ ما أنفقه يعود عليه مع زيادة .

[و ما تقدّموا لأنفسكم من خير] ما شرطيّة [تجدوه] جواب الشرط أي أيّ خير كان ما ذكر وما لم يذكرتقدّموا لغدكم من الأُمور الخيريّة المشروعة تجدوا ثوابه

[عند الله هو خيرٍ و أعظم أجراً] من الّذي تؤخّرونه إلى الوصيّة عند الموت لأنّ أجر ما قدّمت تعطى بغيرحساب ، في الحديث : اعلموا أنّ كلّ امرىء على ما قدّم قادم و على ما خلّف نادم قال الشاعر :

قدّم لنفسك قبل موتك صالحاً ✻ و اعمل فليس إلى الخلود سبيل

[و استغفروا الله] أي سلوا الله المغفرةلذنوبكم في جميع أوقاتكم و كافّةأحوالكم . و استحبّ الاستغفار على الأسماء من القرآن مثل أن يقول : أستغفر الله إنّه كان توّاباً أستغفر الله إنّه غفور رحيم أستغفرالله إنّه كان غفّاراً [إنّ الله غفور] للذنوب [رحيم] يبدّل السيّئات حسنات للمؤمنين .

و في بعض المجامع أنّ من كتب هذا الاستغفار و جرّعه لمن صعب عليه
الموت انطلق لسانه وسهل عليه الموت وهو قوله : «اللّهم أنت ربّي
لا إله إلّا أنت خلقتني و أنا عبدك وأنا على عهدك و وعدك ما
استطعت أعوذ بك من شرّ ما صنعت أبوء لك بنعمتك
عليّ و أبوءبذنبي فاغفرلي إنّهلا يغفر الذنوب
إلّا أنت » تمّت السورة بحمد الله

سورة المدثر

☼ (مكية) ☼

قال أبوجعفر عليه السلام : من قرأ في الفريضة سورة المدّثّر كان حقّاً على الله أن يجعله مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولايدركه شقاء في الحياة الدنيا .

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر (١) قم فانذر (٢) وربك فكبر(٣) و ثيابك فطهر (٤) و الرجز فاهجر(٥) ولاتمنن تستكثر (٦) ولربك فاصبر (٧) فاذانقر في الناقور (٨) فذلك يومئذيوم عسير(٩) على الكافرين غير يسير (١٠) .

المدّثر بتشديدين أصله المتدثّر و هولابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الّذي يلي الجسد و منه قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : الأنصار شعار والناس دثار .

روي عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال : كنت على جبل حراء فنوديت يا محمّد إنّك رسول الله فنظرت عن يميني و عن يساري و لم أرشيئاً فنظرت فوقي فإذاً بهقاعداً على عرش بين السماء و الأرض يعني الملك الّذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت : دثّروني دثّروني و صبّوا عليّ ماءً بارداً فنزل جبرئيل و قال :

[يا أيّها المدّثر] و إنّما تدثّر بناء على اقشعرار جلده و ارتعاد فرائصه رُعباً من الملك النازل من حيث إنّه رأى ما لم يره قبل [قم] من مضجعك [فأنذر]الناس جميعاً منعذاب الدنيا إن لم يؤمنوا ، وأفرد الإنذار بالذّكر مع أنّه اُرسل بشيراً لأنّ التخلية قبل التحلية و كان الناس عاصين مستحقّين للتخويف فكان أوّل الأمر هو الإنذار .

[و ربّك فكبّر] و خصّص ربّك بالتكبير اعتقاداًو عملاً و عظّمه عمّا يقول فيه عبدة الأوثان و سائر الظالمين و يروى أنّه لمّا نزل قال رسول الله : الله أكبر فكبّرت خديجة و أيقنت أنّه الوحي لأنّ الشيطان لايأمر بالتكبير و الفاء لمعنى الشرط كأنّه قيل : أيّ شيء حدث فلا تدع تكبيره ووصفه تعالى بالكبرياء ، فأمره أوّلاً أن ينزّه ربّه عمّا لايليق به من الشرك .

[و ثيابك فطهّر] أي طهّر لباسك ممّا ليس بطاهر للصلاة بحفظها و صيانتهاعن النجاسات و غسّلها بالماء الطاهر بعد تلطّخها فإنّه قبيح بالمؤمن الطيّب أن يحمل

خبيثاً أو بتقصيرها أيضاً فإنّ طولها يؤدّي إلى جرّ الذيول على القاذورات فيكون التطهير كناية عن التقصير لأنّه من لوازم التطهير وحدّ التقصير أن يكون إلى أنصاف الساقين أو إلى الكعب فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم جعل غاية طول الإزار إلى الكعب وتوعّد على ما تحته بالنار .

قال عليّ عليه السلام : قصّر ثوبك فإنّه أتقى و أنقى و أبقى ، وأمر به من رفض العادات المذمومة فإنّ المشركين ماكانوا يصونون ثيابهم عن النجاسات للكبر و عدم الاستنجاس و الدين بني على الطهارة و لايدخل الجنّة إلّا طاهر نظيف والله يحبّ الناسك النظيف . و من المعلوم أنّه كما يجب تطهير الجسم عن النجاسة يجب تطهير النفس عن الشرك و المعاصي وتنزيهها عن المعائب ، ومنه الحديث: يحشر المرء في ثوبيه اللّذين مات فيهما أي عمليه الخبيث والطيّب .

[و الرجز فاهجر] أي اهجر الأصنام و الأوثان عن ابن عبّاس و الزهريّ و مقاتل و قتادة من قبيل إيّاك أعني وقيل : المعنى اجتنب المعاصي قال الكسائيّ : الرجز بالكسر العذاب وبالضمّ الصنم و المراد اهجر مايؤدّي إلى العذاب أو جانب الفعل القبيح و الخلق الذميم .

[و لا تمنن تستكثر] أي و لا تعط مستكثراً أي يكون ما تعطيه بنظرك كثيراً أو المعنى طالباً للكثير و هو أن يهب شيئاً هو يطمع أن يتعوّض من الموهوب له أكثر ممّا أعطاه و هذه النهي إمّا للتحريم وهو خاصّ بالرسول لعلوّ منصبه في الأخلاق الحسنة و لشرفه أو النهي للتنزيه ، و لأمّته و قيل : و لاتمنن حسناتك على الله مستكثراً لها فينقّصك ذلك عند الله و قيل : هو نهي عن الرباء المحرّم و قيل : لا تمنن بإبلاغ الرسالة على أمّتك عن الجبّائيّ .

[و لربّك فاصبر] أي ولوجه ربّك فاصبر على أذى المشركين و على ما حمّلت من الأمور الشاقّة .

[فإذا نقر في الناقور] بمعنى ما ينقر فيه و هو القرن الّذي ينفخ فيه إسرافيل مرّة للإصعاق و أخرى للإحياء فاعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الّذي هو سبب الصوت و المراد هنا النفخ إذ هو نوع ضرب للهواء الخارج من الحلقوم

أي فإذا نفخ في الصور و الفاء للسببيّة كأنّه قيل : اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أذاهم و تلقى عاقبة صبرك عليه .

[فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين] أي عسر الأمر على الكافرين من جهة العذاب و سوء الحساب و ذلك إشارة إلى وقت النقر و هو مبتدء و يومئذ بدل منه مبنيّ على الفتح لإضافته إلى غير متمكّن و هو إذ و التقدير إذ نقر فيه و الخبر يوم عسير فيوم النقر يوم عسير على الكافرين [غير يسير] خبر بعد خبر و تأكيد يفسّر ذلك اليوم و المراد به يوم النفخة الثانية إذ هي الّتي يختصّ عسرها بالكافرين جميعاً وفي الحديث : كيف أنتم و صاحب القرن قد التقم قرنه ينظر متى يؤمر أن ينفخ فيه ؟ فقيل له : ﷺ كيف نصنع ؟ قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

[ذرني و من خلقت وحيداً] أي ذرني و حدي معه فإنّي أكفيكه في الانتقام منه حال من الياء أو حال من التاء في خلقت أي خلقته وحدي أو حال من العائد المحذوف أي و من خلقته وحيداً فريداً لامال له ولا ولد نزلت في الوليد بن المغيرة المخزوميّ وكان يلقّب في قومه بالوحيد زعماً منهم أنّه لا نظير له في وجاهته و لا في ماله وكان يفتخر بنفسه ويقول : أنا الوحيد ابن الوحيد ليس لي في العرب نظير و لا لأبي المغيرة نظير أيضاً فسمّاه الله بالوحيد تحكّماً به كقوله : «ذق إنّك أنت العزيز الكريم» و كان الوليد زنيماً وملحقاً بالقوم و ليس منهم .

[و جعلت له مالاً ممدودا] أي مبسوطاً كثيراً و هو ما كان له بين مكّة و طائف من صنوف الأموال و من النقد كان له ألف ألف دينار [و بنين شهودا] و أعطيته ولداً حضوراً معه بمكّة يتمتّع بمشاهدتهم لايفارقونه لتجارة و عمل لأنّ لهم من به الكفاية لوفور نعمهم و خدمهم و كانوا معه حاضرين في الأندية لوجاهتهم و اعتبارهم وكان للوليد عشرة بنين أسلم منهم ثلاثة خالد و هشام و عمارة و لكن إسلام عمارة غير موجّه بل قتل كافراً يوم بدر أو في الحبشة و لكن قالوا : أسلم خالد بن الوليد الّذي يقال له «سيف الله» و الوليد بن الوليد و هشام بن الوليد .

[و مهّدت له تمهيداً] أي و بسطت له الجاه و الرياسة فأتممت عليه النعمة في

الدنيا و لذا كان يلقّب بريحانة قريش [ثمّ يطمع] و يرجو [أن أزيد] على ما آتيته من المال و الولد و ثمّ استبعاد و استنكار مطمعه و حرصه .

[كلاّ] ردع له عن طمعه و قطع لرجائه [إنّه كان لآياتنا عنيدا] و العناد و المجانبة و المعارضة بالخلاف و العنيد بمعنى المعاند كالجليس بمعنى المجالس لأنّ إنكار الآيات القرآنيّة مع وضوحها هو المعاندة و إنّما أُوتي ما أُوتي من المال استدراجاً قيل : ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتّى هلك وهو فقير .

[سأُرهقه صعوداً] رهقه الأمر غشيه بقهر و الصعود العقبة الشاقّة و يستعار لكلّ مشاقّ و صعود فعول بمعنى فاعل يستوي فيه المذكّر و المؤنّث فيكون من قبيل تسمية المحلّ باسم الحالّ أو باعتبار معنى الطريق و حاصل المعنى سأُكلّفه كرهاً ارتقاء عقبة شاقّة المصعد و تغشاه حالة تصعد فيها نفسه النزع ولم يتعقّبه موت أو الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثمّ يهوي كذا أبداً و المراد من الخريف العام لأنّ الخريف آخر السنه فيه تتمّ الثمار و تدرك فصار لهذه المناسبة كأنّه العام كلّه .

[إنّه فكّر و قدّر] تعليل للوعيد أي فكّر و عمل فكره في حقّ القرآن ما يصنع به من التكذيب و الطعن فيه و قدّر في نفسه ما يقوله و هيّأه .

[فقتل كيف قدّر] تعجيب من تقديره أي هذا الّذي هيّأه و ذكره من أنّ القرآن سحر في غاية الركاكة .

و بيان ذلك أنّ الوليد مرّ بالنبيّ ﷺ و هو يقرء حم السجدة أو حم المؤمن فقال لبني مخزوم : والله لقد سمعت من محمّد كلاماً ما هو من كلام الإنس و لا من كلام الجنّ إنّ له لحلاوة و إنّ عليه لطلاوة أي حسناً و قبولاً و إنّ أعلاه لمثمر و إنّ أسفله لمغدق أي ريّان ، شبّه القرآن بالشجرة الغضّة الطريّة الّتي استحلم أصلها بكثرة الماء و أثمرت فروعها في السماء وأثبت له أعلى وأسفل و لأعلاه الثمار و لأسفله الأغداق على طريق الاستعارة التخييليّة ثمّ قال الوليد : و إنّه يعلو ولا يعلى، فقالت قريش: صبأ والله الوليد و لتصبأنّ قريش كلّهم بمتابعته لكونه رئيس القوم ، فقال ابن أخيه أبوجهل : أنا أكفيكموه فقعد عنده حزيناً و كلّم وليداً ما أغضبه وقال له : توقّر محمّداً وتعظّم كلامه

لأن تأ كل من فضل طعامه و تنتفع منه إن كان هذا مقصودك فليجتمع قريش ويجمعون لك من المال ما يغنيك فغضب الوليد من كلامه و قال : ألم تعلم قريش أنّي من أكثرهم مالاً و ولداً و أصحاب محمّد لم يشبعوا ؟ ثمّ قام الوليد و قام أبو جهل و ورداعلى قريش في مجتمعهم فقال الوليد : اعلموا أنّ أمر محمّد قد انتشر في العرب و الموسم قريب فإن اجتمعت العرب لمناسكهم و سألتكم عن حال محمّدفما ذاتقولون؟ تزعمون أنّه مجنون فهل رأيتموه يختنق ؟ لأنّ العرب كانت تعتقد أنّ الشيطان يختنق المجنون ويتخبّطه ، أو تقولون إنّه كاهن فهل رأيتموه يتكهّن؟ أو تزعمون أنّه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قطّ ؟ أوتزعمون أنّه كذّاب فهل جرّبتم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا في كلّ ذلك: اللّهم لا. ثمّ قالوا : فماهو و ما تقول في حقّه ؟ ففكّر فقال : ما هو إلّا ساحر أمارأيتموه يفرّ ق بين المرء و أهله وولده و مواليه و ما الّذي يقوله إلّا سحر يأثر عن مسيلمةوعن أهل بابل فارتج الناس فرحاً و تفرّقوا معجبين بقوله .

[ثمّ قتل كيف قدّر] تكرير للتعجّب للمبالغة في التشنيع و ثمّ للدلالة على أنّ الفكرة الثانية في التعجيب أبلغ من الأولى .

[ثمّ نظر] في القرآن وتأمّل فيه [ثمّ عبس] و قلب وجهه و قطب لمّالم يجد فيه مطعناً و كره كالمهتمّ المتفكّر [و بسر] أي قبض بين عينية من السوء و اسودّ وجهه منه و إمّا إتباع لعبس و حاصل المعنى قاتله الله كيف قدّر في آياتنا ما قدّر مع وضوح الحجّة !

[ثمّ أدبر] عن الحقّ و لم يقرّبه و استكبر عن اتّباعه [فقال] بعد تولّيه عن الحقّ : [إن هذا إلّا سحر يؤثر] أي ما هذا القرآن الّذي يقرؤه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلّا سحر مأثور و منقول ينقله يقال : آثرت الحديث إذا حدّثت به عن قوم ينقله خلف عن سلف .

[إن هذا إلّا قول البشر] إن نافية تأكيد لما قبله و لذا أخلى عن العاطف قاله اللعين تمرّداً حسبما شرّح في صدر الجملة من شرح حاله و أراد يسار أو جبر أو أبا فكيهة أمّا الأوّلان فكانا عبدين من بلاد فارس و كانا بمكّة و كان النبيّ يجلس معهما و أمّا أبو فكيهة فكان غلاماً روميّاً يتردّد إلى مكّة من طرف مسيلمة الكذّاب من اليمامة فلو كان

سحراً كما قال أو كلام البشر فهلاّ أتوا بمثله ؟

[سأُصليه سقر] أي أدخله جهنّم ، و سقر اسم من أسماء النار أو طبقة من جهنّم طبقته السادسة يقال : سقرته الشمس إذا آذته وآلمته ، و سميّت سقر لإيلامها . قوله : « سأُصليه سقر » بدل من « سأُرهقه صعودا » بدل الاشتمال .

[و ما أدراك ما سقر] «ما» الأولى مبتدء و أدراك خبره و ما الثانية خبر لقوله : « سقر » لأنّها المفيدة لما قصد من التهويل و المعنى أيّ شيء أعلمك ماسقر؟ يعني خارج عن دائرة إدراك العقول شدّتها .

[لا تبقي و لا تذر] أي لا تبقي شيئاً تلقى فيها إلّا أهلكته بالإحراق و إذ اهلك لم تذره هالكاً حتّى يعاد خلقاً جديداً و تهلكه إهلاكاثانياً كما قال : « نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها » و لا تبقي ولاتذر لأنّها خلقت من غضب الجبّار .

[لوّاحة للبشر] لاحت النار الشيء إذاأحرقته وسوّدته أي مغيّرة للجلود حتّى أشدّ سواداًمن الليل . فإن قيل : وصف الجلود بتسويد البشر مع قوله : « لاتبقي و لا تذر » كيف يطابق ؟ فالجواب إنّ لمراتب العذاب درجات وليس في الآية دلالة على أنّها تفنى بالكلّيّة ولودلّ على الفناء فيكون بعد التسويد و قيل : المعنى في « لوّاحة للبشر » أي لائحة للناس و هي للبشر من مسيرة خمسمائة عام فهو في المعنى كقوله : « وبرّزت الجحيم » فيصل إلى الكافر سمومها و حرورها كما يصل إلى المؤمن ريح الجنّة ونسيمها من مسيرة خمسمائة عام .

[عليها تسعة عشر] أي على جهنّم و سقر تسعة عشر ملكاً يتولّون أمرها وهم مالك و ثمانية عشر معه أعينهم كالبرق الخاطف و أنيابهم كالصياصي و أشعارهم تمسّ أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يأخذ أحدهم سبعين ألفاً في كفّه و يرميهم حيث أراد من جهنّم و هذه التسعة عشر عدد الرؤساء و النقباء و أمّا جملة أشخاصهم فكما قال : « و ما يعلم جنود ربّك إلّا هو » .

[و ما جعلنا أصحاب النار] أي المدبّرين لأمرها القائمين بتعذيب أهلها و تقدير

الآية . و ماجعلنا خزنة أصحاب النار فحذف المضاف [إلّا ملائكة] جعلنا شهوتهم في تعذيب أهل النار و ليخالفوا جنس المعذّبين من الثقلين و الملائكة أقوم بحقّ الله و الغضب له تعالى وأشدّهم بأساً قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : لقوّة أحدهم مثل قوّة الثقلين يسوق أحدهم الاُمّة و على رقبته جبل فيرمي بهم في النار و يرمي الجبل عليهم ، ويسع كفّ أحدهم مثل ربيعة و مضر .

و يروى أنّه لمّا نزل قوله تعالى : « عليها تسعة عشر » قال أبو جهل : أيعجز كلّ عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم ؟ فقال أبوالأسود الجمحيّ - وكان شديد البطش و القوّة حتّى كان من قوّته أنّه إذا قام على أديم و اجتمع جماعة على إزالة رجليه عنه لم يقدروا عليه فكانوا يشدّون و يجرّون الأديم حتّى ينقطع قطعاً ورجلاه على حالهما- : أنا أكفيكم سبعة عشر عنهم فاكفوني أنتم اثنين فنزلت الآية أي و ما جعلنا هم رجالاً من جنسكم يطاقون فمن ذا الّذي يغلب الملائكة و الواحد منهم له من القوّة ما يقلّب جملة من الأرض فيجعل عاليها سافلها و الواحد منهم يأخذ أرواح جميع الخلق .

[و ما جعلنا عدّتهم إلّا فتنة للّذين كفروا] أي وماجعلناهم على هذه العدد إلّا محنته وتشديداً في التكليف للكفّار و الجاحدين بوحدانيّته حتّى يتفكّروا فيعلموا أنّه القادر الحكيم لأنّهم إذا رجعوا عقولهم لعلموا أنّ من سلّط ملكاً واحداً على كافّة بني آدم لقبض أرواحهم فلا يغلبونه قادر على سوق بعضهم إلى النارفهم ما تدبّروا بعقولهم هذا الأمر بل استبعدوا لتولّي هذا العدد القليل أمر الجمّ الغفير و تحقّق افتتانهم باستقلالهم للعدد .

[ليستيقن الّذين اُوتوا الكتاب] من اليهود و النصارى أنّه حقّ و أنّ محمّداً صادق و ليكتبوا اليقين بنبوّته صلّى الله عليه وآله وسلّم وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقاً لما في كتبهم حيث أخبر صلّى الله عليه وآله وسلّم بما هو في كتبهم من غير قراءة لها [و يزداد الّذين آمنوا إيماناً] بما رأوا من تسليم أهل الكتاب و تصديقهم أنّه في كتبنا كذلك [و لا يرتاب الّذين اُوتوا الكتاب و المؤمنون] تأكيد لما قبله من الاستيقان و ازدياد الإيمان أي و لئلا يشكّ أهل الكتاب لأنّ العدد المذكور في كتابهم فليستيقن من لم يؤمن

بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم و من آمن بصحّة نبوّته إذا تدبّر .

[و ليقول الّذين في قلوبهم مرض و الكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً] اللاّم لام العاقبة أي عاقبة أمر الّذين في قلوبهم من الأمراض الباطنة من قبيل الشكّ و النفاق و الكافرون الجازمون في التكذيب: أيّ شيء أراد بهذا العدد المخصوص و ممثّلاً به؟ وقيل : المعنى: ولأن يقولوا: ماذا أراد الله بهذا الوصف والعدد فتدبّروه فيؤدّي بهم التدبّر في ذلك إلى الإيمان .

[كذلك يضلّ الله من يشاء] ذلك إشارة إلى ما قبله من المذكور من جعل خزنة النار ملائكة ذوي عدد معيّنة محنة و اختباراً ليظهر الضلال و الهدى و أضافهما إلى نفسه لأنّ سبب التكليف و هو من جهته تعالى فالاختبار من جانبه تعالى و الاختيار من جانبهم و ليس المعنى أنّه تعالى أضلّهم و إنّما وقع الضلال بعنادهم و إنكارهم الحقّ و ذلك بصرف اختيارهم السوء كأبي جهل و أصحابه لكنّ الله لمّا علم بعلمه الأزليّ أنّه سيمتحن و يكفر بآياته كتبه في الأشقياء و ذلك بإحاطة علمه المعلومات أي هو عالم بأنّ هذا الأمر سيقع وقيل : معنى يضلّ الله عن طريق الجنّة و الثواب من يشاء و يهدي من يشاء إليه كهداية أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فكما أنّه تعالى ما أجبر أصحاب أبي جهل على الضلالة كذلك ما أجبر أصحاب محمّد على الهداية .

[و ما يعلم جنود ربّك] أي جموع خلقه الّتي من جملتها الملائكة و لم يجعل خزنة النار تسعة عشر لقلّة جنوده بل بهم الكفاية و الحكمة اقتضت هذا العدد و هذا الكلام جواب أبي جهل حيث قال : مالمحمّد أعوان إلاّ تسعة عشر أو المعنى وما يعلم عدّة الملائكة الّذين خلقهم الله لتعذيب أهل النار إلاّ الله لكن هؤلاء التسعة عشر رؤساؤهم و لهم من الأعوان و الجنود [إلاّ هو] .

ثمّ رجع إلى ذكر سقر فقال : [و ما هي إلاّ ذكرى للبشر] أي السقر و ذكر صفتها ما هي إلاّ موعظة و تذكرة و إنذار للبشر بسوء عاقبة الكفر وتخصيص الإنس مع أنّها تذكرة للجنّ أيضاً لأنّهم هم الأصل في القصد بالتذكرة .

و قيل : الضمير راجع إلي نار الدنيا إلاّ تذكرة للبشر من نار الآخرة حتّى

يتفكّروا فيها و يحذروا نار الآخرة أو المراد ما هذه التسعة عشر إلّا عبرة للخلق فليستدلّوا بذلك على كمال قدرة الله .

في الكافي عن الكاظم عليه السلام يعني ولاية عليّ ذكرى للبشر كما في قوله تعالى : « إنّها لإحدى الكبر » قال : المراد الولاية و كذلك في قوله : « لمن شاء منكم أن يتقدّم أو يتأخّر » يعني من تقدّم إلى ولايتنا أخّر عن سقر و من تأخّر عن ولايتنا تقدّم إلى سقر ، و الاستثناء في قوله « إلّا أصحاب اليمين » قال عليه السلام : اليمين أمير المؤمنين فأصحاب اليمين شيعته ، و قد حرّفوا فلا تصغ إلى كلّ ناعق .

كلا و القمر (٣٢) والليل اذا أدبر (٣٣) و الصبح اذا أسفر (٣٤) انها لاحدى الكبر (٣٥) نذيراً للبشر (٣٦) لمن شاء منكم ان يتقدم أو يتأخر (٣٧) كل نفس بما كسبت رهينة (٣٨) الاصحاب اليمين (٣٩) في جنات يتساءلون (٤٠) من المجرمين (٤١) ما سلككم في سقر (٤٢) قالوا لم نك من المصلين (٤٣) و لم نك نطعم المسكين (٤٤) و كنا نخوض مع الخائضين (٤٥) و كنا نكذب بيوم الدين (٤٦) حتى اتانا اليقين (٤٧) فما تنفعهم شفاعة الشافعين فمالهم عن التذكرة معرضين (٤٩) كانهم حمر مستنفرة (٥٠) فرت من قسورة (٥١) بل يريد كل امرىء منهم ان يؤتى صحفا منشرة (٥٢) كلا بل لايخافون الاخرة (٥٣) كلا انه تذكرة (٥٤) فمن شاء ذكره (٥٥) ومايذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة (٥٦)

ثمّ أقسم سبحانه على عظيم ماذكر من الوعيد فقال :

[كلّا] ردع لمن أنكر سقر أي ارتدع عن إنكارها أيّها المنكر فإنّها حقّ [و القمر] مقسم به مجرور بواو القسم تنبيه على عجائب القمر في حركاتها المختلفة على نظام واحد لا يختلّ و قيل : بحذف المضاف أي بخالق القمر، والقمر الهلال بعد ثالثه [و الليل] معطوف على القمر و كذا الصبح أي و بالليل و بالصبح [إذا أدبر] و إذا ظرف للماضي أي انصرف و ذهب [و الصبح إذا أسفر] إذا ظرف لما يستقبل من الزمان واستعمل إذا نظراً إلى تأخّره عن الليل من وجه أسفر أي أضاء و انكشف والصبح الفجر أو أوّل النهار و الصبح و الصباح بمعنى واحد و هو انفجار شعاع الشمس من الفلك الأسفل إذا ظهرت .

[إنّها لإحدى الكبر] جواب للقسم و « الكبر » جمع الكبرى ، و المعنى إنّ سقر لإحدى الدواهي الكبر مثل ركبة و ركب و ألف التأنيث مثل تائه أو المعنى أنّ آيات القرآن لإحدى الكبر في الوعيد .

[نذيراً للبشر] أي منذراً مخوّفاً و نصب نذيراً إمّا على التمييز أو على الحال و النذير مصدر كالنكير و على التمييز فالمعنى لإحدى الكبر إنذاراً وعلى الحال أي إنّها لإحدى الكبر منذرة و حذف التاء مع أنّ فعيلاً بمعنى فاعل يفرق بين المذكّر و المونّث لكون ضمير إنّها أو النذير بمعنى ذات إنذار على معنى النسب كقولهم امرأة لابن وتامر و طاهر أي ذات طاهر طهارة [لمن شاء منكم أن يتقدّم أو يتأخّر] بدل من للبشر أي نذيراً لمن شاء منكم أن يسبق إلى الجنّة و الطاعة فبهداية الله أو لم يشأ ذلك و يتأخّر بالمعصية فيضلّه عن طريق الجنّة و في الآية بيان أنّ لكسب العبد دخلاً في حصول المرحوميّة .

[كلّ نفس] من نفوس الجنّ والإنس المكلّفين [بما كسبت رهينة] مرهونة عندالله بكسبها محبوسة ثابتة و أرهنته أي تركته مقيماً و ثابتاً عنده ، ونفس المكلّف محبوسة عندالله بما أوجبه عليه من التكاليف الّتي هي حقّ خالص له تعالى فإن أدّاها المكلّف كما وجبت عليه فكّ رقبته و خلّص نفسه و إلّا بقيت محبوسة .

و قال بعضهم : الرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم و الياء للنقل من الوصفيّة إلى الاسميّة أو التاء للمبالغة و ليس أي الرهينة صفة و إلّا لقيل رهين لأنّ فعيلاً بمعنى مفعول لا يدخله التاء بل يستوي فيه المذكّر و المؤنّث إلّا أن يحمل على الفاعل فإنّه يؤتى في مؤنّثه بالتاء كما قال الراغب : إنّه بمعنى الفاعل أي ثابتةومقيمة .

[إلّا أصحاب اليمين] استثناء متّصل من النفوس ، وأصحاب اليمين أهل الأعمال الصالحة من المؤمنين فإنّهم فاكّون رقابهم بحسن أعمالهم [في جنّات] أي كائنون في جنّات و التنكير لبيان أنّ الجنّات لايوصف وصفها .

[يتساءلون عن المجرمين] يسأل بعضهم بعضاً و قيل : المعنى فمن يتساءلون

عن المجرمين عن حالهم و عن ذنوبهم الّتي استحقّوا بها النار [ما سلككم في سقر] أي أيّ شيء أدخلكم فيها من قوله : سلكت الخيط في الإبرة وذلك السؤال توبيخالهم.

[قالوا] أي المجرمين مجيبين للسائلين: [لم نك من المصلّين] للصلاة الواجبة بعدم إقرارنا بفرضيّة الصلاة وعدم أدائها سلكنا فيها [ولم نك نطعم المسكين] على معنى استمرار نفي الإطعام لا على نفي استمرار الإطعام ، والمراد الإطعام الواجب مثل الزكاة و كانوايقولون(١): « أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » و في الآية دلالة على أنّ الكفّار مخاطبون بالفروع [و كنّا نخوض مع الخائضين] أي كنّا نشرع في الباطل مع الشارعين فيه و المراد ذمّ النبيّ وأصحابه بقولهم بأنّه : شاعر أو ساحر و الخوض الشروع في القبيح و الباطل و مالا ينبغي [و كنّا نكذّب بيوم الدين] و الجزاء حتّى [أتانا اليقين] أي الموت و سمّي باليقين لأنّه أمر متيقّن لا شكّ في إتيانه .

[فما تنفعهم شفاعة الشافعين] أي لوفرض هذا الأمر المحال لو اجتمع الأنبياء و الملائكة على شفاعتهم لا تنفعهم تلك الشفاعة و ليس المراد أنّهم يشفعون لهم إذ الشفاعة موقوفة بالإذن وقابليّة المحلّ ، فلو وقعت من المأذون للقابل قبلت و الكافر ليس بقابل لها فلا إذن في الشفاعة له ، و لا شفاعة فلا نفع في الحقيقة .

و في الآية دلالة على صحّة الشفاعة و نفعها للعصاة من المؤمنين و إلّا لما كان لتخصيصهم بعدم منفعة الشفاعة وجه قال ابن مسعود : تشفع الملائكة و النبيّون و الشهداء و الصالحون و جميع المؤمنين فلا يبقى في النار إلّا أربعة ثمّ تلا قوله : « لم نك من المصلّين إلى قوله بيوم الدين » و قال ابن عبّاس : إنّ محمّداً يشفع ثلاث مرّات ثمّ تشفع الملائكة ثمّ الأنبياء ثمّ الآباء ثمّ الأبناء ثمّ يقول الله : بقيت رحمتي و لا يدع في النار إلّا من حرمت عليه الجنّة و يقول الرجل من أهل النار لواحد من أهل الجنّة : يافلان أما تعرفني أنا الّذي سقيتك شربة و يقول آخر ، أنا الّذي وهبت لك وضوءً ويقول آخر: أطعمتك لقمة ، و آخر : كسوتك خرقة وعلى هذا فيشفع له فيدخله الجنّة إمّا قبل دخول النار أو بعده .

---

(١) سورة يس : ٤٧.

[فمالهم عن التذكرة معرضين] أي أيّ شيء تسبّب لهم ولمَ أعرضوا و تولّوا ولم يؤمنوا بالقرآن ؟ والتذكرة التذكير بمواعظ القرآن ولمَ نفروا عنه ؟ [كأنّهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة] حال من ضمير معرضين وحمر جمع حمار و هو معروف و يكون وحشيّاً و هنا هو المراد كأنّهم حمرٌ وحشيّة هاربة من الأسد لأنّها إذا عاينت الأسد هربت منه كذلك هؤلاء الكفّار إذا سمعوا النبيّ يقرء القرآن هربوا منه و قيل : القسورة الرماة و رجال القنص أو حبالهم والقسورة فعولة من القسر و هو القهر و الغلبة لأنّه يغلب السباع و يقهرها . وفي الآية من تهجين حالهم حيث كانوا يهربون من استماع القرآن شبّه سبحانه حالهم بحال الحمير النافرة قيل : إنّ واحداً من العلماء كان يعظ الناس في مسجد جامع و حوله جماعة كثيرة فرأى ذلك رجل من الحمقاء و كان قد فقد حماره فنادى للواعظ وقال إنّي فقدت حماري فاسأل هذه الجماعة لعلّ واحداً منهم رآه فقال له الواعظ : اُقعد مكانك حتّى أدلّك عليه فقعد الرجل فإذاً واحد من أهل المسجد قام و أخذ في أن يذهب فقال الواعظ للرجل : خُذ هذا فإنّه حمارك فإنّه فرّ من تذكرة الملك العلّام .

[بل يريد كلّ امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشّرة] عطف على مقدّر يقتضيه المقام كأنّه لا يكتفون و لا يرضون بتلك التذكرة بل يريد كلّ واحد منهم كتباً من السماء تنزل بأسمائهم أن: يافلان آمن بمحمّد ﷺ .

و ذلك أنّ أباجهل بن هشام و عبدالله بن اُميّة و أصحابهما قالوا لرسول الله : لن نتّبعك حتّى تأتي كلّ واحدمنّا بكتب من السماء أو يصبح عند رأس كلّ رجل منّا أوراق منشورة عنوانها: من ربّ العالمين إلى فلان بن فلان، نؤمر فيها باتّباعك.

و قيل : المعنى أنّهم يريدون من الله البراءة من العقوبة و إسباغ النعمة حتّى يؤمنوا و إلّا أقاموا على كفرهم وقيل : يريد كلّ واحد منهم أن يكون رسولاً يوحى إليه خصوصاً و أنف أن يكون تابعاً .

[كلّا بل لا يخافون الآخرة] ردع عن اقتراحهم فإنّهم إنّما اقترحوه لاهدى و إرشاداً بل لأجل عدم خوفهم من عذاب الآخرة بسبب عدم عقيدتهم بها و مستهلكين في محبّة الدنيا .

[كلّا إنّه تذكرة فمن شاء ذكره] ليس الأمر كذلك إنّ القرآن مذكّر والضمير في إنّه و في ذكره راجع إلى التذكرة و التذكير لأنّها بمعنى الذكر و هو مذكّر أي تذكير للحقّ و عدل إليها للفاصلة فمن شاء أن يتّعظ به و يتذكّر منه وجعله نصب عينيه قبل الحلول في القبر فإنّه ممكن ذلك .

[و ما يذكرون إلّا أن يشاء الله] هذه المشيّة في قوله : « إلّا أن يشاء الله » غير المشيّة الأُولى إذ لو كانت واحدة لتناقض الكلام فالأُولى مشيّة اختيار و الثانية مشيّة إجبار و المعنى أنّ هؤلاء الكفّار لا يذكرون إلّا أن يجبرهم الله تعالى على ذلك وذلك مناف للتكليف [هو أهل التقوى و أهل المغفرة] أي هو تعالى حقيق أن يتّقى عقابه و محارمه و أهل أن يغفر الذنوب .

قال أنس : إنّ رسول الله ﷺ تلا هذه الآية فقال : قال الله سبحانه :

أنا أهل أن أُتّقى فلا تجعل معي إلهاً ، فمن اتّقى أن
يجعل معي إلهاً فأنا أهل أن أغفر له

تمّت السورة بعون الله

هنا نجز الجزء الحادي عشر من التفسير عن عشرين سورة ، و هي : الرحمن ،
الواقعة ، الحديد ، المجادلة ، الحشر ، الممتحنة ، الصفّ ، الجمعة ،
المنافقون ، التغابن ، الطلاق ، التحريم ، الملك ، القلم ، الحاقّة ،
المعارج ، نوح ، الجنّ ، المزّمّل ، المدّثّر
ولله الحمد و المنّة .

الجزء الثاني عشر

من كتاب التفسير

المسمّى بمقتنيات الدرر

تأليف

الحاج مير سيد على الحائرى الطهرانى

اعلى الله مقامه

المعروف بالمفسر

الناشر

الشيخ محمد الآخوندى

مدير

دار الكتب الاسلامية

بازار سلطانى - طهران

مطبعة الحيدرى بطهران

١٣٤١ ه‍ ش

كلمه الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نزل القرآن نوراً وسراجاً وقمراً منيراً . و الصلاة و السلام على رسوله الذى انزل عليه الكتاب بياناً للناس وهدى وموعظة للمتقين وعلى آله الطيبين ثانى الثقلين . ولعنة الله على اعدائهم أجمعين .

و بعد فقد بذل علماء الاسلام قديماً و حديثاً جهدهم فى تفسير علوم القرآن و تبيين لغاته و مشكلاته ، ففريق فسروا ألفاظه و بينوا حقائقه من مجازه ، وجمع جمعوا أحكامه و بينوا حلاله و حرامه ، و طائفة كشفوا عن تأويلاته قناعه ؛ و كيفما كان ما وصلوا الا الى مبلغ علمهم ومنتهى هممهم، وأنى لهم الوصول الى حقائق التنزيل و دقائق التأويل ، لان القرآن هو النور الذى أنزل الله على قلب حبيبه محمد صلى الله عليه و آله . الا أن المتمسكين بولاء أهل بيت الوحى المستضيئين بنور علمهم المامورين بالتمسك بهم فى حديث الثقلين قداغترفوا من بحار علوم أهل بيت النبى غرفاً وغاصوا فيها واقتنوا منها درراً .

و هاهى المقتنيات الدرر ، قد اقتناها علم من الاعلام ثمرة الشجرة الطيبة و النخبة من السلالة الطاهرة : « الحاج المير سيد على الحائرى » تغمده الله بغفرانه ، و اوتى كتابه هذا بيمينه . قد اقتنى من الدرر أغلاها ومن الغرر أسناها فحقيق أن يتنافس المتنافسون فى الاستفادة منها .

وقد وفق الله تلميذه المستضىء بنور علمه المقتفى أثره : الحاج ميرزا عبدالحسين المعروف بمحسنيان لبذل الجهد باحياء هذا السفر الجليل القيم .

هذا ومن الله سبحانه على عبده الزاكى صاحب الهمة القعساء وارومة الفضل : الحاج محمود الكاشانى ؛ فأنعم عليه وشرفه باعطاء نفقة طبع الكتاب خدمة للدين و اتحافاً لطيفة والده السعيد الحاج محمد حسين الكاشانى طيب الله رمسه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ونشكر جميل مساعى الشاب الفاضل الاريب السيد الكاظم الموسوى المياموى حيث بذل جل أوقاته لمقابلة اجزاء الكتاب مع نسخة الاصل و وتخريج الايات المنثورة فى ثناياه واسناد ما يهم من رواياته وبعض الاصلاح فيه . ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لاتمامه بمحمد وآله .

لجنة التحقيق و التصحيح لدار الكتب الاسلامية

سورة القيامة

(مكية)

قال اُبي" بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال : من قرأ سورة القيامة شهدت أنا وجبرئيل له يوم القيامة أنّه كان مؤمناً بيوم القيامة و جاء ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة .

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيامة (١) ولا اقسم بالنفس اللوامة (٢) ايحسب الانسان أن لن نجمع عظامه (٣) بلى قادرين على ان نسوى بنانه (٤) بل يريد الانسان ليفجر أمامه (٥) يسئل ايان يوم القيامة (٦) فاذا برق البصر (٧) وخسف القمر (٨) وجمع الشمس والقمر (٩) يقول الانسان اين المفر (١٠) كلالاوزر (١١) الى ربك يومئذ المستقر (١٢) ينبأ الانسان يومئذ بما قدم و اخر (١٣) بل الانسان على نفسه بصيرة (١٤) و لوالقى معاذيره (١٥) .

لمّا ختم الله سورة المدّثّر بذكر القيامة و أنّ الكافر لا يؤمن بها افتتح هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها . قرىء لا اُقسم وقرىء لاُقسم ، ومن قرء لا اُقسم كانت لاصلة" كالّتي في قوله [١] : « لئلاّ يعلم أهل الكتاب » وما كان لتأكيد مدخوله لا يدلّ على النفي وإن كان في الأصل للنفي قال الشاعر :

تذكّرت ليلى فاعترتني صبابة * و كاد ضمير القلب لا يتقطّع

فإن قيل : لا وما و الحروف الّتي هي زوائد ويؤتى بها للتأكيد إنّما تكون بين

---

(١) سورة الحديد : ٢٩ .

كلامين مثل قوله[١] : « ممّا خطياتهم » و[٢] «فبما رحمة من الله » و مثل قوله[٣]: « فبما نقضهم » و لا يكاد يزاد في أوّل الكلام .

فالجواب أنّ عنوان القرآن مجاري الكلام و السورة الواحدة ، والّذي يدلّ على ذلك أنّه قد يذكر الشيء في سورة و يجيء جوابه في سورة اُخرى مثل قوله تعالى[٤]: « يا أيّها الّذي نزّل عليه الذكر إنّك لمجنون » جاء جوابه في سورة اُخرى [٥] « ما أنت بنعمة ربّك بمجنون » .

فعلى كون «لا» للتأكيد فالمعنى اُقسم [بيوم القيامة] و على كونها بمعنى النفي ردّ على المنكرين بالبعث أي ليس الأمر على ما يزعمون ثمّ ابتدء بالقسم فقال : «اُقسم بيوم القيامة » فيكون تقدير الكلام : لا والله إنّ البعث حقّ . و أمّا ما قيل : من أنّ معنى الآية نفي الإقسام اوضوح الأمر كما عن بعض المفسّرين فيأباه تعيين المقسم به .

[و لا اُقسم بالنفس اللوّامة] و القول في لا اُقسم مثل الأوّل و المراد بالنفس اللّوامةهي النفس الواقعة بين الأمّارة والمطمئنّة ولها وجهان : وجه يلي النفس الأمّارة تلومها على فعل المعاصي وترك المبالغة والإقدام على المخالفة و وجه يلي النفس المطمئنّة فاذا نظرت إلى المطمئنّة تنوّرت بنورانيّتها و انصبغت بصبغتها تلوم أيضاً نفسها على التقصيرات الواقعة منها و المحذورات الكائنة عليها فهي لاتزال لائمة قائمة على سوق لومها إلى أن تحقّق بمقام الاطمينان و لذلك استحقّت أن أقسم الله بها على قيام البعث و الحشر .

و بالجملة فجواب القسم محذوف لدلالة قوله : [أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه] على الجواب لأنّ مفاد هذه الآية بلى ليبعثنّ ، والمراد من الإنسان الجنس و

---

(١) سورة نوح : ٢٥ .
(٢) « آل عمران : ١٥٩ .
(٣) « النساء : ١٥٤ .
(٤) « الحجر : ٦ .
(٥) « القلم : ٢٢ .

الاسناد إلى الكلّ بحسب البعض كثير ، والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه ، وأن مخفّفة وضمير الشأن اسمهامحذوف ، أي أيحسب الانسان الّذي ينكر البعث أنّ الشأن والقصّة لن نجمع عظامه البالية ؛ فإنّ ذلك حسبان باطل فإنّا نجمعها بعد تشتّتها و بعد ما نسفتها الريح وطيّرتها في أقطار الأرض و ألقتها في البحار .

[بلى قادرين على أن نسوّي بنانه] إيجاب لما ذكر بعد النفي و هو الجمع أي نجمعها حالكوننا قادرين أن نجمع سلامياته و نضمّ بعضها إلى بعض كما كانت مع صغرها و لطافتها فكيف بكبار العظام . جمع سلامى كحُبارى وهي العظام الصغار في اليد و الرجل و في الحديث« كلّ سلامى من الناس عليه صدقة كلّ يوم تطلع فيه الشمس» أي على صاحبه صدقة من أيّ أنواع الصدقة من قول أو فعل أومال . والبنان مفرد اللفظ مجموع المعنى وفي تأويل العظام إشارة إلى كبار الأعمال من الحسنة و السيّئة ، و في البنان إلى صغار الأعمال من الحسنة والسيّئة فإنّ الله يجمع كلاً منهما بالحساب ويجازي عليها .

[بل يريد الإنسان ليفجر أمامه] و اللام في «ليفجر» للتأكيد مثل قوله[1] : «وأنصح لكم» في أنصحكم . فأضرب سبحانه عن توبيخهم في إنكار البعث ووبّخهم بفجورهم أي يريد الإنسان ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات و يستديم عليه و يريد الحياة لا لما ينفعه بل ليتعاطى الفجور .

[يسأل أيّان يوم القيامة] أصل أيّان « أيّ آن» وهو خبر مقدّم لقوله : « يوم القيامة » أي متى يكون؟ قيل : هذا السؤال استهزاء فالمراد بالفجور حينئذ هو التكذيب و قيل : معناه إنّه يقول : أعمل و أتوب ، يستعجل بالمعصية و يسوّف التوبة ويقول غد بعد غد .

[فإذا برق البصر] أي شخص و تحيّر فزعاً عند معاينة الموت فلا يطرف من شدّة الخوف ، وقيل : لما يرى من أهوال القيامة ، من برق الرجل[2] إذا نظر إلى البرق فدهش ثمّ استعمل في كلّ حيرة و إن لم يكن هناك نظر إلى البرق .

---

(١) سورة الاعراف : ٦١ .

(٢) من باب نصر .

[وخسف القمر] و ذهب ضوؤه و فيه ردّ لمن عبدالقمر فإنّ القمر لو كان إلهاً كما زعمه العابد لدفع عن نفسه الخسوف [وجمع الشمس والقمر] في ذهاب ضوئهما أو المراد جمع بينهما في الطلوع من المغرب أوفي الإلقاء إلى النار ليكون حسرة على من يعبدهما وجاز تكرار القمر لأنّه أخبر عنه بغير الخبر الأوّل .

[يقول الإنسان] المنكر للقيامة [يومئذ] أي يوم الواقع فيه هذه الأمور قول الآيس: [أين المفرّ] أين الفرار أوأين موضع الفرار قال الزجّاج : المفرّ بفتح الفاء الفرار وبالكسر موضع الفرار .

قال الله : [كلّا لاوزر] لامهرب ، مستعار من الجبل فإنّ الوزر محرّكة الجبل المنيع . وخبر «لا» محذوف أي لا ملجأ هناك أوفي الوجود ومن بلاغات الزمخشري في عباراته : اتلُ على كلّ من وزر : كلّا لا وزر .

[إلى ربّك يومئذ المستقرّ] أي إليه تعالى استقرار العباد وإلى حكمه يعود أمرهم كقوله :(١) « إنّ إلى ربّك الرجعى ☆ وإنّ إلى ربّك المنتهى » يدخل من يشاء الجنّة ومن يستحقّ النار النار .

[ينبّأ الإنسان يومئذ] أي يخبر كلّ امرىء حال العرض و المخبر هو الله [بما قدّم وأخّر] من حسنة أو سيّئة أو بأوّل عمله وآخره أوبما قدّم من مال تصدّق به وبما أخّر فخلّفه . قال عبدالله الأنصاري: قدّمتَ الذنوب بالجرءة وعقّبت مالك للحسرة فقدّم التوبة حتّى تذهب الذنوب ولا تبقى وتصدّق بمالك فيبقى .

[بل الإنسان على نفسه بصيرة] أي إنّ جوارحه تشهد عليه بماعمل فهوشاهد على نفسه بشهادة جوارحه عليه وقيل : أقام جوارحه مقام نفسه ولذلك أنّث والمراد من الإنسان ههنا الجوارح وقيل : الإنسان بصير بنفسه وعمله والتاء للمبالغة .

[ولو ألقى معاذيره] أي ولو اعتذر بكلّ عذروجادل عن نفسه للذبّ عن نفسه بعد شهادة الجوارح لم ينفعه ذلك و قيل : المعاذير الستور والمعنى على هذا القول:

---

(١) سورة العلق ٨-٩ .

وإن أسبل[١] الانسان الستور ليخفي مايعمل فإن نفسه شاهدة عليه .

[لا تحرك به] أي بالقرآن [لسانك] مادام جبرئيل يقرء و يلقي عليك [لتعجل به] بأخذه مخافة أن ينفلت وكان ﷺ إذانزل عليه القرآن عجل بتحريك لسانه لحرصه على ضبطه .

[إن علينا جمعه] في صدرك بحيث لايخفى عليك شيء من معانيه [وقرآنه] أي إثبات قراءته في لسانك بحيث تقرءه متى شئت فالقرآن مصدر بمعنى القراءة كالغفران بمعنى المغفرة ،والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل لكن لايقال ذلك لكل جمع فلايقال : قرأت القوم إذا جمعتهم .

[فإذا قرءناه] أي أتممنا قراءته عليك بلسان جبرئيل ، وإسناد القراءة إلى نون العظمة للمبالغة في التأني [فاتبع قرآنه] أي فاشرع فيه بعد فراغ جبرئيل منه بلا مهلة ، وحاصل المعنى أنه إذا جمعناه و أثبتناه في صدرك فاعمل به .

[ثم إن علينا بيانه] أي بيان ما أشكل من معانيه وأحكامه وسمي مايشرح المبهم من الكلام بياناً ، و ليس في الآية ما يدل على جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة كما زعمه بعض وإنما يدل على تأخير البيان عن وقت الخطاب .

[كلا] أي لايتدبرون القرآن و ما فيه من البيان [بل تحبون العاجلة و تذرون الآخرة] أي أنتم تختارون الدنيا على العقبى فتعملون للدنيا لا للآخرة جهلا منكم وسوء اختيار .

ثم بين سبحانه حال الناس في الآخرة فقال : [وجوه يومئذ] يعني يوم القيامة [ناضرة] ناعمة بهجة حسنة ،والنضرة طراوة البشرة و جمالها والناضر الغض الناعم من كل شيء . ووجوه مبتدء و ناضرة خبره وصح وقوع النكرة مبتدء لأن المقام مقام تفصيل [إلى ربها ناظرة] قوله : « ناظرة » خبر ثان للمبتدء و النظر تقليب البصر وتوجيه البصيرة لادراك الشيء والله منزه عن الادراك بالبصر .

واختلف في معنى النظر على وجهين : أحدهما أن معناه نظر العين والثاني أنه

---

(٢) أسبل الستر : ارخاه .

الانتظار . واختلف من حمله على نظر العين على قولين :

أحدهما أنّ المراد إلى ثواب ربّها ناظرة أي هي ناظرة إلى نعيم الجنّة حالاً بعد حال فيزداد سرورها بذلك . والمراد من الوجوه أصحاب الوجوه روي ذلك عن جماعة من علماء المفسّرين من الصحابة والتابعين لهم وغيرهم وحذف المضاف واُقيم المضاف إليه مقام المضاف كما في قوله [1]: « وجاء ربّك » أي أمر ربّك وقوله[2]: « وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفّار » أي إلى طاعة العزيز الغفّار وقوله : [3] « إنّ الّذين يؤذون الله » أي أولياء الله .

و القول الثاني أنّ النظر بمعنى الرؤية أي الوجوه تنظر معاينة،رووا عن الكلبيّ ومقاتل وعطا وغيرهم من أهل السنّة . و هذا لايجوز لأنّ كلّ منظور إليه بالعين مشار إليه بالحدقة و اللحاظ ، والله يتعالى عن أن يشار إليه بالعين كما يجلّ عن أن يشار إليه بالأصابع و أيضاً إنّ الرؤية بالحاسّة لا تتمّ إلّا بالمقابلة والتوجّه و الله يتعالى عن ذلك لأنّ رؤية الحاسّة لاتتمّ إلّا باتّصال الشعاع بالمرئيّ و الله منزّه عن اتّصال الشعاع به . ثمّ إنّ النظر في اللغة لا يفيد الرؤية وإنّما يفيد طلب الرؤية بدلالة قولهم : نظرت إلى الهلال فلم أره ،فلو أفاد النظر الرؤية لكان هذا الكلام ساقطاً متناقضاً و لأنّا نعلم الناظر ناظراً بالضرورة ولا نعلمه رائياً بالضرورة بدلالة أنّا نسأله: هل رأيت أم لا ؟ففسد القول الأوّل بالرؤية إرادة المعاينة .

وأمّا من حمل النظر في الآية على الانتظار فإنّهم اختلفوا على أقوال :

أحدها أنّ المعنى منتظرة لثواب ربّها روي ذلك عن مجاهد والحسن وسعيد ابن جبير والضحّاك وهو المرويّ عن عليّ عليه السلام . ومن اعترض على هذا أنّ النظر بمعنى الانتظار لايتعدّى بإلى ولايقال : انتظرت إليه وإنّمايقال : انتظرته، فالجواب عنه على وجوه : منها أنّه قدجاء كثيراً في كلام العرب بمعنى الانتظار معدّى بإلى نحو قوله :

---

(1) سورة الفجر ، ٢٢ .
(2) « المؤمن ، ٤٢ .
(3) « الاحزاب ، ٥٧ .

وجوه يوم بدر ناظرات ☆ إلى الرحمن تنتظر الفلاحا

و كذلك الناظرة بمعنى المنتظرة مثل قوله تعالى : [1]« و إنّي مرسلة إليهم بهديّةفناظرة» أي فمنتظرة واستعمل النظر بمعنى الانتظار معدّى بإلى كثيراً كقول الآخر :

إنّي إليك لما وعدت لناظر ☆ نظر الفقير إلى الغنيّ الموسر

و نظائره كثيرة .

ومنها أنّ معنى إلى في الآية اسم لا حرف و هو واحد الآلاء التي هي النعم فإنّ في واحده أربع لغات إلى وإلاً وألى وألي مثل جدي وسقط التنوين بالإضافة وليس لأحد أن يقول : إنّ هذا من قول المتأخّرين وقد سبقهم الإجماع،فإنّا لانسلّم ذلك لما ذكرناه من أنّ عليّاً والحسن البصريّ ومجاهد وغيرهم قالوا : المراد بذلك: تنتظر الثواب .

و منها أنّ المعنى قطعوا آمالهم عن كلّ شيء سوى الله فكنّى سبحانه عن الطمع بالنظر كما أنّ الرعيّة تتوقّع نظر السلطان وتطمع إفضاله دون غيره .

فلو قيل : إذا كان المراد بالنظر نظر العين حقيقة و بمعنى الانتظار مجازاً فكيف يحمل عليهما؟فالجواب أنّه عند المتكلّمين في أصول الفقه يجوز أن يراد بلفظ واحد إذ لا تنافي بينهما و هو اختيار المرتضى و لم يجوّز أبوهاشم إلاّ إذا تكلّم به مرّتين مرّة يريد النظر ومرّة يريد الانتظار .

فإن قيل : المنتظر لا يكون نعيمه خالصاً فكيف يوصف أهل الجنّة بالانتظار فالجواب أنّ المنتظر لشيء لا يحتاج إليه و هو واثق بوصوله إليه لايهتمّ بذلك ولا ينغّص عيشه وسروره بالانتظاروإنّما يلحق المنتظر الهمّ إذا كان يحتاج إلى ماينتظره في الحال ويلحقه بفوته مضرّة . انتهى .

[و وجوه يومئذ] الظرف متعلّق بقوله : [باسرة] أي شديد العبوس مظلمة

---

(١) سورة النمل ، ٣٥ .

وهي وجوه الكفرة و المنافقين و البسر [1] الاستعجال بالشيء قبل أوانه وذلك بيان لحالهم قبل الانتهاء بهم إلى النار فخصّ لفظ البسر .

[تظنّ أن يفعل بها فاقرة] قيل : الظنّ هنا معناه اليقين وقيل : الظنّ بمعناه لا بمعنى اليقين لأنّه لوكان بمعنى العلم لكان «أن» بعده مخفّفة من المثقّلة ولا تقع أن المصدريّة بعد العلم، أي تظنّ بالأمارات أن تعمل بها داهية تفقر و تكسر ظهورهم فيكون حال الوجوه الراجية للأحوال السارّة على الضدّ من حال الوجوه الظانّة الفاقرة لأنّ داهيتهم تقصم فقار الظهر ومنه سمّي الفقير فإنّ الفقير كسر فقار ظهره فجعله فقيراً أي مفقوراً ، فوجوه يومئذ ناظرة للتنوّر بنور الفيض والجنّة والإيصال بعالم السرور الدائم و وجوه كالحة باسرة لجهامة [2] ظلمة ما بها من الجحيم والبعد و الأهوال وسوء الجيران .

[كلّا] ردع عن إيثار العاجلة على الآجلة أي ارتدعوا عن ذلك وتنبّهوا لما بين أيديكم من الموت الّذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة [إذا بلغت التراقي] الضمير للنفس أو الروح و إن لم يجر له ذكر لدلالة الكلام كقوله [3]: « ماترك على ظهرها من دابّة » و التراقي العظام المكتنفة بالحلق و كنّي بذلك عن الإسفاء [4] على الموت .

[وقيل مَن راق] قال مَن حضره من أهله : هل من راق يرقيه وطبيب يشافيه ويداويه؟ فلا يجدونه والتمسوا له الأطبّاء فلم يغنوا عنه من عذاب الله شيئاً . وقيل : المعنى قالت الملائكة : من يرقي بروحه، أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ عن ابن عبّاس وجماعة .

[و ظنّ أنّه الفراق] وأيقن المحتضر حين عاين ملك الموت و نزل ما به هو

---

(١) بالفتح مصدر قولك بسره من باب نصر .

(٢) جهم ـ من باب كرم ـ جهامة ، بالفتح ، صار عابس الوجه .

(٣) سورة فاطر : ٤٥ .

(٤) الاسفاء في الشيء ، الاسراع فيه .

الفراق من الدنيا و عبّر عمّا حصل له من المعرفة حينئذ بالظن لأنّ الإنسان لشدّة حبّه للحياة الدنيا مادامت روحه متعلّقة ببدنه يطمع في الحياة ولا ينقطع رجاؤه . قال الرازي : هذه الآية تدلّ على أنّ الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت البدن لأنّ الله سمّى الموت فراقاً والفراق إنّما يكون إذا كانت الروح باقية فإنّ الفراق والوصال صفة وهي تستدعي وجود الموصوف .

[والتفّت الساق بالساق] التفّت ساقه بساقه التواء إحداهما بالأخرى قال سعيد بن المسيّب: المراد بهما ساقاه حين تلفّان في أكعابه أو المراد التفّت شدّة فراق الدنيا بشدّة إقبال الآخرة على أنّ الساق مثل في الشدّة ،وجه المجاز أنّ الإنسان إذا دهمته شدّة شمّر لها عن ساقيه فقيل للأمر الشديد «ساق» من حيث إنّ ظهورها لازم لظهور ذلك الأمر وقيل : المعنى هو أن يضطرب فلا يزال يمدّ إحدى رجليه و يرسل الأخرى فيلفّ إحداهما بالأخرى وحاصل المعاني أنّه تتابعت عليه الشدائد فلا يخرج من شدّة إلّا جاءته أشدّ منها .

[إلى ربّك يومئذ المساق] أي إلى الله وإلى حكمه يساق الإنسان لا إلى غيره هنالك والمساق مصدر ميميّ بمعنى السوق والألف واللام عوض عن المضاف إليه أي سوق الإنسان .

[فلا صدّق] الإنسان ما يجب تصديقه من الرسول و القرآن أي لم يصدّق فـ(لا) هنا بمعنى لم وحسّن دخول لا على الماضي تكراره كما تقول : لاقام ولا قعد . وقيل : معنى لاصدّق لم يؤدّ زكاته وتقديم الزكاة على الصلاة مع أنّ دأب القرآن تقديم ذكر الصلاة مراعاة الفواصل [ولا صلّى] ما فرض عليه و فيه دلالة على أنّ الكفّار مخاطبون ومكلّفون بالفروع [ولكن كذّب وتولّى] كذّب القرآن والرسول وأعرض عن الطاعة .

[ثمّ ذهب إلى أهله يتمطّى] يرجع إلى أهله وبيته يختال في مشيه ويتبختر افتخاراً بذلك و المطّ هو المدّ فإنّ المتبختر يمدّ خطاه والتمدّد في المشي من لوازم

التبختر فجعل كناية عنه فيكون أصله يتمطّط اُبدلت الطاء الأخيرة ياء كراهة اجتماع الأمثال أو مأخوذ من المطا و هو الظهر فانّه يلويه و يحرّكه في تبختره فألفه حينئذ مبدلة من واو . وفي الحديث « إذا مشت اُمّتي المطيطا و خدمتهم فارس و الروم كان بأسهم بينهم » والمطيطا كحميراء مدّ اليدين في المشي .

[أولى لك فأولى ثمّ أولى لك فأولى] هذا تهديدٌ من الله مستعمل في موضع الويل مشتقّ من الولي والمعنى وليك المكروه والعذاب يا أباجهل ومن تبعك وجاءت الرواية أنّ رسول الله ﷺ أخذ بيد أبي جهل ثمّ قال له : أولى لك فأولى فقال أبو جهل: بأيّ شيء تهدّدني؟ لاتستطيع أنت ولا ربّك أن تفعلا بي شيئاً وإنّي لأعزّ أهل الوادي فأنزل الله سبحانه بهذه الآية كما قال له رسول الله ﷺ . و التكرار للوعيد على الوعيد وقيل : معنى الآية وليك العذاب في الدنيا كما وقع له يوم بدر ووليك في القبر ثمّ أولى لك يوم القيامة فلذلك اُدخل ثمّ أولى لك في النار .

[أيحسب الإنسان أن يترك سدى] مهملاً لايؤمر ولا ينهى أي لاينبغي أن يظنّ ذلك تقول : أسديت حاجتي و سديتها إذا أهملتها ولم تقضها [ألم يك نطفة من منيّ يمنى] أي كيف يظنّ أن يهمل وهو يرى في نفسه من تنقّل الأحوال ما يمكنه أن يستدلّ به على أنّ له صانعاً حكيماً أكمل عقله و أقدره في اُموره فيعلم بذلك أنّه لا يجوز أن يهمله عن التكليف. ولمّا كان استبعادهم للإعادة استدلّ سبحانه ببدء خلقه على تحقّق الإعادة والبعث، ويمنى أي يصبّ ويراق في الرحم و سمّي منى لذلك لما يمنى فيها من دماء القرابين[1] وحاصل المعنى ألم يكن الإنسان في بدء خلقه ماءً قليلاً بخسّة القدر واستقذار الطبع وكان خسيس القدر أوّلاً ثمّ استكمل في القدرة ثانياً حتّى صار بشراً سويّاً فكيف يليق بمثل هذا أن يتمرّد عن طاعة خالقه ومدبّره .

[ثمّ كان علقة] أي ثمّ كان المنيّ بعد أربعين يوماً قطعة دم جامد غليظ أحمر بعد أن كان ماءً قليلاً أبيض [فخلق فسوّى] أي فخلق من تلك العلقة خلقاً في

(١) جمع القربان .

الرحم وسوّى صورته و أعضاءه الباطنة و الظاهرة في بطن أمّه وسوّاه إنساناً مستوياً وأكمل قوّته وسوّاها للأفعال في جعله له جوارح وخصّ لكلّ جارحة من جوارحه عملاً [فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى] من الإنسان أومن المنيّ الصنفين. الذكر والأنثى بدلٌ من الزوجين .

[أليس ذلك] الّذي فعل هذا الفعل العجيب [بقادر على أن يحيي الموتى]

فهو أهون من خلق البدء في قياس العقل لوجود الأصل ، و هو

عجب الذنب أو العناصر الأصليّة ، قال رسول الله ﷺ

لمّا تلا هذه الآية : سبحانك اللّهمّ و بلي .

تمّت السورة بعون الله

سورة الانسان

وتسمّى سورة الدهر وسورة الأبرار .

واختلفوا فيها فقيل : مكّيّة كلّها وقيل : مدنيّة كلّها وقيل : إنّها مدنيّة إلّا قوله : « ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً » فإنّه مكّي وهو الصحيح .

قال النبيّ صلى الله عليه وآله : ومن قرء سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنّةً وحريراً

وقال أبوجعفر عليه السلام : و من قرء سورة هل أتى في كلّ غداة خميس زوّجه الله من الحور العين مائة عذراء و أربعة آلاف ثيّب وكان مع محمّد صلى الله عليه وآله .

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا (١) انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا (٢) انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفورا (٣) انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا و سعيرا (٥) ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا (٥) عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا (٦) يوفون بالنذر و يخافون يوما كان شره مستطيرا (٧) و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما و اسيرا (٨) انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (٩) انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا (١٠) .

قيل : الأصل«أهل أتى»لأنّ هل فسّروه بمعنى قدوقيل : هل بمعنى الاستفهام التقريريّ أي أليس قد أتى عليك يا إنسان دهور ولم تكن شيئاً مذكوراً ولم تكن موجوداً فوجدت.و المرادبالإنسان آدم عليه السلام وقيل : المراد به كلّ إنسان و الألف واللام للحقيقة.قيل : إنّه أتى على آدم أربعون لم يكن مذكوراً لا في السماء ولا في الأرض بل كان جسداً ملقىً من طين قبل أن ينفخ فيه الروح .وروى العيّاشي باسناده عن زرارة قال : سألت أباجعفر عليه السلام عن قوله : «لم يكن شيئاً مذكوراً» قال عليه السلام : كان شيئاً ولم يكن مذكوراً .

و قال بعض : المراد من الإنسان في الآية العلماء ، لأنّهم كانوا لايُذكرون فصيّرهم الله بالعلم مذكورين بين الخاصّ والعامّ .

[إنّا خلقنا الأنسان] يعني ولدآدم من نطفة وهي ماء الرجل والمرءة [أمشاج] أي أخلاط من الماءين فأيّهما علا ماء صاحبه كان الشبه له عن ابن عبّاس و جماعة ، وقيل : أطوار طوراً نطفة و طوراً علقة وطوراً مضغة إلى أن صار إنساناً ، وقيل : أراد

اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرءة خضراء وصفراء فهي مختلفة الألوان،وقيل : نطفة مشجت وخلطت بدم الحيض فاذا حبلت ارتفع الحيض و كما أنّ آدم أبوهم نفخ فيه الروح بعد مائة و عشرين سنة كذلك أولاده ينفخ فيهم الروح بعد مضيّ مائة و أربعين يوماً وما كان سنين في آدم كان أيّاماً في أولاده .

[نبتليه] حال من فاعل « خلقنا » أي مريدين اختباره وابتلاءه ليظهر أحوال بعضهم عن بعض من القبول و الردّ من السعادة و الشقاوة [فجعلناه سميعاً بصيراً] ليتمكّن من استماع الآيات التنزيليّة ومشاهدة الآيات التكوينيّة فهو كالمسبّب عن إرادته فأعطيناه ما يصحّ معه التكليف و هو السمع و البصر وسائر آلات التمييز و موجبات معرفة التكليف .

[إنّا هديناه السبيل] و بيّنّا له الطريق وأزحنا عنه العلّة حتّى يتمكّن من أداء ما هو عليه وهو أدلّة العقل والشرع الّتي يعمّ جميع المكلّفين [إمّا شاكراً وإمّا كفوراً] ليختار إمّا السعادة وإمّا الشقاوة ، إمّا يقبل بحسن اختياره الشكر لله و يعترف بنعمه و يقوم بالواجب عليه و إمّا أن يكفر و يجحد نعمه فيكون ضالاً عن الصواب، فأيّهما اختار جوزي عليه و«شاكراً» و« كفوراً» حالان من مفعول «هديناه » و قرأ أبو السماك بفتح الهمزة في «إمّا » وهي قراءة حسنة والمعنى: أمّا كونه شاكراً فبتوفيقنا وأمّا كونه كفوراً فبسوء اختياره .

[إنّا أعتدنا] في الآخرة و هيّأنا ، فإنّ الاعتداد إعداد الشيء حتّى يكون عتيداً حاضراً متى احتيج إليه [للكافرين] من أفراد الإنسان الّذي هديناه السبيل [سلاسل] بها يقادون إلى جهنّم ، وتسلسل الشيء اضطرب ،كأنّه تصوّر منه تسلسلٌ و السلسلة بالفتح اتّصال الشيء بالشيء، وبالكسر دائرة من حديد ونحوه [وأغلالاً] بها يقيّدون إهانة و تعذيباً لا خوفاً من الفرار جمع «غلّ» بالضم وهو ما تطوّق به الرقبة للتعذيب [وسعيراً] ناراً بها يحرقون و هذا حال الكافرين بالله و المشغولين عن الحقّ بسلاسل التعلّقات الشهويّة من حبّ الدنيا و لذّاتها المحرّمة و عدم انقيادهم للعبوديّة . وأمّا الشاكرين فشرع سبحانه في بيان حالهم بقوله :

[إنّ الأبرار] جمع برّ مثل ربّ و أرباب أو جمع بارّ مثل شاهدو أشهاد و هو مَن يبرّ خالقه ويطعيه كمال الإطاعة ، قيل : البرُّ مَن لايؤذي الذرَّ ولا يضمر الشرّ :

ولا تؤذ غلاً إن أردت كمالكا ✲ فإنَّ لها نفساً تطيب كما لكا

و برَّ العبد ربّه أي توسّع في طاعته ، و البَرّ خلاف البحر و تصوّر منه التوسّع فاشتقَّ منه البرّ أي التوسّع في فعل الخير .

وقد روى الخاصّة وجماعة من العامّة أن هذه الآية « إنّ الأبرار يشربون » إلى قوله : « وكان سعيهم مشكوراً » نزلت في عليّ و فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام و جارية لهم تسمّى فضّة وهو المرويّ عن ابن عبّاس و مجاهد و أبي صالح و ذلك أنّهم قالوا : مرض الحسن والحسين عليهما السلام فعاودهما جدّهما ووجوه العرب و قالوا : ياأبا الحسن لو نذرت على ولديك نذراً، فنذر صوم ثلاثة أيّام إن شفاهم الله و نذرت فاطمة عليها السلام كذلك و كذلك فضّة فبرئا و ليس عندهم شيء فاستقرض عليّ عليه السلام ثلاثة أصوع من شعير من يهوديّ و قيل : إنّه أخذ ليغزل له صوفاً و جاء به إلى فاطمة عليها السلام فطحنت صاعاً منها فاختبزته و صلّى عليّ عليه السلام المغرب و قرّبته إليهم فأتاهم مسكين يدعو لهم و سألهم فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء فلمّا كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته وخبزته و قدّمته إلى عليّ عليه السلام فإذاً بيتيم في الباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء فلمّا كان اليوم الثالث عمدت إلى الباقي فطحنته و خبزته وقدّمته إلى عليّ عليه السلام فإذاً أسيرٌ بالباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء فلمّا كان اليوم الرابع وقد قضوا نذورهم أتى عليّ عليه السلام و معه الحسن و الحسين عليهما السلام إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله و بهما ضعف فبكى رسول الله صلّى الله عليه وآله و نزل جبرئيل بسورة هل أتى .

و في رواية عطا عن ابن عبّاس أنّ عليّاً عليه السلام آجر نفسه ليسقي نخلاً بشيء من شعير ليلة حتّى أصبح وقبض الشعير وطحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الحريرة ، فلمّا تمّ إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الحريرة ، ثمّ الليلة الثانية

كذلك وثمّ الثالثة كذلك أسيرٌ من المشركين ، و ذكره الواحديّ في تفسيره .
وذكر عليّ بن إبراهيم أنّ أباه حدّثه عن عبدالله بن ميمون عن الصادق عليه السلام قال : كان عند فاطمة عليها السلام شعير فجعلوه عصيدة[1] إلى آخر الحديث .
وفي هذا دلالة على أن السورة مدنيّة. وقال أبو حمزة الثمالي في تفسيره: حدّثني الحسن بن الحسن أبو عبدالله بن الحسن أنّها مدنيّة نزلت في عليّ وفاطمة عليهما السلام السورة كلّها ؛ حدّثنا[2] السيّد أبوالمحامد مهدي بن نزار الحسيني القايني قال : أخبرني الحاكم أبوالقاسم عبيدالله بن عبدالله الحسكانيّ قال : حدّثنا أبو نصر المفسّر قال: حدّثني عمّي أبوحامد إملاءً قال : حدّثني الفزاري أبو يوسف يعقوب بن محمد المقري قال : حدّثني محمد بن يزيد السلمي قال : حدّثنا زيد بن أبي موسى قال : حدّثني عمرو بن هارون عن عثمان بن عطا عن أبيه عن ابن عبّاس قال : أوّل ما اُنزل بمكّة: إقرء باسم ربّك ثمّ ن والقلم ثمّ المزّمّل ثمّ المدّثّر ثمّ تبّت ثمّ إذا الشمس كُوّرت ثمّ سبّح اسم ربّك الأعلى ثمّ و الّليل ثمّ و الفجر ثمّ والضحى ثمّ ألم نشرح ثمّ والعصر ثمّ و العاديات ثمّ إنّا أعطيناك ثمّ ألهاكم ثمّ أرأيت ثمّ الكافرون ثمّ ألم تر ثمّ قل أعوذ بربّ الفلق ثمّ النّاس ثمّ التوحيد ثمّ و النجم ثمّ عبس ثمّ إنّا أنزلنا ثمّ و الشمس ثمّ البروج ثمّ و التين ثمّ لا يلاف ثمّ القارعة ثمّ القيامة ثمّ الهمزة ثمّ و المرسلات ثمّ ق ثمّ لا اُقسم ثمّ الطارق ثمّ ص ثمّ الأعراف ثمّ قل اُوحي ثمّ يس ثمّ الفُرقان ثمّ الملائكة ثمّ كهيعص ثمّ طه ثمّ الواقعة ثمّ الشعراء ثمّ النمل ثمّ القصص ثمّ بني إسرائيل ثمّ يونس ثمّ هود ثمّ يوسف ثمّ الحجر ثمّ الأنعام ثمّ الصافّات ثمّ لقمان ثمّ القمر ثمّ السبا ثمّ الزّمر ثمّ حم المؤمن ثمّ حم السجدة ثمّ حمعسق ثمّ الزّخرف ثمّ الدخان ثمّ الجاثية ثمّ الأحقاف ثمّ الذاريات ثمّ الغاشية ثمّ الكهف ثمّ النحل ثمّ نوح ثمّ إبراهيم ثمّ الأنبياء ثمّ المؤمنون ثمّ الم تنزيل ثمّ الطور ثمّ الملك ثمّ الحاقّة ثمّ ذو المعارج ثمّ عمّ ثمّ النازعات ثمّ انفطرت ثمّ انشقّت ثمّ الروم ثمّ العنكبوت

(١) بفتح العين ، دقيق يلتّ بالسمن ويطبخ .
(٢) منقول من مجمع البيان .

ثمّ المطفّفين . فهذه السور وهي خمس و ثمانون سورة اُنزلت بمكّة ، ثمّ اُنزلت بالمدينة:البقرة ثمّ الأنفال ثمّ آل عمران ثمّ الأحزاب ثمّ الممتحنةثمّ النساء ثمّ إذا زلزلت ثمّ الحديد ثمّ سورةمحمّد ثمّ الرعد ثمّ سورة الرحمن ثمّ هل أتى ثمّ الطلاق ثمّ لم يكن ثمّ الحشر ثمّ إذاجاء نصرالله ثمّ النور ثمّ الحجّ ثمّ المنافقون ثمّ المجادلة ثمّ الحجرات ثمّ لمَ تحرّم ثمّ الجمعة ثمّ التغابن ثمّ سورة الصفّ ثمّ سورة الفتح ثمّ المائدة ثمّ سورة التوبة . فهذه ثمانية وعشرون سورة ، وقد رواه الأستاذأحمد الزاهد بإسناده عن عثمان بن عطا عن أبيه عن ابن عبّاس في كتاب الإيضاح و زاد فيه : وكانت إذا نزلت سورة بمكّة ثمّ يزيد الله فيها مايشاء بالمدينة .

و بإسناده عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن البصري أنّ أوّل ما أنزل الله من القرآن بمكّة على الترتيب:اقرء باسم ربّك ون و المزّمّل ـإلى قوله : ـ والّذي نزل بالمدينة : ويل للمطفّفين و البقرة و الأنفال و آل عمران و الأحزاب و المائدة و الممتحنة و النساء وإذا زلزلت و الحديد وسورة محمّد صلى الله عليه وآله و الرعد و الرحمن وهل أتى إلّا قوله : « فلاتطع » فهذا ما اُنزل بالمدينة فجميع سور القرآن مائة وأربع عشر سورة انتهى .

و بالجملة في المجالس عن الصادق وعن أبيه أنّ الحسنين عليهما السلام قالا : ونحن نصوم ثلاثة أيّام فألبسهما العافية فأصبحوا صياماً و في آخره هبط جبرئيل عليه السلام قال : يا محمّد خذها هنّاك الله لك في أهل بيتك،قال صلى الله عليه وآله : ما آخذ يا جبرئيل؟قال : هل أتى إلى قوله : « و كان سعيكم مشكوراً » .

و قال أكثر علماء التفسير من العامّة : إنّا نحن لانشكّ في صحّة الرواية: و أيضاً في رواية أهل البيت في المناقب عن أكثر المفسّرين من كبارهم ما يقرب ممّا ذكره في المجالس إلّا أنّه ليس فيه صيام الصبيّين عليهما السلام و في آخر الرواية: فرآهم النبيّ صلى الله عليه وآله جياعاً فنزل جبرئيل و معه صحفة من الذهب مرصّعة بالدرّ والياقوت مملوءة من الثريد وعراق[1] يفوح منها رائحةالمسك و الكافور فجلسوا و أكلوا حتّى

(۱) بضم العين ، العظم بلا لحم .

شبعوا ولم ينقص منها لقمة واحدة وخرج الحسين عليه السلام ومعه قطعة عراق فنادته يهوديّة يا أهل بيت الجوع من أين لكم هذه؟ أطعمنيها، فمدّ يده الحسين عليه السلام ليطعمها فهبط جبرئيل وأخذها من يده ورفع الصحفة إلى السماء فقال صلى الله عليه وآله: لولا ما أراد الحسين من إطعام الجارية تلك القطعة من اللحم ترك تلك الصحفة في أهل بيتي يأكلون منها إلى الأبد.

رجع إلى التفسير [إنّ الأبرار يشربون] في الجنّة [من كأس] هي الزجاجة إذا كانت فيها خمر وتطلق أيضاً على نفس الخمر على طريق ذكر المحلّ وإرادة الحالّ وهو المراد هنا عند الأكثر حتّى قيل: كلّ كأس في القرآن فإنّما عني به الخمر [كان مزاجها] بتكوين الله [كافوراً] أي ماءً كافوراً وهو اسم عين في الجنّة في المقام المحمّدي وكذا سائر العيون ماؤها من بياض الكافور وبرده ورائحته، يقال: مزج الشراب أي خلطه ومزاج البدن ما يمازجه ويخالطه من الصفراء والسوداء والبلغم والدم. والكافور اشتقاقه من الكفر وهو الستر لأنّه من شدّة رائحته الطيّبة يغطي الأشياء، والكافور المعروف في الدنيا طيب يكون من شجر بجبال بحر الهند يظلّ خلقاً كثيراً وتألفه النمورة وخشبه أبيض هشّ[(١)] وتوجد في أجوافه الكافور وهو أنواع ولونها أحمر وإنّما تبيضّ بالتصعيد.

[عيناً] بدلٌ من «كافوراً» [يشرب بها عباد الله] صفة عين وعباد الله الأبرار أي يشربون هذا الشراب من هذا العين أو يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها مثل شربت الماء بالعسل، وإنّ حروف العوامل ينوب بعضها مناب بعض وحاصل المعنى: هذا الشراب من عين يشرب بها أولياء الله، قال الفرّاء: شربها وشرب بها سواء في المعنى كما يقولون: تكلّمت بكلام حسن وكلاماً حسناً.

[يفجّرونها تفجيراً] أي يوصلون تلك حيث شاؤا من منازلهم وقصورهم والتفجير تشقيق الأرض لجري الماء، وأنهار الجنّة تجري بغير أخدود[(٢)] فإذا أراد المؤمن

---

(١) النمورة بضم النون جمع النمر. عود هشّ: سريع الكسر.

(٢) الاخدود: الحفرة المستطيلة.

أن يجري نهراً خطّ خطّاً فينبع الماء من ذلك الموضع فالتفجير في الآية سوق الماء حيث أرادوا الفناء في محبّة الله و إطاعته يوجب الشرب من هذا الكأس بخلاف كأس النفسانيّة الشيطانيّة فإنّه يشرب الحميم وخبال[1] جهنّم وذلك لأهل الفسق في الدنيا وهي حرام. وفي الحديث «إذا تناول العبد كأس الخمر ناشده الإيمان بالله: لا تدخلها عليّ فإنّي لا أستقرّ أنا وهي في وعاء واحد فإن أبى العبد و شربها نفر الإيمان نفرة لا يعود إليه أربعين صباحاً فإن تاب تاب الله عليه و نقص من عقله شيء لا يعود إليه أبداً» .

[يوفون بالنذر] كأنّه قيل : ما ذا فعلوا حتّى ينالوا هذه الدرجة ؟ يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجبه الله عليهم من الصلاة والزكاة وغيرهما، والنذر إيجاب الفعل المباح على نفسه تعظيماً لله مثل أن يقول : لله عليّ من الصدقة وغيرها إن شُفي مريضي أو ردّ غائبي .

[ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً] أي كانوا في الدنيا يخافون الله من مخالفته من يوم و هو يوم القيامة كان شرّه و عذابه فاشياً منتشراً في الأقطار غاية الانتشار ، واستطار الفجر انتشر وهو أبلغ من طار ، وأطلق الشرّ على أهوال القيامة بالنسبة إلى مستحقّيها وإنّ ليوم القيامة اُموراً سارّة للمؤمنين كما أنّ للكافرين اُموراً ضارّة .

[ويطعمون الطعام على حبّه] قال ابن عبّاس : الضمير راجع إلى الطعام أي يطعمون على غاية شهوتهم وجوعهم وعلى أشدّ ما تكون حاجتهم إليه ، وصفهم بالأثرة على أنفسهم وقيل : الهاء كناية عن الله أي على حبّ الله [مسكيناً] فقيراً عاجزاً عن الكسب والدائم السكون إلى التراب [ويتيماً] طفلاً لا أب له [وأسيراً] الأسر الشدّ بالقدّ[2] سمّي الأسير بذلك ثمّ يستعمل لكلّ مأخوذ مقيّد وإن لم يكن مشدوداً بذلك والأسير كان يطلق على المأخوذ من دار الحرب من المشركين وقيل : هو المحبوس

---

(١) الخبال بالفتح ، الفساد ، النقصان ، السم القاتل .

(٢) القدّ بالفتح : جلد السخلة .

من أهل القبلة وقيل : الأسير المرأة .

[إنّما نطعمكم لوجه الله] الوجه مجاز عن الرضى، أي قائلين بلسان الحال أو بلسان المقال إزاحةً لتوهّم المنّ المبطل للصدقة و توقّع المكافئة المنقّصة للأجر: [لا نريد منكم جزاء] على ذلك بالمال والنفس ولا نريد مقابلة وعوضاً [ولاشكوراً] ومدحاً وتشكّراً منكم بالذكر الجميل، وفي الآية أدب أدّب الله العباد في خلوص العمل بأن يكون القصد خالصاً لرضاه ولا يشوب بالرياء .

[إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً] أي عذاب يوم تعبس فيه الوجوه من شدّة أهواله كما روي أنّ الكافر يعبس يومئذ حتّى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران و العبس قطوب الوجه من ضيق الصدر وإنّ العبوس الأسد كالعبّاس لحدّته على إيصال الضرر بالعنف على فريسته ووصف اليوم بالعبوس توسّعاً لما فيه من الشدّة كما يقال يوم صائم وليل قائم [قمطريراً] القمطرير اليوم الشديد الشرّ، والتفّ شرّه بعض على بعض ؛ قال الشاعر :

بني عمّنا هل تذكرون بناءنا ☆ عليكم إذا ما كان يوم قماطر

قال الحسن : ما أشدّ اسمه وهو من اسمه أشدّ ! وقيل : في معنى القمطرير الأمر الّذي يقبض الحياة ويقلص الوجوه من شدّته .

فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة و سروراً (١١) وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (١٢) متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً (١٣) و دانية عليهم ظلالها و ذللت قطوفها تذليلا (١٤) و يطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا (١٥) قوارير من فضة قدروها تقديرا (١٦) ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا (١٧) عينا فيها تسمى سلسبيلا (١٨) و يطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا (١٩) واذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً (٢٠) عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة و سقاهم ربهم شرابا طهوراً (٢١) ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً (٢٢) .

[فوقاهم الله] بسبب خوفهم و تحفّظهم على القربات وقاهم شرّ ذلك اليوم الشديد . والخوف من الله له فوائد عظيمة ، في الحديث «قال رجل وهو لم يعمل حسنة قطّ و وصّى لأهله إذا متّ فحرّقوني ثمّ اذروا (١) نصفي في البرّ ونصفي في البحر فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذّبني عذاباً لا يعذّبه أحداً من العالمين فلمّا مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله البرّ فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع مافيه ثمّ قال له : لمَ فعلت هذا؟ قال : من خشيتك يا ربّ وأنت أعلم فغفر الله له بسبب خشيته» وقوله : «لئن قدر الله» بالتخفيف من القدرة أي لئن تعلّقت قدرته يوم البعث بعذاب جسمه، ظنّ المسكين أنّه بالفناء على الوجه المذكور يلتحق بالمحال وقدرة الله لا يتعلّق بالمحال فلا يلزم منه الكفر .

[ولقّاهم نضرة وسروراً] لقّيته كذا إذا استقبلته به أي أعطاهم بدل عبوس الفجّار وحزنهم نضرة في الوجوه وسروراً في القلوب .

[وجزاهم بما صبروا جنّة وحريراً] أعطى كلّ واحد منهم بطريق الأجر والعوض بسبب صبرهم في اجتناب المحرّم وإيثار الأموال جنّة وبستاناً يأكلون منها ما شاؤا وحريراً يتزيّنون به ويلبسونه .

[متّكئين فيها] أي في الجنّة [على الأرائك] السرر في الحجال من الدرّ والياقوت موضونة بقضبان(٢) الذهب و ألوان الجواهر ،أي مستقرّين عليها .

[لا يرون فيها شمساً ولازمهريراً] حرّاً ولا برداً كما يرون في الدنيا لأنّ الحرارة غالبة في أرض العرب والبرودة في أرض العجم والروم. والزمهرير شدّة البرد وازمهرّ النهار اشتدّت برده ، روي عن ابن عبّاس أنّه قال : فبينما أهل الجنّة إذ رأوا ضوءاً كضوء الشمس وقد أشرقت الجنان فيقول أهل الجنّة يارضوان قال الله تعالى « لا يرون فيها شمساً ولازمهريراً » فيقول لهم رضوان : ليست هذه بشمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة و عليّ ضحكا ضحكاً أشرقت الجنان من نور ضحكهما وفيهما أنزل

---

(١) ذرا الريح التراب - من باب نصر - اطارته وفرقته .

(٢) الموضونة الدرع المقاربة النسج او المنسوجة بالجواهر . القضبان جمع القضيب .

الله « هل أتى على الإنسان » إلى قوله : « وكان سعيكم مشكوراً » .

[و دانية عليهم ظلالها] الظلال جمع ظلّ نقيض الضحّ أي ظلال الأشجار في الجنّة قربت من الأبرار من جوانبهم حتّى صارت الأشجار بمنزلة المظلّة عليهم و إن كان لا شمس فيها موذية لتظلّهم والمراد بيان زيادة نعيمهم وراحتهم فإنّ الظلّ في الدنيا للراحة .

[و ذلّلت قطوفها تذليلاً] أي سخّرت ثمارها لمتناوليها و سهل أخذها للقائم والقاعد والمضطجع من الذّل بالكسر وهو ضدّ الصعوبة، والحاصل تدنو ظلالهم عليهم مذلّلة قطوفها لهم ، وقطوف جمع «قطف» بكسر القاف بمعنى العنقود[1] وسمّي العنقود قطفاً لأنّه يقطع وقت الإدراك .

[ويطاف عليهم] أي يدار على الأبرار إذا أرادوا الشرب [بآنية] أوعية جمع إناء وأصل آنية أءنية بهمزتين [من فضّة] نعت لآنية [وأكواب] جمع كوب و هو الكوز العظيم المدوّر الرأس لا أُذن له ولا عروة فيسهل الشرب منه من كلّ موضع ولا يحتاج عند التناول إلى إدارته [كانت قواريرا] القارورة ما قرّ فيه الشراب ونحوه [قوارير من فضّة] أي تكوّنت جامعة بين صفاء الزجاجة و شفيفها و لين الفضّة و بياضها يرى ما في داخلها من خارجها و«كان» تامّة وقوارير الأوّل حال من فاعل كانت . فإن قيل : إنّ القوارير إنّما تتكوّن من الزجاج فكيف تكون القوارير؟ قال الصادق عليه السلام : «ينفذ البصر في فضّة الجنّة كما ينفذ في الزجاج» قال أبو عليّ الفارسي: القول في ذلك أنّ الشيء إذا قاربه شيء و اشتدّت ملابسته له قيل : إنّه من كذا وإن لم يكن منه في الحقيقة . وقوارير الثانية بدل من الأولى وليست بتكرار ويجوز تقدير حذف المضاف أي من صفاء الفضّة . ويمكن أن يكون المراد أنّ القوارير أصلها من الرمل في الدنيا وأرض الجنّة من فضّة فقواريرها من فضّة .

[قدّروها تقديراً] الضمير في « قدّروها » الأوّل للسقاة والخدم ، و الثاني للكاسي أي من غير زيادة ولا نقصان و هو ألذّ للشارب فإنّ طرفي الاعتدال مذمومان

(١) العنقود ما تراكم من حب العنب ونحوه .

لا فيض فيها ولاغيض أي لا كثرة ولا قلّة .

[ويسقون فيها كأساً] أي إنّ الأبرار يسقون في الجنّة بأمر الله خمراً [كان مزاجها زنجبيلاً] الزنجبيل عِرق(١) برّيّ في الأرض ونباته كالقصب والبردي(٢) شبّه طعمها بالزنجبيل لأنّ الممزوج به أطيب ما يستطيب العرب أي تمزج وتخلط بماء من العين المسمّاة بالزنجبيل .

[عيناً فيها تسمّى سلسبيلا] عيناً بدل من زنجبيلاً في الجنّة تسمّى عند الملائكة سلسبيلاً لسلاسة انحدارها وسهولة مساغها والعين سميّت بصفاتها . قيل : إنّ سلسبيلاً صفة لا اسم و إلّا لامتنع من الصرف للعلميّة و التأنيث و قيل : اسم و إنّما صرف لرعاية رأس الآية وهي مؤنّث معنويّ لاحقيقيّ يقال : شراب سلسل وسلسبيل سهل الورود في الحلق لعذوبته وزيدت الباء على السلسال للمبالغة على غاية السلاسة تتسلسل في الحلق .

[ويطوف عليهم] يدور على الأبرار [ولدان] فإنّهم أخفّ في الخدمة ، جمع وليد وهو مَن قرب عهده بالولادة [مخلّدون] دائمون على ماهم عليه من الطراوة و البهاء لا يتغيّرون أبداً أومُقرطون(٣) للخدمة ، أو من الخلَد و هو الروح كأنّهم روحانيّون من اللطافة لاجسم لهم .

[إذا رأيتهم] يا من شأنه الرؤية [حسبتهم لؤلؤاً] جمعه اللآلىء : تلألأ الشيء لمع [منثوراً] بالثاء متفرّقاً لحسنهم و صفاء ألوانهم و إشراق وجوههم و تفرّقهم في مجلس الخدمة وطوافهم على المخدومين ، واللؤلؤ إذا كان متشتّتاً يكون في المنظر أحسن من المنظوم و لو كانوا مصطفّين على وتيرة واحدة لشبّهوا باللؤلؤ المنظوم فلتفرّقهم شبّهوا بالمنثور كما أنّ الحور لتجمّعهن بل هنّ مقصورات في الخيام باللؤلؤ المكنون . وقال بعضهم : منثوراً من صدفه ، أي شبّهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر

(١) المراد به هنا اصل الشجر .
(٢) نبات كالقصب .
(٣) اى تزينوا بالقرط .

من صدفه وهو غير ممسوس ومثقوب لأنّه أكثر ماءً وصفاءً . أنشأهم الله من غير ولادة وقيل : إنّهم ولدان الكفّار يدخلون الجنّة خدماً لأهلها . وفي رواية المراد بالولدان هنا ولدان المسلمين الّذين يموتون صغاراً لا حسنة لهم ولا سيّئة فوضعوا هذا الموضع .

[وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً] قيل : ليس له مفعول ملفوظ ولا منويّ ولا مقدّر بل المعنى أنّ بصرك أين ما وقع في الجنّة [رأيت نعيماً] كثيراً لا يوصف [وملكا كبيراً] واسعاً كما في الحديث «أدنى أهل الجنّة منزلةً ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه» .

[عاليهم ثياب سندس خضر] عاليهم قيل : ظرف وخبر مقدّم ، وثياب مبتدء مؤخّر أي فوقهم ثياب سندس وهو الديباج الرقيق ، وإضافة الثياب إلى السندس كإضافة الخاتم إلى الفضّة، وقيل : عاليهم حال أي يعلوهم ثياب سندس، وقيل : المراد فوق خيامهم المضروبة عليهم فالمعنى أنّ حجالهم من الحرير والديباج . وخضر جمع أخضر صفة الثياب والضمير راجع إلى الأبرار [وإستبرق] أي ثياب إستبرق عطف على الثياب بمعنى الديباج الغليظ سبق بيانه في سورة الرحمن وهو بقطع الهمزة لكونه اسماً للديباج الغليظ الّذي له بريق .

[وحلّوا أساور من فضّة] عطف على قوله : « ويطوف عليهم » وهو ماض لفظاً ومستقبل معنىً أي يحلّون ويتزيّنون بأساور جمع أسورة في جمع سوار وكان الملوك في الزمان الأوّل يتحلّون بها ويسوّرون من يكرمونه ولا ينافي هذه الآية مع ما في الكهف والحجّ(١) من قوله : « من أساور من ذهب» لإمكان الجمع بين السوارين أو على التعاقب في الأوقات تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضّة أو التبعيض بأن

(١) آية ٣١ و آية ٢٣ .

يكون أسورة البعض ذهباً والبعض فضّة بحسب اختلاف شؤونهم [وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً] من الأقذار لم يدنّسها الأيدي ولم تدسه الأرجل كخمر الدنيا ولا يصير بولاً نجساً بل يرشح عرقاً من أبدانهم له ريح كريح المسك ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل مطهّر باطنه من كلّ كدورة إذ لا يكون شيء خالص من كدورة الأكوان إلّا الله فبخٍّ للشراب وشاربه وساقيه .

وأسكر القوم دور كأس ✲ و كان سكري من المدير

قال بعضهم : صلّيت خلف سهل بن عبدالله العتمة[1] فقرأ قوله : « وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً » فجعل يحرّك فمه كأنّه يمصّ فلمّا فرغ من صلاته قيل له : أتقرء أم تشرب ؟ قال : والله لولم أجد لذّته عند قراءته كلذّتي عند شربه ماقرأته .

[إنّ هذا] أي الّذي ذكر من أنواع العطايا [كان لكم جزاءً] عوضاً بمقابلة أعمالكم [وكان سعيكم مشكوراً] مرضيّاً مقبولاً و سعيكم وقيامكم بطاعته مرضيّ عنده سبحانه فكأنّه شكر لكم عملكم وفعلكم .

انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا (٢٣) فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً (٢٤) واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا (٢٥) ومن الليل فاسجد له و سبحه ليلا طويلا (٢٦) ان هؤلاء يحبون العاجلة و يذرون وراءهم يوماً ثقيلا(٢٧) نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا (٢٨) ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا (٢٩) و ما تشاؤن الا ان يشاء الله ان الله كان عليماً حكيماً (٣٠) يدخل من يشاء في رحمته و الظالمين اعدلهم عذاباً اليماً (٣١) .

[إنّا نحن نزّلنا عليك القرآن] أي فصّلناه في الانزال آيةً بعد آية و لم ننزّله جملةً واحدةً لحكمة بالغة مقتضية له و نحن نزّلناه لا غيرنا كما يُعرب عنه تكرير الضمير على سبيل التأكيد فكأنّه تعالى يقول : إنّ هؤلاء الكفّار يقولون

(١) يعنى صلاة العشاء .

إنّ ذلك كهانة وسحر فأنا الملك الحقّ أقول : إنّ ذلك وحي حقّ و تنزيل صدق من عندي فلاتكترث[1] بطعنهم .

[فاصبر لحكم ربّك] بتأخير نصرك على الكافرين فإنّ الأمور مرهونة بأوقاتها و كلّ آتٍ قريب [ولا تطع منهم] من الكفّار [آثماً أو كفوراً] أي لاتُطع مَن يدعوك إلى إثم أو كفر ، وقيل : الآثم في الآية يعني عتبة بن ربيعة و الكفور يعني الوليد بن المغيرة فإنّهما قالا له ﷺ : ارجع عن هذا الأمر و نحن نرضيك بالمال و التزويج و قيل : الكفور أبو جهل نهى النبيّ عن الصلاة و قال : لئن رأيت محمّداً يصلّي لأطأنّ عنقه فنزلت الآية . و في نهيه ﷺ عن الإطاعة فيما يدعونه إليه مع أنّه ماكان يطيع أحداً منهم ولايتصوّر في حقّه ذلك من باب « إيّاك أعني و اسمعي يا جاره » و المراد الأمّة و هذا الخطاب كقوله[2] : « لئن أشركت ليحبطنّ عملك » و إشارة إلى أنّ الناس محتاجون إلى مواصلة الإرشاد و التنبيه و ركّب في طبعهم الشهوة الداعية إلى السهو والغفلة .

[و اذكر اسم ربّك بُكرةً و أصيلاً] أي داوم على ذكره أوّل النهار وآخر النهار أو المعنى دُم على صلاة الفجر والظهر و العصر .

[و من الليل فاسجد له] أي فاسجد له في بعض الليل لأنّه لم يأمره بقيام الليل كلّه و قيل : المراد صلاة المغرب و العشاء [و سبّحه ليلاً طويلاً] و المراد بالتسبيح في هذه الآية صلاة الليل كما في الحديث روي عن الرضا عليه السلام أنّه سأله أحمد بن محمّد عن هذه الآية قال عليه السلام : «المراد بذلك التسبيح صلاة الليل» و حاصل المعنى صلّ صلاة التهجّد لأنّه كان واجباً عليه في طائفة طويلة من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه و المراد بقوله : « ليلاً طويلاً » بيان طول التسبيح فيه و ليس المراد أن يتهجّد في الليل ولا يتهجّد في الليل القصير .

[إنّ هؤلاء يحبّون العاجلة] أي كفّار مكّة يحبّون اللذّات العاجلة في الدنيا

---

(١) اكترث له : بالى به .

(٢) سورة الزمر : ٦٥ .

فهو الحامل على كفرهم و عدم قبولهم أو امرك [و يذرون] يتركون [و راءهم] أي أمامهم [يوماً ثقيلاً] عسيراً شديداً لايستعدّون له و ينبذونه و راء ظهورهم .

و «وراء» يستعمل في كلٍّ من أمام وخلف وفي وجه الاستعمالين أنّ و راء اسمٌ للجهة المتوارية المستترة المختفية عنك و استتارجهة الخلف ظاهر وما في جهة الأمام قد يكون متوارياً عنك غير مشاهد فيشبه الخلف في الاستتار فيستعار له اسم الوراء و وصف اليوم بالثقل مع أنّ الثقل من صفات الأعيان الجسميّة لتشبّه شدّته وهوله وما يلزمه من العذاب استعارةً تخييليّة و في الآية و عيد لأهل الدنيا و المنهمكين فيها بالظلم على أنفسهم .

[نحن] لا غيرنا [خلقناهم و شددنا أسرهم] خلقناهم من نطفة و أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب ليتمكّنوا بذلك من القيام و القعود و الأخذ و الدفع . والأسر الربط ومنه أسر الرجل[1] إذا أُوثق بالقدّ وقيل : المراد من قوله : «وشددنا أسرهم » أي شددنا مخرج بولهم و غائطهم و أحكمنا ربطه إذا خرج الأذى انقبض و إذا يريد الإنسان الدفع استرخى ولا يسترخي قبل الإرادة من الإنسان .

[و إذا شئنا] تبديلهم [بدّلنا أمثالهم] أي بدّلناهم بأمثالهم بعد إهلاكهم [تبديلاً] بديعاً لا ريب فيه و هو البعث . و المثليّة في النشأة الأُخرى التركيب الأوليّة باعتبار إيجاد الأجزاء الأصليّة و إعادتها ، أو المعنى لو شئنا أهلكناهم و آتينا بأشباههم فجعلناهم بدلاً منهم ولكن نبقيهم إتماماً للحجّة .

[إنّ هذه] إشارة إلى السورة والآيات القريبة [تذكرة] أي عظة مذكّرة في تحصيل السعادة الأبديّة وإذكار بما غفلت عنه عقولهم [فمن شاء اتّخذ إلى ربّه سبيلاً] و تقرّب إليه بالإطاعة و النجاة من ثقل اليوم المذكور [وماتشاءون إلاّ أن يشاء الله] أي و ما تشاءون شيئاً من الطاعات إلاّ والله يشاؤه ويريده ، وليس المراد في الآية أنّه سبحانه يشاء كلّ مايشاؤه العبد من المعاصي لأنّ الدلائل الواضحة فقدلّت

(١) من باب ضرب .

على أنّه يتعالى عن أن يريد القبائح و إشاءة[1] القبيح ظلم وماالله يريد ظلماً للعباد ولا يريد بكم العسر .

[إنّ الله كان عليماً حكيماً] عليم بأفعالكم حكيم في تدبير مصالحكم [يدخل من يشاء في رحمته] و جنّته ممّن يؤمن به و بكتابه فلاتكن ظالماً شقيّاً [و الظالمين أعدّ لهم عذاباً أليماً] وهم الّذين يصرفون مشيّتهم في مخالفة الله فيجزيهم جهنّم و هيّأ لهم العذاب المولم و الظالمون الّذين وضعوا الضلالة في مقام الهداية و الجهالةفي مقام المعرفة

تمّت السورة بعون الله .

---

(١) اشاءه : ألجاه .

سورة المرسلات

مكيّة كلّها بلاخلاف إلّا آية قيل : أُستثني منها « وإذا قيل لهم اركعوا الآية» .

قال النبيّ صلى الله عليه وآله : مَن قرأها كتب له أنّه ليس من المشركين و عرّف الله

بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله .

بسم الله الرحمن الرحيم

و المرسلات عرفا (١) فالعاصفات عصفا (٢) و الناشرات نشراً (٣) فالفارقات فرقاً (٤) فالملقيات ذكراً (٥) عذراً أو نذراً (٦) انما تو عدون لواقع (٧) فاذا النجوم طمست (٨) و اذا السماء فرجت (٩) و اذا الجبال نسفت (١٠) و اذا الرسل اقتت (١١) لاى يوم اجلت (١٢) ليوم الفصل (١٣) وما ادراك ما يوم الفصل (١٤) ويل يومئذ للمكذبين (١٥).

الو او للقسم [والمر سلات] بمعنى الطوائف المرسلات جمع مرسلة أي طائفة مرسلة باعتبار أنّ ملائكة كلّ يوم أو كلّ عام أو كلّ حادثة طائفة و [عرفاً] بمعنى متتابعة مأخوذ من عُرف الفرس وهو الشعرات المتتابعة فوق عنقه من باب التشبيه البليغ بأن شبّهت الملائكة المرساون في تتابعهم بشعر عرف الفرس ،وانتصابه على الحاليّة أي جاريات بعضها أثر بعض كعرف الفرس أو العرف بمعنى المعروف و الإحسان ، فقبض النكير والمنكر فإنّهم إن أُرسلوا للرحمة فظاهر و إن أُرسلوا لعذاب الكفّار فذلك أيضاً معروف وإحسان للأنبياء والمؤمنين . وقيل : المرسلات الرياح أُرسلت متتابعة وقيل : المراد الأنبياء جاءت بالمعروف .

[فالعاصفات عصفاً] فعصفن أي الملائكة في مضيّهن لأمر الله كما يعصف الرياح في هبوبها مخفّفاً في امتثال أوامره تعالى أو أُقسم بالرياح العاصفة [والناشرات نشراً] و أُقسم بطوائف من الملائكة نشرن أجنحتهنّ في الجوّ عند انحطاطهنّ بالوحي أو نشرن الشرائع و الأحكام في الأرض أو نشرن النفوس الموتى بالكفر و الإيمان ففرّقن بين الحقّ و الباطل فألقين ذكراً إلى الأنبياء عذراً للمحقّين أو نذراً للمبطلين .

[فالفارقات فرقاً] يعني الملائكة تأتي بمايفرّق بين الحقّ والباطل والحلال

و الحرام و هي آيات القرآن و الكتب السماويّة وهي فارقة بين الهدى والضلال .

[فالملقيات ذكراً] يعني الملائكة كأنّها الحاملات للذكر الطارحات له ليأخذه مَن خوطب به [عذراً أو نذراً] أي للإعذار و الإنذار إمّا عذراً و محواً لسيّئاتهم للّذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم و استغفارهم و إمّا إنذاراً للّذين يغفلون عن الطاعة و يرتكبون المعاصي فالملائكة عاذرين و منذرين « عذراً أو نذراً » بدل من الذكر إمّا بدل البعض أو بدل الكلّ أي الذكر الملقى إمّا الترغيب في الطاعات أو الترهيب من المعاصي و قيل : « الناشرات » هي الرياح الّتي تأتي بالمطر تنشر السحاب نشراً للغيث أو أنّها الأمطار ينشر النبات كما أنّه قيل في معنى الفارقات : إنّها الرياح الّتي تفرّق السحاب و تبدّده . و هذه أقسام أقسم الله بها أو المراد قسم بربّ هذه الأشياء بناءً على أنّه لا يجوز القسم إلّا بالله .

وجواب القسم[إنّما توعدون لواقع]أي إنّ الّذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لامحالة و الفرق بين الكائن و الواقع أنّ الواقع لا يكون إلّا حادثاً تشبيهاً بالحائط الواقع والكائن أعمّ منه .

ثمّ بيّن وقت وقوعه:[فإذا النجوم طُمست] أي محيت آثارها ومحقت ذواتها فإنّ الطمس محو الأثر ، والنجوم مرفوعة بالابتداء وطُمست خبره أو مرفوعة بفعل يفسّره مابعده وهو الأولى لأنّ «إذا» فيها معنى الشرط والشرط بالفعل أولى وجواب إذا محذوف أي إذا طُمست النجوم وقع ما توعدون .

[وإذا السماء فُرجت] صدعت من خوف الرحمن وشقّقت ووقعت فيها الفروج الّتي نفاها ، والفرج الشقّ .

[وإذا الجبال نُسفت] جعلت كالحبّ الّذي ينسف بالمنسف وقلعت من مكانها أوذهبت بسرعة وفنيت حتّى لايبقى لها أثر وتذرّى وتلاشى .

[وإذا الرسل اُقّتت] أي جمعت لوقتها تشهد على الاُمم عيّن لهم الوقت الّذي يحضرون فيه للشهادة على اُممهم فيقال لهم : اُحضروا للشهادة فقد جاء وقتها أو بلغ الوقت الّذي كانوا ينتظرونه وهو يوم القيامة ، وقرأ أبو عمرو «وقّتت » على الأصل

الباقون أبدلوا الواو همزة لأنّ الضمّة من جنس الواو فيكون ثقيلاً كما أنّ الكسرة تستثقل على الياء، و العرب تبدّل الألف من الواو تقول : أسادة في و سادة و مؤرّخ في مورّخ .

[لأيّ يوم اُجّلت] مقدّر بقول هو جواب لإذا في قوله : « وإذا الرسُل » أي يقال : لأيّ يوم اُخّرت الاُمور المتعلّقة بالرسل وضرب لهم الأجل لجمعهم و إحضارهم ،وحاصل المعنى أنّ الرسل بعثت في أوقات مختلفة و اُخّرت للفرق بين المطيع والعاصي ويكونون شهداء عليهم فإنّ الرسل يعرفون كلاًّ بسيماهم وشاهدون لأعمالهم .

[ليوم الفصل] بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الّذي يفصل فيه بين الخلائق و يقضي بالحقوق [وما أدراك ما يوم الفصل] « ما » مبتدء « أدراك » خبره أي أيّ شيء جعلك دارياً وعالماً ما كنهه ولم ير أحد قبلك شدّته حتّى تسمع منه،ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة تفظيع وتهويل وأيضاً «ما» خبرٌ مقدّم و « يوم الفصل » مبتدء لا بالعكس كما اختاره سيبويه لأنّ محطّ الفائدة بيان كون يوم الفصل أمراً بديعاً هائلاً .

[ويل يومئذ للمكذّبين] أي الويل و الهلاك ثابت فيه لهم والويل في الأصل مصدر منصوب سادّ مسدّ فعل لامن لفظه فأصله أهلكه الله إهلاكاً أوهلك هلاكاً . و عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعوّ عليه،ووضع الويل موضع الهلاك فجاز وقوعه مبتدء مع كونه نكرة فإنّه لمّا كان مصدراً سادّ مسدّ فعله المتخصّص بصدوره عن فاعل معيّن كانت النكرة المذكورة متخصّصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء بها لذلك كما قالوا : سلام عليك،وقيل : الويل واد في جهنّم لو اُرسلت فيه الجبال لماعت[1] من حرّه .

الم نهلك الاولين (١٦) ثـم نتبعهم الاخرين (١٧) كذلك نفعل بالمجرمين (١٨) ويل يومئذ للمكذبين (١٩) الم نخلقكم من ماء مهين (٢٠)

(١) ماع يميع ميعا : سال وجرى .

فجعلناه في قرار مكين (٢١) الى قدر معلوم (٢٢) فقدرنا فنعم القادرون (٢٣) ويل يومئذ للمكذبين (٢٤) الم نجعل الارض كفاتاً (٢٥) احياء وامواتاً (٢٦) و جعلنا فيها رواسي شامخات و اسقيناكم ماء فراتاً (٢٧) ويل يومئذ للمكذبين (٢٨) انطلقوا الى ماكنتم به تكذبون (٢٩) انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب (٣٠) لاظليل ولا يغنى من اللهب (٣١) انها ترمى بشرر كالقصر (٣٢) كانه جمالت صفر (٣٣) ويل يومئذ للمكذبين (٣٤) هذا يوم لاينطقون (٣٥) ولا يؤذن لهم فيعتذرون (٣٦) ويل يومئذ للمكذبين (٣٧) هذا يوم الفصل جمعناكم و الاولين (٣٨) فان كان لكم كيد فكيدون (٣٩) ويل يومئذ للمكذبين (٤٠) ان المتقين فى ظلال وعيون (٤١) وفواكه مما يشتهون (٤٢) كلوا واشربوا هنيئاً بماكنتم تعملون (٤٣) اناكذلك نجزى المحسنين (٤٤) ويل يومئذ للمكذبين (٤٥) كلوا و تمتعوا قليلا انكم مجرمون (٤٦) ويل يومئذ للمكذبين (٤٧) و اذا قيل لهم اركعوا لايركعون (٤٨) ويل يومئذ للمكذبين (٤٩) فباى حديث بعده يؤمنون (٥٠) .

[ألم نُهلك الأوّلين] كقوم نوح و عاد وثمود وغيرهم ممّن هلكوا قبل مبعث النبيّ ﷺ وذلك لتكذيبهم بيوم الفصل [ثمّ نتبعهم الآخرين] ولم يعطف نتبعهم على نُهلك فيجزم بل استأنف، والتقدير ثمّ نحن نتبعهم و نجعلهم تابعين للأوّل في الاهلاك وليس الكلام معطوفاً على ماقبله لأنّ العطف يوجب أن يكون المعنى أهلكنا الأولين ثمّ أتبعناهم الآخرين في الإهلاك وليس كذلك لأنّ إهلاك الآخرين لم يقع بعد فلذلك رفع نتبع واستأنف به الكلام وجه الإخبار عمّا سيقع في المستقبل بإضمار المبتدا. ويؤيّده قول الحسن : إنّ الآخرين هم الّذين تقوم عليهم القيامة .

[كذلك نفعل بالمجرمين] أي نفعل فعلاً مثل ذلك الفعل الّذي اُخبر به فمحلّ الكاف النصب على أنّه نعت لمصدر محذوف تقديره «فعلاً بالمجرمين» أي كلّ مَن أجرم .

[ويل يومئذ للمكذّبين] بآيات الله و البعث فإنّهم يجازون بأليم العذاب .

[ألم نخلقكم من ماء مهين] أي نطفة قذرة مهينة و الميم في مهين أصليّة و المهانة الخسّة و الابتذال أي خلقناكم منه [فجعلناه] أي الماء [في قرار مكين] وهو الرحم والرحم وعاء الولد والقرار موضع الاستقرار والمكين الحصين أي جعلنا ذلك الماء في مقرّ حصين متمكّناً سالماً من التعرّض له [إلى قدر معلوم] من الوقت الّذي قدّره للتنمية والحياة والولادة تسعة أشهر أو أقلّ أو أكثر .

[فقدرنا] أي قدرنا خلقه و جوارحه ، قرىء بالتشديد و بالتخفيف [فنعم القادرون] أي نحن ، بمعنى المقدّرون ويجوز أن يكون «فقدرنا» معناه من القدرة لا من التقدير أي قدرنا على خلقه و تصويره كيف نشاء و يعضد هذا المعنى قوله : « فنعم القادرون » .

[ويلٌ يومئذ للمكذّبين] مضى تفسيره و في برهان القرآن : كرّرها في هذه السورة عشر مرّات لأنّ كلّ واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الأولى فيكون تكراراً لازماً لأنّ بسط الكلام في الترغيب و الترهيب أدعى إلى إدراك البغية وقد يجد كلّ أحد في نفسه من تأثير التكرار مالاخفاء به .

[ألم نجعل الأرض كفاتاً] تحوزهم و تضمّهم و تكفتهم كفتاً [أحياء] على ظهرها في دورهم و أبنيتهم و مساكنهم [و أمواتاً] في بطنها أو المعنى على الحال و نصبه على الحاليّة و قيل : أي من الأرض ما ينبت و منها مالا ينبت و الكفات اسم ما يكفت و يضمّ و يجمع من كفت الشيء أو جمع اسم الفاعل وهو كافت مثل صيام جمع صائم فمن جعل لفظ الكفات مصدراً أو جمع اسم الفاعل جعله عاملاً ، و من جعله اسماً لما يكفت أوجمعاً للكفت بمعنى الوعاء منعه من العمل. قال عليّ عليه السلام: الكفات بمعنى الوعاء .

[و جعلنا فيها رواسي شامخات] أي جبالاً ثوابت من رسا الشيء يرسو ثبت و الجبال ثوابت على ظهر الأرض لاتزول . وشامخات صفة بعد صفة والشامخ العالي المرتفع أي طوالاً شواهق و منه «شمخ بأنفه» عبارة عن الكبر و المعنى أنّ الجبال ثوابت الأصول رواسخ العروق مرتفعات الفروع، ووصف جمع المذكّر بجمع المؤنّث

في غير العاقل مطّرد مثل(١) « أشهر معلومات » و التنكير للتفخيم و التكثير .

[و أسقيناكم ماءً فراتاً] عذباً جدّاً ومكّنّاكم من شربه من السماء والأرض بالعيون و الأنهار و الأمطار . و الفرات يقال للواحد و الجمع [ويلٌ يومئذ للمكذّبين] وادٍ في جهنّم الويل لهم في ذلك اليوم لأنهّم كذّبوا بأنعم الله وآياته .

[انطلقوا] يقال يومئذٍ للمكذّبين بطريق التوبيخ : اذهبوا ، و القائلون خزنة جهنّم [إلى ما كنتم به تكذّبون] في الدنيا و تقولون ليس عذاب و بعث .

[انطلقوا] خصوصاً [إلى ظلّ] دخان نار جهنّم [ذي ثلاث شعب] و ذي ذوائب كما هو شأن الدخان العظيم كناية عن كون ذلك الدخان في غاية الغلظ فالتشعّب من لوازمه أويخرج لسان من النار فيحيط بالكفّار كسرادق، ويتشعّب من دخان تلك النار ثلاث شعب فتظلّهم حتّى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظلّ العرش وتقف شعبة الدخان فوق رأس الكافر و شعبة عن يمينه و شعبة عن يساره و ذلك لتضييعهم القوى الثلاث الّتي هي السمع و البصر و الفؤاد كما قال سبحانه(٢) : « و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة قليلاً ما تشكرون » فرعايتها مبدء السعادات و تضييعها منشأ الشقاوات ، وإنّ الإيمان عبارة عن التصديق و الإقرار و العمل فجعلت كلّ شعبة من الثلاث بمقابلة واحدة من هذه الأركان بتركها و اتّباع القوى الثلاث من الواهمة و الغضبيّة والشهويّة بأعمالها و فعلها ، فإنّ لكل عمل وصفة صورة شخصيّة جسدانيّة يوم القيامة .

[لاظليل] أي لا يظلّ ذلك الظلّ من الحرّ ، و تسمية ما يغشاهم من العذاب بالظلّ تهكّم واستهزاء بهم، ولما أوهم لفظ الظلّ من الاستراحة استدرك بقوله : لا ظليل [ولايغني من اللهب] أي غير مغن عن لهب النار كما يغني ظلّ الدنيا من الحرّ أي ظلّ غيرظليل و مفعول «يغني» محذوف تقديره شيئاً و هذا الظلّ ظلّ النفس الخبيثة المتمرّدة عن الإيمان بظلمة كفرها ومنشعبة من الشيطانيّة والسبعيّة و البهيميّة .

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧ .

(٢) الم السجدة : ٩ .

[إنّها ترمي بشرر كالقصر] ثمّ وصف النار أي يتطاير منها في الجهات شرارات كقصر من القصور في عظمتها و كالبناء العالي، ووصف به الجمع باعتبار كلّ واحد من آحاده . والقصر أيضاً الحطب الجزل[1] قال ابن عبّاس : هي الخشب العظام المقطّعة و كنّا نعمد إلى الخشب فنقطعها قطعاً كباراً ثلاثة أذرع وفوق ذلك و دونه ندّخرها للشتاء ونسمّيها القصر لكونها مقصورة ومقطوعة من الممدودة الطويلة. فإذا كان حال دخانها و شررها هكذا فكيف بحال أهلها ؟

[كأنّه جمالة صفر] أي كأنّ الشرر وردّ الضمير إلى لفظ الشرر و النار دون معناها فشبّه سبحانه لونه بالجمالات الصفر أي كأنّها أينق سود . قال الفرّاء: لاترى أسود من الإبل إلّاوهومشرب[2] صفرة والعرب تسمّي سود الإبل صفراء ،أوهوعلى الحقيقة من الصفرة لأنّ النار تكون أصلاً صفراء . أي كلّ شررة كجمل أسود أو أصفر .

[ويل يومئذ للمكذّبين] بنار هذه صفته .

[هذا يوم لاينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون] قيل : في معناه قولان أحدهما أنّهم لا ينطقون بنطق ينفعهم فكأنّهم لم ينطقوا . والثاني أنّ في القيامة مواقف في بعضها يتكلّمون ويختصمون وفي مواقف يختم على أفواههم و قد منعوا عن الاعتذار لأنّه خلاف الواقع إذ لو كان لهم عذر لم يمنعوا وأيّ عذر لمن جحد بربّه و عاند معه بالإنكار له .

[ويل يومئذ للمكذّبين] بهذه الأمور .

[هذا يوم الفصل] بين الحقّ و الباطل [جمعناكم] يا أمّة محمّد [والأوّلين] من كان قبلكم إذالفصل بين المحقّ والمبطل ، لابدّ وأن يحضروا .

[فإن كان لكم كيد] و حيلة تدفعون بها عنكم العذاب ، والخطاب من الله للكفّار [فكيدون] حذوف ياء المتكلّم اكتفاء بالكسرة.واحتالوا و تخلّصوا عن عذابي

---

(١) بالفتح ، الغليظ العظيم .
(٢) أشرب اللون ، أشبعه .

إن قدرتم وهذا أمر تعجيز وتقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وكانوا يدفعون الحقوق عن أنفسهم ويبطلون حقوق الناس بضروب الحيل والمكايد والتلبيسات [ويل يومئذ للمكذّبين] .

[إنّ المتقين] من الشرك والتكذيب والفواحش [في ظلال وعيون] من أشجار الجنّة وعيون جارية بين أيديهم في غير أُخدود لأنّ ذلك أمتع لهم و ينابيع تجري في ظلال الأشجار [وفواكه] جمع فاكهة وهي ثمار الأشجار [بما يشتهون] ويتمنّون فيتنا ولونها لا عن جوع وامتلاء بل عن شهوة وتلذّذ .

[كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون] أي مقولاً لهم كلوا من نعم الجنّة واشربوا من مائها و شرابها سائغاً رافهاً بلاداء بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة خصوصاً الصّيام و هذا أمر إكرام إظهاراً للرضى عنهم و تمسّك القائلون بإيجاب العمل للثواب بالباء السببيّة والجواب أنّ السببيّة إنّما هي بفضل الله و وعده لا بالذّات بحيث يمتنع عدمه أو يوجب النقص أو الظلم .

[إنّا كذلك] الجزاء العظيم [نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذّبين] حيث نال أعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلّد .

[كلوا وتمتّعوا قليلاً] أيّها المكذّبون واستلذّوا بالملاذّ زماناً قليلاً إلى مدّة آجالكم [إنّكم مجرمون] مستحقّو العذاب وحرمان الثواب لأنّكم آثرتم المتاع الفاني على النعيم الخالد فالأمر أمر توبيخ و تحسّر و تحزين وعلّل ذلك بإجرامهم دلالة على أنّ كلّ مجرم مآله هذا و ليس له إلّا الأكل و التمتّع أيّاماً قلائل ثمّ البقاء في الهلاك الأبديّ .

[ويل يومئذ للمكذّبين] حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم .

[وإذا قيل لهم] أي للمكذّبين [اركعوا] وتواضعوا له بقبول وحيه وارفضوا هذا الاستكبار و النخوة وصلّوا [لا يركعون] أي لا يصلّون ولا يتواضعون. قال مقاتل: نزلت الآية في ثقيف حين أمرهم الرسول بالصلاة فقالوا : لا ننحني فإنّ ذلك سبّة

(والسبّة الدبر) وعار علينا، فقال ﷺ : «لاخير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود» . وقيل : إنّ المراد بذلك يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون. والركوع في اللغة حقيقة في مطلق الانحناء الحسّي . و في بعض التفاسير : كانوا في الجاهليّة يسجدون للأصنام ولا يركعون لها فصار الركوع من أعلام صلاة المسلمين لله [ويل يومئذ للمكذّبين] .

[فبأيّ حديث بعده] وبأيّ خبر حقّ بعد القرآن [يؤمنون] إذ لم يومنوا بالقرآن ولم ينقادوا لمثل هذا البرهان الباهر. واستدلّ المعتزلة بهذه الآية على أنّ القرآن ليس بقديم بقوله : « حديث » إذ الحديث ضدّ القديم لأنّ القديم والحديث لايجتمعان في شيء واحد .

قال صاحب تفسير روح البيان المولى إسماعيل الحقّي بأنّ الحديث هنا بمعنى الخبر لا بمعنى الحادث ولو سلّم فيدلّ على حدوث الألفاظ الدالّة على المعاني ولا خلاف فيه وإنّما الخلاف في قدم المعنى القائم بذاته لكنّ المعتزلة لا يقولون :
إنّ علم الله حادث ولكنّهم يقولون : إنّا لا نعني بالقرآن ولا نعرف مسمّى
له إلّا هذه الألفاظ المركّبة الواقعة لبيان أحكام المكلّفين المتضمّنة
لهذه المعاني الّتي أنزلها الله على رسوله ولا شكّ أنّها حادثة
وليست بقديمة . روي أنّ هذه السورة نزلت في غار
قرب مسجد الخيف بمنى تسمّى بغار «و
المرسلات» تمّت السورة بعون الله

سورة النبأ

(مكية)

عن النبي ﷺ من قرأ سورة النبأ سقاه الله برد الشراب يوم القيامة .

و روي عن الصادق عليه السلام من أدمن قراءة عمّ يتساءلون سنة يزور بيت الله الحرام .

بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتسائلون (١) عن النبأ العظيم (٢) الذى هم فيه مختلفون (٣) كلا سيعلمون (٤) ثم كلا سيعلمون (٥) الم نجعل الارض مهادا (٦) والجبال اوتادا (٧) و خلقناكم ازواجا (٨) و جعلنا نومكم سباتاً (٩) و جعلنا الليل لباساً (١٠) و جعلنا النهار معاشاً (١١) و بنينا فوقكم سبعاً شدادا (١٢) و جعلنا سراجاً و هاجا (١٣) و انزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً (١٤) لنخرج به حباً و نباتاً (١٥) و جنات الفافا (١٦) ان يوم الفصل كان ميقاتا (١٧) يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا (١٨) وفتحت السماء فكانت ابوابا (١٩) وسيرت الجبال فكانت سرابا (٢٠) ان جهنم كانت مرصادا (٢١) للطاغين مآبا (٢٢) لا بثين فيها احقابا (٢٣) لا يذوقون فيها برداً ولا شرابا (٢٤) الا حميما وغساقا (٢٥) جزاء وفاقا (٢٦) انهم كانوا لا يرجون حسابا (٢٧) و كذبوا باياتنا كذابا (٢٨) و كل شيء احصيناه كتابا (٢٩) فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا (٣٠) ان للمتقين مفازا (٣١) حدائق و اعنابا (٣٢) و كواعب اترابا (٣٣) و كأسا دهاقا (٣٤) لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا (٣٥) جزاء من ربك عطاء حسابا (٣٦) رب السموات و الارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا (٣٧) يوم يقوم الروح و الملائكة صفا لايتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا (٣٨) ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا (٣٩) انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه و يقول الكافر ياليتني كنت ترابا (٤٠) .

[عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم] المعنى : أصله «عن ما» أُدغمت النون في الميم لاشتراكهما في الغنّة فصار «عمّا» ثمّ حذفت الألف كما في « لمَ وبم و فيم وعلام »قصداً

للخفّة و كثرة الاستعمال وكان أهل مكّة يتساءلون عن البعث و يتحدّثون بينهم و يخوضون فيه إنكاراً واستهزاءً عن النبأ الخبر العظيم الّذي له شأن وخطر أو لمّا كثر تساؤل المشركين عن شأن التوحيد والبعث قال سبحانه : « عن النبأ العظيم » وهو القرآن .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال : «النبأ العظيم الولاية» وعن الباقر عليه السلام سئل عن تفسير هذه الآية فقال : « هي في عليّ عليه السلام» كان أمير المؤمنين يقول : « ما لله آية هي أكبر منّي ولا لله نبأ أعظم منّي » .

والقمّيّ عن الرضا عليه السلام أنّه سئل عنه فقال : قال أمير المؤمنين : «ما لله نبأ أعظم منّي ، وما لله آية أكبر منّي ، و لقد عرض فضلي على الأمم الماضية على اختلاف ألسنتها فلم يقرّ لفضلي» .

و في العيون عن الباقر عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن عليّ عليهما السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : يا عليّ أنت حجّة الله وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله و أنت النبأ العظيم وأنت الصراط المستقيم وأنت المثل الأعلى» الحديث .

وفي الكافي في خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام قال : «إنّي أنا النبأ العظيم و عن قليل ستعلمون ما توعدون» .

[الّذي هم فيه مختلفون] فمصدّق به ومكذّب به و الجملة وصف للنبأ بعد وصفه بالعظيم و « فيه » متعلّق بمختلفون ، قدّم عليه اهتماماً به ورعايةً للفواصل وجعل الصلة جملة اسميّة للدّلالة على الثبات أي هم راسخون في الاختلاف فمن جازم باستحالته بقوله (١) : « إن هي إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا إلّا الدهر ومانحن بمبعوثين» ومن مقرّ يزعم أنّ آلهته يشفع له كما قالوا(٢): «هؤلاء شفعاؤنا عند الله » و من شاكّ يقول (٣) : « ما ندري ما الساعة إن نظنّ إلّا ظنّاً و ما نحن بمستيقنين » .

---

(١) سورة الجاثية : ٢٣ .
(٢) « التوبة : ١٨ .
(٣) « الجاثية ٣١

[كلاّ سيعلمون] ردع كما يستفاد من كلمة « كلاّ » و وعيد كما يستفاد من قوله : « سيعلمون » أي ليس أمر القيامة أو أمر التوحيد و النبوّة أو الولاية ممّا ينكر أو يشكّ فيه بحيث يتساءل عنه سيعلمون ما اختلفوا فيه حق مقطوع لا شكّ فيه .

[ثمّ كلاّ سيعلمون] تكرير للردع و الوعيد و «ثمّ» للدّلالة على أنّ الوعيد الثاني أشدّ و أبلغ و قيل : ليس تكراراً فقال : بالأوّل سيعلمون حقيقة الأمر عند النزع ثمّ في يوم القيامة و ورود جهنّم و ما تلاقونه من فنون الدواهي و العقوبات عمّا قليل .

ثمّ نبّههم على وجه الاستدلال على صحّة ذلك فقال : [ألم نجعل الأرض مهاداً] الهمزة للتقرير والمهاد البساط والفراش أي ألم نجعل الأرض بساطاً ممهوداً تتقلبون عليها كما ينقلب الرجل على بساطه ومهاداً مفعول ثان لجعل إن كان الجعل بمعنى التصيير وحال إذا كان بمعنى الخلق وقرىء مهداً تشبيهاً بمهد الصبيّ .

[والجبال أوتاداً] للأرض لئلاّ تميد بأهلها والمراد إرساؤها فيها لتسكن إذ كانت تضطرب على الماء فهو من باب التشبيه البليغ ، و سادات الأولياء و خواصّ الأصفياء على الحقيقة هم الأوتاد بهم يمسك السماء أن تقع على الأرض وهم الأئمّة المعصومون وإنّهم جبال ثابتة ، وبهم ثبتت أرض الوجود ولولاهم لما خلقت .

[وخلقناكم أزواجاً] أي جعلنا خلقكم حال كونكم أصنافاً ذكراً و أنثى و الزوج يقال لكلّ واحد من القرينين المزدوجين حيواناً أو غيره كالخفّ والنعل و لا يقال : للاثنين زوج بل زوجان و لذا كان الصواب أن يقال : قرضته بالمقراضين و قصصته بالمقصّين لأنّهما اثنان لا بالمقراض و بالمقصّ كذا قال الحريريّ في درّة الغوّاص وقال الفيروزآباديّ : يقال للاثنين هما زوجان و هما زوج ، وزوجة للمرءة لغة رديئة لقوله تعالى [1] : « يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنّة » و يقال لكلّ ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً زوج و لذا فسّر بعض الآية: خلقناكم حال كونكم

(١) سورة البقرة ، ٣٥ .

معروضين لأوصاف متقابلة كلّ واحد منها مزدوج بما يقابله كالفقر والغنى والصحّة و المرض و العلم و الجهل و القوّة و الضعف و الذكورة و الأنوثة و الطول و القصر، فالفاضل يشتغل بالشكر و المفضول بالصبر، ويحصل منكم التناسل، و يتمتّع بعضكم ببعض .

[و جعلنا نومكم سباتاً] و النوم استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه ولذا قلّ في أهل الرياضة لقلّة الرطوبة « سباتاً » أي كالموت ، والمسبوت الميّت ، وهو القطع لأنّه مقطوع عن الحركة و منه سمّي يوم السبت لأنّ الله بدأ بخلق السماوات والأرض يوم الأحد فخلقها في ستّة أيّام فقطع عمله يوم السبت فسمّي بذلك والنوم إحدى التوفيتين كما قال سبحانه :[1]« الله يتوفّى الأنفس حين موتها و الّتي لم تمت في منامها » أي و يتوفّى الّتي لم تمت في منامها وذلك لما بينهما من المشاركة التامّة في انقطاع أحكام الحياة ،والتنوين في « سباتاً » للنوعيّة أي و جعلنا نومكم نوعاً من الموت وهو الموت الّذي ينقطع ولا يدوم إذ لاينقطع ضوء الروح إلّا عن ظاهر البدن و بهذا الاعتبار قيل : لهأخو الموت وقدجعله سبحانه راحة لأبدانكم عن الكلال والملال .

[وجعلنا الليل لباساً] أي غطاء وسترة يستر بظلمته وسواده يقال : لبس الثوب استتر به و استعير اللباس لكلّ ما يغطّي الإنسان عن قبيح فجعل الزوج لزوجها لباساً من حيث يمنعه عن تعاطي قبيح و كذا البعل و أيضاً جعل التقوى لباساً على طريق التشبيه و كذا جعل الخوف والجوع لباساً يقولون : فلان تدرّع الفقر ولبس الجوع،وحاصل المعنى أنّ الليل يستركم بظلامه كما يستركم اللباس.قيل : الليل ستر السالكين والنهار سوق البطّالين .

الليل للعاشقين ستر ☆ ياليت أوقاتها تدوم

---

(١) سورة الزمر ، ٤٢ .

[و جعلنا النهار معاشا] أي حياة تبعثون فيه من نومكم و وقت معاشكم و مبتغي عيشكم .

[وبنينا فوقكم سبعاً شداداً] أي سبع سماوات محكمة أتقناصنعها وأوثقنابناءها لايؤثر فيها مرّ الدهوروكرّ العصور .والتعبيرعنها بالبناء مبنيّ على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق .

[و جعلنا] أنشأنا [سراجاً وهّاجاً] هو الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السماوات بالبناء. وهّاجاً ووقّاداً متلألئاً من وهجت النار إذا أضاءت أو بالغاً في الحرارة من الوهج وهو الحرّ أى جامعاً بين النور والحرارة .

قيل : إنّ الشمس و القمر خلقا في بدء أمرهما من نور العرش و يرجعان في القيامة إلى نور العرش روى عكرمة عن ابن عبّاس أنّه قال : ألا اُحدّثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في الشمس والقمروبدء خلقهما؟قال قلنا : بلى يرحمك الله فقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عن ذلك فقال صلى الله عليه وآله : «إنّ الله تعالى لما أبرز خلقه احكاماً و لم يبق غير آدم (أى و ماكان خلقه بعد) خلق شمسين من نور عرشه فأمّا ما كان في سابق علمه أن يدعها شمساً فانّه خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها و مغاربها، وما كان في سابق علمه أن يطمسها ويحوّلها قمراً فانّه جعله دون الشمس في العظم و إنّما يرى صغرهما لشدّة ارتفاعهما في السماء وبُعدهما من الأرض فلو ترك الشمس والقمر كماكان خلقهما في بدء أمرهما لم يعرف الليل من النهار ولاالنهارمن الليل ولا يدري الأجير متى يعمل ومتى يأخذأجره ومتى يفطر الصائم ولاتدري المرءة متى تعتدّ و لا يدري المسلمون متى وقت صلاتهم و متى وقت حجّهم ، فكان الربّ أنظر بعباده و أرحم بهم فأرسل جبرئيل فأمرّ جناحه على وجه القمر فطمس منه الضوء و بقي فيه من النور فذلك قوله :[1]« و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا آية الليل و جعلنا آية النهار مبصرة » فالسواد الّذي ترونه في القمر شبه الخطوط فيه أثر المحو قال : فاذا قامت القيامة وقضى الله بين الناس وميّز بين أهل الجنّة و النار و لم يدخلوهما

(١) سورة الاسراء : ١٧ .

بعدُ يدعو الربّ بالشمس والقمر و يجاء بهما أسودين مكوّرين قد وقفا في زلازل و بلابل ترعد فرائصهما من هول ذلك اليوم و مخافة الرحمن فإذا كانا حيال العرش خرّا لله ساجدين فيقولان : إلهنا قد علمت طاعتنا لك و دأبنا في عبادتك و سرعتنا للمضيّ بأمرك أيّام الدنيا فلا تعذّبنا بعبادة المشركين إيّانا، فقد علمت أنّا لم ندعهم إلى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الربّ : صدقتما إنّي قد قضيت على نفسي أن أبدء و أُعيد و إنّي معيد كما إلى ما أبدءتكما منه فارجعا إلى ما خلقتكما منه فيقولان: ربّنا ممّ خلقتنا ؟ فيقول : خلقتكما من نور عرشي فارجعا إليه فتلمع من كلّ واحد منهما برقة يكاد يخطف الأبصار نوراً فيختلطان بنور العرش فذلك قوله[1] « يبدء ويعيد » .

فإن قيل : إنّ نور الشمس و القمر يتّصل بنور النبيّ وإنّ نورهما مخلوقان من نوره فكيف يتّصل نورهما بنور العرش ؟

فالجواب أنّ العرش والكرسيّ خلقا من نوره ﷺ ولو كان خلق القمرين من نور العرش فهما أيضاً مخلوقان من نور النبيّ في الحقيقة و متّصل نورهما بنوره ﷺ فالكلّ نوره .

[وأنزلنا] النون للعظمة [من المعصرات] هي السحائب إذا عصرت وشارفت أن تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد ، والإنزال من المستعدّ لا من المنزل و الواقع وإلّا يلزم تحصيل الحاصل وهمزة فعل «أعصر» للحينونيّة يقال : أحصد الزرع إذا حان له أن يُحصد و أعصرت الجارية أي حان لها أن تعصر الطبيعة رحمها فتحيض أو دخلت في عصر شبابها و لو لم تكن همزة أعصر للحينونيّة لكان ينبغي أن يقرء « و المعصرات » بفتح الصاد على المفعول لأنّ الرياح تعصرها و يجوز أن تكون المعصرات الرياح الّتي حان لها أن تعصر السحاب فتمطر [ماءً ثجّاجاً] أي منصبّاً بكثرة دفاعاً من الصبابة، مدراراً متتابعاً يتلو بعضه بعضاً يقال : ثجّ الماء أي سال بكثرة : قال ﷺ : « أفضل الحجّ العجّ والثجّ » أي رفع الصوت بالتلبية وصبّ دماء الهدي .

(١) سورة البروج ، ١٣ .

ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى (١): « فأنزلنا من السماء ماء » فإنّ ابتداء المطر إن كان من السماء يكون الإنزال منها إلى السحاب و منه إلى الأرض و إلاّ فإنزاله منها باعتبار تكون بأسباب سماويّة من جملتها حرارة الشمس باعتبار السببيّة والله خالق الأسباب ومسبّبها .

[لنخرج به] بذلك الماء بسبب وصوله إلى الأرض واختلاطه بها. وهذه اللام لام المصلحة عند الأشاعرة ولام الغرض عند المعتزلة [حبّاً ونباتاً] و الحبّ اسم جنس يشمل مايكون قوتاً للإنسان و يقوم به بدنه كالحنطة و الشعير و أمثالها ونباتاً كثيراً يعتلف به كالتبن والكلاء . وتقدّم ذكر الحبّ مع تأخّره عن النبات في الإخراج و الوجود لأصالته .

[وجنّات] ليتفكّه بها الإنسان. قال الفرّاء: الجنّة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكروم والجنّة في الأصل هي السترة تطلق على النخل و الأشجار المتكاثفة بأغصانها وتطلق على الأرض ذات الشجر [ألفافاً] أي ملتفّة تداخل بعضها في بعض و ألفاف قيل : لاواحد له كالأوزاع والأخياف (٢)، والأوزاع بمعنى الجماعات وقيل: واحده لِفّ ككِنّ و أكنان أو مفرده لفيف أو هو جمع لفّ جمع لفاء كخضر وخضراء فتكون ألفاف جمع الجمع والمراد من هذه الآيات بيان قدرته على البعث من ذكر الدلائل الآفاقيّة و الأنفسيّة والاستبعاد من إنكارهم و اختلافهم في وقوعه مع هذه الشواهد .

[إنّ يوم الفصل] بين الخلائق [كان] في تقديره و علمه [ميقاتاً] و ميعاداً للأوّلين و الآخرين ووقت ظهور ما وعد الله من البعث والجزاء .

[يوم ينفخ في الصور] بدل من « يوم الفصل » أو عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله و ذلك الوقت و اليوم زمان ممتدّ يقع في مبدئه النفخة وفي بقيّته الفصل . والصور القرن النورانيّ المعروف والنافخ إسرافيل [فتأتون أفواجاً]خطاب

---

(١) سورة الحجر ، ٢٢ .

(٢) يقال ، اخوة اخياف ، اذا كانوا من ام واحدة وآباء شتى .

عامّ والفاء فصيحة تفصح عن جملة قد حُذفت ثقة بدلالة الحال عليها أي فتبعثون من قبوركم فتأتون إلى الموقف أفواجاً و الفوج الجماعة المارّة المسرعة .

و سأل معاذ عن رسول الله ﷺ من ذلك اليوم فقال ﷺ : «يا معاذ سألت عن أمر عظيم» ثمّ أرسل ﷺ عينيه وقال : «تحشر عشرة أصناف من اُمّتي بعضهم على صورة القردة و بعضهم على صورة الخنازير و بعضهم منكوسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها و بعضهم عُمْيٌ و بعضهم بُكمٌ و بعضهم يمضغون ألسنتهم وهي مُدلات[1] على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذّرهم أهل الجمع و بعضهم مقطّعة أيديهم و أرجلهم و بعضهم مصلّبون على جذوع من نار و بعضهم أشدّ نتناً من الجيف و بعضهم ملبسون جباباً سابغة من القطران لازقه بجلودهم فأمّا الّذين على صورة القردة فالقتّات أي النّمام من الناس[2] وأمّا الّذين على صورة الخنازير فأهل السحت أي الحرام لأنّه يسحت الدّين والمروّة ويستأصلهما وأمّا المنكوسون على وجوههم فآكلة الربا (والتنكيس تعكيس هيئة القيام على الرجل بأن تجعل الرجل أعلى و الرأس أسفل) وأمّا العمي فالّذين يجورون في الحكم ، و أمّا البكم فالمعجبون بأعمالهم ، وأمّا الّذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء و القصّاص الّذين خالف قولهم أعمالهم ، وأمّا الّذين قطّعت أيديهم وأرجلهم فهم الّذين يؤذون جيرانهم ، وأمّا المصلّبون على جذوع النار فالسعاة بين الناس إلى السلاطين ، وأمّا الّذين هم أشدّ نتناً من الجيف فالّذين يتّبعون الشهوات واللّذّات ويمنعون حقّ الله في أموالهم ، وأمّا الّذين يلبسون الجباب فأهل الكبر و الخيلاء انتهى .

[وفتحت السماء] عطف على ينفخ أي تفتح وتشقّ السماء من هيبة الله بعد أن

---

(١) ادلاء ارخاء واسترسله .

(٢) حكى أن رجلا باع عبداً وقال للمشترى : ما فيه عيب إلا النميمة فقال : رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياماً ثم قال لزوجة المولى : إن زوجك لايحبك و هو يريد أن يتسرى عليك فخذى الموسى و احلقى حين ينام من قفاه شعرات حتى اسحر عليه فيحبك ثم قال للزوج : إن امرأتك أخذت خليلا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم الرجل فجاءت المرءة بالموسى فظن أنها تقتله فقام فقتلها فجاء أهل المرءة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الفساد بينهم.

كانت لافطور فيها وصيغة الماضي للدلالة على التحقّق [فكانت أبواباً] ذات أبواب كثيرة لنزول الملائكة نزولاً غير معتاد وقيل : المراد من الفتح الكشف بإزالتها عن مكانها كما قال تعالى :(١) « و إذا السماء كشطت » أي تكشط فيصير مكانها طرقاً لا يسدّها شيء .

[وسيّرت الجبال] والمسيّر هوالله بعد قلعها عن مقرّها وتنبّس(٢) ثمّ يفرّقها في الهواء وذلك قوله[فكانت سراباً] السراب ما تراه نصف النهار وهو اللامع في المفازة كالماء وذلك لانسرابه وجريانه في مرى العين أي فصارت بتسيّرها مثل السراب أي شيئاً كلا شيء لانبثات جواهرها .

فللجبال حالات فأوّل حالاته الاندكاك كما قال :(٣)« وحُملت الأرض والجبال فدكّتا دكّة واحدة » و حالتها الثانية أن تصير كالعهن المنفوش (٤) والثالثة أن تصير كالهباء وذلك بأنّ تتبدّد كما قال :(٥) « فكانت هباءً منبثّاً » و الرابعة أن ينسف لأنّها مع الأحوال المتقدّمة كانت قارّة مبثوثة على الأرض فنسفت بالرياح و هو المراد من قوله :(٦) « ينسفها نسفاً» وحالته الخامسة أن تصير سراباً .

[إنّ جهنّم كانت مرصاداً] أي إنّها في حكم الله موضع رصد يرصد فيه و خزنة جهنّم يرصدون الكفّار ليعذّبوهم فيها فالمرصاد اسم للمكان الّذي يرصد فيه ويستعمل للمحلّ الّذي اختصّ بالترغيب والجواز عليه .

[للطاغين مآباً] أي كائناً للّذين جاوزوا حدودالله مرجعاً يرجعون إليه .

[لابثين فيها أحقاباً] حالكونهم مستقرّين في جهنّم أزماناً كثيرة لا نهاية لها

---

(١) سورة التكوير : ١١ .

(٢) اى تحركت بسرعة .

(٣) سورة الحاقة : ١٤ .

(٤) « القارعة : ٥ .

(٥) « الواقعة : ٦ .

(٦) « طه : ١٠٥ .

و دهوراً متتابعة كلّما مضى حقب تبعه حقب آخر إلى غير نهاية و أصل الحقب من الترادف و التتابع يقال : أحقب إذا أردف و قيل : إنّ الأحقاب ثلاثة و أربعون حقباً كلّ حقب سبعون خريفاً كلّ خريف سبعمائة سنة كلّ سنة ثلاثمائة و ستّون يوماً و اليوم ألف سنة من أيّام الدنيا كما روي عن ابن عبّاس . و قال بعض : الحقب الواحد سبعون ألف ، اليوم منها ألف سنةمن أيّام الدنيا كما قال به الحسن البصري . قال الفيروز آبادي : الحقبة بالكسر من الدهر مدّة لا وقت لها .

وبالجملةفا ن قيل: إنّ في معنى الأحقاب مايدلّ على التناهي وخروجهم منها؟ فدلالته من قبيل المفهوم فلايعارض المنطوق الدالّ على خلود الكفّار كقوله تعالى:[١] « يريدون أن يخرجوا من النار فماهم بخارجين منها و لهم عذاب مقيم » وأمثالها كثيرة الدالّة على الخلود الأبديّ . و قيل : هذا التوقيت لأنواع العذاب لا لمكثهم في النار .وقيل : إنّه يعني به لأهل التوحيد عن خالد بن معدان و روى نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله : لايخرج من النار مَن دخلها حتّى يمكث فيها أحقاباً و الحقب بضع و ستّون سنة و السنة ثلاثمائة و ستّون يوماً كلّ يوم كألف سنة ممّا تعدّون فلا يتّكلنّ أحد أن يخرج من النار .

[لايذوقون فيها برداً ولا شراباً * إلّا حميماً و غسّاقاً] و الذوق و إن كان في العرف للقليل لكنّه صالح للكثير لوجود الذوق في الكثير أيضاً و المراد بالبرد ما يروّحهم وينفّس عنهم حرّ النار وإلّا فهم يذوقون في جهنّم برد الزمهرير. و كنّي بالبرد عن الروح وبما يجد الإنسان من اللذّة في الحرّ من البرد أو المراد من البرد النوم قاله أبو عبيدة : واستشهد « فيصدّني عنها وعن قبلاتها البرد » أي النوم « ولاشراباً » أي ماء إلّا الحميم وهو الماء الحارّ المغيور « وغسّاقاً » وهو صديد جهنّم وما يسيل من جلود أهل النار وقيحهم و الاستثناء منقطع أي لكن يذوقون الحميم و الغسّاق و إن فسّر الغسّاق بالزمهرير فاستثناؤه من البرد و التأخير ليوافق رؤوس الآي . و عن ابن مسعود : الغسّاق لون من ألوان العذاب وهو البرد الشديد حتّى أنّ أهل

(١) سورة النساء ، ٤٠ .

النار إذا ألقوا فيه سألوا الله أن يعذّبهم في النار ألف سنة لمّا رأوه أهون عليهم من عذاب الزمهرير يوماً واحداً .

وقال شهر بن حوشب : الغسّاق واد في النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعباً في كلّ شعب ثلاثمائة وثلاثون بيتاً ، وفي كلّ بيت أربع زوايا في كلّ زاوية شجاع كأعظم ما خلق الله من الخلق في رأس كلّ شجاع سمّ ، قال ابن مسعود : لو علم أهل النار أنّهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنّة أنّهم يلبثون في الجنّة عدد حصى الدنيا لحزنوا .

أقول : وأمّا ما قاله بعض حكماء الإسلام من أنّ الكفّار بعد مضيّ الأحقاب ينقطع عنهم العذاب فألفوا العذاب وتعوّدوا به ولم يتألّموا منه ويؤول أمرهم إلى أن يتلذّذوا بالنار حتّى لو هبّ عليهم نسيم الجنّة استكرهوه وتعذّبوا به كالجعل يتألّم من الورد ويحصل لهم حالة جسم السمندري أو أنّ النار يحرق الكفّار في عوض شرك يوم من أيّام الدنيا ألف سنة من سني الآخرة ثمّ بعد مرور الأحقاب ينقطع العذاب عنهم .

فذلك بمعزل عن القبول ومن قال به كذّب بالقرآن بل كذّب بجميع كتب السماويّة والأنبياء مثل عبدالكريم الجيلاني في كتابه المسمّى «إنسان الكامل» وابن العربيّ والبسطاميّ وأمثالهم ممّن أظهروا الباطل في صورة الحقّ وقالوا : إنّ الآيات الّتي يدلّ على خلودهم في النار بحيث يتألّمون بالتعذيب إنّما يدلّ على الزمان الطويل لا على التألّم وإنّما يعذّبون مدّة طويلة ثمّ هم خالدون إلّا أنّهم غير معذّبين وتكلّفوا في ظاهر القرآن والنصوص بالتأويلات القبيحة المستحسنة الظاهرة مثل أنّه سبحانه تمدّح بالعفو والمغفرة ولم يتمدّح بالتعذيب وقالوا : صورة العذاب دائمة ولكنّهم بعد أحقاب من العذاب يتنعّمون من العذاب كما قال ابن العربيّ « يميت فتجري فيهم تلك السموم الشديدة حتّى يتخدّروا بذلك فيحصل لهم أعظم اللذّة والنعيم » ولو كان الأمر كما زعموا فلمَ يتمنّون الموت

بقولهم[1] : « يامالك ليقض علينا ربّك » فيجابون « إنّكم ما كثون » .

وبالجملة فالحجّة في الآيات الاحالة على العرف في فهم الآيات و النصوص و أنّهم لا يخاطبون بما لا يعرفون فإنّهم لا يعرفون في قوله : [2]« خالدين فيها أبداً ولهم عذاب مقيم ☆ لا تفتّر عنهم وهم فيه مبلسون » إلّا عدم انقطاع العذاب و معلوم بالضرورة أنّه ما ورد من الأنبياء و لا من الأئمّة مثل هذه التأويلات في مثل هذه الآيات أبداً فلابدّ أن يضرب بالحائط هذه التأويلات الفاسدة انتهى .

[جزاءً وفاقاً] أي جوزوا بذلك جزاءً وفاقاً لأعمالهم و عقائدهم و وافقها وفاقاً لأنّهم أتوا بمعصية عظيمة فعوقبوا عقاباً عظيماً « و جزاء سيّئة سيّئة مثلها » لأنّ الكفّار كان من نيّاتهم الاستمرار على الكفر و لو عمروا عمر الدنيا بل عمر الآخرة .

ثمّ علّل استحقاقهم بقوله : [إنّهم كانوا لا يرجون حسابا] ينكرون الآخرة ولا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم ويقدمون في كلّ مااشتهت نفوسهم ،ويستعمل الرجاء في الخوف قال الهذليّ : «إذا لسعته النحل لم يرج لسعها» [و كذّبوا بآياتنا كذّاباً] وقد أنكروا آياتنا و رسلنا كذّاباً أي تكذيباً مفرطاً .

[و كلّ شيء أحصيناه كتاباً] أي و كلّ شيء من أعمالهم حفظناه حال كونه مكتوباً عليهم والاحصاء والكتابة في الضبط معنى متقارب ويجوز أن يكون من باب الاحتباك[3]، حذف الفعل الثاني بقرينة الأوّل ومصدر الأوّل بقرينة الثاني والتقدير أي أحصيناه إحصاء و كتبناه كتاباً .

[فذوقوا فلن نزيد كم إلّا عذاباً] و الفاء في فذوقوا جزائيّة دالّة على أنّ الأمر بالذوق مسبّب عن كفرهم بالحساب و تكذيبهم بالآيات وأنّ كلّ عذاب يأتي بعد الوقت الأوّل فهو زائد عليه و يزود العذاب و يجدّد غير الأوّل إلى ما لا نهاية .

(١) سورة الزخرف ، ٧٧ .
(٢) « « : ٧٥ .
(٣) الاحتباك احتزام الثوب بالازار.

قوله [إنّ للمتقين مفازاً] شروع في بيان محاسن أحوال المؤمنين أي إنّ للّذين يتّقون الكفر و الكبائر فوزاً و ظفراً بمباغيهم أو موضع فوز، فالمفاز على الأوّل مصدرٌ ميميّ وعلى الثاني اسم مكان .

[حدائق وأعناباً] بدلٌ من « مفاز » بدل الاشتمال إذا كان مصدراً ميمياً لأنّ الفوز يدلّ عليه دلالة التزاميّة ، و بدل البعض إذا كان اسم مكان والحديقة الروضة ذات الأشجار والماء تكون محوطة سمّيت تشبيهاً بحدقة العين في الهيئة من التحوّط وحصول الماء فيها .

[و كواعب] جمع كاعبة كعبت المرءة ظهر ثديها وبدت للارتفاع ونهدت [أترا باً] مستويات في السنّ ،لدات في الميلاد،تشبيهاً في التساوي بالترائب الّتي هي ضلوع الصدر قيل : إنّهنّ في سنّ ستّ عشر لكونها نصف سنّ الرجال لأنّ سنّ أهل الجنّة في ثلاث وثلاثين،ويدلّ على هذا المعنى وصفهنّ بالكعوب وهذه الكيفيّة في الثدي يحصل في هذا السنّ من البنات .

[وكأساً دهاقاً] أي مملوءة بالخمر «دهاقاً » أي مدهقة مبالغة في امتلائها يقال: أدهق الحوضَ و دهقه ملأه .

[لا يسمعون] أي المتّقون [فيها] في الحدائق [لغواً و لا كذّاباً] لا ينطقون بلغو و هو من الكلام ما يطرح لعدم الفائدة فيه ولا يكذب بعضهم بعضاً بخلاف مجالس الدنيا من الشرب ولا يكذّب بعضهم كلام الآخر بخلاف المصاحبين في الدنيا .

[جزاءً من ربّك] أي فعل بالمتّقين ما فعل جزاء من الله على تصديقهم بالله و برسوله و عملوا بكتابه [عطاء] أي أعطاهم الله إعطاءً [حساباً] أي كافياً على قدر ما يشتهون أو على مقابلة صحّة حسابهم مع الله في الدنيا بما وعد سبحانه لهم من عشرة وسبعمائة والمضاعفة وهو داخل في الحسب و التقدير ، والحسب بمعنى التقدير والقدر ،فيكون المعنى عطاءً بحساب . والعطاء يستعمل في موضع الفضل لا في موضع الاستحقاق والفضل موهبة من الله يختصّ بها من يشاء .

[ربّ السماوات و الأرض و ما بينهما] بدلٌ من ربّك أي ربّ كلّ شيء و خالقه [الرحمن] مفيض الجود والرحمة بقدر استعداد المرحوم، وهو بالجرّ صفة للربّ أو المعنى ربّهم المعطي إيّاهم ذلك العطاء الجزيل هو الرحمن [لا يملكون منه خطاباً] استيناف مقرّر لبيان غاية العظمة و استقلاله من الجزاء و العطاء من غير أن يكون لأحد قدرة عليه و بيان نفي قدرتهم على أن يخاطبوه بشيء من نقص العذاب وزيادة في الثواب من غير إذنه مثل قوله [1]: « لا تكلّم نفس إلّا بإذنه » ومثل قوله:[2] « ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى » .

[يوم يقوم الروح والملائكة صفّاً لا يتكلّمون إلّا من أذن له الرحمن] الظاهر أنّ الروح من جنس الملائكة لكنّه أعظم منهم خلقاً و رتبةً وشرفاً لتسميته بالروح والروح أعظم من قواه التابعة له في الإنسان فكذلك في الملائكة وفسّر بعض الروح بجبرئيل إذ هو مشهور بروح الأمين وروح القدس، لكن هذا القول ضعيف لأنّ هذه النسبة إلى جبرئيل لأنّه حامل الوحي الّذي هو كالروح في الأحياء وقد اتّفقوا على أنّ إسرافيل أعظم من جبرئيل قيل : إنّ الروح خلقٌ من خلق الله على صورة بني آدم وليسوا بناس وليسوا بملائكة يقومون صفّاً والملائكة صفّاً هؤلاء جند وهؤلاء جند وقيل: إنّ الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقاً أعظم منه فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفّاً وقامت الملائكة كلّهم صفّاً فيكون عظم خلقه مثل صفّ الملائكة جميعاً عن ابن مسعود و ابن عبّاس وقيل : المراد أنّ أرواح الناس يقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن تردّ الأرواح إلى الأجساد [وقال صواباً] فإذا اُذن لهم قالوا لا إله إلّا الله وهذا قول الصواب أو من قال في الدنيا قول الحقّ وكان يقول : لا إله إلّا الله ، وهم أهل التوحيد .

[ذلك] إشارة إلى يوم قيامهم [اليوم الحقّ] الثابت المتحقّق لا محالة لأنّه متحقّق علماً و وقوعاً و روى معاوية بن عمّار عن الصادق عليه السلام قال : سئل عن هذه

---
(١) سورة يونس : ١٠٦ .
(٢) « الجن : ٢٧ .

الآية فقال : نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون، قال : جعلت فداك ماتقولون؟ قال : نمجّد ربّنا ونصلّي على نبيّنا ونشفع لشيعتنا فلا يردّنا ربّنا [فمن شاء اتّخذ إلى ربّه مآباً] أي فعلى هذا البيان من عمل عملاً صالحاً يؤوب به إلى ربه فقد أُزيحت العلل و اُوضحت السبل .

[إنّا أنذرناكم] بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث و بما بعده والقوارع الواردة في القرآن [عذاباً قريباً] وهو عذاب يوم القيامة و قربه لتحقّق إثباته حتماً[1] « كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشيّة أو ضحاها » .

[يوم ينظر المرء ماقدّمت يداه] تثنية أصلها يدان سقطت النون بالاضافة أي عذاباً كائناً يوم ينظر المرء و يشاهد ما قدّمه من خير أو شرّ لأنّ كلّ أحد يرى عمله مثبتاً في صحيفة فيرجو المؤمن ثواب الله على صالح عمله ويخاف العقاب على سيّئته. وأمّا الكافر [ويقول الكافر ياليتني] والمنادى محذوف أي ياقوم ،أويكون لمحض التحسّر من غير قصد إلى خطاب [كنت تراباً] في الدنيا ولم اُخلق ولم اُبعث قيل : يحشر الله الحيوان فيقتص للجمّاء من القرناء نطحتها[2] لقصاص المقابلة لا قصاص التكليف ثمّ يردّه تراباً فيتمنّى الكافر حاله . وقيل : الكافر في الآية إبليس يرى آدم وولده و ثوابهم فيتمنّى أن يكون الشيء الّذي احتقره حين قال [3] : « خلقتني من نار و خلقته من طين » و يقول : « ليتني كنت تراباً » و قيل : هو تراب سجدة المؤمن تنطفيء به عنه النار و تراب قدمه عند قيامه في الصلاة فيتمنّى الكافر أن يكون تراب قدمه .

روى اُبيّ بن كعب قال رسول الله ﷺ : «تعلّموا سورة النبأ و سورة ق وسورة والنجم و سورة والسماء ذات البروج و سورة والسماء والطارق فإنّكم لوتعلمون ما

(١) سورة النازعات : ٤٦ .

(٢) الجماء : الكبش لاقرن له خلاف القرناء .

(٣) سورة الاعراف : ١١ .

فيهنّ لعطّلتم ما أنتم عليه ، وتقرّبوا إلى الله بهنّ إنّ الله يغفر بهنّ كلّ ذنب إلّا الشرك به » قال ﷺ : لمّا قيل له ﷺ : لقد أسرع الشيب إليك يارسول الله؟

قال: «شيّبتني هود والواقعة والمرسلات وعمّ وإذا الشمس كوّرت»

واستحضار معاني هذه السور يشيب الإنسان من الهمّ ويذيب

من الخوف والغمّ لأنّ الشحم والهمّ لاينعقد

تمّت السورة بعون الله

سورة النازعات

☆(مكية)☆

قال النبي صلى الله عليه وآله : و من قرأ هذه السورة لم يكن حبسه وحسابه يوم القيامة إلاّ كقدرصلاة مكتوبة حتّى يدخل الجنّة .

و قال أبو عبد الله عليه السلام : و من قرأها لم يمت إلاّ و هو ريّان ، و لم يدخل الجنّة إلاّ ريّان .

بسم الله الرحمن الرحيم

و النازعات غرقاً (۱) و الناشطات نشطاً (۲) و السابحات سبحاً (۳) فالسابقات سبقاً (٤) فالمدبرات أمراً (٥) يوم ترجف الراجفة (٦) تتبعها الرادفة (۷) قلوب يومئذ واجفة (۸) ابصارها خاشعة (۹) يقولون ائنا لمردون فى الحافرة (۱۰) اذا كنا عظاما نخرة (۱۱) قالوا تلك اذاً كرة خاسرة (۱۲) فانما هى زجرة واحدة (۱۳) فاذاهم بالساهرة (۱٤).

المعنى : النزع جذب الشيء من مقرّه بشدّة والغرق مصدر بمعنى الإغراق بحذف الزوائد وهو مفعول للنازعات يعني مفعول مطلق له لأنّه نوع من النزع. والإغراق في النزع التوغّل فيه إلى أقصى درجاته يقال : أغرق النازع في القوس إذا بلغ غاية المدّ حتّى انتهى إلى المنصل، أقسم الله بطوائف الملائكة الّتي تنزع الأرواح من الكفّار من أجسادهم إغراقاً في النزع كما ينزع السهم الكثير الشعب من الصوف المبلول و كما يسلخ جلد الحيوان وهو حيّ و كما يضرب الإنسان ألف ضربة بالسيف بل أشدّ، والمراد من التأنيث باعتبار الطوائف من أعوان ملك الموت من الملائكة و إلّا لكان أن يقال : والنازعين والناشطين . وهم يطعنون الكفّار بحربة مسمومة بسمّ جهنّم والميّت يظنّ أنّ بطنه قد ملىء شوكاً و كأنّ نفسه يخرج من ثقب إبرة وكان السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما فإذا نزعت نفس الكافر وهي ترعد أشبه شيء بالزيبق على قدر النحلة و على صورة عمله تأخذها الزبانية ويعذّبونها في القبر وفي سجّين وفي الآية بيان كيفيّة قبض أرواح الكفّار بالشدّة بشهادة مدلول اللّفظ .

[و الناشطات نشطاً] قسم آخر بطريق العطف و النشط ضدّ معنى النزع و جذب الشيء من مقرّه برفق و لين أقسم الله بالملائكة الّتي تنشط أرواح المؤمنين و تخرجها من أبدانهم بالرفق يقال :انشطت العقدة حللتها،ويقال : نشطتها عقدتها و

كما تنشط الشعرة من السمن والقطرة من السقاء ، ونفس المؤمن و إن كان يجذب من أطراف البنان و رؤوس الأصابع أيضاً لكن إحساسه بالألم ليس كما يحسّ الكافر و أيضاً حين يجذبونها يدعونها أحياناً حتّى تستريح بخلاق جذب أرواح الكفّار و ربّما يتعرّض الشيطان للمؤمن الضعيف العمل واليقين إذا بلغ الروح التراقي فيأتيه في صورة أبيه و اُمّه وأخيه ويأمره باليهوديّة أو النصرانيّة .

حكي أنّ إبليس تمثّل للنبيّ ﷺ يوماً وبيده قارورة ماء فقال : أبيعه بإيمان الناس حالة النزع فبكى النبيّ ﷺ فأوحى الله إليه: إنّي أحفظ عبادي في تلك الحالة من كيده . فإذا أخذ أرواح المؤمن يلفّونها في حرير الجنّة وهي على قدر النخلة و على صورة عمله فيعرجون بها إلى الهواء ويهيّئون له أسباب التنعّم في قبره وفي علّيّين .

فقوله « والناشطات » إشارة إلى كيفيّة قبض أرواح المؤمنين بمدلول اللفظ من نشط العقال من يد البصير إذا حلّ ، أو المعنى تنشط أرواح المؤمنين للخروج لأنّه ما من مؤمن يحضره الموت إلّا عرضت عليه الجنّة قبل أن يموت فيرى موضعه فيها وأزواجه من الحور العين فنفسه تنشط أن تخرج عن ابن عبّاس . وقيل : المراد نشط أرواح الكفّار بين الجلد والظفر حتّى تخرج من أجوافهم بالكرب والغم عن عليّ عليه السلام . وقيل : المراد أنّها النجوم تنشط و تذهب من اُفق إلى اُفق كما قيل هذا المعنى في النازعات بأنّ المراد من النازعات أيضاً هذا المعنى تطلع في اُفق وتنزع و تغيب عن اُفق .

فإن قيل : إذا كان روح المؤمن في النزع تنزع بالسهولة كما شرح وقد ثبت أنّ النبيّ ﷺ اُخذ روحه الطيّب ببعض شدّة حتّى قال : «وا كرباه» وقال : «لا إله إلّا الله إنّ للموت سكرات اللّهمّ أعنّي على سكرات الموت» وكان يدخل يده الشريفة في قدح فيه ماء ثمّ يمسح وجهه المنوّر بالماء ، ولمّا رأته فاطمة عليها السلام يغشاه الكرب قالت وا كرب أبتاه ! فقال : «ليس على أبيك كرب بعد اليوم » فإذا كان أمر النبيّ حين انتقاله هكذا فما الوجه فيما ذكر من الرفق ؟

فالجواب روي بأنّه طلب من الله أن يحمل عليه بعض صعوبة الموت تخفيفاً عن اُمّته فانّه بالمؤمنين رؤوف رحيم وأيضاً يحتمل أن يبتليه الله بذلك ليدعو الله في أن يجعل الموت لاُمّته سهلاً يسيراً و فيه تسلية اُمّته إذا وقع لأحد منهم شيء من ذلك الكرب عند الموت و أيضاً راحة الكمّلين في الشدّة لأنّها من باب الترقّي في الدرجات على أنّ مزاجه الشريف أعدل الأمزجة فأحسّ بالألم أكثر من غيره إذ الخفيف على الأخفّ ثقيل .

[و السابحات سبحاً] قسم آخر على العطف و السبح المرّ السريع في الماء أو في الهواء أقسم الله بطوائف الملائكة الّتي تسبح وتسرع في مضيّها من السماء إلى الأرض مسرعين مشبهين في سرعة نزولهم بمن يسبح في الماء كما يقال للفرس الجواد سابح.وقيل : إنّها النجوم تسبح في فلكها.وقيل : هي خيل الغزاة تسبح في عدوها . وقيل : هي السفن تسبح في الماء .

[فالسابقات سبقاً] قيل : إنّها الملائكة لأنّها سبقت ابن آدم بالخير والإيمان والعمل الصالح . و قيل : إنّها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء و قيل : إنّها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنّة عن عليّ عليه السلام وقيل : إنّها أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الّذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقاً إلى رحمة الله . وقيل : النجوم تسبق بعضها بعضاً في السير و قيل : إنّها الخيل تسبق بعضها بعضاً في العدو .

[فالمدبّرات أمراً] قيل : إنّها الملائكة تدبّر أمر العباد من السنة إلى السنة عن عليّ عليه السلام وقيل : المراد جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و ملك الموت يدبّرون أمر الدنيا فأمّا جبرئيل فموكّل بالرياح وأمّا ميكائيل فموكّل بالقطر و النبات وأمّا ملك الموت فموكّل بقبض الأنفس و أمّا إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم . و قيل : إنّها الأفلاك يقع فيها أمر الله فيجري بها القضاء في الدنيا .

وبالجملة أقسم الله بهذه الأشياء أو بربّ هذه الأشياء الّتي عدّدها وهذا ترك الظاهر بغير دليل ولله أن يقسم بما شاء من خلقه و ليس لخلقه أن يقسموا إلّا به و جواب القسم محذوف والتقدير «لتبعثنّ» لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة .

[يوم ترجف الراجفة] منصوب و متعلّق بالجواب المحذوف و هو لتبعثنّ و المراد الراجفة الواقعة الّتي ترجف عندها الأجرام الساكنة كالأرض و الجبال أي تتزلزل زلزلة عظيمة وهي النفخة الأولى وفيه إشعار بأنّ تغيّر السفليّ مقدّم على تغيّر العلويّ وإن لم يكن مقطوعاً .

[تتبعها الرادفة] أي الواقعة الّتي تردف الأولى و تجيء بعد الأولى أي لتبعثنّ يوم الرجفة حالكون النفخة الثانية تلو الأولى و البعث يكون عند النفخة الثانية و بين النفختين أربعون سنة و المراد بيان تهويل اليوم في كونه موقعاً لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الأولى حيّ إلّا مات و في الثانية ميّت إلّا بعث وقام .

[قلوب يومئذ] مبتدء و تنكيره يقوم مقام الوصف المخصّص و إن لم يذكر النوع المقابل أو يفيد التكثير كما في شرّ أهرّ ذا ناب أي قلوب كثيرة أو عاصية [واجفة] مضطربة من سوء أعمالهم و قلقة من الخوف [أبصارها] أي أبصار أصحابها [خاشعة] ذليلة وأسند الخشوع إليها مجازاً لأنّ أثره يظهر فيها .

[يقولون] أي هم كانوا يقولون [أئنّا لمردودون] هل نحن معاودون بعد موتنا [في الحافرة] والحاصل أنّ مشركي قريش ومنكري البعث في الدنيا إذاقيل: لهم إنّكم مبعوثون من بعد الموت يقولون أنردّ إلى أوّل حالنا وابتداء أمرنا فنصير أحياء كما كنّا؟ والحافرة عند العرب اسم لأوّل الشيء و ابتداؤه و قيل : الحافرة بمعنى المحفورة أي أنردّ من قبورنا بعد موتنا أحياء ؟

[أئذا كنّا عظاماً نخرة] أي أئذا صرنا عظاماً بالية نردّ و نبعث مع كونها أبعد شيء من الحياة فهو تأكيد لإنكارهم البعث وذلك أنّهم ظنّوا أنّ من فساد البدن وتفرّق أجزائه يلزم فساد ما هو الإنسان حقيقة وليس كذلك ولو سلّم أنّ الإنسان هو هذا الهيكل المخصوص فلا نسلّم امتناع إعادة المعدوم فإنّ الله قادر على كلّ ما أراد فيقدر على جمع الأجزاء العنصريّة وإعادة الحياة إليها لأنّها متميّزة في علمه وإن كانت غير متميّزة في علم الخلق ومستهلكة كالماء مع اللّبن فإنّهما وإن امتزجا

لكن أحدهما متميّز عن الآخر في علم الله مثل أنّه ما كان فكان كذلك فيكون فليس كون الثاني بأبعد من الأوّل .

[قالوا تلك إذاً كرّة خاسرة] أي إن كان الأمر على ما يقوله محمد من أنّا نبعث و نعاقب فذلك البعث و الرجوع بعد الموت لنا « كرّة » ذات خسران أو خاسرة أصحابها و كان ذلك القول منهم في الدنيا على سبيل الاستهزاء لأنّهم كانوا استحالوا وقوعه .

فأجاب الله بقوله : [فإنّما هي زجرة واحدة] أي لا تحسبوا تلك الكرّة صعبة بل هي هيّنة فإنّما هي صيحة حاصلة لا تكرّر يسمعونها و هم في بطون الأرض عبّر سبحانه الكرّة بالزجرة مع أنّ الزجرة سبب لحصول الكرّة تنبيهاً على كمال اتّصالها بها كأنّها عينها .

[فإذاهم بالساهرة] أي فاجؤوا الحصول بالساهرة و حضروا الموقف عقيب الزجرة . والساهرة الأرض البيضاء المستوية خالية عن الماء والكلاء قيل لها «ساهرة» لأنّ سالكها لاينام فيها خوف الهلكة وقال ابن عبّاس : إنّ الساهرة أرض من فضّة لم يعص الله عليها قطّ خلقها حينئذ . و قيل : المراد من الساهرة أرض الشام قرب بيت المقدس اسمها ساهرة ويكون الجمع هناك عند ما يبدّل الله الأرض غير الأرض وهي عرصة القيامة .

هل أتيك حديث موسى (١٥) اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى (١٦) اذهب الى فرعون انه طغى (١٧) فقل هل لك الى أن تزكى (١٨) وأهديك الى ربك فتخشى (١٩) فاريه الاية الكبرى (٢٠) فكذب وعصى (٢١) ثم أدبر يسعى (٢٢) فحشر فنادى (٢٣) فقال أنا ربكم الاعلى (٢٤) فأخذه الله نكال الاخرة والاولى (٢٥) ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى (٢٦).

[هل أتاك حديث موسى] كلام مستأنف وارد لتسلية الرسول عن تكذيب قومه بأنّه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم كأنّه سبحانه قال : « هل أتاك حديث موسى » قبل هذا أم أنا أُخبرك به؟ أو يكون « هل أتاك » أي أليس قد أتاك حكاية

موسى مع فرعون فيقتضي أن لا تحزن على إصرار قومك في إنكارهم للبعث .

[إذناداه ربّه] ظرف للحديث أي حين ناداه الله و دعاه مثل قوله : يا فلان و وقع النداء في الوادي المبارك المطهّر وكان الوادي في حدود الأرض المقدّسة المطهّرة عن الشرك [بالوادي المقدّس طوى] اسم الوادي و قيل : طوى بالتقديس مرّتين لأنّه الموضع الّذي كلّم الله موسى . قرئ «طوى» منوّناً وغير منوّن .

[اذهب إلى فرعون] قال الله لموسى : اذهب إلى فرعون [إنّه طغا] تعليل للأمر أي طغا على الخالق بكفره وطغا على الخلق بأن استعبدهم وجاوز الحدّ وساء المعاملة معهما [فقل] بعد ما أتيته : [هل لك] رغبة وتوجّه [إلى أن تزكّى] بحذف إحدى التاءين أي تتطهّر من دنس الكفر و الطغيان .ولك خبر عن مبتدء محذوف أي هل رغبة لك حاصلة في أن تصلح [وأهديك إلى ربّك] وأدلّك إلى معرفة خالقك وأرشدك إلى طريق الحقّ [فتخشى] وتخافه فيما نهاك عنه .

[فأراه الآية الكبرى] وفي الكلام تقدير وحذف أي أتاه و دعاه فأراه الآية وهي العصا أواليد [فكذّب] بأنّها من الله وجحد نبوّته فسمّى معجزته الكبيرة و هي قلب العصى حيّة سحراً [وعصى] الله بالتمرّد حيث اجترأ على إنكار ربّ العالمين وعصى موسى فيما أمره به .

[ثمّ أدبر] اللعين عن الطاعة و كلمة « ثمّ » تفيد التراخي الزماني إذ السعي في إبطال أمر موسى يقتضي مهلة فانصرف اللعين عن المجلس وولّى دبره [يسعى] و يجتهد في معارضة الآية عناداً لا اعتقاداً بأنّها يمكن معارضتها تعلّلاً بالباطل [فحشر فنادى] فجمع السحرة وجمع ما يكاد به من آلات السحر ونادى بنفسه في المقام الّذي اجتمع الناس فيه [فقال أنا ربّكم الأعلى] لا ربّ فوقي ولا أعلى منّي يلي أمركم .

قال أهل التحقيق : ما أشقى الإنسان حيث ادّعى الربوبيّة وقال : « أنا ربّكم الأعلى » و إبليس تبرّأ من هذا الكلام وقال (١) : « إنّي أخاف الله ».

[فأخذه الله نكال الآخرة والأولى] النكال بمعنى التعذيب كالسلام بمعنى

---

(١) سورة الانفال : ٤٩ .

التسليم و مصدر مؤكّد و المعنى نكّل الله نكال الآخرة و الأُولى و هو الإحراق في الآخرة والإغراق في الدنيا ولمّا لم يكن صادقاً في دعواه افتضح في الدنيا والآخرة .

[إنّ في ذلك لعبرة] وفيما ذكر من قصّة فرعون لاعتباراً وعظة [لمن يخشى] من ربّه وخالقه فلا يتمرّد على الله ولا على أنبيائه والعاقل من اتّعظ بغيره .

ءأنتم أشد خلقاً ام السماء بناها (٢٧) رفع سمكها فسويها (٢٨) واغطش ليلها و أخرج ضحيها (٢٩) و الارض بعد ذلك دحيها (٣٠) اخرج منها ماءها و مرعيها (٣١) و الجبال ارسيها (٣٢) متاعا لكم ولا نعامكم (٣٣) فاذا جائت الطامة الكبرى (٣٤) يوم يتذكر الانسان ما سعى (٣٥) و برزت الجحيم لمن يرى (٣٦) فاما من طغى (٣٧) و آثر الحيوة الدنيا (٣٨) فان الجحيم هى الماوى (٣٩) واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى (٤٠) فان الجنة هى الماوى (٤١) يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها (٤٢) فيم انت من ذكريها (٤٣) الى ربك منتهيها (٤٤) انما انت منذر من يخشيها (٤٥) كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية اوضحيها (٤٦) .

[ءأنتم أشدّ خلقاً] خطاب للمنكرين للبعث بناءً على صعوبة الأمر بزعمهم بطريق التوبيخ والمراد من الشدّة الصعوبة لا الصلابة [أم السماء] أم خلق السماء بلا مادّة على عظمها و انطوائها على البدائع الّتي تحار العقول في ملاحظة أدناها و القادر على الأصعب الأعسر كيف لا يقدر على حشركم وهو الأسهل [بناها] استيناف وتفصيل لكيفيّة خلقها وتمّ الكلام عند قوله : « أم السماء » وابتدء بقوله : « بناها » واستعمل البناء في موضع السقف و البناء وإن كان تستعمل في أسافل البناء لكنّه استعمل في السقف وهو من أعالي البناء لكونه بعيداً عن الاختلال والانحلال كالبناء .

[رفع سمكها فسوّاها] أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلو رفيعاً مسيرة خمسمائة عام و السمك الارتفاع و هو مقابل العمق و منه قول أمير المؤمنين عليه السلام : « يا داعم [1] المسموكات » و التسوية جعل أحد الشيئين على مقدار الآخر فسوّاها بلاتفاوت وفطور أو أحكمها .

---

(١) دعم الشيء - من باب منع - اسنده لئلايميل .

[وأغطش ليلها] أي أظلم ليلها [و أخرج ضحاها] أي أبرز نهارها ،وأضاف الليل والنهار إلى السماء لأنّ منها منشأ الظلام والضياء .

[والأرض بعد ذلك دحاها] المعنى انّ الأرض بعد خلق السماء بسطها وإن كانت الأرض خلقت قبل السماء و كانت ربوة مجتمعة فبسطها و قيل : معنى « بعد » مع،أي مع ذلك دحاها مثل قوله :[1]«عتلّ بعد ذلك زنيم» أي مع ذلك وقيل :بعد في الآية بمعنى قبل مثل قوله [2] : « بعد الذكرى » أي قبل القرآن ولو أنّ البعد على معناه الأصليّ من التأخّر لكان الكلام صحيحاً فإنّ الدحو وقع بعد خلق الأرض والسماوات .

[أخرج منها ماءها] بأن فجّر منها العيون [و مرعاها] أي رعيها بالكسر بمعنى الكلاء وهو في الأصل موضع الرعي بالفتح ونسب الماء والمرعى إلى الأرض من حيث إنّهما مظهران منها .

[والجبال أرساها] منصوب بفعل مضمر يفسّره « أرساها » أي أثبتها و أثبت بها الأرض أن تميد بها .

[متاعاً لكم ولأنعامكم] مفعول لهبمعنى تمتيعاً و الأنعام جمع نعم بفتحتين و هي المال الراعية بمعنىالمواشي أي فعل ذلك تمتيعاً ومنفعةً لكم ولمواشيكم بقوله: « أخرج منها ماءها و مرعاها » من جوامع الكلم حيث ذكر شيئين دالّين على جميع ما أخرج من الأرض قوتاً ومتاعاً من الحبّ والشجر والعنب و الملح و النار وغيرها لأنّ كلّها من الماء والأرض .

[فاذا جاءت الطامّة الكبرى] كلّ شيء كثر حتّى علا و غلب فقد طمّ و الكبرى تأنيث الأكبر بمعنى عظملامنالكبير بمعنىأسنّ والمراد بيان حال معادهم بعد ذكر حال معاشهم و الفاء للدلالة على ترتّب ما بعدها على ما قبلها ممّا قليل و المعنى فاذا جاء وقت طلوع وقوع الداهية العظمى الّتي تطمّ على سائر الدواهي

---

(١) سورة القلم : ١٣

(٢) « الانعام : ٦٨ .

وتعلو على الخلائق وهي يوم القيامة قيل : هي النفخة الثانية وقيل : إنّ ذلك حين يساق أهل الجنّة إلى الجنّة وأهل النار إلى النار .

[يومئذ يتذكّر الإنسان ماسعى] أي تجيء الطامّة في يوم يتذكّر الإنسان ما عمله من خير أو شرّ بأن يشاهده مدوّناً في صحيفة أعماله [وبرّزت الجحيم] وظهرت ظهوراً بيّناً بعد أن كانوا يسمعون بها والمراد جهنّم [لمن يرى] كائناً من كان على ما يفيد كلمة مَن ، فإنّه من ألفاظ العموم . فرآها الخلق مكشوفاً عنها الغطاء يروى أنّها تتلظّى فرآها كلّ ذي بصر مؤمن و كافر و قوله : « وبرّزت الجحيم للغاوين » لا ينافي أن يراها المؤمن حين يمرّون عليها مجاوزين الصراط و قيل للكافرين لأنّ المؤمن يقول : أين النار الّتي توعّدنا بها ؟ فيقال : مررتموها و هي خامدة .

[فأمّا من طغا] و جاوز الحدّ في العصيان وتمرّد عن الطاعة [وآثر الحياة الدنيا] الفانية وقدّمها واختارها ولم يستعدّ للآخرة بالإيمان والطاعة [فإنّ الجحيم] الموصوفة [هي المأوى] لاغيرها ولايخرج منها .

[وأمّا من خاف مقام ربّه] أي مقامه بين يدي مالك أمره لعلمه بالمبدء والمعاد. والمقام إمّا مصدر ميميّ بمعنى القيام أو اسم مكان بمعنى موضع القيام [ونهى النفس عن الهوى] عن الميل إليه بحكم الجبلّة البشريّة ولم يعتدّ بمتاع الحياة الدنيا و زهرتها وزخارفها علماً منه بوخامة عاقبتها، وفي الحديث «إنّ أخوف ما أتخوّف على اُمّتي الهوى وطول الأمل أمّا الهوى فيصدّ عن الحقّ وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة» قال أصحاب السلوك : الهوى عبارة عن الشهوات الستّ المذكورة في قوله :[1]« زيّن للنّاس حبّ الشهوات من النساء والبنين و القناطير المقنطرة من الذهب و الفضّة و الخيل المسوّمة و الأنعام و الحرث » وقد أدرجها الله في أمر واحد و هو الهوى في الآية و قلّما يخلص إنسان من الهوى [فإنّ الجنّة هي المأوى] أي نهيها عن جميع الهوى على أنّ اللام للاستغراق وإلاّ فلا معنى للحصر لأنّ المؤمن الفاسق قد يدخل

(١) سورة آل عمران : ١٤ .

النار أولاً ثمّ يدخل الجنّة فلا يصحّ في حقّه الحصر اللّهمّ إلاّ أن يقال : معنى الحصر أنّ الجنّة هي المقام الّذي لا يخرج عنه من دخل فيه .

[يسألونك عن الساعة أيّان مرساها] يسألون منك يا محمّد أيّ آن ووقت يقيمها الله ويثبتها و المرسى مصدر مبتدء و أيّان خبره بتقدير المضاف والتقدير : متى وقت إقامتها و إرسائها . وكانوا يقولون بطريق الاستهزاء .

[فيم أنت من ذكراها] ردّ و إنكار لسؤالهم وأصل « فيم » فيما و الذكرى بمعنى الذكر أي في أيّ شيء أنت من ذكرها لهم لأنّ ذلك فرع علمك به و أنّى لك ذلك العلم وهو ممّا استأثره بعلمه علاّم الغيوب و « أنت » مبتدء و « فيما » خبره قدّم عليه [إلى ربّك منتهاها] أي انتهاء علمها إليه تعالى ليس لأحد يعلم هذا العلم كائناً من كان فلأيّ شيء يسألونك عنها .

[إنّما أنت منذر من يخشاها] أي وظيفتك الإنذار لمن يخاف قيامها و أنت مأمور ببيان أهوالها لا تعيين وقتها وما أنت إلاّ منذر من يخشاها و هو من قصر الصفة على الموصوف و تخصيص من يخشى مع أنّه مبعوث إلى من يخشى ومن لا يخشى لأنّهم المنتفعون به ولا يؤثّر الإنذار إلاّ فيهم كقوله[1] : «فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد» والجمهور على قراءة منذر بغير التنوين من إضافة الصفة إلى معمولها لأنّ الأصل في الأسماء الإضافة وقرىء منوّناً [كأنّهم يوم يرونها] أي المنكرين و ذلك لأنّهم ماكانوا من أهل الخشية يوم يرون القيامة [لم يلبثوا] في الدنيا [إلاّ عشيّة أوضحاها]

أي صغرت الدنيا في أعينهم حتّى كأنّهم لم يقيموا بها إلاّ مقدار عشيّة أو

مقدار ضحى تلك العشيّة أو المعنى أنّهم يوم يرون القيامة

يحسبون أنّهم ما مكثوا في الدنيا إلاّ

قدر آخر نهار أو أوّله

تمّت السورة بعون الله

---

(١) سورة ق : ٤٥ .

سورة عبس

☼(مكية)☼

وتسمّى سورة السفرة .عن النبي ﷺ : ومن قرء سورة عبس جاء يوم القيامة وجهه ضاحكة مستبشرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى (١) أن جائه الاعمى (٢) وما يدريك لعله يزكى(٣) أو يذكر فتنفعه الذكرى (٤) اما من استغنى (٥) فانت له تصدى (٦) وما عليك الايزكى (٧)وأما من جائك يسعى (٨) وهو يخشى (٩) فأنت عنه تلهى(١٠) كلا انها تذكرة (١١) فمن شاء ذكره (١٢) فى صحف مكرمة (١٣) مرفوعة مطهرة (١٤) بايدى سفرة (١٥) كرام بررة (١٦) قتل الانسان ما أكفره (١٧) من أى شيء خلقه(١٨) من نطفة خلقه فقدره (١٩) ثم السبيل يسره (٢٠) ثم أماته فاقبره (٢١)ثم اذا شاء انشره(٢٢) كلا لما يقض ما أمره (٢٣) .

[عبس] أي بسر وقبض وجهه .

القمّي : نزلت:الآية في عثمان وعبدالله بن أُمّ مكتوم الأعمى وكان ابن أُمّ مكتوم مؤذّناً لرسول الله ﷺ وجاء إلى رسول الله وعنده أصحابه وعثمان عنده فقدّمه رسول الله ﷺ على عثمان فعبس عثمان وجهه وتولّى عنه فأنزل الله عبس[وتولّى] يعني عثمان [أن جاءه الأعمى] .

و عن الصادق عليه السلام نزلت في رجل من بني أُميّة كان عند النبي ﷺ فجاء ابن أُمّ مكتوم فلمّا رآه تقذّر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه فحكى الله ذلك وأنكره عليه .

قال الطبرسي في المجمع : نزلت الآيات في عبدالله ابن أُمّ مكتوم وهو عبدالله ابن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي و ذلك أنّه أتى رسول الله و هو يناجي عتبة بن ربيعة و أبا جهل بن هشام و العبّاس بن عبد المطّلب و اُبيّاً واُميّة ابني خلف يدعوهم إلى الله ويرجو إسلامهم فقال عبدالله : يارسول الله أقرئني و علّمني ممّا علّمك الله فجعل يناديه ويكرّر النداء ولا يدري أنّه مشتغل مقبل على غيره حتّى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله لقطعه كلامه وقال في نفسه : يقول هؤلاء الصناديد إنّما أتباعه العميان والعبيد وهذا الأمر يوجب الاعراض للمدعوّين وهو صلى الله عليه وآله يرجو إسلامهم فأعرض صلى الله عليه وآله عنه وأقبل على القوم يكلّمهم فنزلت الآيات فكان رسول الله بعد ذلك يكرمه و إذا رآه قال : مرحباً بمن عاتبني ربّي فيه، ويقول له هل لك من حاجة؟ واستخلفه مرّتين في غزوتين على المدينة .

قال المرتضى علم الهدى : ليس في الآية دلالة على توجّه الخطاب إلى النبيّ بل ظاهر الآية خبر محض لم يصرّح بالمخبر عنه و فيها ما يدلّ على أنّ المعنيّ بها غيره لأنّ العبس ليس من صفات النبيّ مع الأعداء المباينين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ثمّ الوصف بانّه يتصدّى للأغنياء و يتلهّى عن الفقراء لايشبه أخلاقه الكريمة مع أنّ الله وصفه بقوله :[1] « و إنّك لعلي خلق عظيم » فقوله : « عبس وتولّى » المراد به غيره كما روي عن الصادق عليه السلام أنّها نزلت في رجل من بني اُميّة كما ذكر أوّلاً .

قال الفيض قدّس سرّه : وأمّا ما اشتهر من تنزيل هذه الآيات في النبيّ دون عثمان فيأباه سياق مثل هذه المعاتبات الغير اللائقة بمنصبه و كذا ما ظهر بعدها إلى آخر السورة كما لايخفى على المتأمّل بأساليب الكلام ويشبه أن يكون مختلقات أهل النفاق والحشويّة الّذين من عادتهم الافتراء على الأنبياء ونسبة السوء إليهم في بعض الأمور و ذلك لغرض مخصوص وهو أنّ ما نسب إلى بعض ولاة اُمورهم وما صدر من القبائح عنهم وصحّ صدوره لايكون قادحاً في إمارتهم ولذا ينسبون بعض الأمور إلى

---

(١) سورة القلم ، ٤ .

أعاظم الأنبياء خلطاً للمبحث .

[وما يدريك لعلّه يزّكّى] لعلّ هذا الأعمى يتزكّى ويتطهّر بالعمل الصالح أي وأيّ شيء جعلك دارياً و يطّلعك على باطن أمره [أويذّكّر فتنفعه الذكرى] بتشديدين أصله يتذكّر وقوله : « يزّكّى » من باب التخلية عن الآثام وقوله : « أو يذّكّر» من باب التحلية بالطاعات ولذا دخلت كلمة الترديد وعطف على « يزّكّى» وداخل معه في حكم الترجّي .

قال الفيض : ثمّ خاطب عثمان فقال : [أمّا من استغنى فأنت له تصدّى] و تتعرّض بالاهتمام برشده أو بالإقبال عليه و هذا المعنى يصحّ على ما فسّره بعض الحشويّة من أنّ المخاطب النبيّ ﷺ لكنّ الصحيح ما قاله الفيض . و التصدّي أن يقابل الشيء مقابلة ،الصدى الصوت الراجع من الجبل وقيل : التصدّي التعرّض للشيء على آخر كتعرّض الصديان للماء أي العطشان وقيل : أصل تصدّى تصدّد من الصدد وهو ما استقبلك فأبدل أحد الأمثال حرف علّة،أمّا إذا كان المتصدّي عثمان كما قاله جماعة منهم الفيض فمعنى الآية أنت إذا جاءك غنيّ تتصدّى له و ترفعه [وما عليك ألّا يزّكّى] أي لاتبال أزكيّاً كان أو غير زكيّ .

[و أمّا من جاءك يسعى] يعني عبدالله بن أمّ مكتوم [و هو يخشى] الله [فأنت عنه تلهّى] أي تشتغل عنه بغيره و قراءة الصادق عليه السلام تصدّى و تلهّى بضمّ التاء .

[كلّا] ردع عن معاودة مثله [إنّها تذكرة] أي آيات القرآن موعظة للخلق [فمن شاء ذكره] أي حفظه ولم ينسه و اتّعظ بالقرآن [في صحف مكرّمة] أي كائنة في صحف و كتب منتسخة من اللوح المحفوظ مكرّمة عندالله ويجوز أن يكون خبر المبتدء محذوف أي وهي في صحف [مرفوعة] في السماء السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر بأنّها في المشهور موضوعة في بيت العزّة في السماء الدنيا [مطهّرة] منزّهة عن مساس الشياطين .

[بأيدي سفرة] كتبة من الملائكة جمع سافر من السفر و هو الكتب إذ في

الكتابة معنى السفر أي الكشف و التوضيح و الكاتب السافر لأنّه يكشف و يبيّن الشيء، وسمّي السفر بفتحتين سفراً لأنّه يكشف و يكشف عن أخلاق المرء، و لعلّ إضافة التطهير إلى الكتب لطهارة من يمسّها من الملائكه قال القرطبيّ في قوله[1]: «لايمسّه إلّا المطهّرون» : هؤلاء السفرة الكرام [كرام] عندالله [بررة] أتقياء لتقدّسها عن الموادّ ونزاهة جواهرها عن التعلّقات مطيعون للأمر .

[قتل الإنسان] دعاء عليه بأشنع الدعوات فإنّ القتل غاية شدائد الدنيا و فسّر بعضُ القتل باللعن [ما أكفره] أي ما أشدّ كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه . وفي الآية تعجيب من الله لخلقه وهو منزّه عن العجب أي اعجبوا من كفره .

[من أيّ شيء خلقه] خلقه من شيء مهين حقير [من نطفة خلقه فقدّره] وهيّأه لما يصلح له من الأعضاء والأشكال ومن كان أصله من هذا الشيء المهين القذر كيف يليق به التجبّر والكفر والكبر .

[ثمّ السبيل يسّره] أي سهّل مخرجه بعدأن خلقه أطواراً إلىأن أخرجه من بطن أمّه بأن فتح فم الرحم قبل الولادة و جعله ينقلب ويصيّر رجله من فوق ورأسه من تحت ولولا ذلك لا يمكنها أن تلد وقيل : المراد يسّر له سبيل الخير والشرّ وخيّره ومكّنه من فعل الخير واجتناب الشرّ .

[ثمّ أماته فأقبره] فقبض روحه بعد انقضاء أجله فجعله في قبر يوارى فيه تكرمةً له ولم يدعه مطروحاً على وجه الأرض كسائر الحيوان وألهم كيف يدفن يقال : أقبرته جعلت له مكاناً يقبر ويدفن فيه وعدّ الإماتة من النعم بالنسبة إلى المطيع فإنّه بالموت يتخلّص من سجن الدنيا و هو تحفة و وصلة إلى الحياة الأبديّة و النعيم السرمديّة وإنّما كان مفتاح كلّ بلاء بالنسبة إلى العاصي والكافر من سيّئات أعماله وسوء اعتقاده أو ذكره للتخويف والتذكير وهو أيضاً نعمة .

[ثمّ إذا شاء أنشره] وأحياه وبعثه وفي تعليق النشر بالمشيّة إيذان بأنّ وقته وحصوله تابع لمشيّته غير متعيّن لكم وحاصل المعنى أنّه متى حان حين بعثه ونشره

(١) سورة الواقعة ، ٧٩ .

أنشره من قبره وهذا إذا كان لائقاً لقبره مثل أنّ المشرك إذا دفن بمكّة تنقله الملائكة إلى موضع لائق به . وفي الحديث «من مات من اُمّتي يعمل عمل قوم لوط نقله الله إليهم ثمّ يحشر معهم» وفي حديث آخر «من مات وهو يعمل عمل قوم لوط ساربه قبره حتّى يصير معهم ويحشر يوم القيامة معهم» .

[كلاّ لمّا يقض ما أمره] ردع للإنسان عمّا هو عليه وقيل : معناه حقّاً و«لمّا» بمعنى لم وليس فيه معنى التوقّع وما في «لمّا» صلة دخلت للتأكيد كقوله[1] : « فبما رحمة من الله » وما في « ما أمره » موصولة وعائده محذوف والتقدير ما أمره به والمعنى لم يقض الانسان ما أمره الله به من الإيمان والطاعة ولم يؤدّ حقّه كما ينبغي قيل : هو على العموم في الكافر والمؤمن لم يعبدوه حقّ عبادته أو المراد الجنس لكن لا على الاطلاق بل على أنّ مصداق الحكم بعدم القضاء بعض أفراده وقد اُسند إلى الكلّ بحكم المجانسة أو يكون بطريق رفع إيجاب الكلّي دون السلب الكلّي مع أنّ جمع الأفراد يقتضي أن لا يتخلّف أصلاً .

فلينظر الى الانسان الى طعامه (٢٤) أنا صببنا الماء صباً (٢٥) ثم شققنا الارض شقاً (٢٦) فأنبتنا فيها حباً (٢٧) وعنباً وقضباً (٢٨) وزيتوناً ونخلا (٢٩) و حدائق غلباً (٣٠) و فاكهة واباً (٣١) متاعاً لكم ولانعامكم (٣٢) فاذا جاءت الصاخة (٣٣) يوم يفر المرء من اخيه (٣٤) و امه و ابيه (٣٥) و صاحبته و بنيه (٣٦) لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه (٣٧) وجوه يومئذ مسفرة (٣٨) ضاحكة مستبشرة (٣٩) و وجوه يومئذ عليها غبرة (٤٠) ترهقها قترة (٤١) اولئك هم الكفرة الفجرة (٤٢) .

[فلينظر الإنسان إلى طعامه] شروع في تعداد النعم المتعلّقة ببقائه بعد ذكر النعم المتعلّقة بحدوثه أي فلينظر الإنسان إلى طعامه الّذي عليه يدور أمر معاشه كيف دبّرناه . وفي الحديث «إنّ مطعم ابن آدم جعله الله مثلاً للدنيا وإن تابله[2] وأبزاره العطرة إلى ماذا يصير ويؤول » .

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٩ . (٢) التابل ما يطيب به الاطعمة .

[إنّا صببنا الماء] أنزلناه من السحاب وافياً وهو الغيث ، بدل اشتمال من طعامه لأنّ الماء سبب لحدوث الطعام و العائد محذوف أي صببنا له [صبّاً] عجيباً [ثمّ شققنا الأرض] بالنبات ولمّا كان الشقّ بعد الصبّ أورد كلمة « ثمّ » [شقّاً] بديعاً لائقاً بما يشقّها من النبات صغيراً و كبيراً و هيئةً .

[فأنبتنا فيها] في الأرض المشقوقة [حبّاً] و الحبّ كلّ ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما وهو جنس الحبّة فيشمل القليل والكثير [وعنباً] والمراد شجرة العنب المشقوقة من الأرض [وقضبا] و القضب قيل : من النبات ما يقضب و يقطع مرّةً بعد أُخرى في السنة وهو رطب ويؤكل رطباً كالنعناع والكرّاث والبطّيخ و البادنجان والدبّاء و الخيار و عن ابن عبّاس أنّه الرطب الّتي تقضب من النخل لمناسبته بالعنب وقيل : هي نبات يقال له القصقصة ، وبالفارسيّة «اسپست» وفي زماننا يقولون « اسپرس » وقيل : هو الفتّ وهو حبّ الغاسول وهو الاشنان وقيل : هو حبّ يابس أسود يدفن فيليّن قشره و يطحن و يخبز بقتاته أعراب طيّ ولعلّه البلّوط و الأقرب ما فسّره ابن عبّاس .

[وزيتوناً] والمراد شجرته ويعمّر ثلاثة آلاف سنة خصّه بالذكر لكثرة فوائده خصوصاً في بلاد العرب فإنّهم ينتفعون به أكلاً وادّهاناً واستضاءةً وتطهّراً فإنّه يجعل في الصابون [ونخلاً] وهو شجر التمر وهو كثير النفع وفي العجوة دفع بعض السموم والسحر [وحدائق غلباً] وهي الروضة ذات الشجر . والغلب جمع الأغلب كحمر جمع أحمر مستعار من قولهم : أسد أغلب أي غليظ العنق فالمعنى حدائق عظاماً لتكاثفها و كثرة أشجارها و أنّها ذات أشجار غلاظ وقيل : الغلب من الشجر الّتي لاتثمر كالأرزّ والعرعر والورداء والثمار .(١)

[وفاكهة و أبّاً] أي فاكهة كثيرة غير ماذكر و أبّاً أي مرعى من أبّه إذا قصده لأنّه يقصد جزء للدوابّ أو المعنى من أبّ لكذا إذا تهيّأ له لأنّه متهيّيء للرعي و أبّان ذلك هو الزمان المتهيّأ لذلك الفعل و قيل : الأبّ الفاكهة

(١) كذا .

اليابسة تؤب" وتعد" للشتاء وفي الحديث «خُلقتم من سبع ورُزقتم من سبع فاسجدوا لله على سبع» أراد بقوله خُلقتم من سبع أي التارات: من نطفة ثم" من علقة إلخ، وبقوله: رزقتم من سبع قوله: «حبّاً وعنباً» إلى قوله: «أبّاً» والحدائق خارجة عن السبع لأنّها منابت المذكورة و بقوله: فاسجدوا على سبع ، الأعضاء السبعة وهي الوجه و اليدان و الركبتان والرجلان .

[متاعاً لكم ولأنعامكم] «متاعاً» مفعول له أي فعل ذلك تمتيعاً لكم ولمواشيكم فإن" بعض النعم المعدودة طعام لهم و بعضها علف لدوابّهم و نفعه أيضاً راجع لهم .

[فإذا جاءت الصاخّة] شروع في أحوال معادهم أثر ذكر معاشهم و الفاء للترتيب و بيان فناء هذه النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسُرعة زوالها و جواب «إذا» محذوف يدل" عليه «يوم يفر"» و الصاخّة هي الداهية العظيمة الّتي يصخ" لها الخلائق من صخ" لحديثه إذا استمع لأن" الناس يصخّون لها في قبورهم وهي الصيحة الّتي تصم" الآذان لشدّة وقعها أو هي مأخوذة من صخّه بالحجر إذا صكّه فيكون الصاخّة حقيقة في النفخة و الصيحة .

[يوم يفر" المرء من أخيه و أُمّه وأبيه و صاحبته و بنيه] و الصاحبة الزوجة لعلمهم بأنّهم لايغنون عنه شيئاً و هذه الآية يشمل النساء كما يشمل الرجال و لكنّها خرجت مخرج كلام العرب حيث تدرج النساء في الرجال. ولا ينفع ذلك اليوم مالٌ ولا بنون قال النبي" ﷺ : «لن يدخل أحدكم الجنّة بعمله، قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله بغفرانه» .

[لكل" امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه] استيناف وارد لبيان سبب الفرار أي الهم" الّذي حصل لهم بسبب ذلك اليوم قد ملأ صدره بحيث لم يبق فيه متّسعاً فصار كالغني" الّذي ملك شيئاً كثيراً فاشتغل به. والفرار حذراً من مُطالباتهم بالتبعات مثل أن يقول الإنسان : ماواسيتني بمالك، والأبوان يقولان : قصّرت في برّنا، والصاحبة تقول : أطعمتني الحرام ، والبنون : لمَ ماأرشدتنا وما علّمتنا. قال ابن عبّاس : مثل

قابيل من أخيه هابيل و نوح من ابنه و لوط من امرأته ، أولأنّ المرء يفرّ من أقربائه لئلاّ يروا ما هو عليه من سوء الحال . وبالجملة ففي ذلك اليوم :

[وجوه يومئذٍ مسفرة] « وجوه » مبتدء و إن كانت نكرة لكونها في حيّز التنوين و مفيدة و « مسفرة » خبره ، مضيئة متهلّلة بنور أعمالهم من أسفر الصبح إذا أضاء و أشرق قال ابن عبّاس : إنّ ذلك من قيام الليل [ضاحكة مستبشرة] بما تشاهد من النعيم و البهجة الدّائمة و الفراغة من الحساب ضاحكة من مسرّة العين مستبشرة من مسرّة القلب .

[و وجوه يومئذ عليها غبرة] أي كدورة وهي غبرة الذلّ [ترهقها] وتعلوها و تغشاها [قترة] سواد و ظلمة كالدخان و وجه الزنجيّ ، وهذه الظلمة من الكذب في الدنيا [اُولئك هم الكفرة الفجره] أي اُولئك الموصوفون هم الجامعون بين الكفر و الفجور ،أو الكفرة في حقوق الله الفجرة في حقوق العباد .

واستدلّت الخوارج بهذه الآية على أنّ مَن ليس بمؤمن لابدّ و أن يكون كافراً فإنّ الله قسّم الوجوه بهذين القسمين، قال الطبرسيّ: ولا تعلّق لهم به لأنّه سبحانه ذكر هنا قسمين من الوجوه ولم يذكر وجوه الفسّاق من أهل الصلاة فيمكن أن يكون لها صفة اُخرى بأن يكون عليها غبرة لا تغشاها قترة أو يكون عليها لون آخر. تمّت السورة بعون الله

سورة التكوير

(مكية)

مَن قرأها أعاذه الله من أن يفضحه حين تنشر صحيفته .

روي أنّه ﷺ قال : شيّبتني هود و الواقعة و المرسلات و عمّ و« إذا الشمس كوّرت » و المعنى أنّه لو كان أمرٌ يشيب منه لشاب من هذه السورة إذا قرأها وفهم معانيها .

وقد روي أنّ علياً عليه السلام لمّا غسل رسول الله ﷺ وجد في لحيته الشريفة شعرات بيض .

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت (١) و اذا النجوم انكدرت (٢) و اذا الجبال سيرت (٣) و اذا العشار عطلت (٤) و اذا الوحوش حشرت (٥) و اذا البحار سجرت (٦) و اذا النفوس زوجت (٧) و اذا الموؤدة سئلت (٨) بأي ذنب قتلت (٩) و اذا الصحف نشرت (١٠) و اذا السماء كشطت (١١) و اذا الجحيم سعرت (١٢) و اذا الجنة ازلفت (١٣) علمت نفس ما أحضرت (١٤).

ورفع الشمس على أنّه فاعل لفعل مقدّر يفسّره المذكور تقديره إذا كُوّرت الشمس كُوّرت ولا يجوز إظهاره لأنّ ما بعده يفسّره و إنّما احتيج إلى إضمار فعل لأنّ « إذا » فيها معنى الشرط و الشرط مختصّ بالفعل و عند البعض الرفع على الابتداء و الأوّل أولى و جواب «إذا» علمت نفس ما احضرت .

و التكوير التلفيف على وجه الاستدارة والمراد إمّا رفعها وإزالتها عن مقرّها فانّ الثوب إذا أُريد رفعه عن مكانه و يجعل في مكان يلفّ و يطوى فتكويرها عبارة و كناية عن رفعها و إمّا المراد لفّ ضوئها المنبسط فاللفّ على هذا مجاز عن إعدام ضوئها و في الحديث إنّ الشمس و القمر نوران مكوّران في النار يوم القيامة ولعلّ نورانيّتهما يتّصل بالعرش وحرارتهما يتّصل إلى جهنّم . فإن قيل : و ما ذنبهما ؟ فالسؤال ساقط لأنّهما جمادان فالقاؤهما في النار لا يكون سبباً لمضرّتهما بل سبب لازدياد الحرّ في جهنّم أو ليعذّب بهما عبّاد الأنوار لاليعذّبهما في النار و سبيلهما سبيل الملائكة الموكّلين بالعذاب كما قيل : إنّ السماء إذا طويت واحدة بعد واحدة يرمى بكوا كبها في النار .

[و إذا النجوم انكدرت] أي تساقطت و تناثرت يقال : انكدر الطائر من الهوى إذا انقضّ فإنّ السماء تمطر يومئذ نجومها فلا يبقى نجم إلّا وقع على

وجه الأرض يوم القيامة على ما روي عن ابن عبّاس أنّ النجوم في قناديل معلّقة بين السماء و الأرض بسلاسل من نور و تلك السلاسل بأيدي ملائكة من نور فإذا مات مَن في السماوات و مَن في الأرض تساقطت تلك الكواكب من أيديهم لأنّه مات مَن يمسكها و قيل : المعنى تغيّرت من الكدورة و الأوّل أولى لأنّه سبحانه يقول (١) : « و إذا الكواكب انتثرت » .

[و إذا الجبال سيّرت] عن وجه الأرض و أُبعدت عن أماكنها بالرجفة و تسيّر الجبال لا بالاختيار كسير الأنسان بل بالقهر و التسخير .

[و إذا العشار عُطّلت] و العشار جمع عُشَراء وهي الناقة الّتي أتى على حملها عشرة أشهر وهي أنفس أموال العرب تُركت بلاراع وعُطّلت و قيل : المراد من العشار السحاب تعطّل فلا تمطر و هذا يمكن على وجه المثل يعني إنّ هول يوم القيامة بحال لوكان للرجل ناقة عشراء لعطّلها و تركها مهملة واشتغل بنفسه أو أنّ المراد مبادي ظهور الساعة فحينئذ يمكن وجود العشراء في المبادي فلا يكون تمثيلاً بل حقيقة .

[و إذا الوحوش حُشرت] أي جمعت من كلّ جانب و اختلطت بعضها ببعض و بالناس مع نفرة بعضها عن بعض و عن الناس و ذلك الجمع من هول ذلك اليوم و قيل : بعثت للقصاص و إظهاراً للعدل قال قتادة : يحشر كلّ شيء حتّى الذباب للقصاص فإذا قضي بينها ردّت تراباً فلا يبقى منها إلّا مافيه سرور لبني آدم و إعجاب بصورته أو صوته كالطاوس و البلبل و نحو هما .

[و إذا البحار سجّرت] أي أُحميت أو المعنى ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتّى تعود بحراً واحداً مختلطاً عذبها بملحها فتعمّ الأرض كلّها من سجّر التنّور إذا ملأه بالحطب ليحميه . و وجه الإحماء أنّ جهنّم في قعور البحار إلّا أنّها الآن مطبقة لايصل أثر حرارتها إلى ما فوقها من البحار لتعسّر انتفاع أهل الأرض بها فإذا انتهت مدّة الدنيا يرفع الحجاب فيصل تأثير الحرارة إلى البحار

(١) سورة الانفطار ، ٢ .

فتسخن فتسير حميماً لأهل النار وقيل : المعنى او قدت فصارت ناراً تضطرم. قاله ابن عبّاس : وقيل : يبست و ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة و قيل : ملئت من القيح و الصديد الّذي يسيل من أبدان أهل النار في النار لكنّ المراد بحار جهنّم لا بحار الدنيا لأنّ بحور الدنيا قد فنيت و الّذين فسّروا التسجير بالامتلاء وتفجير بعضها إلى بعض حتّى صارت كالبحر الواحد قالوا : بسبب أنّ الجبال تندكّ وتتفرّق أجزاؤها وتصير كالتراب الهائل فلاجرم تنصبّ أجزاؤها في أسافلها فتمتلىء المواضع الغائرة من الأرض مستوياً مع البحار .

[وإذا النفوس زوّجت] أي قرنت الأرواح بالأجساد بأن اُردّت إليها أوقرنت كلّ نفس بشكلها و بمن كان في طبقتها في الخير والشرّ فيضمّ الصالح إلى الصالح والفاجر إلى الفاجر أوقرنت بكتابها وبعملها فالنفوس المتمرّدة زوّجت بأعمالها السيّئة والمطمئنّة بأعمالها الحسنة أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين .

[وإذا الموؤدة سئلت] أي المدفونة حيّاً و هي موؤدة إذا دفنها في القبر وهي حيّة وكانت العرب تئد البنات مخافة الإملاق أو لحوق العار بهم لأجلهنّ وكانوا يقولون : إنّ الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحقّ بهنّ .

قال الزمخشريّ في الكشّاف : كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبّة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتّى كانت سداسيّة وبلغت ستّ سنين فيقول لأمّها : طيّبيها وزيّنيها حتّى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها : انظري فيها ثمّ يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتّى يستوي البئر الأرض وقيل : كانت الحامل إذا قربت حفرت حفرة فتمخّضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وإن ولدت ابناً حبسته .

و معنى « سئلت » أي طولب قاتلها بالحجّة في قتلها و سئل عن سبب قتلها كأنّه قيل : إنّ الموؤدة تسأل قاتلها بأيّ ذنب قتلتني؟ والمراد أنّ المقتولة مسؤول عنها .

قال ابن عبّاس : إنّ أطفال المشركين لا يعذّبون واحتجّ بهذه الآية فإنّه ثبت بها أنّ التعذيب لايستحقّ إلّا بالذنب .

[وإذا الصحف نشرت] أي صحف الأعمال فإنّها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب فيقف على ما فيها فيقول [۱] : « مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها » و عن مرثد بن وادعة : إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فيقع صحيفة المؤمن في يده في جنّة عالية مكتوب فيها، ويقع صحيفة الكافر في يده مكتوب فيها في سموم وحميم وهي صحف غير صحف الأعمال فعلى هذا هذه الصحف غير صحف مثاقيل الذرّ و الخردل والأعمال .

[وإذا السماء كشطت] قلعت و أزيلت بحيث ظهر ما وراءها و هو الجنّة و العرش كما يكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به ومنه انكشط روعه أي زال .

[وإذا الجحيم سعّرت] أي أوقدت للكافرين إيقاداً شديداً وإسعار النار زيادة لهيبها لا حدوثها ابتداءً وبه يندفع احتجاج من قال : النار غير مخلوقة الآن لأنّها تدلّ على أنّ تسعّرها معلّق بيوم القيامة لأنّه يحصل فيه الزيادة والاشتداد [وإذا الجنّة أزلفت] الإزلاف التقريب أي قربت للمتّقين ليدخلوها لقوله[۲] : « وأزلفت الجنّة للمتّقين غير بعيد » و لعلّ المعنى من تقريب الجنّة تقريب أهل الجنّة إليها لا أنّها تزول عن مواضعها فالمراد حينئذ من التقريب التعكيس للمبالغة مثل قوله تعالى [۳] : « ويوم يعرض الّذين كفروا على النار » حيث تعرض النار عليهم تحقيراً وإهانة فقلب مبالغةً لتحقيرهم شأناً والمتّقين لتجليلهم وتفخيمهم عزّة ورفعة .

قال أُبيّ بن كعب : ستّ آيات تظهر قبل القيامة بينما الناس في أسواقهم و الميزان في أيديهم واللقمة في أفواههم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت

---

(۱) سورة الكهف : ٥٠ .
(۲) « ق : ۳۱ .
(۳) « الاحقاف : ۲۱

النجوم فبينماهم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحرّكت الأرض و اضطربت و فزعت الجنّ إلى الإنس و اختلطت الدوابّ والطير و الوحوش و ماج بعضهم في بعض فحينئذ تقول الجنّ للإنس : نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون إلى البحر فإذا هو نار تتأجّج وتتلهّب قال : فبينماهم كذلك إذ صدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى و إلى السماء السابعة العليا فبينماهم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم .

[علمت نفس ما أحضرت] أي علمت كلّ نفس من النفوس ما أحضرته مثل قوله : « هنالك تبلو كلّ نفس ما أسلفت» والمراد من الحضور إمّا حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها و إمّا حضور نفس العمل لأنّ الأعمال في هذه النشأة بصور عرضيّة تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهريّة مناسبة لها في الحسن و القبح على كيفيّات و هيآت مخصوصة فإن كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن ممّا كانت تشاهدها عليه في الدنيا وإن كانت سيّئة تشاهدها على ماهي عليه ههنا .

فلا اقسم بالخنس (١٥) الجوار الكنس (١٦) و الليل اذا عسعس (١٧) والصبح اذا تنفس (١٨) انه لقول رسول كريم (١٩) ذى قوة عند ذى العرش مكين (٢٠) مطاع ثم أمين (٢١) وماصاحبكم بمجنون (٢٢) ولقد رآه بالافق المبين (٢٣) وما هو على الغيب بظنين (٢٤) وماهو بقول شيطان رجيم (٢٥) فأين تذهبون (٢٦) ان هو الا ذكر للعالمين (٢٧) لمن شاء منكم أن يستقيم (٢٨) وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين (٢٩) .

ثمّ أكّد سبحانه الأمور المذكورة بالقسم أي فأُقسم و« لا » زائدة مؤكّدة أوردّ لقول سابق من الكفّار أي ليس الأمر كما تزعمون أيّها الكفرة ثمّ أقسم بالخنّس ، جمع خانس و«الكنّس» جمع كانس وأصلها الستر والشيطان خنّاس لأنّ اللعين يخنس إذا ذكر الله ويذهب و يستتر و كُناس الطير والظبي هو بيت يختفي فيه و الكواكب تكنس في بروجها تختنس بالنهار و تبدو بالليل ،والخنوس الرجوع إلى الخلف ويقال للشيطان خنّاس لأنّه يضع خرطومه على قلب العبد فإذا ذكر الله

استتر وإذا غفل العبد رجع إلى الوسوسة .

والمعنى : أُقسم بالكواكب الرواجع ، والجواري صفة لها لأنّها تجري في أفلاكها وتتوارى في بروجها وتكنس في غروبها فهذا خنوسها وكنوسها وقيل : المراد بالكواكب الرواجع ما عدا النيّرين من الدراري الخمسة وهي : المرّيخ ويسمّى بهرام ، وزحل ويسمّى كيوان ، وعطارد ويسمّى الكاتب ، والزهرة وتسمّى أناهيذ والمشتري ويسمّى روايس وبرجيس . وما من نجم يقطع المجرّة غير الخمسة وقيل هي بقر الوحش أو الظباء عن ابن مسعود .

[والليل إذا عسعس] أي أدبر ظلامه لأنّ إقبال الصبح يكون بادبار الليل وعسعس يفسّر بأدبر أو أقبل فإنّه من الأضداد ولكن عليّ عليه السلام فسّره بأدبر بظلامه وقوله تعالى : «والليل» عطف على الخنّس .

[والصبح إذا تنفّس] عطف عليه أيضاً والعامل في « إذا » معنى القسم وإذا وما بعدها في موضع الحال أقسم الله بالليل مدبراً وبالصبح مضيئاً ومشرقاً وجعل تنفّس الصبح عبارة عن طلوعه وانبساطه بحيث زال معه عسعسة الليل وهي الغبرة الحاصلة في آخر الليل ، والتنفّس في الأصل ريح مخصوص يروّح القلب بالتنفّس بهبوبه على القلب مثل نفس الحيوان، شبّه بإقبال الصبح من الروح والنسيم بذلك الريح المسمّى بالنفس وأُطلق اسم النفس عليه استعارة فجعل الصبح متنفّساً بذلك لأنّ النفس بالمعنى المذكور لازم له فهو كناية متفرّعة على الاستعاره .

[إنّه لقول رسول كريم] هذا جواب القسم أي إنّ القرآن قول رسول كريم على ربّه وهو جبرئيل وإنّما أضافه إلى جبرئيل لأنّ الله أمر جبرئيل أن ائت محمّداً وقل له كذا فقاله من جهة الله فأنزله جبرئيل على لسانه فسمعه محمّد فإسناده إليه باعتبار السببيّة الظاهرة في الإنزال ، ويدلّ على أنّ المراد بالرسول هو جبرئيل مابعده من ذكر قوّته، ووصفه بالرسول لأنّه رسول عن الله إلى الأنبياء ، ووصفه بكريم لأنّه عزيز عظيم عند الله وعند الناس لأنّه يجيء بأفضل العطايا وهو المعرفة والهداية وهذه الآية نزلت في معرض الردّ والإنكار لمقالة الكفّار الّذين قالوا : إنّ محمّداً يقوله

ويتقوّله فقال سبحانه : « إنّه لقول رسول كريم » .

[ذي قوّة] شديدة كما رفع قرى قوم لوط القرى الأربع من الماء الأسود من سبع طبقات بقوادمه حتّى سمع أهل السماء نباح الكلب وأصوات الديكة ثمّ قلّبها وفي كلّ مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري، وصاح صيحة بقوم صالح فأصبحوا جاثمين، وإنّه يهبط من السماء إلى الأرض و يصعد في أسرع من الطرف ، وإنّه رأى شيطاناً يقال له الأبيض صاحب الأنبياء فدفعه دفعة رفيقة وقع من مكّة إلى أقصى جبل الهند ، و كذا رآه يكلّم عيسى عليه السلام على بعض الأرض المقدّسة فنفخه نفخة واحدة ألقاه إلى أقصى جبل الهند . وقيل : المراد من القوّة في أداء طاعة الله و ترك الإخلال بها من الخلق إلى آخر زمان التكليف .

[عند ذي العرش مكين] أي الله ، أي عنده تعالى ذا مكانة رفيعة من المنزلة والتشريف لا عنديّة مكان .

[مطاع ثَمَّ أمين] فيما بين الملائكة المقرّبين يصدرون عن أمره و يرجعون إلى رأيه لعلمهم بمنزلته عند الله، ومن طاعتهم أنّهم فتحوا أبواب السماء ليلة المعراج بقوله لرسول الله ، وطاعة جبرئيل فريضة على أهل السماوات كما أنّ طاعة محمّد فريضة على أهل الأرض أي مطاع هناك أي في السماوات أمين على الوحي وقرىء « ثمّ » بضمّ الثاء فيكون للتراخي تعظيماً لوصف الأمانة وتفضيلاً لها على سائر الأوصاف فيكون على طريق الترقّي من صفاته الفاضلة إلى ما هو أفضل وأعظم وهو الأمانة .

[وما صاحبكم] يا أهل مكّة وهو رسول الله عطف على جواب القسم [بمجنون] كما تقولون ، ونسبة الصاحب لأنّه كان بين أظهرهم في مدّة متطاولة وقد جرّبوا عقله وأمانته فوجدوه أكمل منهم و هم لقّبوه بالأمين الصادق [ولقد رآه بالأفق المبين] أي و بالله رأى رسول الله جبرئيل وأبصره في ناحية السماء ، والمبين من أبان اللازم بمعنى اللازم أي بمطلع الشمس من ناحية المشرق ، والمراد بالأفق هنا حيث تطلع الشمس استدلالاً بوصفه بالمبين فإنّ نفس الأفق لا مدخل له في تبيين الأشياء و ظهورها و إنّما يكون له مدخل في ذلك من حيث كونه مطلعاً لكوكب منير

يبين الأشياء ، و الكوكب المبين هو الشمس ، و إسناد الإبانة إلى مطلعها باعتبار سببيّتها لها .

روي أنّ رسول الله ﷺ سأل جبرئيل أن يتراءى له في صورته الّتي خلقه الله عليها فقال جبرئيل : و ما ذاك إليّ فأذن له فأتاه عليها و ذلك في جبل حراء في أوائل البعثة فرآه رسول الله قد ملأ الآفاق بكلكلة رجلاه في الأرض و رأسه في السماء ، جناح له بالمشرق و جناح له بالمغرب وله ستّمائة جناح من الزبرجد فغشي عليه ﷺ فتحوّل جبرئيل في صورة بني آدم و ضمّه إلى نفسه و جعل يمسح الغبار عن وجهه فقيل لرسول الله : ما رأيناك مذ بعثت أحسن منك اليوم فقال ﷺ : «جاءني جبرئيل في صورته فعلق بي هذا من حسنه» ومارآه أحد من الأنبياء غيره في صورته فهو من خصائصه .

و اعلم أنّ وقوع الغشيان إنّما هو من كمال العلم و الاطّلاع بقدرة الله حين الرؤية كما غشي على جبرئيل ليلة الإسراء حين رأى الرفرف ولم يغش على رسول الله وقال ﷺ : «فعلمت فضل جبرئيل في العلم» فكأنّه ﷺ أشار إلى فضل نفسه أيضاً لمّا غشي عليه برؤية جبرئيل على صورته الأصليّة .

[وما هو على الغيب بظنين] أي هو ﷺ ليس على وحي الله بمتّهم فإنّ أحواله شاهدة بالصدق و الأمانة ، وقرىء بالضاد فالمعنى أنّه ﷺ ليس ببخيل فيما يؤدّي عن الله أن يعلّمه كما علّمه الله فيكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتّى يأخذ عليه حلواناً و اُجرةً و يُسأل تعليمه فلا يعلّمه إلّا بالاُجرة .

[و ما هو بقول شيطان رجيم] أي قول بعض المسترقة للسمع ، دلّ عليه توصيفه بالرجيم لأنّه بمعنى المرميّ بالشهب ، أو المراد المرجوم باللعن و هذا ردّ لقولهم كانوا يقولون : إنّ الشيطان يلقي إليه كما يلقي إلى الكهنة .

[فأين تذهبون] استضلال فيما يقولون في أمر القرآن و«أين» ظرف مكان مبهمٌ منصوبٌ بتذهبون ، أي فأيّ طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة الحقّة وهو طريق القرآن ؟

[إن هو إلّا ذكر للعالمين] « إن » نافية و الضمير راجع إلى القرآن أي ما هو إلّا عظة و تذكيرٌ لهم [لمـَن شاء منكم] أيّها المكلّفون بالإيمان و هو بدلٌ من « العالمين » بدل البعض [أن يستقيم] مفعول « شاء » أي لمـَن شاء منكم الاستقامة .

[و ما تشاؤن إلّا أن يشاء الله ربّ العالمين] عن الكاظم عليه السلام «إنّ الله جعل قلوب الأئمّة مورداً لإرادته فإذا شاء الله شاؤه» أي وما تشاؤن الاستقامة على الحقّ إلّاأن يشاء الله ذلك من حيث خلقكم لها و كلّفكم بها و طلب منكم الإيمان وقيل : إنّ الآية خطابٌ للكفّار والمراد لا تشاؤن الإسلام إلّا أن يشاء الله أن يجبركم و و يلجئكم إليه و لكنّه لا يفعل لأنّه يريد منكم أن تؤمنوا اختياراً لتستحقّوا الثواب ولا يريد أن يحملكم عليه جبراً ، عن أبي مسلم . تمّت السورة بعون الله

هذه

سورة الانفطار

(مكية)

قال أُبيّ عن النبي ﷺ : ومَن قرأها أعطاه الله من الأجر بعدد كلّ قبر حسنة وبعدد كلّ قطرات ماء حسنة وأصلح الله شأنه يوم القيامة ومَن قرأ هاتين السورتين: اذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقّت وجعلهما نصب عينيه في صلاة الفريضة والنافلة لم يحجبه من الله حجاب ولم يزل ينظر إلى الله وينظر الله إليه حتّى يفرغ من حساب الناس .

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت (١) و اذا الكواكب انتثرت (٢) و اذا البحار فجرت (٣) و اذا القبور بعثرت (٤) علمت نفس ما قدمت و اخرت (٥) يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم (٦) الذى خلقك فسويك فعدلك (٧) فى اى صورة ما شاء ركبك (٨) كلا بل تكذبون بالدين (٩) و ان عليكم لحافظين (١٠) كراماً كاتبين (١١) يعلمون ما تفعلون (١٢) ان الابرار لفى نعيم (١٣) و ان الفجار لفى جحيم (١٤) يصلونها يوم الدين (١٥) و ما هم عنها بغائبين (١٦) و ما ادريك ما يوم الدين (١٧) ثم ما ادريك ما يوم الدين (١٨) يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً و الامر يومئذ لله (١٩) .

[إذا السماء انفطرت] وانفطارها و تقطّعها لزوال بنيتها . وإعرابه كإعراب « إذا الشمس كوّرت » .

[و إذا الكواكب انتثرت] أي تساقطت من مواضعها سوداء متفرّقة كما تتساقط اللآلىء إذا انقطع السلك . وهذان من أشراط الساعة فإنّ السماء في هذا العالم كالسقف و من أراد تخريب بناء فإنّه يبدء أوّلاً بتخريب السقف .

[و إذا البحار فجّرت] فتح بعضها إلى بعض بزوال المانع بحصول الزلزلة و استواء الأرض و صارت البحار و هي سبعة : بحر الروم و بحر الصقالبة و بحر جرجان وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الصين وبحر الهند بحراً واحداً فيصبّ ذلك البحر في جوف الحوت الّذي عليه الأرضون السبع كما في كشف الأسرار، و قيل : معناه ذهب ماؤها و دخل في البحار البحر المحيط لأنّه أصل الكلّ إذ منه يتفرّع الباقي .

[و إذا القبور بعثرت] قلب ترابها و أُخرج موتاها أو بحثت عن الموتى فأُخرجوا منها ، وبعثرت المتاع وبحثرته أي جعلت أسفله أعلاه ، فيجعل أسفل القبور

أعلاها ، وبعثر وبحثر مركّبان من البعث والبحث مع راء ضمّت إليهما مثل تركيب الرباعي و الخماسي نحو هلّل وبسمل إذا قال : لا إله إلاّ الله ، وبسم الله .

[علمت نفس ما قدّمت وأخّرت] أي كلّ نفس برّة أو فاجرة « ماقدّمت» في حياتها من عمل خير أو شرّ و«نفس»هنا اسم الجنس و « ما » من ألفاظ العموم « وأخّرت » من سنّة حسنة أوسيّئة يعمل بعده قال النبيّ ﷺ : « وأيّما داع دعا إلى الضلالة فاتّبع فله مثل أوزار من اتّبعه إلاّ أنّه لاينقص من أو زارهم شيء ، و كذلك أيّما داع دعا إلى الهدى فاتّبع فله مثل أجر من اتّبعه إلاّ أنّه لاينقص من أجورهم شيء » و هذا العلم التفصيلي يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة و أمّا العلم الاجمالي بالسعادة و الشقاوة فيحصل من أوّل الأمر لأنّ المطيع يرى بتأثير السعادة والعاصي كذلك .

[يا أيّها الإنسان] يعمّ جميع العصاة ولا خصوص له بالكفّار و قيل : يريد أُميّة بن خلف و قيل : نزلت في الوليد بن مغيرة أوالأسود بن كلدة الجُمحي قصد النبيّ في بطحاء مكّة فلم يتمكّن منه ، ولكنّ اللفظ عامّ يصلح له و لغيره ، وفي زهرة الرياض أنّ الأسود ضرب على يافوخ رسول الله ﷺ فأخذه رسول الله وضربه على الأرض فقال له : يا محمّد الأمان الأمان منّي الجفاء و منك الكرم فانّي لا أُوذيك أبداً فتركه رسول الله .

[ما غرّك بربّك الكريم] « ما » استفهاميّة في موضع الابتداء و « غرّك » خبره ، والمعنى أيّ شيء خدعك وجرّأك على عصيانه و آمنك من عقابه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي ؟ والتعرّض بلفظ « الكريم » للإيذان بأنّه ليس ممّا يصلح أن يكون مدار الاغرار حسبما يغويه الشيطان بأن يقول له : افعل ما شئت فانّ ربّك كريم قد تفضّل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فانّه قياس عقيم و تمنية باطل بل هو ممّا يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان و الطاعة ولهذا لمّا قرأها رسول الله قال : «غرّه جهله » فظهر أنّ كرم الكريم لا يقتضي الاغترار به بل الحذر عن مخالفته من حيث إنّ أعمال الظالم ينا في كونه كريماً بالنسبة إلى المظلوم و كذا

التسوية بين المُوالي والمعادي، فإذا كان محض الكرم لايقتضي الاغترار به فكيف إذا انضمّ إليه صفة القهر ولله الأسماء المتقابلة ولذا قال سبحانه(١): « نبّئ عبادي أنّي أنا الغفور الرحيم ٭ وأنّ عذابي هو العذاب الأليم » .

وقيل : للفضيل بن عياض ماذا تقول إن أقامك ربّك يوم القيامة وقال لك : « ما غرّك بربّك الكريم »؟ قال أقول : غرّتني ستورك المرخاة . قال الزمخشريّ : قول الفضيل ليس باعتذار كما يظنّه الطمّاع و يظنّ به قصّاص الحشويّة ويروونهم من أئمّتهم إنّما قال : « بربّك الكريم » ليلقّن عبده الجواب حتّى يقول : غرّني كرمك الكريم .

[الّذي خلقك] صفة ثانية مقرّرة للربوبيّة مبيّنة للكرم لأنّ الخلق إعطاء الوجود و هو خير من العدم ،منبّهة على أنّ من قدر على الخلق و مايليه بدءاً قدر عليه إعادةً [فسوّاك] أي جعل أعضاءك سويّة معدّة لمنافعها كالبطش لليد و المشي للرجل والتكلّم للّسان إلى غير ذلك [فعدلك] و عدل بعض تلك الأعضاء ببعض بحيث لم تتفاوت مثل أن تكون إحدى اليدين أو الرجلين أو الأذنين أطول من الأخرى ، أو تكون إحدى العينين أدمع من الأخرى . قال أهل التشريح : إنّه تعالى ركّب جانبي هذه الجثّة على التساوي حتّى أنّه لاتفاوت بين نصيبه لا في العظام ولا في أشكالها ولا في الأوردة و الأعصاب ، فكلّ ما في إحد الجانبين مساولما في الجانب الآخر فيكون المعنى : فصرفك عن الخلقة المكروهة كما قال(٢) : « في أحسن تقويم » وقرىء « فعدّلك » بالتشديد .

[في أيّ صورة ماشاء ركّبك] الجارّ متعلّق بركّبك ، و « ما » مزيدة لتعميم النكرة و العائد محذوف و المعنى ركّبك في أيّ صورة شاءها و اقتضتها حكمته من القصروالطول والذكورة والأنوثة كما في الحديث«إنّ النطفة إذا استقرّت في الرحم أحضرها الله كلّ نسب بينها وبين آدم وصوّرها في أيّ شبيه شاء» .

(١) سورة الحجر : ٤٩ - ٥٠ .
(٢) سورة التين : ٤ .

[كلاّ بل تكذّبون بالدّين] أي ارتدعوا عن الكفر و العصيان ثمّ قال بعد الردع بطريق الاعتراض : وأنتم لاترتدعون بل تجرؤن حيث تكذّبون بالجزاء و البعث أو المعنى تكذّبون بدين الإسلام ولا تصدّقون ثواباً ولا عقاباً .

[وإنّ عليكم لحافظين] حال من فاعل « تكذّبون » وأتى بلفظ الجمع في « حافظين» باعتبار كثرة المخاطبين أو باعتبار أنّ لكلّ واحد منهم جمعاً من الملائكة اثنان باللّيل و اثنان بالنهار حافظين لأعمالكم .

[كراماً كاتبين] كرام حيث يُسارعون إلى كتب الحسنات و يتوقّفون في كتب السيّئات رجاء أن يتوب فيكتبون الذنب و التوبة معاً [يعلمون ما تفعلون] لحضورهم من الأفعال الصادرة عنكم قليلاً و كثيراً لتجازوا بذلك .

[إنّ الأبرار لفي نعيم] وهو الجنّة و الأبرار أولياء الله المطيعون في الدنيا الّذين برّوا وصدقوا في إيمانهم بأداء الفرائض جمع برّ بالفتح و هو بمعنى الصادق والمطيع والمحسن،وأحسن الحسنات لاإله إلّاالله ثمّ برّ الوالدين ثمّ البرّ للمؤمنين .

[وإنّ الفجّار لفي جحيم] و الفجور شقّ ستر الديانة ،في النار و عذابها،و التنوين للتهويل ،ونعيم الطاعة والمعرفة تقابله جحيم الغفلة و المعصية .

[يصلونها يوم الدين] صلا النار قاسى حرّها وباشره والتصق ببدنه ،فيصلونها يوم الجزاء [وماهم] أي الفجّار [عنها] عن الجحيم [بغائبين] طرفة عين وقيل :المعنى و ما كانوا غائبين قبل ذلك عن النار غائبين بالكلّيّة بل كانوا يجدون سمومها و حرّها في قبورهم كما قال ﷺ : «القبر روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران» .

[وما أدراك] خطاب لكلّ من يتأتّى منه الدراية و«ما» مبتدء و «أدراك » خبر أي أيّ شيء جعلك دارياً وعالماً ما يوم الدّين في الهول والفظاعة فإنّه خارج عن دائرة دراية الخلق لأنّهم على أيّ صورة يصوّرونها فهو فوقها وأضعافها .

[ثمّ ما أدراك ما يوم الدّين] تكرير بثمّ المفيدة للترقّي في الرتبة للتأكيد وزيادة التخويف وأتى بالظاهر عن الضمير تأكيداً لفخامته .

[يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً] و يوم مرفوع المحل على أنّه خبر مبتدء محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى غير متمكّن و التقدير هو يوم لا تملك نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئاً من الأشياء أو منصوب بإضماراذكر .

[والأمر يومئذ] كلّه يوم إذ لاتملك نفس [لله] وحده فإنّ الأمر و الحكم من شأن الملك المطاع والخلق تحت سطوان ربوبيّته ولا يزاحمه أحدٌ . تمّت السورة بعون الله .

هذه

سورة المطففين

☼(مكية)☼

وقيل بعضها وهي ثمان آيات منها مدنيّة وهي « إنّ الّذين أجرموا» إلى آخر السورة .

قال النبيّ ﷺ « و من قرأها سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة » .

وعن الصادق عليه السلام : «من كانت قراءته في الفريضة أعطاه الله الأمن من النار يوم القيامة ولا يراه ولا يراها » .

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين (١) الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون (٢) و اذا كالوهم او وزنوهم يخسرون (٣) الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم(٤) يوم يقوم الناس لرب العالمين (٥) كلا ان كتاب الفجار لفي سجين (٧) و ما ادريك ما سجين (٨) كتاب مرقوم (٩) ويل يومئذ للمكذبين (١٠) الذين يكذبون بيوم الدين (١١) و ما يكذب به الا كل معتد اثيم (١٢) اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين (١٣) كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (١٤) كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (١٥) ثم انهم لصالوا الجحيم (١٦) ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون (١٧).

[ويل] شدّة الشرّ أو الهلاك و العذاب الأليم قال ابن كيسان : هو كلمة كلّ مكروب واقع في البليّة فقولك « ويل لك» عبارة عن استحقاق المخاطب لنزول البلاء الموجب له و هو مبتدء و إن كان نكرة فقد وقع موقع الدعاء [للمطفّفين] الباخسين حقوق الناس في المكيال والميزان والتطفيف تنقيص الشيء مقداراً قليلاً على وجه الخفية، وطفّف الكيل قلّل نصيب المكيل له في إيفائه و استيفائه .

قال رسول الله ﷺ : «خمس بخمس : فما نقض العهد قومٌ إلاّ سلّط الله عليهم عدوّهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلاّ فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت الفاحشة فيهم إلاّ فشا الموت ، ولا طفّفوا الكيل إلاّ منعوا النبات وأُخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلّا حبس عنهم القطر» وكان أهل المدينة يطفّفون قبل هجرة النبيّ إليهم فلمّا نزلت الآية أحسنوا الكيل فهم أوفى الناس كيلاً إلى اليوم .

وعن مالك بن دينار أنّه دخل على جار له وقد احتضر فقال : يا مالك جبلان من نار بين يديّ أُكلّف الصعود عليهما، فسألت أهله فقالوا : كان له مكيالان يكيل

بأحدهما و يكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتّى كسرتهما ثمّ سألت الرجل فقال : ما يزداد الأمر عليّ إلاّ عظماً .

[الّذين إذا اكتالوا على الناس] أي من الناس و يريدون أن يشتروا منهم والاكتيال الأخذ بالكيل [يستوفون] أي يأخذون الوافي و تبديل كلمة « من » بعلى لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للإشارة إلى أنّه اكتيال مضرّ بهم والمراد من الاستيفاء الأخذ الوافر لا أخذ الوافي من غير نقص ،بل كانوا يأخذون الزائد بأيّ وجه يتيسّر لهم من وجوه الحيل بكبس الكيل و تحريك المكيال والاحتيال في ملأته و ألسنة الموازين .

[و إذا كالوهم أو وزنوهم] أي إذا كالوا للناس بالكيل أو وزنوا بالميزان المبيع لهم [يخسرون] و ينقصون حقوقهم . قال بعض السالكين : إنّ من يحسّن العبادة على رؤية الناس ويسيء إذا خلا فهو داخل في المطفّفين فضلاً عن المرائين .

[ألا يظنّ أُولئك]أي ألايعلمون هؤلاء المطفّفون؟و «ألا» هذه ليست للتنبيه بل الهمزة الاستفهاميّة الإنكاريّة داخلة على لا النافية،ويجوز أن يكون للتحضيض على الظنّ .

[أنّهم مبعوثون ليوم عظيم] لا يقادر قدر عظم ما فيه من الأهوال،ومحاسبون فيه على مقدار الذرّة والخردلة فإنّ من يظنّ ذلك و إن كان ظنّاً ضعيفاً في حدّ الشكّ والوهم لا يتجاسر على أمثال تلك القبائح فذكر الظنّ إذا لم يكن بمعنى العلم في الآية للمبالغة في المنع عن التطفيف وإلاّ فالمؤمن لايكفي له الظن في أمر البعث والمحاسبة بل لا بدّ من الاعتقاد الجازم .

[يوم يقوم الناس لربّ العالمين] أي لأمر ربّ العالمين ، روي أنّهم يقومون بين يدي الله أربعين عاماً وفي رواية ثلاثمائة سنة ، وعرق أحدهم إلى أنصاف أُذنيه لا يأتيهم خبر ولا يؤمر فيهم بأمر و هذا في حقّ الكافر و أمّا في حقّ المؤمن فيكون المكث كقدر انصرافهم من صلاة مفروضة.وقال أعرابيّ لعبد الملك بن مروان: إنّك قد سمعت ما قال الله في المطفّفين ؟ و أراد بذلك أنّ المطفّف قد توجّه عليه الوعيد

العظيم في أخذ القليل فماظنّك بنفسك وأنت تأخذأموال الناس بلا كيل ولا وزن .

[كلاّ] ردع عمّا كانوا عليه من التطفيف و الغفلة عن البعث أو بمعنى حقاً فحينئذيكون متّصلاً بمابعده[إنّ كتاب الفجّار لفي سجّين] الكتاب بمعنى المكتوب كاللباس بمعنى الملبوس أو على حاله بمعنى الكتابة و اللام للتأكيد و سجّين علم لكتاب جامع هو ديوان الشرّ وفيه ثبت أعمالهم من الفجور والمعاصي و قيل : المعنى إنّه كتب في كتابهم أنّهم يكونون في سجّين وهي في الأرض السابعة السفلى و عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله : سجّين أسفل سبع أرضين .

قال كعب الأحبار : إنّ روح الفجّار يصعد بها إلى السماء فيأبى السماء أن تقبلها ثمّ تهبط بها إلى الأرض فتدخل سبع أرضين حتّى ينتهي بها إلى سجّين وهو موضع جند إبليس وقيل : إنّ سجّين جبّ في جهنّم مفتوح والفلق جبّ في جهنّم مغطى و يكون لفظ السجّين من السّجن الّذي هو الشدّة على وزن فعّيل مبالغة المسجون .

[وما أدراك ما سجّين] أي بحيث لا يبلغه دراية أحد [كتاب مرقوم] الرقم الخطّ الغليظ الجليّ أي هو كتاب بيّن الكتابة بحيث كلّ من نظر إليه يطّلع على ما فيه بلا إمعان توجّه ، مشتمل على علامة دالّة على شقاوة صاحبه و كونه من أصحاب النار .

[ويل يومئذ] أي الويل يوم يقوم الناس و اُعطي ذلك الكتاب المرقوم لهم حاصل [للمكذّبين] و الويل كلمة جامعة لجميع أقسام العذاب و المحن [الّذين يكذّبون بيوم الدّين] صفة ذامّة للمكذّبين و مفسّرة تكذيبهم بأنّهم كذّبوا يوم القيامة[وما يكذّب به إلاّ كلّ معتد أثيم] أي متجاوز عن الحقّ إلى الباطل كثير الإثم والمعاصي،منهمك في الشهوات بحيث حملته على الإنكار بيوم الجزاء .

ثمّ وصف سبحانه المعتدي بقوله : [إذا تتلى عليه آياتنا] الناطقة بتصديق ذلك اليوم و وقوعه لا محالة وهي القرآن [قال] من فرط إعراضه عن الحقّ وجهله

[أساطير الأوّلين] أي حكايات الأوّلين وأباطيلهم والأساطير جمع أسطورة وهي الحديث الّذي لانظام له .

[كلاّ] ردع للمعتدي عن ذلك القول الباطل وتكذيبه [بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون] قرأ حفص عن عاصم «بل» باظهار اللاّم مع سكتة عليها خفيفة بدون القطع ويبتدىء «ران» و قرأ الباقون بادغام اللام في الراء و « ما » موصولة و العائد محذوف ومعنى الآية: ليس في آياتنا مايصحّ أن يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والعصيان حتّى صارت كالصدأ[1] من المرءة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحقّ كما قال صلّى الله عليه وآله : «إنّ العبد كلّما أذنب ذنباً حصل في قلبه نكتة سوداء حتّى يسودّ قلبه » ولذلك قالوا ما قالوا .

و الرين صدأ يعلو الشيء الجليّ ، وران ذنبه على قلبه غلب ، وران فيه النوم رسخ فيه . وقيل : الرين الحجاب الغليظ الحائل بين القلب و عالم القدس والغين بالمعجمة دون الرين و هو الصدأ فانّ الصدأ حجاب رقيق يزول بالتصفية قال الصادق عليه السلام : « يصدء القلب فاذا ذكرته بآلاء الله انجلى عنه» قال أبو مسلم : ترك النظر في العواقب و كثرة المعاصي يقوّي الدواعي في الإعراض عن التوبة .

قال أبوالقاسم البلخيّ : و في الآية دلالة على صحّة ما يقوله أهل العدل في تفسير الطبع والختم على القلوب والإضلال، لأنّه تعالى أخبر أنّ أعمالهم السيّئة و ما كانوا يكسبونه من القبيح ران على قلوبهم، فحينئذ أضلّهم أعمالهم الّتي اكتسبوها وهم سبّبوا و أوجبوا الختم و الطبع على قلوبهم فلمّا اختاروا هذا الأمر الفاسد أجرى الله الطبع والختم بما اختاروه .

[كلاّ] ردع و زجر عن الكسب الرائي الموقع في الرين [إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون] أي إنّ الموصوفين يوم القيامة عن رحمة ربّهم مدفوعون وممنوعون غير مقبولين، عن عليّ عليه السلام .

(١) الصدأ محركة ستر تحتجب به المرءة .

[ثمّ إنّهم لصالوا الجحيم] أي بعد أن منعوا من الثواب لازموا الجحيم بكونهم فيها لايغيبون عنها ثمّ يقال لهم توبيخاً وتفريعاً من جهة الزبانية : [هذا] العذاب وهو مبتدء خبره [الّذي كنتم به تكذّبون] فذوقوه .

كلا ان كتاب الابرار لفي عليين (١٨) وما ادريك ماعليون (١٩) كتاب مرقوم (٢٠) يشهده المقربون (٢١) ان الابرار لفي نعيم (٢٢) على الارائك ينظرون (٢٣) تعرف في وجوههم نضرة النعيم (٢٤) يسقون من رحيق مختوم (٢٥) ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (٢٦) و مزاجه من تسنيم (٢٧) عيناً يشرب بها المقربون (٢٨) ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون (٢٩) و اذا مروابهم يتغامزون (٣٠) و اذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين (٣١) و اذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون (٣٢) و ما ارسلوا عليهم حافظين (٣٣) فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (٣٤) على الارائك ينظرون (٣٥) هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون (٣٦) .

[كلاّ] ردع عن الكسب الرائن أي لايؤمنون بالعذاب و القيامة و متّصلٌ بما قبله و قيل : معناه حقّاً و يتّصل بما بعده [إنّ كتاب الأبرار] أي الأعمال المكتوبة لهم [لفي علّيّين] فعلّيّون علمٌ لديوان الخير الّذي دوّن فيه كلّ ما عملته الملائكة و صلحاء الثقلين. علّيّون منقولٌ من جمع علّيّ على وزن فعّيل من العلوّ للمبالغة، علوّ على علوّ مضاعف، وجمع بالواو والنون تشبيهاً بمن يعقل لتفخيم شأنه و هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة غير محدود العدد سمّي بذلك لأنّه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنّة و مرفوعٌ في السماء السابعة حيث يسكن الكرّوبيّون و قيل : في سدرة المنتهى و هي الّتي ينتهي إليها كلّ شيء من أمرالله و قيل : هو لوحٌ من زبرجدة خضراء معلّق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيها .

روي أنّ الملائكة لتصعد بعمل العبد فإذا انتهوا إلى ماشاء الله من سلطانه أُوحي إليهم إنّكم الحفظة على عبدي و أنا الرقيب على ما في قلبه و إنّه أخلص عمله فاجعلوه في علّيّين فقد غفرت له و إنّها لتصعد بعمل العبد فيزكّونه فإذا انتهوا به إلى ماشاء الله أوحى الله إليهم أنتم الحفظة على عبدي و أنا الرقيب على

قلبه و إنّه لم يخلص في عمله فاجعلوه في سجّين وفي الحديث إشارة إلى أنّ الحفظة لا يطّلعون على الإخلاص و الرياء إلاّ باطّلاع الله .

[و ماأدراك ما علّيون] أي هو خارجٌ عن دائرة دراية الخلق [كتابٌ مرقوم] مسطوربيّن الكتابة يُقرء بلاتكلّف تشهد وتنطق بسعادة صاحبه . ولمّا كان عليّون علماً منقولاً من الجمع حكم عليه بالمفرد بقوله : « كتاب مرقوم » ولكن أُعرب إعراب الجمع [يشهده] الملائكة [المقرّبون] عندالله أي يحفظونه و يحضرونه فيحضر ذلك الكتاب المرقوم الملائكة المقرّبون الّذين هم في علّيّين إذا صعدبه إلى علّيّين .

[إنّ الأبرار لفي نعيم] و ملاذّ من النعمة في الجنّة [على الأرائك] على الأسرّة في الحجال ولا تطلق الأريكة على السرير إلاّ عند كونه في حجلة وهو بيت العروس يُزيّن بالثياب والأسرّة و الستور [ينظرون] إلى ماشاؤامدّ أعينهم إليه من رغائب مناظر الجنّة و كذا إلى أعدائهم يعذّبون في النار .

[تعرف في وجوههم نضرة النعيم] وهو ثاني الأوصاف والمراد من بهجة النعيم ماؤه و رونقه أي إذا رأيتهم عرفت أنّهم أهل النعمة بسبب مايرى في وجوههم من القرائن كالضحك والاستبشار كما في وجوه الأغنياء وأهل الترفّه .

[يسقون من رحيق] و هو ثالث الأوصاف أي شراباً كائناً من صافي الخمر خالصاً عن كدورة الخمار و تغيير النكهة و إيراث الصداع [مختوم ختامه مسك] أيمايختم به الطيب المعروف بدلاً عن الطين وقيل : ختام الشيء خاتمته أي أنّ الشارب إذا رفع فاه من آخر شربه وجد رايحة كرائحة المسك ووجد رائحة المسك لكونه ممزوجاً به كالأشربة الممسّكة .

[و في ذلك] الرحيق خاصّة دون غيره من النعيم المكدّر السريع الفناء [فليتنافس المتنافسون] وليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله . والأمر للتحضيض و أصل التنافس التغالب في الشيء النفيس الّذي يحرص عليه نفوس الناس و يريده كلّ أحدٍ لنفسه .

قال علماء السلوك : المنافسة مجاهدة النفس في التشبيه بالأفاضل واللحوق بهم من غير إدخال ضرر على غيره و تعلّق القلب بالله وطيران الضمير إليه والحركة عند ذكره و التباعد من الناس و الأنس عند الوحدة و البكاء على ماسلف و حلاوة سماع الذكر و التدبير في القرآن و التعرّض للمناجاة .

[و مزاجه من تسنيم] عطف على « ختامه » صفة أخرى لرحيق وما بينهما اعتراض مقرّر لنفاسته أي يخرج بذلك الرحيق من ماء تسنيم ، التسنيم علم لعين تجري من جنّة عدن لأهله تأتيهم من فوق فيكون من علوّ المكان . روي أنّها تجري في الهواء متسنّمه فتنصبّ في أوانيهم فاذا امتلأت أمسك الماء حتّى لا يقع منه قطرة على الأرض فلا يحتاجون إلى الاستسقاء .

[عيناً يشرب بها المقرّبون] نصب « عيناً » على المدح و الاختصاص بتقدير «أعني» يشرب بها المقرّبون قرباً معنوياً روحانيّاً يشربون ماءها صرفاً ولكن تمزج لسائر أهل الجنّة وهم أصحاب اليمين . والباء مزيدة أو بمعنى « من» .

و بالجملة الخالص الغير الممزوج للخواصّ والممزوج لمن دونهم ، ونعم ما قال عمر بن الفارض في ميميّته :

عليك بها صرفاً فان شئت مزجها ☆ فعدلك عن ظَلم الحبيب هو الظلم

و العدل بمعنى العدول و الظلم بالفتح هو ماء الأسنان وبريقها و بالضمّ هو الجور أي إن لم تقدر على شربها خالصاً فامزجها بزلال فم المحبّة و بريقه ولا تعدل فانّ العدول عن ظلم الحبيب ورشحة زلاله هو الظلم .

[إنّ الّذين أجرموا] كانوا ذوي جرم و ذنب ولا ذنب أكبر من الكفر و أذى المؤمنين لإيمانهم مثل رؤساء قريش و أكابر المجرمين كأبي جهل و الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأمثالهم [كانوا] في الدنيا [من الّذين آمنوا] إيماناً صادقاً [يضحكون] و يستهزئون بفقراء المؤمنين كعمّار و صهيب وخبّاب و بلال و غيرهم و تقديم الجارّ و المجرور لمراعاة الفواصل .

[و إذا مرّوا] أي فقراء المؤمنين [بهم] أي بالمشركين في أنديتهم أو

بالعكس [يتغامزون] و يغمز بعضهم بعضاً و يشيرون بأعينهم و يعيبونهم و يقولون انظروا إلى هؤلاء يتعبون أنفسهم و يتركون اللّذات لما يرجونه من المثوبات و أمر البعث و الجزاء لا يقين به و إنّه بعيدٌ كلّ البعد .

[و إذا انقلبوا] من مجالسهم [إلى أهلهم] وأصحابهم الجهلة الضالّة التابعة لهم ، و الانقلاب التحوّل و الرجوع [انقلبوا] حالكونهم [فكهين] متلذّذين بذكرهم بالسوء والسخريّة منهم .

[وإذا رأوهم] أي المجرمين المؤمنين [قالوا] مشيرين إلى المؤمنين بالتحقير [إنّ هؤلاء لضالّون] أي نسبوا المسلمين إلى الضلال بطريق التأكيد و قالوا : تركوا دين آبائهم القديم ودخلوا في الدين الحادث أوالمعنى تركوا التنعّم الحاضر بسبب طلب ثواب لاندري هل له وجودٌ أولا .

[وما أُرسلوا] أي المجرمون [عليهم] أي على المسلمين [حافظين] حالٌ من و او « قالوا » أي قالوا ذلك و الحال أنّهم ما أُرسلوا من جهة الله موكّلين بهم يحفظون عليهم أُمورهم و يهيمنون على أعمالهم و يشهدون برشدهم و ضلالهم و إنّما أُمروا بإصلاح أنفسهم وحاصل المعنى أنّه لم يرسل هؤلاء الكفّار على المؤمنين حفظة ولو اشتغلوا بما كلّفوا كان ذلك أولى بهم .

[فاليوم] يعني يوم القيامة [الّذين آمنوا] أي المعهودون من الفقراء [يضحكون] كماضحك الكفّار منهم في الدنيا و ذلك أنّه يفتح للكفّار باب إلى الجنّة و يقال لهم : أُخرجوا إليها فإذا وصلوا إليها أُغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرّات فيضحك منهم المؤمنون حتّى يروهم أذلّاء مغلولين [على الأرائك] على السرر و الحجال [ينظرون] ناظرين إلى سوء حال الكفّار .

[هل ثوّب الكفّار ماكانوا يفعلون] كلامٌ مستأنف من قبل الله أو من قبل الملائكة و « ثُوّب » عُبّر بالماضي لتحقّقه ، و الإثابة المجازاة أُستعمل في المكافاة بالشرّ وأكثر استعمالها في المحبوب نحو[1] « فأثابهم الله بماقالوا جنّات » وقديستعمل

---

(١) سورة المائدة : ٨٨ .

في المكروه نحو[١] « فأثابكم غمّاً بغمّ » على الاستعارة لكن التثويب
التعويض كما قال صاحب القاموس ، فحينئذ التعويض
يكون بالاستحقاق فيكون مضحوكاً منهم . و
إهانة الأعداء تعظيم للأولياء . تمّت
السورة بعـون الله

(١) سورة آل عمران ، ١٥٣ .

سورة الانشقاق

☆(مكية)☆

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت (١) و اذنت لربها و حقت (٢) و اذا الارض مدت (٣) و القت ما فيها و تخلت (٤) و اذنت لربها وحقت (٥) يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه (٦) فاما من اوتى كتابه بيمينه (٧) فسوف يحاسب حساباً يسيرا (٨) و ينقلب الى اهله مسروراً (٩) و اما من اوتى كتابه و راء ظهره (١٠) فسوف يدعوا ثبورا (١١) ويصلى سعيرا(١٢) انه كان فى اهله مسرورا(١٣)انه ظن ان لن يحور (١٤) بلى ان ربه كان به بصيرا(١٥)فلا اقسم بالشفق (١٦) و اليل و ما وسق (١٧) و القمر اذا اتسق(١٨) لتركبن طبقاً عن طبق (١٩)فما لهم لا يؤمنون (٢٠) و اذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون (٢١)بل الذين كفروا يكذبون (٢٢) والله اعلم بمايوعون(٢٣)فبشرهم بعذاب اليم (٢٤) الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون (٢٥) .

إعرابه كاعراب « إذا السماء انفطرت » أي انصدعت ، وانشقاقها من علائم القيامة لنزول الملائكة بالأوامر الالهيّة أو للسقوط والانتقاض ولهول القيامة ، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله «تنشق" من المجرّة »وهي بفتح الميم باب السماء أي البياض المستطيل في وسط السماء سمّيت بذلك لأنّها كأثر المجرّ تنشق" السماء من ذلك المكان .

[وأذنت لربّها] أي استمعت وانقادت لتأثير قدرته حين تعلّقت قدرته بانشقاقها انقياد المطواع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع فهو استعارة تمثيليّة على المجاز المرسل يعنى إذا أُطلق الإذن في حقّ" نحو السماء ممّا ليس في شأنه الاستماع والقبول يكون

استعارة تمثيليّة نحوقوله :[1]« أتينا طائعين» [وحقّت] من قولهم : هومحقوق بكذا وحقيق به أي شأنها ذلك بالنسبة إلى الآمر القاهر أي أهل وحقّ أن لايتخلّف عن القدرة و «حقّت» جملة معترضة مؤكّدة لما قبلها لامعطوفة عليها .

[وإذا الأرض مدّت]أي بسطت بإزالة جبالها و آكامها عن مقارّها وتسويتها بحيث صارت كالصحيفة الملساء وقيل : زيدت سعة وبسطة من أحد وعشرين جزءاً إلى تسعة وتسعين جزءاً لوقوف الخلائق عليها للحساب و إلاّ لم تسعهم . من مدّه إذا كان بمعنى أمدّه أي زاده . وفي الحديث « إذاكان يوم القيامة مدّ الله الأرض مدّ الأديم العكاظيّ » لأنّ الأديم إذا مدّ زال كلّ انثناء فيه واستوى ، وعكاظ كغراب سوق بين نخيلةوالطائف بصحراء كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمرّ عشرين يوماً تجتمع قبائل العرب فيتعا كظون أي يتفاخرون ويتناشدون .

[وألقت مافيها] أي رمت الأرض مافي جوفها من الموتى والكنوز إلى ظاهرها ويكون إخراج الكنوز عند خروج الدجّال لايوم القيامة وإخراج الموتى عندالبعث ويوم القيامة وقت متّسع وهو من أشراط الساعة [وتخلّت] عمّا فيها غاية الخلوّ حتّى لم يبق فيها شيء منه كأنّها تكلّفت في ذلك أقصى جهدها كما يقال : تكرّم الكريم وترحّم الرحيم إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة .

[وأذنت لربّها وحقّت] أي انقادت الأرض في الإلقاء و التخلّي وهي حاقّة بذلك الانقياد ، ذكره مرّتين لأنّ الأوّل بالنسبة إلى السماء و الثاني بالنسبة إلى الأرض فليس بتكرار ، وجواب «إذا» محذوف للدلالة وتقديره إذاوقعت هذه الأمور كان من الأهوال مايقصر العبارة عن بيانه أو التقدير يرى حينئذ الإنسان ثواب عمله و عقاب عمله .

[يا أيّها الإنسان] جنس الإنسان الشامل للمؤمن و الكافر كأنّه قال : يا فلان ويا فلانة [إنّك كادح إلى ربّك كدحاً] الكدح جهد النفس في العمل والكدّ فيه بحيث يؤثّر فيها من كدح جلده إذا خدشه و المعنى أنّك جاهد و مجدّ وساع

---

(1) سورة حم السجدة ، ١١ .

باجتهاد ومشقّة إلى لقاء ربّك وهو الموت أي ساع إليه في عملك [فملاقيه] أي ملاق جزاء عملك وصائر إليه وإلى حكمه حيث لاحكم إلاّ حكمه ولامفرّ لك منه ، وحاصل المعنى أنّ جدّك إلى مباشرة الأعمال في الدنيا هو في الحقيقة سعي إلى لقاء جزائها في العقبى فعليك أن تباشر بما ينجيك في العقبى لا ما يرديك فإنّ كلّ عامل سيقدم إلى ما أسلف .

ثمّ قسّم أحوال الخلق فقال : [وأمّا من أوتي كتابه] أي من يؤتى والماضي لتحقّقه ، كتابه المكتوب فيه أعماله الّتي كدح في كسبها [بيمينه فسوف يحاسب] يوم القيامة [حساباً يسيراً] سهلاً لامناقشة واعتراض فيه كما يناقش أصحاب الشمال، وهو المؤمن السعيد ، و الحساب اليسير حطّ الأوزار عنه إمّا بالتوبة أو بالعفو و الإثابة على الحسنات وذلك لإيمانه و من نوقش في المحاسبة عذّب وفي الحديث « ثلاث من كنّ فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الله الجنّة برحمته قالوا : وما هي يا رسول الله؟ قال : «تعطي من حرمك ، وتصل من قطعك ، وتعفو عمّن ظلمك » [وينقلب] من مقام الحساب اليسير [إلى أهله] وفريق المؤمنين وأهل السعادة [مسروراً] مبتهجاً بكونه من أهل النجاة قائلاً :[1] « هاؤم اقرءوا كتابيه » .

[وأمّا من أوتي كتابه] أي يؤتى كتاب عمله [وراء ظهره] أي بشماله من وراء ظهره ظرف متعلّق لأوتي قال الكلبيّ : يغلّ يمينه ثمّ تلوي يده اليسرى من ورائه فيعطى كتابه بشماله ولامنافاة بين هذه وما في « الحاقّة » حيث قال:[2] «بشماله» لأنّه يمكن أن يكون بعضهم يعطى بشماله وبعضهم من وراء ظهره ويحتمل أنّ من أوتي كتابه وراء ظهره هم الّذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فإذا كان يوم القيامة قيل له : خذه من وراء ظهرك من الموضع الّذي نبذته فيه في حياتك الدنيا .

فإن قيل : إنّ ملك اليمين أيّ شيء يكتب للكافر ولم يكن له حسنة يكتبها ؟

---

(1) سورة الحاقة ، ١٩ .
(٢) » » ، ٢٥ .

فالجواب أنّه يأمر و يأذن صاحب الشمال بكتب سيّئاته ويكون هو شاهداً على ذلك وإن لم يكتب .

[فسوف يدعو ثبوراً] حكى سبحانه مايحلّ به أي بعد ما قرء كتابه «يدعو» هلاكاً ويقول : واثبوراه واهلاكاه! [ويصلى سعيراً] يدخلها ويقاسي حرّها وعذابها من غير حائل [إنّه كان في أهله مسروراً] بيان للعلّة . كان في الدنيا في أهله وعشيرته مترفاً بطراً مستبشراً لايخطر بباله اُمور الآخرة ولا كان مصدّقاً بها فارغاً من همّ الآخرة بخلاف المؤمن فإنّه كان له نائحة في قلبه من الحزن و الخوف من التقصير .

[إنّه ظنّ] وهو تعليل لسروره في الدنيا أي إنّ هذا الكافر ظنّ في الدنيا [أن لن يحور] «أن» مخفّفة ، لن يرجع إلى حال الحياة في الآخرة للجزاء ، والحور الرجوع ،وحُر إلى أهلك أي ارجع ومنه الحديث «أعوذ بالله من الحور بعد الكور» أي الرجوع عن الحالة الجميلة ،والحوّار القصّار لرجعة الثوب إلى البياض .

[بلى إنّ ربّه كان به بصيراً] إيجاب لما بعد « لن » أي بلى ليحورنّ البتّة وليس الأمر كما يظنّ فإنّ الّذي خلقه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء عالماً بحيث لاتخفى عليه خافية فلا بدّ من رجعه وحسابه وجزائه حتماً .

[فلا اُقسم بالشفق] مرّ تفسيره في سورة « لا اُقسم بيوم القيامة » الشفق هي الحمرة الّتي تشاهد في اُفق المغرب بعد الغروب و بغيبوبتها يخرج وقت المغرب و يدخل وقت العشاء عند أهل السنّة أو المراد من الشفق البياض الّذي يليها لكن مناسبة الشفق بمعنى البياض أكثر وهو من الشفقة الّتي هي عبارة عن رقّة القلب ولا شكّ أنّ ضوء الشمس يأخذ في الرقّة و الضعف من غيبتها إلى أن يستولي سواد اللّيل على الآفاق و عن عكرمة و مجاهد الشفق هو النهار فعلى هذا يقع القسم باللّيل و النهار اللّذين أحدهما معاش و الآخر سكن و بهما قوام اُمور الخلق و قيل : الشفق اختلاط ضوء النهار بسواد اللّيل عند غروب الشمس .

[و اللّيل وما وسق] الوسق جمع المتفرّق وأقسم سبحانه باللّيل و ما جمعه

و ضمّه و ستره بظلمته و « ما » عبارة عمّا يجتمع باللّيل و يأوي إلى مكانه من الدوابّ و الحشرات و الهوامّ و السباع لأنّه إذا كان اللّيل أقبل كلّ شيء إلى مأواه أو المراد بما جمعه اللّيل من العبّادالمتهجّدين .

[والقمر إذا اتّسق] أي استوى و كمل نوره وهو ليالي البدر يقال : اُمور متّسقة أي مجتمعة على الصلاح ومنتظمة .

[لتركبنّ طبقاً عن طبق] هذا جواب القسم قرىء « لتركبنّ » بفتح الباء أي لتركبنّ يا محمّد (صلّى الله عليك) درجة بعد درجة و رُتبة بعدرتبة في رفعة المنزلة والقربة عند الله ، وبضمّ الباء فالخطاب للناس أي حالاً بعد حالٍ منزلاً بعد منزلٍ وأمراً بعد أمرٍ في القيامة والأحوال تتغيّر بكم فتصيرون على غير الحال الّتي كنتم عليها في الدنيا .

و « عن » بمعنى « بعد » كما قال سبحانه [(١)]: « عمّا قليل ليصبحنّ نادمين» أي بعد قليل قال الشاعر التغلبيّ :

قرّبا مربط النعامة منّي لقحت حرب وائل عن حيال

أي بعد حيال و قيل : المراد شدّة بعد شدّة حياة ثمّ موت ثمّ بعث ثمّ جزاء و قيل : المراد اختلاف أحوالكم في الدنيا شدّة بعد رخاء و فقراً بعد غنيً و غنىً بعد فقر و صحّة بعد السقم و سقماً بعد الصحّة و قيل : نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظماً ثمّ خلقاً آخر جنيناً و وليداً و رضيعاً و فطيماً و يافعاً ثمّ ناشئاً ثمّ مترعرعاً ثمّ خروراً ثمّ مراهقاً ثمّ محتلماً ثمّ بالغاً ثمّ أمرد ثمّ طاراً ثمّ باقلاً ثمّ مسيطراً ثمّ مترخماً ثمّ مختلطاً ثمّ صملاً ثمّ ملتحباً ثمّ مستوياً ثمّ مصعداً ثمّ مجتمعاً ،والحاصل أنّكم لتبعرنّ بكم الأحوال حالاً بعد حال .

وإذاكان هكذا أمركم و انقلاب أطواركم فيالدنيا أوفي الآخرة و كلّ هذه الاُمورداّلة علىخالقكم ومصوّركم [فمالهم لايؤمنون] فأيّ شيء لهم حالكونهمغير مؤمنين وما يمنعهمعنالايمان بخالقهممع تعاضدموجباته[و إذا قرىء عليهمالقرآن

(١) سورة المؤمنين : ٤٠ .

لايسجدون] جملة شرطيّة محلّها النصب على الحاليّة نسقاً على ماقبلها أي أيّ مانع لهم حال عدم سجودهم واستكانتهم عند قراءة النبيّ ﷺ أو واحد من أصحابه و اُمّته القرآن لايخضعون له ؟ فإنّهم من أهل اللّسان فيجب عليهم أن يجزموا بإعجازه و صحّته عند سماعه و بكونه كلاماً إلهيّاً ويعلموا بذلك صدق محمّد في دعوى النبوّة فيطيعوه و يصلّون لله . و بعض فسّروا بأنّ المراد بالسجود في الآية الصلاة ويجوز أن يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجدة على أن يكون المراد بالقرآن آية السجدة بخصوصها لا مطلق القرآن كما روي أنّه ﷺ قرء ذات يوم [1] « واسجد واقترب » فسجد هو و من معه من المؤمنين و قريش تصفق فوق رؤوسهم و تصفر استهزاءً . عند أهل السنّة هذه الآية الثالثة عشر من أربع عشرة سجدة تجب عندها السجدة .

[بل الّذين كفروا يكذّبون] بالقرآن الناطق و لذلك لا يخضعون عند تلاوته [والله أعلم بمايوعون] بما يضمرونه في قلوبهم من الكفر والحسد فيجازيهم على ذلك في الدنيا والآخرة . أوعيت الشيء أي جعلته في وعاء ثمّ استعير لمعنى الحفظ .

[فبشّرهم] أي الّذين كفروا [بعذاب أليم] مولم غاية الإيلام وهو استهزاء و تهكّم بهم [إلاّ الّذين آمنوا] استثناء منقطع من الضمير المنصوب في [بشّرهم] و المستثنى المؤمنون أي لكنّ الّذين آمنوا ايماناً صادقاً [عملوا الصالحات] من الطاعات [لهم] في الآخرة [أجرٌ غير ممنون] غير مقطوع بل متّصلٌ دائم، من منّه منّاً أي قطعه قطعاً أو المعنى بغير منّة تكدر .

و في قوله: « لا يؤمنون» و«لايسجدون » دلالة على الاختيار و بطلان
مذهب الجبر و يدلّ على أنّ الكفر و الأيمان فعلهم لأنّ
الحكيم لايقول : مالك لا تؤمن ولاتسجد؟ لمن يعلم
أنّه لايقدر على الايمان و السجود.
تمّت السورة بعون الله

---

(١) سورة اقرء : ١٩ .

سورة البروج

☼(مكية)☼

قال النبيّ ﷺ : و من قرأها أعطاه الله الأجر بعدد كلّ يوم جمعة و كلّ يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات .

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج(١) و اليوم الموعود(٢) وشاهد ومشهود (٣) قتل اصحاب الاخدود(٤) النار ذات الوقود (٥)اذهم عليها قعود(٦)وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود(٧) و ما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد (٨)الذى له ملك السموات و الارض والله على كل شيء شهيد(٩) ان الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم و لهم عذاب الحريق (١٠) ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير(١١) ان بطش ربك لشديد(١٢) انه هو يبدىء ويعيد(١٣) وهو الغفور الودود(١٤)ذو العرش المجيد(١٥)فعال لما يريد(١٦)هل اتيك حديث الجنود(١٧)فرعون و ثمود (١٨) بل الذين كفروا فى تكذيب (١٩)والله من ورائهم محيط(٢٠) بل هو قرآن مجيد(٢١)فى لوح محفوظ (٢٢) .

[والسماء] كلّ جرم علويّ فهو سماء فيدخل في هذا التعريف العرش [ذات البروج] والمراد من البروج الاثنا عشر الّتي في الفلك وهي المنازل العالية والمراد هنا من البروج منازل الشمس والقمر والكواكب وشبّهت منازلها بالقصور الّتي تنزل فيها الأكابر والأشراف لأنّ البرج معناه القصر ويشتمل على المحاسن يقال : تبرّجت

المرة أي تشبهت بالبرج في إظهار المحاسن .

قال السهيلي : أسماء البروج : الحمل وبه يبدأ وفي شهر هذا البرج يدخل في أواخره نيسان أي في ثلث آخره وكان مولد النبي ﷺ في نيسان عند طلوع الغفر بفتح الغين المعجمة منزل للقمر ثلاثة أنجم صغار و الغفر يطلع في ذلك الشهر أول الليل لأن وقته النطح وهو الشرطان بالمعجمة و الفتحتين و هما نجمان من الحمل قرنا الحمل،وإلى الحمل أيضاً يضاف البطين كزبير منزل للقمر ثلاثة كواكب صغار كأنها أثافي و هو بطن الحمل .

وبالجملة فبعد الحمل من البروج الثور،ثم الجوزاء ويقال لها : النسر والجبار والتوأمان ، وهامة الجوزاء الهقعة وهي ثلاثة كواكب فوق منكبي الجوزاء كالأثافي إذا طلعت مع الفجر اشتد حر الصيف،ثم السرطان،ثم الأسد،ثم السنبلة،ثم الميزان، ثم العقرب و كوكبان نيران في قرني العقرب وبين الزبانين من العقرب وبين وركي الأسد و رجليه و هما السماك يطلع الغفر الذي به مولد الأنبياء وفيه قالوا : «حر المنازل في الأبد بين الزباني و الأسد»لأنه يليه من الأسد ذنبه و لا ضرر فيه ومن العقرب زبانياها ولاضرر فيهما و إنما يضر بذنبها إذاشالته أي رفعته وهو الشولة في المنازل و كوكبان نيران ينير لهما القمر يقال لهما : حمة العقرب ، ثم القوس ، ثم الجدي،ثم الدلو،ثم رشاء الدلو وهو الحوت .

وجعل الله الشهور على عدد هذه البروج فقال (١): « إن عدة الشهور عندالله اثنا عشر شهراً » و الفصول الأربع في هذه الشهور من الربيع و الصيف و الخريف والشتاء . والبروج الاثنا عشر منقسمة إلى هذه المنازل الثمانية والعشرين و الشمس تسير في تمام هذه البروج في كل سنة والقمر في كل شهر و قد تعلقت بها منافع و مصالح للعباد فأقسم الله تعالى بها إظهاراً لقدرها .

من مجمع البحرين عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: « ذكر الله عبادة

---

(١) سورة التوبة، ٣٧ .

وذكري عبادة وذكر عليّ عبادة وذكر الأئمّة عبادة ، والّذي بعثني بالنبوّة إنّ وصيّي لأفضل الأوصياء ومن ولده الأئمّة الهداة بعدي، بهم يحبس الله العذاب عن أهل الأرض وبهم يمسك السماء أن تقع على الأرض وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم و بهم يسقي خلقه الغيث و بهم يخرج النبات أولئك أولياء الله حقّاً وخلفاؤه صدقاً عدّتهم عدّة الشهور وعدّة نقباء موسى بن عمران ثمّ تلا صلى الله عليه وآله هذه الآية : والسماء ذات البروج، ثمّ قال : ياابن عبّاس إنّ الله يقسم بالسماء ذات البروج ويعني بها السماء وبروجها» قلت : يا رسول الله فما ذا ؟ قال صلى الله عليه وآله : «أمّا السماء فأنا وأمّا البروج فالأئمّة بعدي أوّلهم عليّ وآخرهم المهدي» صلّى الله عليهم .

[واليوم الموعود] أي يوم القيامة أقسم الله به تنبيهاً على قدره وعظمه أيضاً من حيث كونه يوم الفصل وتفرّد الحكم له تعالى [و شاهد ومشهود] فيه أقوال :

أحدها أنّ الشاهد يوم الجمعة و المشهود يوم عرفة كما قال ابن عبّاس و جماعة و روي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبدالله و روي ذلك عن النبيّ وسمّي يوم الجمعة « شاهداً » لأنّه يشهد على كلّ عامل بما عمل فيه وفي الحديث «ماطلعت الشمس على يوم ولا غربت عن يوم أفضل منه و فيه ساعة لا يوافقها من يدعو فيها الله بخير إلاّ استجاب له ولا استعاذ من شرّ إلاّ أعاذه منه» ويوم عرفة مشهود يشهد الناس فيه موسم الحجّ وتشهده الملائكة .

و ثانيها أنّ الشاهد يوم النحر و المشهود يوم عرفة .

و ثالثها أنّ الشاهد محمّد صلى الله عليه وآله والمشهود يوم القيامة قال سبحانه[1]: « ياأيّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً و مبشّراً ونذيراً » وقال[2] : « ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود » وقيل : الشاهد الله و المشهود لاإله إلاّ الله لقوله [3] : « شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو» وقيل أقوال أُخر لاحاجة في الاطالة .

(١) سورة المزمل : ١٥ .
(٢) « يونس : ١٠٣ .
(٣) « آل عمران : ١٨ .

[قتل أصحاب الأُخدود] جواب القسم بحذف اللام المؤكّدة أي لقد قتل و أُهلك بغضب الله ولعنته و لعنوا بتحريقهم الناس في الدنيا أو في الآخرة و المراد بهم الكافرون الّذين حفروا الأُخدود وعذّبوا المؤمنين بالنار ، ويحتمل أن يكون إخباراً عن المسلمين الّذين عذّبوا بالنار في الأُخدود فيكون أنّ المؤمنين قتلوا بالإحراق في النار ذكرهم الله بحسن بصيرتهم و صبرهم على دينهم ولا يعطون التقيّة بالرجوع عن الإيمان لتصلّبهم في الدين .

وقيل : إنّ الجملة دعائيّة دالّة على الجواب لا خبريّة و سوق الكلام يفيد معنى وهو أنّ كفّار مكّة ملعونون كما لعن أصحاب الأُخدود لأنّ السورة وردت لتثبيت المؤمنين على الصبر من أذى المشركين و ما يلقون منهم و يعلموا أنّ هؤلاء عندالله بمنزلة أُولئك ويقال فيهم ما قد قيل فيهم . والأُخدود الخدّ في الأرض وهو شقّ مستطيل كالنهر غامض عميق القرار . وأصحاب الأُخدود كانوا ثلاثة وهم أنطيانوس الروميّ بالشام (١) وبخت نصّر بفارس(٢) ويوسف ذونواس الحميريّ بنجران موضع باليمن، شقّ كلّ واحد منهم شقّاً عظيماً في الأرض كان طوله أربعين ذراعاً وعرضه اثني عشر ذراعاً وملأوه نارا وألقوا فيه من لم يرتدّ عن دينه من المؤمنين، والقرآن إنّما نزل في الّذين بنجران في سلطة ذي نواس الحميريّ اليهوديّ وجنوده و ذونواس اسمه زرعة بن حسّان وكان اسمه أيضاً يوسف وكانت له ذوائب تنوس وتضطرب على عاتقه فسمّي ذانواس .

وقصّته أنّ عبداً صالحاً يقال له « عبدالله بن الثامر» كان بنجران وكان على دين عيسى عليه‌السلام فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذونواس بجنود من حمير فخيّرهم بين النار

(١) وهو الذى اغار على بنى اسرائيل وقتل ملكهم وشتت جمعهم بعد ما فسدوا فى الارض واشار إليه فى قوله تعالى فى سورة الاسراء : « فاذا جاء وعداولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا » .

(٢) هو فى التوراة الموجود « نبوكد نصر » ملك « بابل » شدد القتل والنهب والاسر و التبعيد على بنى اسرائيل وقتل جما غفيراً من أنبيائهم وحمل معه « ارميا » وفيه قال تعالى ، « فاذاجاء وعد الاخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة و ... » .

واليهوديّة فأبوا فحفر الخنادق و أضرم فيها النيران فجعل يلقي فيها كلّ من اتّبع ابن الثامر حتّى أحرق نحواً من اثني عشر ألفاً أوسبعين ألفاً .

و روى مسلم في الصحيح معنعناً عن صهيب عن رسول الله ﷺ قال : «كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر فلمّا مرض الساحر قال : إنّي قد حضر وفاني فادفع إليّ غلاماً أُعلّمه السحر فدفع إليه غلاماً كان يختلف إليه فكان في طريقه إذا سلك نحو الساحر ليتعلّم السحر راهب فقعد الغلام نحو الراهب و سمع كلامه فأعجب الغلام من كلام الراهب فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه يستمع منه فاذا أتى الساحر ضربه لمكثه و بطئه فشكا الغلام ذلك إلى الراهب فقال الراهب للغلام : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي ومنعوني وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر ، فبينما هو كذلك إذ أتى دابّة عظيمة أي حيّة عظيمة أو أسدٌ عظيم فقال الغلام : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب فأخذ حجراً و قال : اللّهمّ إن كان أمر الراهب أحبّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابّة حتّى يستريح الناس فرماها فقتلها و مضى فأتى الراهب و أخبره فقال الراهب : أي بنيّ أنت اليوم أفضل منّي قد بلغ من أمرك ما أدري و إنّك ستبتلي فان ابتليت فلا تدلّ عليّ .

وكان الغلام يبرىء الأكمه و الأبرص ويداوي الناس فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيره فقال : ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني قال : إنّي لا أشفي أحداً إنّما يشفي الله فان آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك و جلس إليه كما كان يجلس فقال الملك : من ردّ عليك بصرك؟قال : ربّي فقال : أو لك ربّ غيري؟قال : ربّي و ربّك الله،فأخذه فلم يزل يعذّبه حتّى دلّ على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك : أي بنيّ قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص ؟ فقال الغلام : إنّما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذّبه حتّى دلّ على الراهب فجيء بالراهب فقال له : ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فيمفرق رأسه فشقّه به حتّى وقع شقاه ثمّ جيء بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك

فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقّه ثمّ جيء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال لهم : اذهبوا به إلى جبل كذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه و إلّا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال الغلام : اللّهمّ اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى قرقور [1] فتوسّطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلّا فاقذفوه فذهبوا به فقال : اللّهمّ اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا و سلم وجاء إلى الملك فقال له الملك : مافعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله .

ثمّ قال للملك : إنّك لست بقاتلي حتّى تفعل ما آمرك به قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد و تصلبني على جذع ثمّ تأخذ سهماً من كنانتي ثمّ ضع السهم في كبد القوس ثمّ قل : بسم الله ربّ الغلام ففعل الملك ما قال : فرماه فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس : آمنّا بربّ الغلام آمنّا بربّ الغلام .

فأتى الملك آت فقال له : قد نزل بك ما كنت تحذر منه و آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السكك [2] و قال : من لم يرجع عن هذا الدين فاطرحوه فيها كرهاً ففعلوا حتّى جاءت امرأة و معها صبيّ رضيع لها فتأخّرت المرأة و تقاعست أن تقع فيها فقال لها الصبيّ : يا أُمّاه اصبري فإنّك على الحقّ وقيل : كان لها ثلاثة أولاد أحدهم رضيع فقال لها الملك : ارجعي عن دينك وإلّا ألقيتك و أولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الأكبر وألقاه في النار ثمّ قال : ارجعي فأبت فألقى ابنها الأوسط في النار ثمّ قال لها : ارجعي عن دينك فأبت فأخذوا الصبيّ ليلقوه فيها فهمّت بالرجوع فقال الصبيّ : يا أُمّاه لاترجعي عن الإسلام ولا بأس عليك فأُلقي الصبيّ في النار و أُمّه على أثره ،وكان هو ممّن تكلّم في المهد وهو صبيّ رضيع .

---

(١) السفينة العظيمة .

(٢) اى فى السوق بمرءى من الناس .

و عن علي أمير المؤمنين عليه السلام «إن بعض ملوك المجوس وقع على أخته وهو سكران فلمّا صحا ندم و طلب المخرج فأمرته بأن يخطب للناس فيقول : إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات ثمّ يخطبهم بعد ذلك بأن الله حرّمه فخطب فلم يقبلوا منه هذا الأمر فقالت له : ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا منه فأمرته بالأخاديد و إيقاد النار وطرح مَن أبى فيها فهم الّذين أرادهم بقوله : « قتل أصحاب الأخدود » انتهى .

[النار ذات الوقود] بدل اشتمال من الأخدود ، ذات ارتفاع اللهب [إذهم عليها قعود] ظرف لقتل و الضمير لأصحاب الأخدود ، وفي بعض التفاسير على سُرر و كراسيّ قعود عند النار في مكان مشرف و يعرضون المؤمنين على النار فمَن يترك دينه تركوه ومن لم يترك ألقوه في النار وأحرقوه . و«قعود»جمع قاعد ولفظ « على» مشعر بالاستعلاء .

[وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود] جمع شاهد يعني الملك وأصحابه الّذين خدّوا الأخدود على ما يفعلون « شهود » أي حضور قيل : إنّهم كانوا فرقتين فرقة يُعذّب المؤمنين و فرقة يشاهد ولم يتولّوا تعذيبهم لكنّهم قعود رضوا بفعل اُولئك وكانت الفرقة القاعدة مؤمنة لكنّهم لم ينكروا على الكفّار صنيعهم فلعنهم الله جميعاً .

و قيل : المراد من قوله : « و هم على ما يفعلون بالمؤمنين » أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنّ أحداً لم يقصّر فيما اُمر به من إحراق المؤمنين . و في رواية ارتفعت النار فوقهم أربعين ذراعاً فوقعت عليهم فأحرقتهم و نجّى الله المؤمنين بأن أخذ أرواحهم قبل أن تمسّهم النار كما فعل بآسية امرأة فرعون لكن نظم الآية يقتضي وصف المؤمنين في تصلّبهم في دينهم وبيان قوّة إيمانهم بأن عُذّبوا بالنار ولم يشركوا .

[و ما نقموا منهم] أي و ما عابوا ذكر هذا المؤمنين ، يقال : نقم الأمر إذا عابه و أنكره [إلّا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد] قال بلفظ المضارع مع أنّ الإيمان وجد منهم في الماضي لإرادة الاستمرار و الدوام عليه فإنّهم ما عذّبوهم لإيمانهم في الماضي بل لبقائهم ودوامهم عليه في الآتي . وعنوان هذا الاستثناء مفصح

عن براءتهم ممّا يعاب وينكر فهو تمديحٌ لهم بصورة الاستثناء على منهاج قول النابغة حيث يقول :

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم ✿ بهنّ فلول من قراع الكتائب

و هذا البيان صفة مدح لا صفة ذمّ لأنّ ما جعله النابغة بصورة العيب هو عين المدح .

[الّذي له ملك السماوات والأرض] فوصف سبحانه بهذه الصفات ليعلم أنّه لم يمهل الكفّار لأجل أنّه غير قادر لكنّه أراد أن يبلغ بهؤلاء المؤمنين مبلغاً عظيماً من الثواب لم يكونوا يبلغونه إلّا بمثل ذلك التحمّل و الصبر ولا اعتراض لأحدٍ عليه في ملكه :

و هيهات هيهات الصفاء لعاشق ✿ و جنّة عدنٍ بالمكاره حفّت

[والله على كلّ شيء شهيد] لم يخف عليه فعلهم بالمؤمنين وهو شاهد بأعمالهم ويجازيهم و ينتصف للمؤمنين .

[إنّ الّذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات] أي الّذين أحرقوهم وعذّبوهم بالنار [ثمّ لم يتوبوا] من فعلهم ذلك ومن الشرك الّذي كانوا عليه [فلهم عذاب جهنّم] بكفرهم . قال بعض علماء العامّة : إنّ ذلك يدلّ على أنّ توبة القاتل عمداً مقبولة [ولهم عذاب الحريق] بما أحرقوا المؤمنين،وفصّل بين عذاب جهنّم و عذاب الحريق مع أنّهما واحد فالمراد أنّ لهم أنواع العذاب في جهنّم سوى الإحراق مثل الزقّوم و الغسلين و المقامع و قيل : المراد أنّ لهم عذاب جهنّم في الآخرة و لهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك أنّ النار ارتفعت من الأخدود فأحرقتهم كما قال الكلبيّ .

ثمّ ذكر ما أعدّه للمؤمنين فقال : [إنّ الّذين آمنوا] و صدّقوا بتوحيدالله [و عملوا الصالحات لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير] بسبب إيمانهم و أعمالهم يجازون جنّات جارية فيها الأنهار بمقابلة ماقاسوا من الشدائد و الصبر على أذى الكفّار «ذلك » أي حصول الجنّة « الفوز الكبير » الّذي تصغر عنده الدنيا .

ثمّ قال سبحانه متوعّداً إلى الكفّار و العصاة : [إنّ بطش ربّك لشديد] البطش تناول الشيء بصولة والأخذ بعنف يقال : يدباطشة . أي أخذه تعالى إيّاهم بالعذاب متفاقم و إن كان بعد إمهال فإنّه عن حكمة لاعن عجز [إنّه هو] وحده [يبدىء ويعيد] لينشيء الخلق ثمّ يميتهم و يعيدهم إحياء للمجازاة وفيه مزيد التقرير لشدّة بطشه . و قيل : معناه أنّه يبدىء بالعذاب في الدنيا ثمّ يعيده في الآخرة ، أو المعنى يبدىء العذاب في الآخرة ثمّ يعيده فيها لقوله[1]: « كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها » قال ابن عبّاس : إنّ أهل جهنّم تأكلهم النار حتّى يصيروا فحماً ثمّ يعيدهم خلقاً جديداً .

قال حذيفة بن اليمان : قال لي رسول الله ﷺ : ياحذيفة إنّ في جهنّم لسباعاً من نار و كلاباً من نار و سيوفاً من نار و كلاليب من نار وإنّه يبعث ملائكة يعلّقون أهل النار بتلك الكلاليب بأحناكهم ويقطّعونهم بتلك السيوف عضواً عضواً ويلقونها إلى تلك السباع و الكلاب كلّما قطعوا عضواً عاد آخر مكانه غضّاً طريّاً .

و بالجملة المبدىء المعيد معناه الموجد لكنّ الايجاد إذا لم يكن مسبوقاً بمثله سمّي إبداء و إن كان مسبوقاً بمثله يسمّى إعادة ، وخاصيّة الاسم المبدىء أن يقرء على بطن الحامل سحراً تسعاً و عشرين مرّة فإنّ ما في بطنها يثبت ونافع، و لتذكار المحفوظ إذا نسي اسم المعيد لاسيّما إذا اُضيف إليه اسم المبدىء .

[وهو الغفور] لمن تاب ولمن لم يتب إذا شاء [الودود] لمن أطاع . وفي الأثر «إنّ أودّ الأودّاء إليّ من عبدني لغير نوال» وأصل الودّ من الوتد وهو أثبت من المحبّة والودود من عباد الله من يريد لخلق الله ما يريد لنفسه وأعلى فمن ذلك من يؤثرهم على نفسه ولم يمنعه سوء صنيعهم عن إرادة الخير لهم والاحسان إليهم كما قال ﷺ: حين كسرت رباعيّته ودمي وجهه وضرب : «اللهمّ اغفر لقومي فإنّهم لايعلمون» .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «إن أردت أن تسبق المقرّ بين فصل من قطعك وأعط من حرمك و اعف عمّن ظلمك » و خاصيّة اسم الودود ثبوت الوداد لاسيّما بين

---

(١) سورة النساء : ٥٥ .

الزوجين فمن قرأه ألف مرّة على طعام و أكله مع زوجته غلبتها محبّته و تطيعه .

[ذو العرش المجيد] ذو الملك و السلطنة القاهرة على المخترعات العلويّة و السفليّة و إن لم يكن على السرير ، يقال : ثلّ عرشه إذا ذهب سلطانه، والمجيد هو الشريف ذاته الجميل أفعاله الجزيل نواله فشرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمّي مجيداً وما جداً والتمجيد ذكر الصفات الحسنة، ومجد العرش علوّه في الجهة و عظمته و حسن صورته ، و تركيبه أحسن الأجسام تركيباً ، أظهره الله و خلقه إظهاراً للقدرة لامكاناً ولا احتياجاً إليه .

قال بعض المحقّقين : إنّ من العجب أنّ الله لوملأ العرش مع تلك السعة من حبوب الذرّة و خلق طيراً أكل حبّة واحدة منها في ألف سنة لنفدت الحبوب ولا تنقطع مدّة الآخرة ومع هذا لا يخاف بنو آدم من عذاب تلك المدّة ويضيّعون أعمارهم في شيء سريع الزوال .

[فعّال لما يريد] بحيث لايتخلّف عن إرادته مراد من الإحياء و الإماته و الإعزاز و الإذلال والإغناء والإقتار والوصل و الفرق إلى غير ذلك من شؤونه .

[هل أتاك حديث الجنود] أي هل بلغك أخبار الّذين تجنّدوا على أنبياء الله و قيل : « هل » بمعنى « قد » ثمّ بيّن سبحانه الجنود [فرعون و ثمود] بدلٌ من الجنود مع أنّه غير مطابق ظاهراً للمبدل منه في الجمعيّة لأنّ المراد قوم فرعون أي عرفت ما صدر منهم من التكذيب وما وقع عليهم من التعذيب فذكّر قومك و أنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصابهم لأنّهم قد سمعوا قصّة فرعون من أهل الكتاب و رأوا آثار هلاك قوم صالح لأنّها كانت في ممرّهم .

[بل الّذين كفروا] من قومك [في تكذيب] إضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم أشدّ منهم في الكفر . وتنكير «تكذيب» للتعظيم فإنّهم يكذّبون بالقرآن الناطق والصامت [والله من ورائهم محيط] محيطٌ بهم بالقدرة من خلفهم وفيه بيان لعدم نجاتهم من بأس الله بحيث لايجدون مهرباً منه وهذه الإحاطة ليست كإحاطة الظرف بالمظروف ولا كإحاطة الكلّ بأجزائه بل كإحاطة الملزوم بلازمه فإنّ التعيّنات اللاّحقة لذاته

إنّما هي لوازم له بواسطة أو بغير واسطة ولا تقدح كثرة اللوازم في وحدة الملزوم .

[بل هو قرآن مجيد] أي ليس الأمر كما زعموا من تكذيب القرآن وهذا الّذي كذّبوا به قرآن شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الإلهيّة ومتضمّن للمكارم الدنيويّة والأخرويّة .

[في لوح محفوظ] من التحريف و وصول الشياطين إليه ومن النسخ والتحريف و النقصان و هذا المعنى على قراءة من رفع « محفوظ » و جعله صفة للقرآن وعلى قراءة من جرّه فجعله صفة للوح فالمعنى أنّه محفوظ عندالله لايطّلع عليه غير بعض الملائكة وهو أمّ الكتاب ومنه نسخ الكتب والقرآن وهو الّذي يعرف باللوح من دُرّة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق و المغرب . تمّت السورة بعون الله

سورة الطارق

☼(مكية)☼

من قرأها أعطاه بعدد كلّ نجم في السماء عشر حسنات .

بسم الله الرحمن الرحيم

و السماء والطارق(١)و ما ادريك ما الطارق (٢)النجم الثاقب (٣) ان كل نفس لما عليها حافظ (٤) فلينظر الانسان مم خلق (٥) خلق من ماء دافق (٦) يخرج من بين الصلب و الترائب (٧)انه على رجعه لقادر (٨) يوم تبلى السرائر (٩) فماله من قوة ولا ناصر (١٠) و السماء ذات الرجع (١١) و الارض ذات الصدع (١٢) انه لقول فصل (١٣) وما هو بالهزل(١٤)انهم يكيدون كيدا (١٥) وأكيد كيدا(١٦) فمهل الكافرين أمهلهم رويدا(١٧) .

الطارق إذا جاء ليلاً ، و أصل الطرق الدقّ ومنه سمّيت المطرقة لأنّه يطرق بها الحديد وسمّي الطريق طريقاً لأنّه يضرب بالرجل و سمّي قاصد الليل طارقاً لاحتياجه إلى طرق الباب غالباً حيث إنّ الأبواب مغلقة باللّيل ثمّ اتّسع في كلّ ما ظهر بالليل كائناً ما كان حتّى أُطلق على الصور الخياليّة البادية بالليل و المرادفي الآية الكوكب البادي بالليل ،أقسم سبحانه بالسماء أو بربّ السماء وأقسم بالطارق .

ثمّ بيّن الطارق فقال : [وما أدراك ما الطارق] أي أيّ شيء أعلمك بالطارق إلاّ بالتلقّي من الخلاّق العليم كأنّه قيل : و ما هو ؟ فقال : هو [النجم الثاقب] الكوكب المضيء لأنّه يثقب بإضاءته ما يقع عليه من الظلام .

[إن كلّ نفس لمّا عليها حافظ] جواب للقسم و مابينهما اعتراض و«إن»نافية

أي ما كلّ نفس من النفوس الطيّبة و الخبيثة إنسيّة أو وحشيّة إلّا عليها مهيمن و رقيب وهوالله كما قال [1]: « وكان‌الله على كلّ‌شيء رقيباً » أو المراد من‌الحافظ الملائكة يحفظ عملها و رزقها و أجلها ، وروي عن النبيّ ﷺ «وكّل بالمؤمن مائة وستّون ملكاً يذبّون عنه كما يذبّ عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين » .

وقرىء «لما» مخفّفة على أنّ «إن» مخفّفة وما مزيدة واللام فاصلة بين‌المخفّفة والنافية أي إنّ الشأن كلّ نفس لعليها حافظ .

[فلينظر الإنسان] وليتفكّر الإنسان الجاهل المنكر للنشور والحشر [ممّ خلق] من أيّ شيء أصله حتّى يتضّح أنّ من قدر على إنشائه من نطفة فهو قادرٌ على إعادته بل أقدر على قياس العقل فيعمل‌ليوم‌الإعادة ماينفعه ويجديه لا مايضرّه ويرديه .

[خلق من ماء دافق] استيناف وقع‌جواباً عن‌استفهام مقدّر كأنّه قيل : « ممّ خلق » فقيل : خلق من‌ماء ذي دفق وهو صبّ فيه دفع بسرعة ويجوزأن يكون‌دافق بمعنى المدفوق .

[يخرج من بين الصلب والترائب] الصلب معناه الشديد وبهذا الاعتبار سمّي الظهر صلباً أي من بين ظهر الرجل وترائب المرأة وهي عظام نحرها وضلوع صدرها و كلّ‌عظم من‌ذلك تريبة ، وعن أميرالمؤمنين عليه السلام «بين الثديين» وأصل المنيّ هوالدم يتصاعد في خرزات الصلب و هناك مسكنه و منضجه الحرارة فيستحيل أبيض فإذا امتلأت خرزات الظهر و هو الفقار طلب الخروج من مسلكه وهو عرقان متّصلان إلى الفرج و منهما ينزل و بين طريق المنيّ وطريق‌البول جلد رقيق يكاد لايتشخّص من رقّته لئلاّ يختلط المنيّ بماء البول فيفسد حرارة جوهره .

[إنّه على رجعه] الضمير للخالق،على إعادته بعد موته [لقادر] خلقه لإظهار قدرته ثمّ رزقه لإظهار كرمه فيميته لإظهار جبروته و يحييه ثانياً للثواب والعقاب .

---

(١) سورة الاحزاب : ٥٢ .

[يوم تبلى السرائر] ظرف لرجعه ، ولا يضرّ الفصل بالأجنبي للتوسّع في الظروف وإطلاق الابلاء على الكشف والوضوح من قبيل اسم السبب على المسبّب لأنّ الاختبار موجب للتعرّف و التميّز وقيل : المراد من السرائر الفرائض كالصوم والصلاة والزكاة والغسل فانّها سرّ بين العبد وبين ربّه في معيبها و صحيحها وإنّما تظهر صحّتها يوم القيامة فيبدي الله ذلك اليوم كلّ سرّ فيكون زيناً في وجوه وشيناً في وجوه ، فمن أدّى الأمانات و التكاليف كان وجهه مشرقاً ومن ضيّعها كان وجهه أغبر .

[فماله من قوّة ولا ناصر] أي ليس للإنسان من دافع من نفسه يمتنع بها من العذاب الّذي حلّ به ولا ناصر من خارج ينتصر به .

[والسماء ذات الرجع] ذات مؤنّث « ذو » بمعنى الصاحب والرجع المطر سمّي رجعاً لما أنّ العرب كانوا يزعمون أنّ السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثمّ يرجعه إلى الأرض وقيل : المراد بالرجع شمسها و قمرها و نجومها تغيب وتطلع ، أورجع السماء إعطاؤها الخير الّذي من جهتها حالاً بعد حال على مرور الأيّام .

[والأرض ذات الصدع] هوما تتصدّع عنه الأرض من النبات وتشقّقها بالنبات و العيون ، لأنّ النبات صادعٌ للأرض فالسماء ذات الرجع كالأب و الأرض ذات الصدع كالأمّ وما ينبت كالولد والمراد بيان منافعهما و أقسم بهما .

[إنّه] أي القرآن [لقولٌ فصل] أي كلام فاصل بين الحقّ والباطل والقول كثيراً ما يكون بمعنى المقول ، أتى بالمصدر مبالغةً كأنّه نفس الفصل كما قال : [1] «الفرقان» بمعنى الفارق .

[وماهو بالهزل] واللعب ، والجدّ ضدّ الهزل أي كلّه جدّ محض ،قال المولى إسماعيل الحقّي في روح البيان : إنّه يظهر من الآية أنّ من يؤمّ القرآن بهزل أو بتفكّه و مزاح يكفر،وفي هداية المهديّين إذا أنكر رجل آية من القرآن أو سخر بها أوعابها فقد كفر ،ومن قرأ القرآن على ضرب الدفّ أو القصب أوماشابهه فقد كفر

(١) سورة البقرة ، ١٨٥ و مواضع اخر .

حتى قيل : لو يقال له : لمَ لم تقرء القرآن ؟ فقال : سئمت منه ، فهذا وأمثاله كلّه كفر فليجتنب المسلم عن مثل هذه الكلمات .

[إنّهم يكيدون كيداً] في إطفاء نوره حسبما في قدرتهم [وأكيد كيداً] أي أُقابلهم بكيد متين لايمكن ردّه ، وكيد المحدث الضعيف العاجز لايقاوم جزاء القادر القويّ ، وتسمية الجزاء بالكيد من باب المشاكلة والمقابلة في الكلام وإلّا فالكيد هو المكر والاحتيال ولا يجوز إسناده إليه تعالى مراداً به معناه الحقيقيّ وتسمية جزاء الشيء باسم ذلك الشيء على سبيل المشاكلة شائع كثير .

[فمهّل الكافرين] أي لاتستعجل بهم [أمهلهم رويداً] بدل من « مهّل » والتمهيل والإمهال لغتان أي مهّلهم إمهالاً قليلاً فإنّ الله يجزيهم لامحالة إمّا بالقتل والذلّ في الدنيا أوبالعذاب في الآخرة قال ابن جنّي : قوله « مهّل الكافرين أمهلهم رويداً » غيّر اللفظ والباب لأنّه آثر التأكيد ولم يعد ، وانحرف عن التكرار بعض الانحراف ،وانتقل عن لفظ فعّل إلى لفظ أفعل وغيّر الباب إرادة للتأكيد ، ولتجشّم التثليث ترك اللفظ وأتى بالمعنى فقال : « رويداً » أي مهلة قليلة. وما كان بين نزول هذه الآية وبين وقعة بدر إلّا زمان يسير .

حكي أنّ ابن السمّاك دخل على الرشيد فطلب هارون منه العظة فقال : أيّها الخليفه لقد أمهل سبحانه حتّى كأنّه أهمل ولقد ستر حتّى كأنّه غفر ثمّ قال : هب كان الدنيا كلّها في يديك والاُخرى مثلها ضمّت إليك وكان الشرق والغرب يُجبى إليك فاذا جاء ملك الموت فما ذا في يديك؟ وقيل: إنّ هارون كان جالساً على حصير يستمع منه فقال ابن السمّاك : أيّها الخليفه لتواضعك في شرفك أفضل من شرفك ومن اُعطي مالاً وجمالاً وسلطاناً وشرفاً فتواضع في شرفه وعفّ في جماله وواسى في فضل ماله وعدل في سلطانه كتب في ديوان المخلصين،واعلم أنّه لم يبق من لدن آدم إلى يومنا هذا أحد إلّا وذاق الموت . قال هارون : زدني فقال ابن السمّاك : إنّهما موضعان إمّا جنّة وإمّا نار قال هارون : حسبي حسبي .

أقول : وما كفته هذه المواعظ وما تطلّب من ابن السمّاك المواعظ حقيقة

بل أرادأن يغرّ الناس بتطلبّه المواعظ ،وغرضه اللعين التدليس والتمويه لتستّر نقائصه كماهوعادة أكثر أُمراء زماننا حيث وجدوا عالماًشرعوا في الاستفادة منه والعالم المغرور يزعم أنّه من أهل التقى فيغترّ بما يرى من ظاهر أحوالهم فيحسن ظنّه به و بأمثاله فيترتّب على صلاح ظاهره أُمور فيها فساد اُمّة بل إضلال أهل ملّة وما حصل ذلك الفساد إلاّ بسبب ذلك التدليس من هذا الابليس و اغترار هذا

العالم الجاهل بأحوال الناس فينبغي لمثله أن يكون

حادياً للعبس لامتصدّراً للتدريس نسأل

العصمة من مضلاّت الفتن

تمّت السورة بعون الله .

سورة الاعلى

☆(مكية)☆

روي عن علي عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحب هذه السورة وأول من قال سبحان ربي الأعلى: ميكائيل .

قال ابن عباس : إذا قرأ النبي هذه السورة قال : سبحان ربي الأعلى و كذلك علي عليه السلام .

و روى العياشي باسناده عن أبي خميصة عن علي عليه السلام قال : صلّيت خلفه عشرين ليلة فليس يقرأ إلا سبح اسم ربك الأعلى، وقال : لو يعلمون ما فيها لقرأها الرجل كل يوم عشرين مرة ، و إن من قرأها فكأنما قرأ صحف موسى و إبراهيم الذي وفى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سبح اسم ربك الاعلى (١) الذى خلق فسوى (٢) والذى قدر فهدى (٣) و الذى اخرج المرعى (٤) فجعله غثاء احوى (٥) سنقرئك فلا تنسى (٦) الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى (٧) و نيسرك لليسرى (٨) فذكر ان نفعت الذكرى (٩) سيذكر من يخشى (١٠) ويتجنبها الاشقى (١١) الذى يصلى النار الكبرى (١٢) ثم لا يموت فيها ولا يحيى (١٣) قد افلح من تزكى (١٤) وذكر اسم ربه فصلى (١٥) بل تؤثرون الحيوة الدنيا (١٦) و الاخرة خير وابقى (١٧) ان هذا لفى الصحف الاولى (١٨) صحف ابراهيم و موسى (١٩) .

نزّه ربّك عمّا لا يليق به من الصفات المذمومة و الأفعال القبيحة كالعجز والظلم وأمثاله . قال ابن عبّاس : أي قل : «سبحان ربّي الأعلى» وأراد بالاسم المسمّى والأعلى معناه القادر الّذي لا قادر أقدر منه ، القاهر لكلّ أحد وقيل : « الأعلى » صفة الاسم فيكون المعنى سبّح الله بذكر اسمه الأعلى، وأسماؤه الحسنى كلّها أعلى والمراد من العلوّ ليس علوّ الجهة سبحانه عن ذلك بل علوّ استحقاق لنعوت الجلال فمن عرف علوّه تذلّل وتواضع بين يديه و كذلك ينزّهه عن أن يطلق هذه الأسماء على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيها من أن تسمّى الصنم بالإله أو الربّ مثل تسمية العرب مسيلمة الكذّاب برحمن اليمامة بل لا يكثر القسم بذكر اسمه تعالى من غير مبالاة .

وفي الحديث لمّا نزلت « فسبّح باسم ربّك العظيم » قال ﷺ : اجعلوها في ركوعكم فلمّا نزل « سبّح اسم ربّك الأعلى » قال : اجعلوها في سجودكم و كانوا يقولون في الركوع : اللّهم لك ركعت ، وفي السجود : اللّهمّ لك سجدت .

وقد ذكر ماقبل هذا أنّ أوّل من قال : « سبحان ربّي الأعلى » كان ميكائيل

وذلك أنّه خطر بباله عظمة الربّ فقال : يا ربّ أعطني قوّة النظر حتّى أنظر إلى عظمتك و سلطانك فأعطاه قوّة أهل السماوات فطار خمسة آلاف سنة حتّى احترق جناحه من نور العرش ثمّ سأل القوّة فأعطاه ضعف ذلك وجعل يرتفع عشرة آلاف سنة حتّى احترق جناحه من نور العرش وصار كالفرخ و رأى الحجاب والعرش على حاله فخرّ ساجداً وقال : « سبحان ربّي الأعلى » ثمّ سأل ربّه أن يعيده إلى مكانه وإلى حالته الأولى فعاد . وفي الحديث « سبحان الله والحمدلله» يملآن مابين السماوات والأرض .

[الّذي خلق فسوّى] صفة اُخرى للربّ خلق كلّ ذي روح فسوّى خلقه بأن جعل له مابه يتأتّى كماله و يتدبّر معاشه بالإحكام و الإتقان و قيل : المراد من الخالق الإنسان فسوّى و عدّل تركيبه و قامته و لم يجعله منكوساً كالبهائم و الدوابّ أو المعنى خلق الأشياء على موجب إرادته فسوّى صنعها لتشهد على وحدانيّته .

[والّذي قدّر فهدى] معطوف على الموصول الأوّل أي قدّر أجناس الأشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وأفعالها وآجالها بمقدار معلوم في جثّته و وضعه ولونه وطعمه وطبعه و كيفيّة ارتزاقه ويسّر له ماينفعه و ألهمه مايضرّه ولو تتبّعت أحوال النباتات والحيوانات لرأيت في كلّ منها ما يحار فيه العقول .

يحكى أنّ الأفعى إذا بلغت ألف سنة عميت و قد ألهمها الله أن تمسح عينيها بورق الرازيانج الغضّ فيردّ إليها بصرها فربّما كانت عند عروض العمى لها في برّيّة بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها على بعدها وعلى عماها حتّى تهجم على شجرة الرازيانج لاتخطئها فتحكّ عيناها بورقها فترجع باصرةً .

وجعل لكلّ حيوان و نبات خصوصيّات مميّزة بعضها عن بعض وخاصيّة مثل أنّه تعالى خلق التمساح و ربّما بلغ طوله عشرين ذراعاً يوجد في بحر مهران في السند والنيل كما في القاموس و هو يبيض في البرّ فما وقع من ذلك في الماء صار تمساحا ومابقي في البرّ صار سقنقوراً ويوجد في مصر شكلها كالوزغة على عظم خلقته وهو أنفس ما يهدى لملوك الهند فإنّهم يذبحونه بسكّين من الذهب ويحشونه بالملح

ويحملونها إليهم فإذا وضعوا مثقالاً من ذلك على بيض أولحم وأكل يقع ذلك نفعاً بليغاً للتقوية .

ومن هداياته تعالى أنّ القطا وهو طائر معروف يترك فراخه ثمّ يطلب الماء من مسيرة عشرة أيّام و أكثر فيرده فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ثمّ يرجع فلا يخطىء لا ذهاباً ولا إياباً قال الشاعر :

تميم بورب اللؤم أهدى من القطا ☆ و إن سلكت سبل الهداية ضلّت

حكي أنّ العقرب و الفارة إذا اجتمعتا في إناء زجاج و لم يتمكّن الفارة من الهرب لملاسة الزجاج قرضت الفارة إبرة العقرب فتسلم منها .

وحكي أنّ ابن عرس تبع فارة فصعدت الفارة شجرة و لم يزل يتبعها حتّى انتهت إلى رأس الغصن ولم يبق مهرب فنزلت على ورقة وعضّت طرفها وعلّقت نفسها فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءته زوجته فلمّا انتهت تحت الشجرة قطع ابن عرس الورقة الّتي عضّتها الفارة فسقطت فاصطادها ابن عرس الّذي كان تحت الشجرة .

وقد رئي أنّ الفارة تدخل ذنبها في قارورة الدهن والمايعات ثمّ تلحسه و إذا لم ينل ذنبها إلى الدهن هالت حصى صغاراً من فم القارورة فيعلو الدهن فيتصل ذنبها إلى الدهن ثمّ تلحسه ، و أمثال هذه العجائب في الحيوان كثيرة .

والأعجب من هذا أنّه قيل : إنّ شجرة النخل يعرض لها العشق وتميل إلى نخلة اُخرى فيخفّ حملها و تهزل ، و علاجها أن يشدّ بينها و بين معشوقها الّذي مالت إليه بحبل أو يعلّق عليها سعفة منه أو يجعل فيها من طلعه فتجبر و تثمر و يرتفع هزالها .

قوله : [والّذي أخرج المرعى] الرعي بالكسر الكلاء و بالفتح المصدر أي إنّه تعالى بقدرته أنبت ماترعاه الدواب غضّاً طريّاً قال ابن عبّاس : المرعى الكلاء الأخضر .

[فجعله] بعد ذلك وبعد اخضراره [غثاء أحوى] أي هشيماً جافاً كالغثاء الّذي تراه فوق السيل من فتات الأرض «أحوى» أي أسود و إيراد الفاء في «فجعله» إشارة

إلى قصر مدّة الخضرة و فيه رمز إلى قصر مدّة العمر و سرعة زوال الدنيا ونعيمها فانّ رتبة الحياة الدنيا و منافعها سريعة الفناء فانّهما مرعى النفس الحيوانيّة كالهشيم والحطام البالي الأسود .

[سنقرئك فلا تنسى] ضمان من الله أن يجعله بحيث لاينسى ويحفظ القرآن للهداية وكان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه جبرئيل بالوحي يقرؤه مخافة أن ينساه فلمّا نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك شيئاً .

[إلّا ماشاء الله] أن ينسيكه برفع حكمه ونسخه ،وقيل : معنى الاستثناء امكان وقوعه وإن لم يقع منه مشيّة النسيان فهو كقوله(١): «خالدين فيها مادامت السماوات و الأرض إلّا ماشاء ربّك » ولا يشاء و كقول القائل : لأعطينّك كلّ ما سألت إلّا أن أشاء أن أمنعك و النيّة أن لايمنعه ،ومن المعلوم أنّه فرق بين النسيان والإنساء و أنّ الله قادر على إنسائه صلى الله عليه وآله إذا أراد .

[إنّه يعلم الجهر وما يخفى] وهو عالم بما ظهر وما بطن من القول والعمل والنيّة ورفع الصوت وهمس الصوت أي يعلم ما جهرت به في قراءتك لحفظها ومــا أخفيتها وتريد أن تنسيه وتحفظه .

[ونيسّرك لليسرى] عطف على « نقرئك» و اليسرى فعلى من اليسر و هو السهولة في عمل الخير لمافي معنى«نيسّرك» من تضمّن معنى الخير و التوفيق و حاصل المعنى نوفّقك للشريعة اليسرى الحنيفة ونسهّل عليك الوحي وما يثبتك على أمرك وتبليغك ولنسهّل عليك المستصعب من اُمور النبوّة و الرسالة .

[فذكّر إن نفعت الذكرى] فذكّر الناس ما اُوحي إليك واهدهم إن نفع التذكير ، وتقييد التذكير بالنفع لأنّه صلى الله عليه وآله يستفرغ جهده فيه حرصاً على إيمانهم وكان لايزيد ذلك بعضهم إلّا كفراً وعناداً فأمره بأن يخصّ التذكير بمن يرجى منه التذكير ولا يتعب نفسه في تذكير من لايزيده إلّا عتوّاً ونفوراً وهذا كقوله(٢) : «فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد » وحرف الشرط راجع إلى النبيّ لاإلى الله . قال بعض أهل العربيّة

(١) سورة يونس : ١٠٨ . (٢) سورة ق ٤٥ .

إنّ « إن » تجيء مثبتة فتكون بدل « قد » و قيل : معنى الآية ذكّر إن نفعت الذكرى أولم تنفع ولم يذكر الحالة الثانية كقوله [١]: « سرابيل تقيكم الحرّ » .

[سيذّكّر من يخشى] أي سيتذكّر بتذكيرك مَن من شأنه أن يخشى الله و يتّعظ بالقرآن من يخاف عقابه .

[ويتجنّبها الأشقى] ويتبعّد من الذكرى ولا يسمعها سماع القبول الزائد في الشقاوة لتوغّله في عداوة النبيّ أو المراد من الأشقى الكافر مطلقاً لأنّه أشقى من الفاسق والناس في أمر المعاد والقرآن على ثلاثة أقسام : منهم من قطع بصحّته ومنهم من جوّز وجوده ولكنّه غير قاطع فيه لا بالنفي ولا بالاثبات ومنهم من أصرّ على إنكاره والقسمان الأوّلان ينتفعون بالتذكير بخلاف الثالث .

[الّذي يصلى النار الكبرى] أي يدخل الطبقة السفلى من طبقات النار و الكبرى اسم تفضيل تأنيث الأكبر و المفضّل هو ما في أسفل الدركات والمفضّل عليه ما في الدركات الّتي فوقها .

[ثمّ لايموت فيها] حتّى يستريح [ولايحيى] حياةً تنفعه بل تكون حياته وبالاً عليه يتمنّى أن يموت لماهو فيها معها من فنون العذاب و يتعذّب مزيداً كلّما احترق وهلك أُعيد إلى الحياة وعذّب فلا يكون ميّتاً مطلقاً ولا حيّاً مطلقاً .

[قدأفلح] ونجامن المكروه [من تزكّى] وتطهّر من الكفر و المعاصي باتّعاظه بالذكرى أو تكثّر من التقوى ، من الزكاء وهو النماء ، قال ابن مسعود : أي أعطى زكاة ماله و صلّى ، أراد زكاة الفطرة وصلاة العيد .

[وذكر اسم ربّه] بقلبه ولسانه [فصلّى] وأقام الصلاة الخمس،قال ابن عبّاس أي وحّدالله و قيل : ذكر الله بقلبه عند صلاته و قيل : المراد ذكر اسم ربّه بلسانه عند دخوله في الصلاة أي قال: الله أكبر وقيل : هو أن يفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم ثمّ يصلّي قال الله سبحانه : إنّ لي مع المصلّين ثلاث أُمور : أحدها تنزل الرحمة من عنان السماء إلى مفرق رأسه مادام في صلاته،والثاني حفّته الملائكة بأجنحتها،والثالث

(١) سورة النحل ، ٨١ .

أُناجي معه كلّما قال : يارب ! أقول : لبّيك ، انتهى .

فلو قيل : إذا كان المراد من الآية زكاة الفطرة وصلاة العيد كيف يكون و السورة مكيّة بالاجماع ولم يكن بمكّة عيد ولا صدقة فطر ؟

فالجواب انّه لمّا كان في علم الله أنّ ذلك سيكون أثنى الله على من فعل ذلك فانّه قد يخبر بما سيكون .

[بل تؤثرون الحياة الدنيا] إضراب عن مقدّر ينساق إليه الكلام كأنّه قيل: لايفعلون ذلك بل تختارون اللّذّات العاجلة وتسعون لتحصيلها و ترجّحون جانب الدنيا على الآخرة مع أنّ في حلالها حساباً وفي حرامها عذاباً .

[و الآخرة خير و أبقى] حال من فاعل « تؤثرون » مؤكّدة للتوبيخ أي تؤثرونها على الآخرة مع أنّ الآخرة سعادة أبديّة والدنيا مبغوضة ومبغوض مافيها إلّا ذكر الله .

[إنّ هذا] إشارة إلى ما ذكر [لفي الصحف الأُولى] جمع صحيفة و هي الكتاب. والصحيفة المبسوط من كلّ شيء كصحيفة الوجه والمعنى أنّ تطهير النفس عن رذائل الشرك وتكميل الروح بالمعارف الالهيّة والجوارح بالطاعة و الإعراض عن ملهيات الدنيا لا يجوز أن يختلف باختلاف الشرائع بل هذا التكليف ثابت ولا يختلف باختلاف الأنبياء ،فالأُصول متّحدة من لدن آدم وإنّما الاختلاف في بعض الفروع الّتي هي الشرائع والشروط «إنّ الدين عند الله الاسلام»[1] ، فان كان تغيير وتبديل فبا لكيفيّة و الترتيب .

[صحف] جدّك [إبراهيم] الخليل [و موسى] أخيك الكليم . تمّت السورة .

---

(١) سورة آل عمران ، ١٩ .

هذه

سورة الغاشية

☼(مكية)☼

من قرأها حا سبه الله حساباً يسيراً و من أدمنها في فرائضه و نوافله غشاه الله برحمته في الدنيا والآخرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

هل أتاك حديث الغاشية (١) وجوه يومئذ خاشعة (٢) عاملة ناصبة (٣) تصلى ناراً حامية (٤) تسقى من عين آنية (٥) ليس لهم طعام الامن ضريع (٦) لايسمن ولا يغنى من جوع (٧) وجوه يومئذ ناعمة (٨) لسعيها راضية (٩) فى جنة عالية (١٠) لاتسمع فيها لاغية (١١) فيها عين جارية (١٢) فيهاسرر مرفوعة (١٣) و أكواب موضوعة (١٤) و نمارق مصفوفة (١٥) وزرابى مبثوثة (١٦) أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت (١٧) و الى السماء كيف رفعت (١٨) والى الجبال كيف نصبت (١٩) والى الارض كيف سطحت (٢٠) فذكر انما انت مذكر (٢١) لست عليهم بمسيطر (٢٢) الا من تولى و كفر (٢٣) فيعذبه الله العذاب الاكبر (٢٤) ان الينا ايابهم (٢٥) ثم ان علينا حسابهم (٢٦)

[الغاشية] المجلّلة للجميع ، الجملة خطاب للنبيّ يريد اُمّته قيل : إنّ « هل » في الآية بمعنى قد أي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية . قال المولى أبو السعود في الإرشاد: وليس بذلك بل هو استفهام اُريد به التعجّب إشعاراً بأنّه من الأحاديث العجيبة الّتي حقّها أن يتناقلها الرواة ، والغاشية الشديدة الّتي تغشى الناس وهي القيامة لأنّها تغشى الناس أهوالها تغشية و قيل : الغاشية نار تغشى وجوه الكفّار بالعذاب كقوله :[1]

(١) سورة إبراهيم : ٥١ .

« تغشى وجوههم النار » .

[وجوه يومئذ خاشعة] لعلّ وجه الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام: أصحاب وجوه ، ولمّا كان الذلّ والخشوع يظهران في الوجه حذف المضاف واُقيم المضاف إليه مقامه وقيل : المراد بالوجوه الكبراء مثل قولك : جاءني وجوه بني تميم أي سادتهم و كبراؤهم وعنى به وجوه الكفّار لأنّها تكبّرت عن عبادة الله بدلالة ما بعده من الأوصاف .

[عاملة ناصبة] و المعنى أنّ أصحاب تلك الوجوه لمّا لم يعملوا لله في الدنيا ولم يشتغلوا بعبادته فاعملها و اتبعها في النار بمعالجة السلاسل و الأغلال و قيل : يكلّفون ارتقاء جبل حديد في النار قال الكلبيّ : يخرّون على و جوههم في النار و قيل : معناه أنّ المراد « عاملة » في الدنيا بالمعاصي « ناصبة » في النار بالعذاب و قيل : المراد « عاملة ناصبة » في الدنيا أي يعملون في الدنيا و يتعبون أنفسهم على خلاف ما أمرهم مثل أرباب البدع و الّذين يخترعون من عند أنفسهم عبادة شاقّة محرّمة برأيهم الباطل من غير أن يكون فيها لله رضىً. قال أبوعبدالله عليه السلام : المراد كلّ ناصبٍ لنا بالعدواة و إن تعبّد و اجتهد في عبادته يؤول أمره إلى هذا العذاب .

[تصلى ناراً حامية] تذوق ألمها قدحميت فهي تتلظّى على أعداء الله و يلتزمون الاحتراق بالنار الّتي في غاية الحرارة [تسقى من عين آنية] من عين متناهية بالغة في الأنى أي الحرّ لتسخينها بتلك النار منذ خلقت لو وقعت قطرة منها على جبال الدنيا لذابت و إذا اُدنيت من وجوههم تناثرت لحومها وإذا شربوا قطّعت أمعاؤهم يقال : أنى الحميم أي انتهى حرّه فهو آنٍ وبلغ هذا إناه أي غايته .

[ليس لهم طعام إلاّ من ضريع] بعد أن بيّن شرابهم ذكر طعامهم والضريع يبيس الشبرق كزبرج وهو شوك يرعاه الإبل مادام رطباً و إذا يبس تحامته و هو سمّ قاتل ، وسمّي ذلك الشوك ضريعاً لأنّه مضعف و مهزل غاية يقال : ضرع الرجل

ضراعة أي ذلّ و ضعف قال ابن عبّاس : الضريع في جهنّم شيء تشبه الشوك أمرّ من الصبر وأنتن من الجيفة وأشدّ حرّاً من النار هذا طعام بعض أهل النار والزقّوم و الغسلين لآخرين بحسب جزائهم و به يرفع التعارض بين هذه الآية و بين آية « الحاقّة » و هي قوله(١) : « ولا طعام إلاّ من غسلين » .

[لايسمن] ذلك الضريع [ولا يغني من جوع] كما هو عادة طعام الدنيا روي أنّه تعالى يسلّط عليهم الجوع بحيث يضطرّون إلى أكل الضريع فإذا أكلوا يسلّط عليهم العطش فينظرون إلى شرب الحميم فيشوي وجوههم و يقطع أمعاؤهم وتنكير الجوع للتحقيرأي من جوع ما ، و كرّر النفي للتأكيد .

[وجوهٌ يومئذ ناعمة] أي ذات بهجة وحسن و ضياء مثل البدر أو متنعّمة في أنواع اللذائذ [لسعيها] في الدنيا [راضية] حين اُعطيت الجنّة بعملها و راضية في مقابلة سعيها من الطاعات و العبادات في الدنيا فرضوا و حمدوا الله .

كائنين [في جنّةعالية] مرتفعة القصور و الدرجات [لاتسمع فيها لاغية] أنت أيّها المخاطب أو التاء تاء التأنيث لا الخطاب أي أصحاب الوجوه فيها أي في الجنّة « لاغية » كلمة ساقطة لا فائدة فيها أو ذات لغو كقولهم : نابل و دارع أي ذونبل و درع .

[فيها] أي في تلك الجنّة [عين جارية] اسم جنس و لكلّ إنسان في قصره عيون كثيرة والتنوين للتكثير تجري مياهها على الدوام وهي أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من شرب منها لايظمأ بعدها أبداً ويذهب من قلبه جميع المكاره .

[فيها سررٌ] يجلسون عليها روي أنّه لكلّ واحد سبعمائة سرير على كلّ سرير حوريّةخلقها الله[مرفوعة]رفيعةالسمكأي عالية في الهواء على قوائم طوال فانّ السمكهوالامتداد الآخذ من أسفل الشيء إلى أعلاه فيرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما أعطاه ربّهمن النعيم الكثيرفي الجنّة والملك العظيم قال ﷺ : «ارتفاعها كمابين

---

(١) سورة الحاقة : ٣٦ .

السماء و الأرض مسيرة خمسمائة عام ، فإذا جاء وليّ الله ليجلس عليها تطأمنت له فإذا استوى عليها ارتفعت» .

[و أكواب] الكوب إناء لا عروة له ولا خرطوم مدوّر الرأس ليمسك من أيّ طرف أُريد [موضوعة] بين أيديهم حاضرة وهو لاينافي أن يكون بعض الأقداح في أيدي الغلمان لأنّ النعم في الجنّة أطوار و أقسام .

[ونمارق] أي وسائد يستندون إليها للاستراحة والتنفّس في الراحة [مصفوفة] بعضها إلى جنب بعض و على رأسه و صائف كأنّهنّ الياقوت و المرجان .

[و زرابيّ] أي بسط فاخرة جمع زربيّ ضربٌ من الثياب محبّر منسوب إلى موضع على طريق التشبيه والاستعارة [مبثوثة] أي مبسوطة على السرر زينة و تمتّعاً ، وأصل البثّ إثارة الشيء وتفريقه .

[أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت] الهمزة للإنكار والتوبيخ و الفاء للعطف علـى مقدّر يقتضيه المقـام أي أينكرون من البعث و أحكامه و يستبعدون وقوعه عن قدرة الله .

أفلا ينظرون نظر اعتبار إلى الإبل الّتي هي نصب عينهم يستعملونها كلّ حين في عظم جثّتها وشدّة قوتّها من الأفاعيل الشاقّة كالنهوض بالأوقار الثقيلة و جرّ الأثقال الفادحة إلى الأقطار النازحة و في صبرها على الجوع و العطش حتّى أنّ ظماءها ليبلغ العشر وا كتفائها باليسير مع هذه الجثّة العظيمة ورعيها لكلّ ماتيسّر من شوك وشجر ممّا لايرعاه سائر البهائم وفي انقيادها للإنسان في الحركة والسكون و النهوض حتّى يقتادها طفل أين مايشاء يذهب بها .

حكي أنّ فأرة أخذت بزمام ناقة فأخذت تجرّها و هي تتبعها حتّى دخلت حجرها فجرّت الزمام فبركت الناقة فجرّت فقرّبت الناقة فمها من حجر الفارة .

و تتأثّر الإبل من المودّة و الغرام و تسكر منهما إلى حيث تنقطع عن الأكل و الشرب زماناً ممتدّاً ، وتتأثّر من الأصوات الحسنة و الحداء و تصير من

كمال التأثّر إلى أن يهلك نفسها من سرعة الجري ويجري الدمع في عينها غراماً. وفيها من الفائدة من النسل و الحمل واللبن و الركوب ، فبيّن لهم سبحانه هذه الخلقة العجيبة النافعة ليستدلّوا بها على قدرته في ما خلق من النعمة لأهل الجنّة فلا يستبعدونها .

[و إلى السماء] الّتي تشاهدونها [كيف رفعت] رفعاً بغير عماد ولا مساك بحيث لاينالها الفكر و الوهم .

[وإلى الجبال] الّتي ينزلون في أقطارها وينتفعون بمياهها و كلائها وأشجارها [كيف نصبت] نصباً رصيناً فهي راسخة لايمتدّ أوتاداً للأرض قيل : وفيه إشارة إلى عالم المثال لأنّه متوسّط بين سماء الروحانيّات و أرض الجسمانيّات .

[و إلى الأرض كيف سطحت] سطحاً مبسوطاً حسبما يقتضيه صلاح أُمور ما عليها من الخلائق ولو لا ذلك التسطّح لما صحّ الاستقرار عليها و الانتفاع منها ولو تفكّروا و تدبّروا فيها لعلموا أنّ لهم صانعاً صنعهم وموجداً أوجدهم .

ولمّا ذكر سبحانه الأدلّة أمر نبيّه التذكير بها فقال : [فذكّر] الفاء لترتيب الأمر بالتذكير فقال : و اقتصرْ على التذكير ولا يمنعك أنّهم لا يتذكّرون [إنّما أنت مذكّر] أي مبلّغ [لست عليهم بمسيطر] أي لست بمسلّط تجبرهم على ما تريد كقوله(١) : «وما أنت عليهم بجبّار » وقرىء بالصاد على القلب لمناسبة الطاء بعدها أي لست عليهم بحافظ وقائم إنّما الواجب عليك الإنذار ، وإن كان هذا الأمر قبل نزول آية الجهاد .

[إلّا من تولّى و كفر] أي أعرض عن الذكر ولم يقبل منك و كفر بالله وبما جئت به فكِلْ أمره إلى الله و قيل : معناه « إلّا من تولّى و كفر » فلست له بمذكّر لأنّه لا يقبل منك فكأنّك است تذكّره وقيل : إنّ الاستثناء منقطع و هو الأظهر أي لكن من تولّى و كفر و«من»موصولة لا شرطيّة .

[فيعذّبه الله العذاب الأكبر] الّذي هو عذاب جهنّم حرّها شديد و قعرها

(١) سورة ق ، ٤٤ .

بعيد ومقامع من حديد وفي الآية تنبيه على أنّ كلّ عذاب يعذّب الكافر من القتل والأسر في الدنيا وفي البرزخ صغير في جنب عذاب الآخرة .

[إنّ إلينا إيابهم] أي إلينا رجوعهم بالموت والبعث لا إلى أحد سوانا . وفي تقديم الخبر تخصيص ومبالغة في شدّة عذابهم وجمع الضمير باعتبار معنى «من» وإفراده باعتبار لفظها .

[ثمّ إنّ علينا حسابهم] في المحشر فنحن نحاسبهم على النقير و القطمير .

تمّت السورة بعون الله

سورة الفجر

☼(مكية)☼

روى داود بن فرقد عن الصادق عليه السلام قال : اقرؤا سورة الفجر في فرائضكم و نوافلكم فإنّها سورة الحسين بن عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام من قرأها كان معه يوم القيامة .

بسم الله الرحمن الرحيم

و الفجر (١) وليال عشر (٢) والشفع والوتر (٣) و الليل اذا يسر (٤) هل فى ذلك قسم لذى حجر (٥) الم تركيف فعل ربك بعاد (٦) ارم ذات العماد (٧) التى لم يخلق مثلها فى البلاد (٨) و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد (٩) و فرعون ذى الاوتاد (١٠) الذين طغوا فى البلاد (١١) فأكثروا فيها الفساد (١٢) فصب عليهم ربك سوط عذاب (١٣) ان ربك لبالمرصاد (١٤) فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه و نعمه فيقول ربى اكرمن (١٥) و اما اذا ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن (١٦) كلا بل لا تكرمون اليتيم (١٧) ولا تحاضون على طعام المسكين (١٨) وتاكلون التراث اكلا لما (١٩) وتحبون المال حباً جماً (٢٠) كلا اذا دكت الارض دكاً دكا (٢١) و جاء ربك و الملك صفاً صفا (٢٢) وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى (٢٣) يقول ياليتنى قدمت لحياتى (٢٤) فيومئذ لا يعذب عذابه احد (٢٥) ولا يوثق و ثاقه احد (٢٦) يا ايتها النفس المطمئنة (٢٧) ارجعى الى ربك راضية مرضية (٢٨) فادخلى فى عبادى (٢٩) و ادخلى جنتى (٣٠) .

المعنى : لمّا كان العرب أكثر خلق الله قسماً في كلامهم جاء القرآن على

عادتهم في القسم ، أقسم بالفجر والفجر فجران : فجرٌ مستطيل كذنب السرحان و هو الكاذب ولايتعلّق به حكمٌ و فجرٌ مستطيرٌ وهو الصادق الّذي يتعلّق به الأحكام كالصوم والصلاة .

أقسم الله بالفجر الّذي هوأوّل وقت ظهور ضوء الشمس فيجانب المشرق كما أقسم بالصبح حيث قال : « والصبح إذا تنفّس » وقيل : المراد فجر يوم عرفة لأنّه يومشريف يتوجّه فيه الحجّاج إلىجبل عرفات و قيل : صباح يوم النحر لأنّه يوم عظيم ويقع فيه الطواف المفروض و الحلق والرمي وقيل : المراد فجر ذي الحجّة لأنّ الله قرن الأيّام بها فقال : « وليال عشر » وهي عشر ذيالحجّة وقيل : فجر أوّل المحرّم وقيل : أراد منالفجر النهار كلّه .

[وليال عشر] يعني العشرفيذيالحجّة وقيل : المراد من ليالي العشرالعشر الأواخر منشهر رمضان ويمكن أن يكون المراد من الليالي أيّامها والعرب تذكّر الليالي وهي تعنيها بأيّامها تقول : بُنيهذا البناء ليالي السامانيّة أي أيّامهم وقيل: العشر الأواسط من شعبان وفيها ليلةالبراءة والبرات والصكّ وقيل : هي ستّ ليال خلقالله في أيّامها السماوات والأرض وليلة خلق فيها آدم وليلة كلّم الله فيها موسى وليلة أُسري بالنبيّ صلى الله عليه وآله وليلة يومها يومالقيامة .

[والشفع والوتر] وأقسمسبحانه بكلّ عدد يكون زوجاًوفرداً والعدد لايكون خارجاً منهما قال أبومسلم : هو تذكير بالحساب لعظم ما فيه من النفع . و قيل : « الشفع والوتر » كلّ ما خلقه الله لأنّ جميع الأشياء إمّا زوج وإمّا فردٌ . وقيل : الشفع الخلق لأنّه قال : « وخلقناكم أزواجاً » والوترالله تعالى وهيروايةأبيسعيد الخدريّ . وقيل : « الشفعوالوتر » الصلاة منهاشفع ومنهاوترٌوهي رواية ابنحصين عن النبيّ صلى الله عليه وآله . وقيل : الشفع يوم النحر و الوتر يوم عرفة وهي رواية جابر عن النبيّ صلى الله عليه وآله . وقيل : الشفع يوم التروية والوتر يوم عرفة روي ذلك عن أبيجعفر وأبيعبدالله عليهما السلام . وقيل : الشفعصفاتالمخلوقين وتضادّهامثلالذلّ والعزّ والوجود والعدم والقدرة والعجزوالعلم والجهلوالحياة والموت،والوترصفة الله إذ هوالموجود

لا يجوز عليه العدم والقادر لايجوز عليه العجز و العالم لايجوز عليه الجهل والحيّ لا يجوز عليه الموت . وقيل : الشفع عليّ و فاطمة عليهما السلام والوتر رسول الله صلى الله عليه وآله . و قيل : الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام . وقيل : كلّ نبيّ له اسمان مثل محمّد و أحمد و المسيح و عيسى و يونس و ذي النون هو الشفع ، و كلّ من له اسم واحد مثل آدم ونوح و إبراهيم ومسجد مكّة والمدينة هو الوتر .

قوله : [و الليل إذا يسر] جنس الليل إذا يمضي و يدبر ففي تيسيره على المقادير المرتّبة ومجيئه بالضياء عند تقضيّه دليل على أنّ خالقه ومدبّره يختصّ بالعزّ والجلال والسري سير الليل وقيل : المراد من الليل ليلة مخصوصة من الليل لا الجنس قيل : إنّها المزدلفة لاختصاصها باجتماع الناس فيها بطاعة الله وفيها يسري الحاجّ من عرفة إلى المزدلفة ثمّ يصلّي الغداة فيها ويغدو منها إلى منى .

فإن قيل : القسم بالليل إذا يسر بناءً على الجنس يغني عن القسم بليال عشر .

فالجواب إنّ المقسم به في قوله : « و الليل إذا يسر » باعتبارات وفي قوله : « وليال عشر » باعتبارات وخصوصيّات اُخرى فلايغني أحدهما عن الآخر و يجوز أن يكون المعنى : والليل إذا يسر يعني يسري فيه الساري ويسير فيه السائر فإسناد السري إلى الليل مجاز مثل قولك : « نهاره صائم وليله قائم » أي صائم في نهاره و حذفت الياء اكتفاء بالكسر ولسقوطها في خطّ المصحف ولموافقة رؤس الآي وإن كان الأصل إثباتها لأنّها لام الفعل من المضارع وهو مرفوع .

[هل في ذلك قسم لذي حجر] أي هل في ما ذكر من الأقسام مقنع لذي لبّ ، وفي الآية تقرير لفخامة شأن المقسم بها و كونها اُموراً جليلة حقيقة بالإعظام .

[ألم تر كيف فعل ربّك بعاد] جملة معترضة بين القسم وجوابه وجواب القسم محذوف تقديره ليعذّبنّ الكفّار وإنّما حذف لدلالة هذه الجملة عليه أي ألم تعلم يا محمّد علماً يقينيّاً جارياً مجرى الرؤية في الوضوح بإعلام الله وبالتواتر كيف عذّب ربّك عاداً ونظائرهم فسيعذّب كفّار قومك أيضاً .

والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام قوم سمّوا باسم أبيهم كما سمّي بنوهاشم هاشماً وبنوتميم تميماً فلفظ « عاد » اسم للقبيلة المنتسبة إلى عاد و قد قيل لأوائلهم عاد الأولى و لأواخرهم عاد الأخيرة قال عمادالدين : كلّ ما ورد في القرآن خبر عاد الأولى إلاّ ما في سورة الأحقاف .

[إرم] عطف بيان لعاد للإيذان بأنّهم عاد الأولى بتقدير مضاف أي أولاد إرم أو أهل إرم بناءً على أنّ إرم اسم بلدتهم أو أرضهم ويؤيّده القراءة بالإضافة و أيّاً ماكان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث . قال سعيد بن المسيّب وعكرمة : البلد كان دمشق وقال محمّد بن كعب القرظيّ : هومدينة إسكندريّة . وقيل : مدينة بناها شدّاد ابن عاد فلمّا أتمّها و أراد أن يدخلها أهلكه الله بصيحة نزلت من السماء و الآرام أعلام تبنى من الحجارة « و إرم ذات العماد » إشارة إلى أعلامها المرفوعة المزخرفة على هيئة المنارة أوعلى هيئةالقبور .

[ذات العماد] صفة لإرم واللام للجنس الشامل للقليل والكثير والعماد كالعمود و الجمع عمد بفتحين و بضمّتين وأعمدة ، أي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالعمود أو المراد ذات الخيام والأعمدة حيث كانوا بدويّين وكانوا أهل عمد سيّارة في الربيع فإذا هاج النبت رجعوا إلى منازلهم أو المراد ذات البناء الرفيع وكانوا ذات أبنية مرفوعة على العمد و كانوا يعالجون الأعمدة العظيمة فينصبونها و يبنون فوقها القصور و كانت بيوتهم ترى من أرض بعيدة و ذوات الأساطين و هذا على أنّ إرم اسم بلدتهم .

قال السهيليّ : « إرم ذات العماد » هو جيرون بن سعد بن إرم وهوالّذي بنى مدينة دمشق على عمد من رخام أدخل فيها أربعمائة ألف و أربعين ألف عماد من رخام وكانت تسمّى جيرون وبه تعرف ثمّ سمّيت دمشق بدمشق بن نمرود .

[الّتي لم يخلق مثلها في البلاد] صفة اُخرى لإرم و إذا كان اسم القبيلة فالضمير لها أي لم يخلق مثل هذه القبيلة في عظم جثّتهم في القوّة في النواحي والآفاق حيث كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها

على الحيّ فيهلكهم و ليس كلّ الناس كذلك بل كان هذا الاختصاص بقبيلتهم و نظيرهم في الطيور الرخ وهو طير في جزائر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع يحمل حجر في رجله كالبيت العظيمة ويلقيه على السفينة في البحر وقيل : المراد من قوله : « الّتي لم يخلق مثلها في البلاد » أي لم يخلق مثل مدينتهم في بلاد الدنيا فالضمير راجع إلى البلدة .

و مجمل قصّة إرم قال وهب بن منبّه : خرج عبدالله بن قلابة في طلب إبل له شردت فبينا هو في الصحاري إذ هو وقع في مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة وأعلام طوال فلمّا دنا منها ظنّ أنّ فيها أحداً يسأله عن إبله فنزل عن دابّته وعقلها وسلّ سيفه و دخل من باب الحصن فلمّا دخل الحصن فإذا هو ببابين عظيمين لم ير مثلهما و البابان مرصّعان بالياقوت الأبيض و الأحمر فلمّا رأى ذلك دهش ففتح إحدى البابين وإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها وإذا هو قصور و كلّ قصر فوقه غرف وفوق الغرف غرف مبنيّة بالذهب والفضّة واللؤلؤ و الياقوت ثمّ نظر إلى الأزقّة فإذا هو بشجر في كلّ زقاق منها قد أثمرت و تحت الأشجار أنهار مطّردة تجري ماؤها في مجاري من فضّة فقال الرجل : والّذي بعث محمّداً بالحق ما خلق الله مثل هذه في الدنيا وإنّ هذه هي الجنّة الموعودة فحمل معه شيئاً من لؤلؤها ومن بنادق المسك و الزعفران و لم يستطع أن يقلع من جواهرها أصلاً لرصاصة بنائها وخرج و رجع إلى اليمن فأظهر ما كان معه وعلم الناس بأمره فلم يزل ينمو حتّى بلغ خبره إلى معاوية فأرسل في طلبه حتّى قدم عليه فقصّ عليه القصّة .

[وثمود الّذين جابوا الصخر بالواد] و كيف فعل بثمود الّذين قطعوا الصخر ونقّبوها بالوادي الّذي كانوا نازلين فيه . الجوب القطع ، و منه سمّي الحبيب . والصخر الحجر الصليب الشديد . والواد أصله الوادي حذفت ياؤه اكتفاءً بالكسرة و رعاية لرأس الآي والمراد بالواد وادي القرى بالقرب من المدينة الشريفة من جهة الشام و أنّهم أوّل من نحت الصخور والجبال واتّخذوا فيها لهم بيوتاً .

[وفرعون] أي كيف فعل بفرعون موسى و هو الوليدبن مصعب بن ريّان ابن ثروان أبوالعبّاس القبطي وإليه تنسب الأقداح العبّاسيّة [ذي الأوتاد] وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامه الّتي يضربونها في منازلهم ويربطونها بالأوتاد والأطناب أولتعذيبه بالأوتاد .

روي عن ابن عبّاس أنّ فرعون إنّما سمّي ذا الأوتاد لأنّ امرأة خازن حزبيل كانت ماشطة هيجل بنت فرعون وكان حزبيل مؤمناً يكتم إيمانه منذمائة سنة و كذا امرأته فبيناهي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت : تعس من كفر بالله تعالى فقالت ابنة فرعون : وهل لك إله غير أبي؟ فقالت : إلهي و إله أبيك وإله السماوات والأرض واحد لاشريك له ، فقامت ودخلت على أبيها وهي تبكي فقال: مايبكيك ؟ قالت : إنّ الماشطة امرأة خازنك كذا تقول ، فأرسل إليها فسألها عن ذلك فقالت: صدقت فقال لها : ويحك اكفري بالهك قالت : لاأفعل فمدّها بين أربعة أوتاد ثمّ أرسل عليها الحيّات والعقارب وقال لها : اكفري بالله وإلّا عذّبتك بهذا العذاب شهرين فقالت : لو عذّبتني سبعين شهراً ما كفرت به و كانت لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها عندها وقال لها : اكفري بالهك و إلّا ذبحت الصغرى أيضاً وكانت رضيعاً فقالت : لوذبحت من في الأرض ما كفرت بالله تعالى فأتى بابنتها فلمّا اُضجعت على صدرها و أرادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلّمت و هي من الأربعة الّذين تكلّموا أطفالاً وقالت : يا اُمّاه لا تجزعي فانّ الله قد بنى لك بيتاً في الجنّة اصبري فانّك تفضين إلى رحمة الله فذبحت فلم تلبث أن ماتت فأسكنها الله إلى جوار رحمته .

وكان فرعون قد تزوّج امرأة من أجمل نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ماصنع فرعون بالماشطة فقالت في نفسها : كيف يسعني أن أصبر على ما يفعل فرعون وأنا مسلمة وهو كافر ، فبينما هي تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريباً منها فقالت : يا فرعون أنت شرّ الخلق و أخبثهم عمدت إلى الماشطة فقتلتها قال فرعون : فلعلّك بك الجنون الّذي كان بها قالت : ما بي من جنون و

إنّما المجنون من يكفر بالله الّذي له ملك السماوات و الأرض فمدّها بين أربعة أوتاد يعذّ بها ففتح الله لها باباً إلى الجنّة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت :[1] « ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة ونجّني من فرعون وعمله » فقبض الله روحها وأسكنها الجنّة .

[الّذين طغوا في البلاد] أي عاداً وثمود وفرعون تجبّروا في البلاد على أنبياء الله و عملوا فيها بمعصية الله [فأكثروا فيها] في البلاد [الفساد] من القتل والمعصية .

ثمّ بيّن مافعله بهم عاجلاً قال : [فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب] السوط الجلد المفتول الّذي يضرب به وهو عبارة عمّا حلّ بهم من فنون العذاب وهي الريح لعاد والصيحة لثمود والغرق للقبط وتسميته ـ وطاً للإشارة إلى أنّ ذلك بالنسبة إلى ما أعدّ لهم في الآخرة بمنزلة السوط .

قال أبوحيّان : استعير السوط للعذاب لأنّه يقتضي التكرار و الترداد ما لا يقتضيه السيف، والسوط عند العرب أشدّ العذاب لأنّ فيه الذلّة والتعبير عن إنزال العذاب بالصبّ للإيذان باستمراره وتتابعه و كثرته ونسبة العذاب إلى السوط وبالصبّ لبيان التتابع المتدارك على المضروب بقطرات المصبوب

[إنّ ربّك لبا لمرصاد] المرصاد المكان الّذي يترقّب فيه الراصدون ، مفعال من رصده كالميقات من وقته، والباء للظرفيّة، إنّه لفي المكان الّذي تعبر فيه السابلة و ليس مصيرهم إلّا إلى الله ، شبّه سبحانه ترقّبه على أعمالهم بحال من قصد على طريق القافلة يترصّدهم ليظفر بالجائي لأخذ المكس[2] ولا مخلص لهم من العبور إلّا إلى ذلك الطريق و عن الصادق عليه السلام أنّه قال : المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة عبد و روي عن ابن عبّاس في هذه الآية قال : إنّ على جسر جهنّم سبع محابس يسأل العبد عندها أوّلها عن شهادة أن لا إله إلّا الله فإن جاء بها تامّة جاز إلى الثاني فيسأل عن الصلاة فإن جاء بها تامّة جاز إلى الثالث فيسأل عن الزكاة

---

(١) سورة التحريم : ١١ .

(٢) اى مال التجارة .

فإن جاء بها تامّة جاز إلى الرابعة فيسأل عن الصوم فإن جاء به تامّاً جاز إلى الخامس فيسأل عن الحجّ فإن جاء به تامّاً جاز إلى السادس فيسأل عن العمرة فإن جاء بها تامّة جاز إلى السابع فيسأل عن المظالم فإن خرج منها وإلاّ يقال له : انظروا فإن كان له تطوّع اُكمل به أعماله فإذا فرغ انطلق به إلى الجنّة و إلاّ تردّى .

ثمّ قسمّ سبحانه أحوال البشر فقال :

[فأمّا الإنسان اذا بتلاه ربّه] أي عامله معاملة من يبتليه بالغنى و اليسار [فأكرمه و نعّمه] و أعطاه النعمة [فيقول] مفتخراً : [ربّي أكرمن] فيفرح بذلك و يسرّ ويقول : ربّي أعطاني هذا لكرامتي عنده و منزلتي لديه يحسب أنّه كريم على ربّه حيث وسع الدنيا عليه .

[و أمّا إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه] وامتحنه وجعل رزقه على قدر كفايته أو قوت يومه [فيقول] متضجّراً :[ربّي أهانن] أي أذلّني بالفقر ولا يخطر بباله أنّ ذلك ليبلوه أيصبر أم يجزع مع أنّه ليس من الإهانة في شيء بل هو مصلحة راجعة إلى العبد .

فقال سبحانه :[كلاّ]أي ليس الأمر كما ظنّ فإنّي لا اُغني المرء لكرامته عليّ ولا اُفقره لمهانته عندي ولكنّي اُوسّع على من أشاء بحسب ما يوجبه الحكمة و إنّما الإكرام على الحقيقة يكون بالطاعة و الإهانة بالمعصية .

ثمّ بيّن سبحانه مايستحقّ به الهوان فقال : [بل لاتكرمون اليتيم] انتقال من سوء أقواله إلى سوء أفعاله أي بل لكم أحوال أشدّ شرّاً ممّا ذكر وأدلّ على تهالككم حيث أعطاكم الله المال فلا تؤدّون مايلزمكم فيه من إكرام اليتيم بالنفقة ، و اليتيم من بني آدم الّذي فقد أباه وكان غيربالغ و من البهائم ما فقد اُمّه قال ﷺ : «أحبّ البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم » .

[ولا تحاضّون على طعام المسكين] بحذف إحدى التاءين و الحضّ الحثّ أي لاتحثّون على إطعامه ولا تأمرون بالتصدّق عليه و من لايحضّ غيره على إطعامه فبأن لايطعمه بنفسه أولى، فالمعنى أن لاتطعمون مسكيناً ولا تأمرون بإطعامه غيركم .

[و تأكلون التراث أكلاً لمّاً] قال مقاتل : كان قدامة بن مظعون يتيماً في حجر أُميّة بن خلف فكان يدفعه عن حقّه فنزلت . و التراث أصله « وراث » قلبت و اوه تاء مثل تجاه أصله وجاه ، أي تأكلون الميراث أكلاً مجموعاً بين الحلال و الحرام فإنّهم كانوا لايورّثون النساء و الصبيان و يأكلون أنصباءهم أو المعنى أنّهم يأكلون ما جمعه المورّث من حلالٍ و حرامٍ و مشتبه عالمين بذلك ولايبالون و قيل : المراد أموال اليتامى و لم يرد الميراث الحلال لأنّه لايلام عليه ، و أكلاً لمّاً يعني تلمّون جميعه نصيبكم و نصيب غيركم و تأكلونه .

[و تحبّون المال حبّاً جمّاً] كثيراً مع حرص وشره و منع حقوق يقال : جمّ الماء في الحوض إذا اجتمع فيه و كثر .

[كلّا] ردعٌ و إنكار أن يكون الأمر كذلك في الحرص على الدنيا و عدم المبالات في الحرام وترك المواساة منها و توهّم أن لا حساب ولاجزاء و إيثار الحياة الفانية على الحياة الدائمة [إذا دكّت الأرض دكّاً دكّاً] تعليل للردع « الدكّ » الدّق والكسر وحطّ المرتفع بالبسط،ودكّاً الثاني ليس تأكيداً للأوّل بل هودكّ آخر سوى الأوّل و المعنى : إذا دكّت الأرض دكّاً متتابعاً و ضرب بعضها ببعض حتّى انكسر و ذهب كلّ ما على وجهها و زلزلت زلزلة بعد زلزلة و صارت هباءً منثوراً و هو عبارة عمّا عرض لها عند النفخة الثانية .

[و جاء ربّك] أي أمر ربّك و آثار قهره وقضاؤه ، على حذف المضاف وقال بعض المحقّقين : المعنى و جاء ظهور ربّك الظهور المعرفة به ضرورة وظهور المعرفة بالشيء يقوم مقام ظهوره ورؤيته لأنّ المعارف بالله صارذلك اليوم ضروريّة ويرتفع الشكّ كما يرتفع عند مجيء الشيء الّذي كان يشكّ فيه ، جلّ وتقدّس عن المجيء و الذهاب لأنّه ليس بجسم تعالى عن ذلك .

[والملك صفّاً صفّاً] أي يجيء الملائكةحالكونهم مصطفّين فإنّه ينزل يومئذ ملائكة كلّ سماء فيصطفّون سبع صفوف عددالسماوات السبع اصطفاف أهل الصلاة في الدنيا .

[وجيء يومئذ بجهنّم] قال ابن مسعود : تقاد جهنّم بسبعين ألف زمام معه سبعون ألف ملك يجرّونها حتّى تنصب على يسار العرش لها تغيّظ وزفير فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ويجثو كلّ نبيّ وولي من الهول والهيبة على ركبته ويقول : نفسي نفسي حتّى يعترض لها رسول الله ﷺ ويقول : أمّتي أمّتي فتقول النار : مالي ومالك يا محمّد ؟ لقدحرّم الله لحمك عليّ .

وتأوّل بعض المتأوّلين بأنّ المراد من مجيء جهنّم عبارة عن إظهارها حتّى يراها الخلق مع ثباتها في مكانها وحملوا الجرّ في الحديث في قوله : «يجرّونها حتّى تنصب» مباشرة أسباب ظهورها ، أوالمراد بمجيء جهنّم مجيء صورتها المثاليّة وهذا القول منهم ليس بصحيح ولا حاجة إلى الحمل في الكلام على التجوّز فإنّ الله قادر على كلّ شيء وليس هذا الأمر ببدع في مقام القدرة ، والأرض يومئذ أوسع شيء فهي تسع جهنّم وأهل المحشر جميعاً فما الداعي إلى حمل معنى المجيء بصورتها المثاليّة .

[يومئذ يتذكّر الإنسان] بدل من « إذا دكّت » والعامل فيها قوله : « يتذكّر الإنسان » أي يتذكّر ما فرط فيه بتفاصيله فيبرز كلّ من الحسنات والسيئات ممّا يناسبها ، والأعمال تتجسّم في النشأة الآخرة ويقبل التذكير ويتّعظ الّذي بلغه في الدنيا وما كان يتّعظ منه ولم يقبله فيقول[1]: «ياليتنا نردّ ولا نكذّب بآيات ربّنا» ولكن لا فائدة هناك من القبول والتذكّر .

[وأنّى له الذكرى] إنكار لفائدة تذكّره لأنّه وقع في وقت لا ينفعه وفات زمانه فحينئذ هذا التذكّر والندم عار عن الجدوى و « أنّى » خبر مقدّم للذكرى أي ومن أين له الذكرى ونفعه .

[يقول ياليتني] أي يا أيّها الحاضرون ليتني [قدّمت لحياتي] كأنّه قيل : ماذا يقول عند تذكّره ؟ فقيل يقول : ياليتني عملت لأجل حياتي هذه أعمالاً صالحة أنتفع بها اليوم وقدّمت عملاً ينجيني من العذاب .

(١) سورة الانعام ، ٢٧ .

[فيومئذ] أي يوم إذ يكون ما ذكر من الأحوال [لايعذّب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد] الهاء في « عذابه » راجع إلى الله و العذاب بمعنى التعذيب و كذا الوثاق بالفتح بمعنى الإيثاق و هو الشدّ بالوثاق والوثاق مايشدّ به من الحديد والحبل و نحوه والمعنى لا يتولّى عذاب الله و وثاقه أحد سواه إذ الأمر كلّه له ويجوز أن يكون الهاء للإنسان أي لا يعذّب أحد من الزبانية مثل ما يعذّبونه و قرأهما الكسائي و يعقوب على البناء للمفعول قال الزمخشريّ : هي قراءة رسول الله ﷺ .

و بالجملة قال بعض أهل التفسير : معنى الآية لا يعذّب عذاب الله ولا يوثق إيثاق الله أحد من الخلق و أمّا القراءة بفتح العين في « يعذّب و يوثق » فالمعنى لا يعذّب أحد من عصاة المؤمنين تعذيب هذا الكافر وهو الّذي ذكر في قوله : « لا تكرمون اليتيم » الآيات،وعلى هذا المعنى وإن اُطلق لكنّ الأولى أن يكون المراد التقييد لأنّا لانعلم أنّ أبليس أشدّ عذاباً منه وقيل : معنى الآية إنّه لايعذّب أحد غيره بعذابه لأنّه المستحقّ بعذاب نفسه ولا يؤاخذ الله أحداً بكسب غيره .

[يا أيّتها النفس المطمئنّة] لمّا ذكر سبحانه شقاوة النفس الأمّارة شرع في بيان أحوال النفس المطمئنّة واطمينان السكون والوصول إلى اليقين والمعرفة وفي قوله[1]: « ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب » تنبيه على أنّ الإكثار من العبادة من موجبات اطمينان النفس ومن كان متمكّناً في مقام الترقّي تخلّص من التنزّل إلى مقام النفس الأمّارة و تخلّى عن صفاتها الذميمة وتحلّى بالأخلاق الحميدة .

[ارجعي إلى ربّك] وإلى ما وعدلك من الزلفى والكرامة [راضية مرضيّة] بما اُوتيت من النعيم الدائم مرضيّة عند الله [فادخلي في عبادي] في زمرة الصالحين المختصّين بي [وادخلي جنّتي] معهم،والدخول في زمرة الخواصّ هي السعادة الروحانيّة .

تمّت السورة بعون الله .

---

(١) سورة الرعد : ٣٠.

سورة البلد

☼(مكية)☼

قال رسول الله ﷺ : من قرأها أعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة .

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد (١) وانت حل بهذا البلد (٢) ووالد وما ولد(٣) لقد خلقنا الانسان فى كبد (٤) ايحسب ان لن يقدر عليه احد (٥) يقول اهلكت مالا لبدا (٦) ايحسب ان لم يره احد (٧) الم نجعل له عينين (٨) ولساناً و شفتين (٩) و هديناه النجدين (١٠) فلا اقتحم العقبة (١١) و ما ادريك ما العقبة (١٢) فك رقبة (١٣) او اطعام فى يوم ذى مسغبة (١٤) يتيماً ذا مقربة (١٥) او مسكينا ذا متربة (١٦) ثم كان من الذين آمنوا و تواصوا بالصبر و تواصوا بالمرحمة (١٧) اولئك اصحاب الميمنة (١٨) و الذين كفروا بآياتناهم أصحاب المشأمة (١٩) عليهم نار موصدة (٢٠) .

أجمع المفسّرون على أنّ هذا قسَمٌ بالبلدة الحرام الّذي هو مكّة و « لا » لتأكيد القسم كقول العرب : لا و الله ما فعلت كذا لا و الله لأفعلنّ كذا ، وأقسم سبحانه بمكّة لفضلها فإنّه جعلها حرمها آمناً وهي مسقط رأس النبيّ ﷺ وحرم أبيه إبراهيم و منشأأبيه إسماعيل وقبلة لأهل الشرق والغرب،وحجّ البيت كفّارة لذنوب العمر وجعل البيت المعمور بإزائه .

[وأنت حلٌ بهذا البلد] وأنت خطاب للنبيّ ﷺ والحلّ بمعنى الحال من الحلول وهوالنزول أي والحال أنّك يا محمّد نازلٌ بها فبدء سبحانه قسمه عليه بحلوله ﷺ فيها إظهاراً لمزيد فضلها فإنّها بعد أن كانت شريفة بنفسها زادشرفها بحلول

النبيّ الشريف فيها فما لاشرف فيه يحصل له شرف بشرف المكين وما فيه شرف ذاتيّ يحصل له بشرف شرف زائد وقد سمّى ﷺ المدينة طابة لأنّها طابت به وبمكانه .

[ووالد وما ولد] والمراد من الوالد إبراهيم و ما ولد إسماعيل أو محمد ﷺ فحينئذ تتضمّن السورة القسم بالنبيّ ﷺ في موضعين أو المراد آدم وذرّيّته وقيل: « الوالد » هو النبيّ « وما ولد » اُمّته المرحومه لقوله ﷺ : «إنّما أنا لكم مثل الوالد اُعلّمكم أمر دينكم ومايصلح شأنكم» ولقوله ﷺ : «أنا وعليّ أبوا هذه الاُمّة» واُموميّة الأزواج المطهّرة تقتضي اُبوّته ﷺ إذ كلّ من كان سبباً لإيجاد شيء أو ظهوره يسمّى أباً وقد قال ﷺ :«أنا من الله والمؤمنون من فيض نوري» وقيل :يعني بالآية كلّ والد وولده وقيل : يعني و والد من لو ولد له يعني العاقر فيكون « ما » نافية و التقدير وما ماولد فحذف ما الاُولى الّتي تكون موصولة .

[لقد خلقنا الإنسان في كبد] أي نصب و شدّة و قوله : « خلقنا الإنسان » جواب للقسم و من هذا المعنى اشتقّت المكابدة بمعنى مقاساة الشدّة و « في كبد » حال من الإنسان بمعنى «مكابداً» وحرف في واللام متقاربان تقول : إنّما أنت للعناء والنصب وإنّما أنت في العناء و النصب فابن آدم يكابد من البلايا مالايكابده غيره من مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ،والكبد في اللّغة شدّة الأمر ومنه تكبّد اللبن إذا غلظ واشتدّ ومنه الكبد لأنّه دم يغلظ ويشتدّ وتكبّد الدم إذا صار كالكبد .

وبالجملة فالإنسان يقاسي فنون الشدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاه الموت و أوّل مايتولّد فهو في النصب والعناء من قطع سرّته والتفافه بخرقة يحتوي الأعضاء وألم الختان و مكابدة المعلّم وصولته والاُستاذ و هيبته ثمّ التزوّج و مكابدته للمعاش و الأولاد و المنزل و النزل والكبر والهرم ومصائب كثيرة لا يمكن تعدادها كالصداع والأوجاع و الأضراس و رقد العين وهمّ الدين وشدائد التكاليف كالشكر على السرّاء والصبر على الضرّاء و أداء العبادات كالصوم و الصلاة و الزكاة والحجّ و الجهاد ثمّ شدّة الموت وسؤال الملك وظلمة القبر والبعث والعرض على الملك المحاسب

بل لا يرى في عمره لذّة في الدنيا وما يحسبه اللذّة فهو دفع ألم فاللذّة من الأكل هي التخلّص من الجوع وهكذا فليس للإنسان إلّا الشدّة أو التخلّص من الشدّة .

وقيل : معنى الآية « خلق الإنسان في كبد» أي قائماً مستوياً منتصباً وغيره من الحيوان مكبّاً يمشي فالكبد المراد منه الاستقامة و الاستواء . و في الآية تسلية لرسول الله بما يقاسي من كفّار قريش و تنبيه على أنّ الإنسان ينبغي له أن يعلم أنّ الدنيا دار كبد ومشقّة و الآخرة دار النعمة والراحة فيسعى لآخرته .

[أيحسب أن لن يقدر عليه أحد] أي أيظنّ هذا الإنسان أن لن يقدر على عقابه إذا عصى الله و ركب القبائح ، فبئس الظنّ ذلك أويحسب هذا المغترّ بما له مثل الوليد بن المغيرة وأمثاله أن لن يقدر عليه أحدبأخذ ما له أولا يحاسب عليه من أين اكتسبه وفيما ذا أنفقه قيل : المراد الأشدّ بن كلدة وهو رجل من جمح كان قوياً شديد الخلق بحيث يجلس على أديم عكاظيّ فتجرّه العشرة من تحته فينقطع الأديم ولا يبرح من مكانه .

ثمّ أخبر سبحانه عن مقالة هذا الإنسان [يقول أهلكت مالاً لبد] أي كثيراً متلبّداً مجموعاً من تلبّد الشيء إذا اجتمع يريد كثرة ما أنفقه مفاخرةً وسُمعةً و كان أهل الجاهليّة يسمّون مثل ذلك مكارم. وفي لفظ الإهلاك إشارة إلى أنّه ضائع في الحقيقة إذ لاينتفع به صاحبه في الآخرة كما قالت عائشة في حقّ عبدالله بن جدعان : كان في الجاهليّة يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه يارسول الله؟ فقال ﷺ: لاينفعه لأنّه لم يقل يوماً : ربّ اغفرلي خطيئتي يوم الدين . وقيل : المراد في الآية هو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف و ذلك أنّه أذنب ذنباً فاستفتى رسول الله ﷺ فأمره أن يكفّر فقال : لقد ذهب مالي في الكفّارات و النفقات منذ دخلت في دين محمّد ، عن مقاتل .

[أيحسب] ذلك الأحمق [أن لم يره أحد] فيطالبه من أين اكتسبه و فيما أنفقه ، و كان بعض المشركين يصرفون أموالاً في عداوة رسول الله ﷺ أي إنّ الله رآه واطّلع على خبث نيّته وفساد سريرته و مثل هذا الإنفاق رذيلة فكيف يعدّه

فضيلة . في الحديث عن النبي ﷺ : «لا تزول قد ما العبد حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين جمعه وفيما ذا أنفقه و عن علمه ما ذا عمل به و عن حبّنا أهل البيت » .

[ألم نجعل له عينين] يبصر بهما آثار قدرته وحكمته ويفرق بهما بين مايضرّ وما ينفع ولعلّ المراد من العينين عين البصر وعين البصيرة ، والعين تحرس البدن من الآفات وهي نيّرة كالمرآة إذا قابلها شيء ارتسمت صورته فيها مع صغر الناظر وجعل لها أجفاناً يسترها وأهداباً من الشعر كجناح الطائر تطرد بانضمامها وبانفتاحها الهوامّ والذباب والموذيات عن العين وجعل العين في الرأس لأنّ السراج يوضع على مكان مرتفع وجعلها ثنتين كالشمس والقمر وجعل فوقهما حاجبين أسودين لئلاّ يتضرّر البصر بالضياء والسواد يقوّي البصر ولذا يقوّي الأثمد البصر وجعل الحدقة محرّكة في مكانها لتتحرّك في الجهات يمنة و يسرة فيبصر بها من غير أن يلوي عنقه و جعل الناظرَين على خطّ مستقيم عرضاً ولم يقع واحد منهما أعلى ولا أخفض ليتجمّع الناظران على شيء واحد لئلاّ يترائ له الشخص الواحد شخصين .

[ولساناً وشفتين] وجعل بحكمته له لساناً يترجم به عن ضمائره وبه تنعقد الأمور كالشهادات و المعاملات وبه يدرك الطعوم و لو لم يكن اللسان لاحتاج إلى الإشارة أو الكتابة فيتعسّر الأمر « وشفتين » ليستعين بهما على البيان وعلى الإطباق إذا أراد السكوت و الأكل و الشرب و النفخ وفي الدعاء : الحمد لله الّذي جعلنا ننطق بلحم و نبصر بشحم ونسمع بعظم» وفي الحديث : «إنّ الله يقول : ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك بطبقتين فأطبق وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرم الله فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق فرجك إلى ما حرمت عليك فقد أعنتك بطبقتين فأطبق» .

[وهديناه النجدين] معطوف على « ألم نجعل » أي وهديناه طريقي الخير و الشرّ كما قال ﷺ : «هما النجدان نجد الخير ونجد الشرّ فلا يكن نجد الشرّ أحبّ إليكم من نجد الخير » وقيل : المراد من النجدين الثديين لأنّهما ظريفان مرتفعان

لنزول اللبن و هما سببان لحياة المولود و تمكين مولود عاجز من رضاع اُمّه عقيب الولادة قدرة جليّة لكنّه قيل لأمير المؤمنين عليه السلام : إنّ ناساً يقولون : في الآية إنّهما الثديان فقال : لا،هما الخير والشر .

فإن قيل : كيف يكون نجد الشرّ مرتفعاً كنجد الخير و لا رفعة للشرّ فالجواب أنّهما باديان و ظاهران،على أنّ عادة العرب وأهل اللسان في تثنية الأمرين إذا اشتركا على بعض الوجوه فيجري لفظ أحدهما على الآخر كقولهم «القمران» قال الفرزدق :

أخذنا بآفاق السماء عليكم ☆ لنا قمراها و النجوم الطوالع

[فلا اقتحم العقبة] الاقتحام الدخول في أمر شديد ومجاوزته بصعوبة والرمي فيه بنفسه فجاءة بلا رويّة ، والعقبة الطريق الوعر في الجبل أي لم يشكر الإنسان تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة و عبّر عنها بالعقبة لصعوبة سلوكها وهذا أحد الأقوال فحينئذ « لا » بمعنى « لم » و قيل : الآية على وجه الدعاء عليه أي لا نجا ولا سلم من العقبة ولا جاوزها ،والقول الثالث أنّ المعنى هلاّ اقتحم العقبة و قيل : هذا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس و الشيطان فجعل ذلك كتكليف صعود العقبة الشاقّة كأنّه قال : لم لم تحمّل على نفسه المشقّة بإيجاب التكاليف مثل عتق الرقبة والإطعام .

[وما أدراك ما العقبة] أي أيّ شيء أعلمك يا محمّد ما اقتحام العقبة ثمّ ذكره فقال : [فكّ رقبة] وهو تخليصها من إسار الرقّ و الرقبة اسم العضو المخصوص و يعبّر بها عن الجملة كما يعبّر بالرأس عن المركوب و الفكّ ليس تفسيراً لنفس العقبة بل لاقتحامها لأنّ العقبة عين والفكّ حدث وفعل فلا يكون تفسيراً للآخر والخبر حينئذ يكون عين المبتدإ و هو لايجوز ثمّ فكّ الرقبة قد يكون بأن ينفرد الرجل في عتق الرقبة وقد يكون بعين في تخليص نفس من قود أو غرم و كلّه يشمل الفكّ دون الإعتاق،ويجوز أن يكون المراد بفكّ الرقبة أن يفكّ المرء رقبة نفسه من عذاب الله ويتخلّص بالأعمال الصالحة من النار و هي الحرّيّة . قال رسول الله : «إنّ

أمامكم عقبة كؤودة لايجوزها المثقلون وأنا أُريد أنأُخفّف عنكم لتلك العقبة» قال ابن عبّاس : العقبة هي النار .

وقيل : إنّها الصراط يضرب على جهنّم كحدّ السيف مسيرة ثلاثة آلاف سهلاً صعوداً وهبوطاً وإنّ بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنّها شوك السعدان فمن بين سالم وناج ومخدوش و مكدوش عليه و منكوس في النار فمن الناس من عبر كالبرق الخاطف و منهم من عبر عليه كالريح العاصف ومنهم عبر عليه كالفارس و منهم كالراجل يعدو ومنهم من يسير ومنهم من يزحف زحفاً و منهم من يكردس في النار و منهم كما بين صلاة العصر إلى العشاء .

جاء في الحديث أنّه جاء أعرابيّ إلى النبيّ ﷺ فقال : علّمني عملاً يدخلني الجنّة قال ﷺ : « عتق النسمة وفكّ الرقبة (قال الأعرابيّ : أوليس عتق النسمة وفكّ الرقبه واحدة ؟ قال ﷺ : عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفكّ الرقبة أن تعين بثمنها) والفيء على ذي الرحم الظالم، فان لم يكن ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكفّ لسانك إلاّ من خير» .

[أو إطعام في يوم ذي مسغبة] أي ذي مجاعة و مسغبة بتقديم الغين على الباء ومقربة مصدر ميميّ وقيّد الأطعام بيوم المجاعة لأنّ إخراج المال في ذلك الوقت أوجب للأجر و أثقل على النفس و أنفع الناس [يتيماً] مفعول إطعام [ذا مقربة] من قرابة النسب ويمكن أن يلحق به قرب الجوار [أو مسكيناً ذا متربة] أي صاحب فقر كأنّه لصق بالتراب من ضرّه وفقره مأواه المقابر والمزابل وقيل : معناه الغريب أي البعيد التربة ليس من أهل أرضك .

[ثمّ كان] هذا المطعم والمعتق [من الّذين آمنوا] أي بشرط أن يكون المعتق والمنفق من المؤمنين بالله وبرسوله لامن الّذين يهلك ما له رياءً و فخاراً و سمعة ولم يؤمن بالله وإلاّ فيكون مثله كمثل ريح فيها صرّ أصابت حرث قوم ، بل يكون من الّذين استقاموا على إيمانهم [وتواصوا بالصبر] على مشقّة أداء فرائض الله والصبر

عن معصية الله [وتواصوا بالمرحمة] وأوصى بعضهم بعضاً على أهل الفقر وذوي الفاقة من المؤمنين .

[أولئك] الموصوفون بالنعوت الجليلة ،وفي اسم الإشارة دلالة على حضورهم عند الله في مقام الكرامة [أصحاب الميمنة] ويعطون كتبهم بأيمانهم والصلحاء ميامين بضاعتهم .

[والّذين كفروا بآياتنا] وحججنا وأنبيائنا و كتابنا [هم أصحاب المشأمة] وهم الّذين يعطون كتبهم بشمائلهم و من وراء ظهورهم ويسلك بهم شمالاً إلى النار أو أصحاب الشؤم والشرّ والشقاوة .

[عليهم نارموصدة] أي نار أبوابها مغلقة فلايفتح لهم باب فلا يخرج منها ولايدخل فيهاروح أبدالآباد،أي موصدة الأبواب من أوصدت الباب إذا أطبقته من المعتلّ الفاء ،ومن قرأ «مؤصدة »بالهمزة من آصدته بالمدّ من المهموز مثل آمن إذا أطبقته وأحكمته . تمّت السورة بعون الله .

سورة الشمس

(مكية)

قال النبيّ صلى الله عليه وآله : من قرأها كان كمن تصدّق بكلّ شيء طلعت عليه الشمس والقمر. قال أبوعبدالله عليه السلام : من أكثر قراءة الشمس وسورة والليل وسورة والضحى وألم نشرح في يومه وليلته لم يبق شيء بحضرته إلّا شهد له يوم القيامة حتّى شعره و لحمه و دمه وعروقه و عظامه وجميع ما أقلّت الأرض منه، ويقول الربّ : قبلت شهادتكم لعبدي و أجزتها له ، انطلقوا به إلى جنّاتي حتّى يتخيّر منها حيثما أحبّ فأعطوه إيّاها رحمةً وفضلاً منّي عليه فهنيئاً هنيئاً لعبدي .

بسم الله الرحمن الرحيم

و الشمس و ضحيها (١) و القمر اذا تليها (٢) والنهار اذا جليها (٣) و الليل اذا يغشيها (٤) و السماء و ما بنيها (٥) و الارض وما طحيها (٦) و نفس و ما سويها (٧) فالهمها فجورها و تقويها (٨) قد افلح من زكيها (٩) وقد خاب من دسيها (١٠) كذبت ثمود بطغويها (١١) اذ انبعث اشقيها (١٢) فقال لهم رسول الله ناقة الله و سقياها (١٣) فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسويها (١٤) ولا يخاف عقبيها (١٥) .

أقسم سبحانه بالشمس و لمّا كان قوام العالم من الحيوان و النبات بطلوع الشمس وغروبها أقسم بها وبضحاها وهو امتداد ضوئها وانبساط نورها و وقت إشراق الضوء ، والضحى و الضحوة مشتقّان من الضحّ وهو نشر النور فيجوز بهذا الاعتبار أن يكون هو النهار كلّه .

[والقمر إذا تلاها] من التلو أي إذا تبعها بأن طلع بعد غروبها و ذلك في النصف الأول من الشهر .

[والنهار إذا جلّاها] أي جلّى الظلمة و كشفها وجازت الكناية عن الظلمة و إن لم تذكر لأنّ المعنى معروف و غير ملتبس أو الضمير إلى الشمس أي إنّ النهار أظهر الشمس فإنّها تتجلّى عند انبساط النهار فكأنّه جلّاها مع أنّ الشمس تبسطها و لمّا كان الجلاء واقعاً في النهار أسند فعل التجلية إليه إسناداً مجازيّاً مثل «نهاره صائم» .

[والليل إذا يغشاها] هو ظلّ الأرض الحائلة بين الشمس أي يغشى الشمس حتّى تغيب فتظلم الآفاق ويلبسها سواده ويغطّي الليل ضوء الشمس، ولمّا كان احتجاب

الشمس بحيلولة الأرض بيننا وبينها واقعاً في الليل صار الليل كأنّه حجبها وغشاها فأسند التغشية إلى الليل لذلك، والواو الأولى في قوله : « والشمس » هي الّتي للقسم وسائر الواوات في ما بعدها عطف عليها إلى قوله تعالى : « قد أفلح من زكّاها » و هو جواب القسم واختيار صيغة المضارع هنا على الماضي للدلالة على أنّه لا تجري عليه تعالى زمان فالمستقبل عنده كالماضي ولمراعاة الفواصل فلا يلزم تعدّد القسم مع وحدة الجواب إذا كانت الواوات عاطفة .

[والسماء وما بناها] أي ومن بناها في غاية العلوّ والعظمة وهو الله وإيثار « ما » على « من » لإرادة الوصفيّة تعجيباً كأنّه قيل : و القادر العظيم الّذي بناها و كذا القول في [والأرض وماطحاها] ولكنّ الأظهر أنّ « ما » مصدريّة ومعناها والسماء و بنائها والأرض وطحوها أي تسطيحها و بسطها ليتمكّن الخلق التصرّف فيها والانتفاع منها والطحو الدحو ، و إبدال الطاء من الدال جائز .

[ونفس وما سوّاها] أي ومن أنشأها و أبدعها مستعدّة لكمالاتها أو المعنى و نفس وتسويتها ، بناءً على أنّ « ما » مصدريّة والتنكير للتكثير أو للتفخيم على أنّ المراد نفس آدم عليه السلام ولكنّ التكثير أنسب من أن يكون للتعظيم .

[فألهمها فجورها و تقواها] الفاء للتعقيب والإلهام إلقاء الشيء من الروع و الخاطر و التهام الشيء ابتلاعه، والفجور شقّ ستر الديانة، قدّم على التقوى لمراعاة الفواصل أو لشدّة الاهتمام بنفيه لأنّه إذا انتفى الفجور وجدت التقوى و المعنى أفهم النفس إيّاهما وعرّفها حالهما من الحسن و القبح و إلهام الفجور لتجنّبه لا لتعمل به وتقواها لتعمل به وهذه الآية مثل قوله : «وهديناه النجدين » أي بيّنّا الطريقين وألهمنا الأمرين فحاصل المعنى أنّه سبحانه عرّفها الفجور والتقوى وزهّدها في الفجور بأحكام المنع و رغّبها في التقوى بأوامر الفعل .

[قد أفلح من زكّاها] على هذا وقع القسم أي قد أفلح من زكّى نفسه وأصلحها بطاعة الله [وخاب من دسّاها] وحرم وخسر ولم ينل ماطلب مَن دسّاها وأدخلها في المعاصي وأرسلها في المشتهيات الطبيعيّة ومن دسّ نفسه في أهل الخير وليس منهم فهو

خائب ومحروم . وأصل دسّى دسّس من التدسيس كتقضّى أصله التقضّض،واجتماع الأمثال لمّا أوجب الثقل قلبت السين الأخيرة ياءً . قال الراغب : الدسّ إدخال الشيء في الشيء و المراد بالنفس في الآية الذات و الحقيقة الجمعيّة الإنسانيّة .

[كذّبت ثمود] المراد القبيلة [بطغواها] الباء للسببيّة و الطغوى بالفتح مصدر بمعنى الطغيان قال الزمخشري في الكشّاف : الطغوى من الطغيان،فصلّوا بين الاسم و الصفة في «فَعلى» من بنات الياء بأن قلبوا الياء واواً في الاسم و تركوا القلب في الصفة و معنى الآية أي فعلت قبيلة ثمود التكذيب بسبب طغيانها .

[إذ انبعث أشقاها] منصوب بكذّبت أو بالطغوى أي حين قام أشقى ثمود و هو قدار بن سالف امتثالاً لأمر من بعثه ، و انبعث مطاوع لبعث والانبعاث الإسراع في الطاعة للباعث وصيغة أفعل التفضيل إذا أُضيف يصلح للواحد والمتعدّد والمذكّر و المؤنّث .

[فقال لهم] لثمود: [رسول الله] لمّا علم ماعزموا عليه وهو صالح بن عبيد بن جابر بن ثمود بن عوص بن إرم ، عبّر عنه بعنوان الرسالة إيذاناً بوجوب طاعة الرسول و بياناً لتماديهم في الطغيان [ناقة الله] منصوب على التحذير وإن لم يكن من الصور الّتي يجب فيها حذف العامل.والإضافة للتشريف مثل بيت الله،أي ذروا ناقة الله الدالّة على كمال قدرته وعلى نبوّتي واحذروا عقرها [و سقياها] أي شربها ونصيبها من الماء ولا تطردوها عن الماء في نوبتها وكان لها شرب يوم معلوم ولهم و لمواشيهم شرب يوم آخر وكانوا يستضرّون بذلك في مواشيهم فهمّوا بعقرها .

[فكذّبوه] أي رسول الله في وعيده حين قال لهم : (١) « ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب » [فعقروها] و الجمع على تقدير وحدته لرضى الكلّ بفعله والعاقر قدار وأُمّه قديرة وصاحبه الّذي شاركه اسمه مصدع .

وفي الحديث قال النبيّ ﷺ : لعليّ يا عليّ أتدري من أشقى الأوّلين؟قال : الله أعلم و رسوله قال : عاقر الناقة وأشقى الآخرين قاتلك ياعليّ الّذي يضربك على

(١)سورة هود ، ٦٤ .

هذه ـ وأشار إلى يافوخه حتّى تبلّ منها هذه ، وأخذ بلحيته .

[فدمدم عليهم ربّهم] وأطبق عليهم العذاب وهو الصيحة الهائلة، تقول : ناقة مدمومة إذا طليت بالشحم واُحيطت بحيث لم يبق منها شيء لم يمسّه الشحم ودمّ الشيء سدّه بالقبر ثمّ كرّرت الدال للمبالغة في الاحاطة فالدمدمة من الدمّ كالكبكبة من الكبّ [بذنبهم] بسبب ذنبهم المحكيّ [فسوّاها] أي فسوّى الدمدمة الاهلاك بينهم بحيث لم يفكّ منهم أحد من صغير و كبير أو فسوّى ثمود بالأرض روي أنّهم لمّا رأوا اعلامات العذاب طلبوا صالحاً أن يقتلوه فأنجاه الله كما قال في سورة هود [1]: « فلمّا جاء أمرنا نجّينا صالحاً والّذين آمنوا معه برحمة منّا » .

[ولا يخاف عقباها] الواو للاستيناف أو للحال من المنويّ في « فسوّاها» الراجع إلى الله أي فسوّاها الله غير خائفة عاقبة الدمدمة والاهلاك وذلك أنّه تعالى لا يفعل إلّا بحقّ وقيل : ولا يخاف هو أي قدار ما يعقّب عقرها وما يترتّب عليه من أنواع العذاب والعقوبة مع أنّ صالحاً قد أخبرهم بها وقيل : ولا يخاف صالح عقبى العذاب لأنّه كان مأموناً من الله .

تمّت السورة بعون الله

(1) سورة هود : ٥٨ .

سورة والليل

☼(مكية)☼

من قرأها أعطاه الله حتّى يرضى وعافاه من العسر ويسّر له اليسر .

بسم الله الرحمن الرحيم

و الليل اذا يغشى (١) و النهار اذا تجلى (٢) وما خلق الذكر والانثى(٣) ان سعيكم لشتى(٤) فاما من اعطى واتقى(٥) وصدق بالحسنى(٦) فسنيسره لليسرى (٧) و اما من بخل و استغنى (٨) و كذب بالحسنى (٩) فسنيسره للعسرى(١٠) وما يغنى عنه ماله اذا تردى(١١) ان علينا للهدى (١٢) و ان لنا للاخرة و الاولى (١٣) فأنذرتكم ناراً تلظى (١٤) لا يصليها الا الاشقى (١٥) الذى كذب و تولى (١٦) و سيجنبها الاتقى (١٧) الذى يؤتى ماله يتزكى (١٨) و ما لاحد عنده من نعمة تجزى (١٩) الا ابتغاء وجه ربه الاعلى (٢٠) و لسوف يرضى (٢١) .

« إذا » للحال لأنّها بعد القسم أي أقسم بالليل حين يغشى الشمس ويسترها فعدم ذكر المفعول للعلم به والليل عند أهل النجوم ما بين غروب الشمس و طلوعها وعند أهل الشرع مابين غروبها وطلوع الفجر الصادق أقسم سبحانه بالليل إذا يغشى بظلمته النهار أو الأُفق وجميع ما بين السماء والأرض و أغشى الأنام بالظلام .

[والنهار إذا تجلّى] أي بان وظهر من بين الظلمة و هو من أعظم النعم إذ لو كان الدهر كلّه ظلاماً لما أمكن الخلقَ طلبُ معايشهم كما أنّ الليل من أعظم النعم لأنّه لو كان ذلك كلّه ضياءً لما انتفعوا لسكونهم وسباتهم و راحتهم على أنّ الليل وقت عيش الصالحين وفيه يتقرّب المقرّبون حين ينادون ألا قدخلا كلّ حبيب بحبيبه فأين أحبّائي ؟

اللیل داج والعصاة نیام　۞　والعابدون لذي الجلال قیام

[وما خلق الذكر والأُنثى] أي والّذي خلق الذكر والأُنثى وعلى هذا يكون « ما » بمعنى «من» وقيل : معناه خلق الذكر و الأُنثى فتكون « ما» مصدريّة والمراد من الذكر والأُنثى آدم وحوّا أوجميع ذكر وأُنثى وقرأ ابن مسعود الآية « والذكر والأُنثى» قال : وهكذا سمعت رسول الله يقرؤها .

[إنَّ سعيكم لشتّى] هذا جواب القسم أي إنَّ أعمالكم لمختلفة فعملٌ للجنّة وعملٌ للنار والسعي مصدرٌ مضاف ومن صيغ العموم، ولذا أخبر عنه بالجميع وشتّى جمع شتيت مثل مرضى و مريض و هو المتفرّق المتشتّت أي مساعيكم مختلفة بعضها حسن نافع صالح وبعضها قبيح ضارّ شرّ فاسد فميل بعضكم إلى جانب الروح ومتوجّه إلى الخير والنوريّة وبعضكم إلى جانب النفس الأمّارة وتغلبه الظلمة .

قال بعض أهل التحقيق : إنَّ النفس بأقسامها حقيقة واحدة متّحدة ويختلف باختلاف توارد الأفعال و الأحوال فإنَّ حقيقة المطلقة من غير اعتبار حكم معها إذا توجّهت إلى الحقّ توجّهاً كلياً سمّيت مطمئنّة وإذا توجّهت إلى الطبيعة توجّهاً كلياً سمّيت أمّارة وإذا توجّهت إلى الله بالتقوى تارة وتارة إلى الطبيعة و الفجور سمّيت لوّامة بدرجات السعي إمّا إلى الهدى أو إلى الهوى أيضاً تختلف فمن النفوس ساعية لطلب الدرجات العالية الكاملة كالأنبياء والأولياء وبعضٌ دونهم وبعض دونهم و كذلك من النفوس الساعية إلى الغواية فبعض يرتكب من المعاصي مايمكن معها إدراك السعادة بالرجوع عنها و تداركها وبعض يبالغون فيها بحيث لا يساوي عذارهم بعذار الشيطان :

فكنت فتى من جند إبليس فارتقى　۞　بي الحال حتّى صار إبليس من جندي

وبالجملة شرح سبحانه تفصيل تلك المساعي المتشتّتة و تبيّن أحوالها [فأمّا من أعطى] حقوق ماله [واتّقى] محارم الله الّتي نهى عنها ومن جملتها المنّ و الأذى قيل : نزلت في أبي الدحداح لمّا أنفق بستانه في سبيل الله [وصدّق بالحسنى] بالخصلة الحسنى وهي الإيمان أو كلمة الحسنى وهي لا إله إلّا الله بشروطها أو بالملّة الحسنى

و هي ملّة الاسلام [فسنيسّره لليسرى] و اليسرى تأنيث الأيسر أي سنهوّن عليه الطاعة و نهيّئه و نوفّقه للطريق الأسهل حتّى يقوم بوظائف العبادة بجدّ و طيب نفس .

[و أمّا من بخل] بما له فلم يبذله في سبيل الله والخير [واستغنى] زهد ولم يرغب فيما عنده كأنّه مستغن عنه واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة [و كذّب بالحسنى] و قد ذكر معاني الحسنى قبيل هذا [فسنيسّره للعسرى] أي لا يريد شيئاً من المال والشرّ إلّا يسّره الله له و ذلك التيسير تسبّب من سوء اختياره وقبوله أو المراد من العسر العذاب و دخول النار ، و السين في الآية للدلالة على الجزاء الموعود بمقابلة الطاعة والمعصية وهو أمر متراخ منتظر .

[و ما يغني عنه ماله] أي أيّ شيء يغني عنه ماله الّذي يبخل به و الاستفهام للإنكار [إذا تردّى] هلك ومات والردى كالعصا وهو الهلاك وتردّى سقط في الحفرة إذا قبر أو تردّى في قعر جهنّم البالغة . و حاصل المعنى أنّه إذا تردّى وتصدّى لمخالفتنا أيّ شيء له يخلّصه من غضبنا .

[إنّ علينا للهدى] أي إنّ حكمتنا تقتضي أن نبيّن لهم طريق الهدى حيث خلقناهم للعبادة [وإنّ لنا للآخرة و الأولى] أي التصرّف الكلّي فيهما كيف ما نشاء من الأفعال الّتي من جملتها ما وعدنا من اليسر لليسرى والعسرى .

[فأنذرتكم] خوّفتكم يا أهل مكّة والمكلّفين بالقرآن [ناراً تلظّى] وتتلهّب والتعبير بالمستقبل دوام التلظّي بالفعل الاستمراري [لا يصلاها] صلياً لازماً ولا يقاسي حرّها [إلّا الأشقى] الزائد في الشقاوة و هو الكافر فإنّه أشقى من الفاسق وقيل : المراد من الأشقى الشقيّ والعرب تسمّي الفاعل أفعل في كثير من كلامهم منه قوله تعالى[1] : « وأنتم الأعلون» وقوله :[2] « واتّبعك الأرذلون » و الفاسق لا يصلاها صلياً لازماً أبديّاً وقد صرّح به قوله : [الّذي كذّب و تولّى] و ليس المكذّب إلّا الكافر .

---

(١) سورة آل عمران ، ١٣٩ . (٢) سورة الشعراء ١١١ .

[وسيجنّبها] ويبعّدعنها بحيث لايسمع حسيسها ،والفاعل المجنّب المبعّد هو الله [الأتقى] المبالغ في الاتّقاء عن المعاصي و الكفر فلا يحوم حولها فضلاً عن دخولها أو صليها الأبديّ وأمّا من دونه ممّن يتّقي الكفر دون المعاصي و هو المؤمن الشقيّ الفاسق الغير التائب فلا يبعّد هذا التبعيد بل يصلاها و إن لم يذق شدّة حرّها كما يذوق الكافر ذوق الدائم فلذلك لايستلزم صليها بالمعنى المذكور فلايقدح في الحصر السابق .

[الّذي يؤتي ما له] و يعطيه في وجوه البرّ و الحسنات [يتزكّى] إمّا بدلٌ من « يؤتي » أو في حيّز النصب على أنّه حال من ضمير « يؤتي » أي يطلب أن يكون عندالله زاكياً نامياً لا يريد به رياءً ويقصد به التطهّر من الذنوب ومن دنس البخل و وسخ الإمساك .

[وما لأحد عنده من نعمة تجزى] استيناف مقرّر لبيان أنّ إيتاءه للتزكّي خالص لوجه الله و ليس لأحد عنده منّة و نعمة من شأنها أن تجزى و تكافأفيقصد المجازاة بها .

[إلاّ ابتغاء وجه ربّه الأعلى] استثناء منقطع من « نعمة » لأنّ ابتغاء وجه ربّه ليس من جنس نعمة تجزى لكن فعل ذلك لابتغاء وجه الله وطلب رضاه وما أتى من المال مكافأة على نعمة سالفة فذلك يجري مجرى أداء الدين فلايكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب .

[ولسوف يرضى] جواب قسم مقدّر أي وبالله سوف
يرضى ذلك الأتقى الموصوف .
تمّت السورة بعون الله

سورة الضحى

☆(مكية)☆

عن النبيّ ﷺ من قرأها كان ممّن يرضاه الله، ولمحمّد ﷺ أن يشفع له، وله عشر حسنات بعدد كلّ يتيم وسائل .

بسم الله الرحمن الرحيم

و الضحى (١) و الليل اذا سجى (٢) ما و دعك ربك و ما قلى (٣) و للاخرة خير لك من الاولى (٤) و لسوف يعطيك ربك فترضى (٥) الم يجدك يتيماً فآوى (٦) ووجدك ضالا فهدى (٧) ووجدك عائلا فاغنى (٨) فاما اليتيم فلا تقهر (٩) و اما السائل فلا تنهر (١٠) و اما بنعمة ربك فحدث (١١) .

النزول : قال ابن عبّاس : احتبس الوحي عنه ﷺ خمسة عشر يوماً فقال المشركون : إنّ محمّداً ﷺ قد ودّعه ربّه وتركه و قلاه ولو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه فنزلت السورة و قال ابن جريج : احتبس الوحي عنه اثني عشر يوماً و قيل : أربعين يوماً عن مقاتل و قيل : إنّ المسلمين قالوا : أما ينزل عليك الوحي؟ فقال : و كيف ينزل الوحي عليّ و أنتم لا تنقّون براجمكم ولا تقلّمون أظفاركم . ولمّا نزلت السورة قال النبيّ ﷺ لجبرئيل : ما جئت حتّى اشتقتُ إليك فقال جبرئيل : وأنا كنت أشدّ شوقاً إليك ولكنّي عبد مأمور وما نتنزّل إلّا بأمر ربّك .

وقيل : سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين و عن الروح و أصحاب الكهف فقال ﷺ : سأُخبركم غداً ولم يقل : إن شاء الله فاحتبس الوحي عنه هذه الأيّام فاغتمّ ﷺ لشماتة الأعداء فنزلت السورة تسلية لقلبه .

وقيل : إنّ النبيّ ﷺ رمي بحجر في أصبعه فقال : « هل أنت إلّا أصبع دميت

وفي سبيل الله مالقيت » فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يوحى إليه فقالت له اُمّ جميل بنت حرب امرأة أبي لهب : يا محمد ما أرى شيطانك إلّا قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت .

وقيل : إنّ جرواً دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث النبيّ أيّاماً لا ينزل عليه الوحي فقال لخادمته خولة : ما حدث في بيتي؟ إنّ جبرئيل لا يأتيني قالت خولة : كنست البيت فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذاً جروميّت فأخذته و ألقيته خلف الحائط فجاء النبيّ صلى الله عليه وآله ترتعد لحياه و كان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال : يا خولة دثّريني وأنزل الله هذه السورة ، فلمّا نزل جبرئيل سأله النبيّ صلى الله عليه وآله عن سبب تأخّره فقال جبرئيل : أما علمت أنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولاصورة . و قيل غير ذلك .

[والضحى] أقسم سبحانه بضوء النهار من قولهم : ضحى فلانٌ للشمس إذا ظهر لها وهو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار و اُريد بالضحى الوقت المذكور ولعلّ تخصيصه بالإقسام به لأنّها الساعة الّتي كلّم الله فيها موسى واُلقي فيها السحرة سجّداً و لوقوع صلاة الضحى فيه وقيل : إنّ الضحى أوّل ساعة من النهار وقيل : في هذه الأقسام كلّها المراد ربّها أي و ربّ الضحى و ربّ الليل .

[والليل إذا سجا] أي وجنس الليل إذا سجا و ركد ظلامه و تناهى يقال : سجا البحر سجواً إذا سكنت أمواجه و ليلة ساجية ساكنة الريح و فيه سكون الناس والأصوات قال الصادق عليه السلام : إنّ المراد من الضحى هو الضحى الّذي كلّم الله فيه موسى و بالليل ليلة المعراج .

[ما ودّعك ربّك و ما قلا] هذا جواب القسم ، و التوديع مبالغة في الوداع وهو الترك لأنّ من ودّعك مفارقاً فقد تركك و قرىء و دعك بالتخفيف والمعنى ما قطعك قطع المودّع وماتركك بالحطّ عن درجة الوحي والقرب والكرامة «و ماقلا» أي ما أبغضك ،والقلى شدّة البغض وغاية الكراهة وإذا قصّرت القلى كسرت القاف وإذا مددت فتحتها و المفعول في هذه الآية محذوف للدلالة أي وما قلاك .

[وللآخرة خير لك من الأولى] أي إنّ ثواب الآخرة وما أعدّه الله للمؤمن النعيم الدائم خير لك من الدنيا و الكون فيها و إنّ له صلى الله عليه وآله في الجنّة ممّا أعدّ الله له ألف ألف قصر من اللؤلؤ ترابه من المسك وفي كلّ قصر ما ينبغي له من الأزواج و الخدم و قيل: المعنى و لآخر عمرك الّذي بقي خير لك من أوّله لما يكون لك من النصرة والفتوح وتشييد أمرك ، ونهايتك خيرٌ من بدايتك كما أخبر بقوله [1]: « أليوم أكملت لكم دينكم » .

[ولسوف يعطيك ربّك فترضى] أي و سيأتيك ربّك في الآخرة من الشفاعة وأنواع الكرامة .واللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدء محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك ،لأنّ لام الابتداء لا يدخل إلّا على الجملة الاسميّة و ليست للقسم لأنّها لا تدخل على المضارع إلّا مع النون المؤكّدة . و في الآية دلالة على أنّ العطاء المتأخّر لحكمة وأنفع لك ، وادّخر لك من الكرامات ما لا يعلمها إلّا الله .

و روى حارث بن شريح عن محمّد بن الحنفيّة أنّه قال : يا أهل العراق تزعمون أنّ أرجى آية في كتاب الله قوله : [2]« يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم،الآية » وإنّا أهل البيت نقول : أرجى آية في كتاب الله قوله : «ولسوف يعطيك ربّك فترضى» وهي والله الشفاعة ليعطينّها في أهل لا إله إلّا الله حتّى يقول : ربّ رضيت . و قال الصادق عليه السلام : رضي جدّي أن لا يبقى في النار موحّد .

أقول : ابشروا يا أمّة محمّد بهذه الفضيلة الّتي نحلها الله نبيّكم بها فكم بين من يتكلّف ليرضي ربّه وبين من يعطيه ربّه ليرضى .

ثمّ عدّد سبحانه نعمه عليه صلى الله عليه وآله فقال : [ألم يجدك يتيماً فآوى] تقريرٌ لنعمة الله عليه حين مات أبوه ، روي أنّ أباه عبدالله مات وهو صلى الله عليه وآله جنين قد أتت عليه ستّة أشهر في بطن أمّه ومات جدّه وهو ابن ثمان سنين فكفّله عمّه أبوطالب فأحسن

---

(١) سورة المائدة : ٤ .
(٢) سورة الزمر : ٥٣ .

تربيته وآواه الله بأن سخّر له أوّلاً جدّه عبدالمطّلب ثمّ ربّاه وآواه أبوطالب و لمّا مات جدّه عبدالمطّلب كان عمره الشريف ثمان سنين وسلّمه جدّه إلى أبي طالب لأنّه كان أخا عبدالله لأمّه . قال الصادق عليه السلام : أوتم النبيّ عن أبويه لئلاّ يكون لمخلوق أمر عليه فآواه أبو طالب إلى أن بعثه الله للنبوّة فقام ينصره مدّة مديدة ثمّ توفّي أبوطالب عليه السلام فنال المشركون منه صلى الله عليه وآله مالم ينالوا في زمان أبي طالب وآذوه ، وقد جعله الله يتيماً لئلاّ يسبق على قلب بشر أنّ الّذي نال من العزّ والشرف والاستيلاء ما كان عن تظاهر نسب أو توارث مال أو نحو ذلك .

[و وجدك ضالّاً فهدى] معنى الضلال فقدان الشرائع والأحكام الّتي لايهتدي إليها العقول بل طريقها السماع نظير قوله : [1] « ما كنت تدري ما الكتاب » وإليه يؤوب معنى الغيبة فإنّ «ضلّ» بمعنى «غاب» أي غير مهتد إلى النبوّة فمعنى الضلال على هذا هو الذهاب عن العلم مثل قوله : « أن تضلّ إحداهما فتذكّر إحداهما الأخرى [2] » .

و قيل : المعنى وجدك متحيّراً في وجوه معاشك فهداك إلى وجوه معاشك فإنّ الرجل إذا لم يهتد طريق تكسّبه و وجه معيشته يقال : إنّه ضالّ لا يدري أين يذهب .

وقيل والقائل ابن عبّاس : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ضلّ في شعاب مكّة حال صباه و كان عبدالمطّلب يطلبه وهو يقول متعلّقاً بأستار الكعبة :

يا ربّ فاردد ولدي محمّداً ✡ واردد إليّ واصطنع عندي يداً

فوجده أبوجهل فردّه إلى عبدالمطّلب فمنّ الله عليه حيث خلّصه على يدي عدوّه فكان نظير موسى عليه السلام حين التقط فرعون تابوته ليكون له عدوّاً وحزناً ، فهداك إلى النبوّة والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم ، ووفّقه للنظر الصحيح بحيث لم يعبد صنماً قطّ و لم يكذب و لم يخن بأمانة و لم يأت بفاحشة .

---

(١) سورة الشورى : ٥٢ .
(٢) سورة البقرة : ٢٨٢ .

و قيل : إنّ حليمة السعديّة لمّا أرضعته مدّة رضاعه ﷺ أرادت ردّه على جدّه جاءت به حتّى قربت من مكّة فضلّ في الطريق فطلبته جزعةً وكانت تقول : لئن لم أره لأرمينّ نفسي من شاهق و جعلت تصيح وامحمّداه فدخلت مكّة على تلك الحالة فرأت شيخاً موكّئاً على عصا قالت : فسألني عن حالي فأخبرته فقال : لا تبكين فأنا أدلّك على من يردّه عليك فأشار إلى هبل صنمهم الأعظم و دخل الشيخ البيت وطاف بهبل وقبّل رأسه و قال : يا سيّداه لم تزل منّتك جسيمة ردّ محمّداً على هذه السعديّة قالت حليمة : فتساقطت الأصنام لمّا تفوّه باسم محمّد وسُمع صوت إنّ هلاكنا على يدي محمّد فخرج الشيخ وأسنانه تصطكّ . قالت : وخرجت إلى عبدالمطّلب وأخبرته الحال فخرج وطاف بالبيت و دعا الله سبحانه فنودي و أُشعر بمكانه فأقبل عبدالمطّلب وتلقّاه ورقة بن نوفل في الطريق بينماهما يسيران إذا النبيّ ﷺ قائم تحت شجرة يجذب الأغصان ويعبث بالورق فقال عبدالمطّلب : فداك نفسي ، وحمله وردّه إلى مكّة عن كعب .

وقيل : إنّه ﷺ خرج مع عمّه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء جاء إبليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبرئيل فنفخ إبليس نفخةً دُفع بها إلى الحبشة وردّه إلى القافلة فمنّ الله عليه بذلك ، عن سعيدبن المسيّب .

و قيل : وجدك مضلولاً عنك في قوم لا يعرفون حقّك فأرشدهم إلى فضلك و كنت خامل الذكر فعرّفك الله و أعلى ذكرك بحيث أوجب في الصلاة الصلوات عليه و التذكير باسمه الشريف في التشهّد . وعن عاصم بن حمزة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : الصلاة على النبيّ ﷺ أمحق للخطايا من الماء للغار، والسلام عليه أفضل من عتق رقاب وحبّه أفضل من مهج الأنفس أو قال : من ضرب السيوف .

[و وجدك عائلاً فأغنى] أي كنت فقيراً وعديماً فأغناك بمال خديجة أو بالغنائم وبما أفاء الله عليك حتّى كان ﷺ يهب من الإبل مائة ، أو قنعك وأغنى طبعك وقلبك

والغنى غنى النفس أي أزال عنك فقر النفس وجعل لك الغنى الأكبر و ذلك حقيقة الغنى .

ثمّ أوصاه باليتامى و الفقراء وهي من مكارم الأخلاق فقال : [فأمّا اليتيم فلا تقهر] أي لاتذلّله أو لا تغلبه على ماله فتذهب بحقّه لضعفه كما كانت العرب تفعل في أمر اليتامى وكان النبيّ ﷺ يبرّ و يحسن إلى اليتامى ويوصي بهم . وفي الآية إشارة بأن كنت يتيماً فآويناك فافعل أنت كذلك باليتامى.

و عن ابن أبي أوفى قال : لقد كنّا جلوساً عند رسول الله فأتاه غلام فقال : غلام يتيم و اُخت لي يتيمة و اُمّ لي أرملة أطعمنا ممّا أطعمك الله و أعطاك الله ممّا عنده حتّى ترضى قال ﷺ : ما أحسن ما قلت يا غلام اذهب يا بلال فأتنا بما عندنا فجاء بواحدة و عشرين تمرة ولم تكن غيرها شيء لهم فقال النبيّ ﷺ : سبع لك وسبع لاُختك وسبع لاُمّك فقام إليه معاذ فمسح رأسه وقال : جبر الله يتمك وجعلك خلفاً من أبيك وكان اليتيم من أبناء المهاجرين فقال النبيّ ﷺ : رأيتك يا معاذ وما صنعت قال : رحمته قال ﷺ : لايلي أحدكم يتيماً فيحسن ولايته ووضع يده على رأسه إلّا كتب الله له بكلّ شعرة حسنة و محا عنه بكلّ شعرة سيّئة و رفع له بكلّ شعرة درجة و قال ﷺ : أنا و كافل اليتيم كهاتين في الجنّة إذا اتّقى الله . و أشار بالسبّابة والوسطى .

[و أمّا السائل فلا تنهر] النهر الزجر بمعالظة أي فلا تزجره ولا تغلظ له بالقول بل ردّه ردّاً جميلاً و لساناً ليّناً إذا حرمته و ما أطعمته بسبب عدمك قال رسول الله : إذا أتاك سائل على فرس باسط كفيّه فقد وجب له الحقّ ولو بشقّ تمرة يريد أعط السائل كما أعطاك الله و أنت كنت عائلاً و قيل : المراد بالسائل طالب العلم وهو متّصل بقوله : « ووجدك ضالاً فهدى » والمعنى علّم من يسألك كما علّمك الله الشرائع و كنت بها غير عالم .

وفي الآية بيان لجميع المكلّفين لأنّ جميع الخلق كانوا فقراء في الأصل فإذا أنعم الله عليهم وجب أن يعرفوا حقّ الفقراء مالاً كان أو علماً . وقال إبراهيم النخعي:

السائل يريد الآخرة لكم يجيء إلى باب أحدكم فيقول : أتبعثون إلى أهليكم شيئاً ؟ روي أنّه أُهدي إلى رسول الله ﷺ عنقود عنب فجاء سائل فأعطاه العنقود فاشتراه أحد من الصحابة بدرهم و قدّمه إلى رسول الله ثانياً ثمّ عاد السائل فأعطاه العنقود فاشتراه الصحابيّ بدرهم و قدّمه إلى رسول الله فجاء السائل ثالثاً فقال ﷺ : ملاطفاً للسائل غير غضبان عليه أسائل أنت أم تاجر ؟ فنزلت الآية .

[و أمّا بنعمة ربّك فحدّث] فإنّ تحديث العبد بنعمة الله شكر باللسان و تذكير للغير و أُريد بالنعمة من النعم الموجودة والموعودة وقيل : المراد من النعمة القرآن و هو أعظم نعم الله فأمره ﷺ أن يقرءه و قيل : المراد النبوّة أي أبلغ ما أُرسلت به وقيل : يعني حدّث بنعم الله عليك نفسك ولا تنس فضله عليك قديماً و حديثاً فيكون نعمه دائماً حاضراً ببالك و خاطرك ولاتغفل عن تذكّره قال ﷺ : التحدّث بالنعم شكر وتركه كفر . و أمّا الحديث الآخر: «عليكم بكتمان النعم فإنّ كلّ ذي نعمة محسود» يعني عن الحسود لا غير .

تمّت السورة بعون الله

سورة ألم نشرح

(مكية)

قال صلى الله عليه وآله: من قرأها أعطي من الأجر كما لقي محمداً صلّى الله عليه و آله مغتماً ففرّج عنه.

وروى أصحابنا أنّ والضحى وألم نشرح سورة واحدة لتعلّق إحداهما بالأخرى ولم يفصلوا بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وجمعوا بينهما في الركعة الواحدة في الفريضة و كذلك القول في سورة ألم تر كيف ولا يلاف قريش والسياق يدلّ على ذلك لأنّه قال: «ألم يجدك يتيماً فآوى» إلى آخرها، ثمّ قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك (١) و وضعنا عنك وزرك (٢) الذى انقض ظهرك (٣) و رفعنا لك ذكرك (٤) فان مع العسر يسرا (٥) ان مع العسر يسرا (٦) فاذا فرغت فانصب (٧) و الى ربك فارغب (٨) .

الشرح بسط اللحم و نحره يقال : شرحت اللحم ، و منه شرح الصدر بنور إلهي وروح منه وشرح الكلام بسطه وإظهار مايخفى من معانيه وفي الحديث : «إذا دخل النور في القلب انشرح أي عاين القلب وظهر له ما أشكل على غيره واحتمل المكاره» والاستفهام في الآية تقريري والمعنى ألم نفتح صدرك و نوسع قلبك بالنبوة والعلم حتى قمت بأداء الرسالة و صبرت على المكاره و اطمأننت إلى الإيمان فلم تضق به ذرعاً فشرح الله صدره بأن ملأه علماً وحكمة و رزقه حفظ القرآن .

وقيل : المعنى ألم نشرح صدرك بإذهاب الشواغل التي تصد عن إدراك الحق ، عن ابن عباس قال : سئل النبي صلى الله عليه وآله أينشرح الصدر ؟ قال : نعم ، قالوا : و كيف ينشرح الصدر و هل لذلك علامة ؟ قال : نعم ، التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإعداد للموت قبل نزول الموت . و هذا الشرح من الصدر في الأمور المعنوية وأما شرح الصدر الصوري فقد قيل : وقع مراراً ؛ مرة وهو ابن ست سنين لإخراج مغمز الشيطان وهو الدم الأسود الذي به يميل الطبع والقلب إلى المعاصي ويعرض عن الطاعات ومرة عند ابتداء الوحي ومرة ليلة المعراج .

وقد نقل صاحب تفسير روح البيان المولى إسماعيل الحقي أنه صلى الله عليه وآله قال : ليلة أسري بي إلى السماء ألصقني جبرئيل بصدره ، وشق صدري إلى سرتي ، وجاء ميكائيل بطست من ماء زمزم ، و غسل صدري و قلبي بعد أن شقة ، و ملؤوا قلبي من

الحكمة والايمان و ختموا عليه من خاتم من نور .

[و وضعنا عنك وزرك] أي حططنا و أسقطنا عنك حملك الثقيل .

[الّذي أنقض ظهرك] وأثقله حتّى سمع له نقيض و صوت وهذا مثل معناه أنّه لوكان حمل لسمع صوت ظهره كما يسمع من الرجل الصوت من شدّة ثقل الحمل وتأثير الثقل المفضي إلى انحراف بعض أجزاء الرجل عن محالّها وحصول الصوت بذلك فيه وهذا معنى الانتقاض مثّل به حاله ﷺ بما كان به من أعباء النبوّة الّتي تثقل الظهر من القيام بأمرها فسهّل الله ذلك عليه حتّى تيسّر له و أزال عنه همومه وتهالكه على إسلام المعاندين من قومه وتلهّفه ، والعرب تجعل الهمّ ثقلاً .

و قيل : المعنى و عصمناك من الذنوب و طهّرناك من الأدناس والأوزار .

قال المرتضى قدّس سرّه : إنّما سمّيت الذنوب بالأوزار لأنّها تثقل كاسبها و حاملها فكلّ شيء أثقل الانسان و غمّه و كدّه صحّ أن يسمّى وزراً فلا يمتنع أن يكون المراد من الوزر في الآية غمّه بما كان عليه من قومه وأنّه وأصحابه كانوا مستضعفين في أيدي المشركين فأعلى الله كلمته وبسط يده فخاطبه بهذا الخطاب تذكيراً للنعمة ليقابله بالشكر .

فإن قيل : إنّ السورة مكّيّة و نزلت قبل أن يعلي الله كلمة الإسلام ولا وجه لهذا القول .

فالجواب أنّه لمّا بشّره بأن يعلي دينه وينصره على أعدائه كان بذلك واضعاً ثقل غمّه فإنّه ﷺ كان واثقاً بأنّ وعد الله حقّ و يجوز أيضاً أن يكون اللفظ و إن كان ماضياً فالمراد به الاستقبال كقوله[1] : « ونادى أصحاب الجنّة أصحاب النار ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك » .

[ورفعنا لك ذكرك] بعنوان النبوّة وقرنّا ذكرك بذكرنا و تذكرمعي في الأذان والتشهّد والخطبة ،ورفع ذكره في الدنيا والآخرة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلّى عليه هو و ملائكته و أمر المؤمنين بالصلاة عليه و سمّاه رسول الله و لقّبه

(١) سورة الاعراف : ٤٥ . سورة الزخرف ، ٧٧ .

بألقاب عالية شريفة .

[فإنّ مع العسر يسراً] كان المشركون يعيّرون رسول الله والمؤمنين بالفقر و الضيقة و كان المؤمنون في الشدّة فوعده سبحانه بتيسير كلّ عسير له . و اللاّم للاستغراق و في كلمة « مع » إشعار بغاية سرعة مجيء اليُسر كأنّه مقارن للعسر، وفي تعريف العُسر و تنكير اليسر إشارة إلى أنّ اليُسر غالب على العسر على أنّه سبقت الرحمة الغضب والعسر قد يكون في الغالب جلاء لقلوب الأكابر و توسعة لاستعدادهم و مقامهم كما قيل : أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثمّ الأولياء ثمّ الأمثل فالأمثل .

[إنّ مع العسر يسراً] تكرير للتأكيد روي عن عطا عن ابن عبّاس قال : يقول الله : خلقت عسراً واحداً وخلقت يسرين فلن يغلب عسرٌ يسرين. قال الفرّاء: إنّ العرب تقول إذا ذكرت نكرةً ثمّ أعدتها مثلها صارتا اثنتين كقولك : «إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً» فالثاني غير الأوّل وإذا أعدتها معرفةً فهي كقولك :«إذا اكتسبت درهماً فأنفق الدرهم» فالثاني هو الأوّل .

[فإذا فرغت] من التبليغ أو من المصالح اللازمة في أشغالك [فانصب] إلى ربّك في الدعاء و ارغب إليه في المسئلة يعطك ، ومعنى انصب أي لاتشتغل بالراحة و ألزم نفسك النصب و التعب في العبادة .

وقيل : المعنى فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربّك في الدعاء و المسألة و هذا المعنى عن مجاهد والضحّاك و قتادة و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام و قال الصادق عليه السلام : هو الدعاء في دبر الصلاة و أنت جالس .

وقيل : معناه إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل عن ابن عبّاس و ابن مسعود .

و قيل : فإذا فرغت من جهاد أعدائك فانصب بالعبادة لله .

و قيل : فإذا فرغت من أداء الرسالة فانصب لطلب الشفاعة .

و قيل : إذا صححت فاجعل صحّتك و فراغك نصباً في العبادة .

و قيل : إذا فرغت من تلقّي الوحي فانصب في تبليغه . و ينبغي للمرء أن لا

يكون فارغاً مهملاً أو يشتغل بما لاينفعه في دينه و دنياه لأنّه من سخافة العقل و استيلاء الغفلة و أن يكون في عمل نافع له فإذا فرغ من عمل خيرأتبعه بآخر حتّى لايضيع عمره .

[و إلى ربّك فارغب] أي فارفع حوائجك إلى ربّك وحده ولا ترفعها إلى أحد من خلقه . و تقديم الجارّ يفيد الحصر .

و قيل : المعنى تضرّع إليه راغباً في الجنّة و راهباً من النار . تمّت السورة بعون الله

سورة التين

٭(ثماني آيات مكية)٭

بسم الله الرحمن الرحيم

و التين و الزيتون (١) و طور سينين (٢) و هذا البلد الامين (٣) لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم (٤) ثم رددناه اسفل سافلين (٥) الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون (٦) فما يكذبك بعد بالدين (٧) اليس الله باحكم الحاكمين (٨) .

أقسم الله سبحانه بالتين الّذي يؤكل و الزيتون الّذي يعصر منه الزيت عن ابن عبّاس والحسن ومجاهدوعكرمة و قتادة وعطاء وهو الظاهر ، و هوفاكهةمخلّصة من شائب التنقيص وجعل خلقته على مقدار اللقمة وهيئتها. روى أبوذر أنّ النبيّ ﷺ قال لأصحابه : كلوا فلو قلت : إنّ فاكهة نزلت من الجنّة لقلت هذا لأنّ فاكهة الجنّة بلا عجم فكلوها فانّها تقطع البواسير و تنفع النقرس . وعن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال : التين يزيل نكهة الفم و يطوّل الشعر و هو أمان من الفالج .

و قيل : لمّا عصى آدم عليه السلام و فارقته ثيابه تستّر بورق التين ولمّا نزل و كان متستّراً بورق التين استوحش فطافت الظباء حوله فاستأنس بها فأطعمها بعض ورق التين فرزقها الله الجمال صورة و الملاحة معنىً وغيّر دمها مسكاً فلمّا تفرّقت الظباء إلى مساكنها رأى غيرها عليها من الجمال ما أعجبه فلمّا كان الغد جاءت ظباء آخر على الأوّل فأطعمها آدم من الورق فغيّر الله حالها من الجمال دون المسك و ذلك لأنّ الأولى جاءت إلى آدم لأجله لا لأجل الطمع والطائفة الأُخرى جاءت إليه ظاهراً

و للطمع باطناً فلاجرم غيّر الظاهر دون الباطن .

وفي كتاب أمثلة الحكم أنّ سائر الأشجار يخرج ثمرها في كمامها ويخرج كمامها أوّلاً ثمّ يخرج ثمارها و شجرة التين أوّل ما يبدو ثمرها بارزاً من غير كمام لأنّ آدم لم يستره إلاّ شجرة التين فقال الله : بعد ما سترت اُخرجمنك المعنى قبل الدعوى وسائر الأشجار يخرج منها الدعوى قبل المعنى. وفي خريدة العجائب: إذا نثر رماد خشب التين في البساتين هلك منه الدود و دخان التين يهرب منه البقّ و البعوض .

و أمّا الزيتون فهو فاكهة و أدام و دواء لبعض الأمراض ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لادهن فيها كالجبال لكفى به فضلاً ونفعاً ، وشجرته هي الشجرة المباركة المشهورة في التنزيل .

قال معاذ بن جبل : سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول : نعم سواك الزيتون ، هو سواكي و سواك الأنبياء من قبلي ، وشجرة الزيتون يعمر ثلاثة آلاف سنة وهي تصبر عن الماء طويلاً كالنخل و إذا لقط ثمرتها جُنُب فسدت و ألقت حملها و انتثر ورقها و ينبغي أن تغرس في المدر لكثرة الغبار لأنّ الغبار كلّما علا على زيتونها زاد دسمه ونضجه . و رماد ورقها تنفع العين كحلاً و يقوم مقام التوتيا . وفي الحديث عليكم بالزيت فانّه يكشف المرّة و يذهب البلغم و يشدّ العصب و يمنع الغشي و يحسّن الخلق ويطيّب النفس و يذهب بالهمّ .

قال الفاضل السهيليّ : إنّ التين في المنام رجل خير غنيّ فمن ناله في المنام نال مالاً و سعةً و من أكله في المنام رزقه الله أولاداً ومن أخذ ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى .

و بالجملة هذا أحد الأقوال في المقسم به على أنّ المراد من الآية هذا التين المأكول و الزيتون المعصور . و ثاني الأقوال أنّ المراد بالتين الجبل الّتي بني عليه دمشق و الزيتون الجبل الّذي عليه بيت المقدس و قال عكرمة : و إنّما سمّيا بهما لأنّ التين و الزيتون ينبتان فيهما .

و قيل : التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس .

و قيل : التين مسجد نوح الّذي بنى على الجوديّ و الزيتون بيت المقدس .

و قيل :التين مسجد الحرام و الزيتون المسجد الأقصى .

[وطور سينين] هو الجبل الّذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربّه. قال الماوردي : ليس كلّ جبل يقال له «طور» : إلّا أن يكون فيه الأشجار والثمار وإلّا فهو جبل فقط. وسينين و سيناء علمان للموضع الّذي هو فيه ، ومعنى سينين بالسريانيّة ذو الشجر أو حسن مبارك بلغة الحبشة .

وفي كشف الأسرار: أصل سينين سيناء بفتح السين و كسرها ، وإنّما قال ههنا سينين لأنّ تاج الآيات النون كما قال :[١] « سلام على إلياسين » وهو إلياس فخرج على تاج آيات السورة .

[وهذا البلد الأمين] وهو مكّة شرّفها الله ، وأمانتها أنّها تحفظ من دخلها جاهليّة وإسلاماً من قتل وسبي كما يحفظ الأمين الأمانة. ويجوز أن يكون فعيل بمعنى مفعول لأنّه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن في قوله[٢]: « حرماً آمناً » ومعنى القسم بهذا الأشياء إبانة شرافتها و ماظهر فيها من الخير و البركة بسكنى الأنبياء والصالحين ومهاجر إبراهيم ومولد عيسى و محلّ نداء موسى ومولد رسول الله وهدى للعالمين .

[لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم] هو جواب القسم يقال : قام الأمر اعتدل واستقام وقوّمته عدّلته والتقويم تصيير الشيء على ماينبغي أن يكون عليه في التأليف و التعديل و حسن الصورة ، قيل : إنّه في زمن يحيى بن أكثم خلا ملك بزوجته في ليلة مقمرة فقال الملك لزوجته : إن لم تكوني أحسن من القمر فأنا كذا ، فأفتى الفقهاء بالحنث إلّا يحيى بن أكثم وقال : لا يحنث. فقالوا : خالفت شيوخك فقال : الفتوى بالعلم ولقد أفتى من هو أعلم منّا وهو الله تعالى قال : « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » فالإنسان أحسن الأشياء و لا شيء أحسن منه انتهى . وقد خصّ الإنسان من بين الحيوان من العقل والفهم والعلم وبحسب الصورة من انتصاب القامة

(١) الصافات ، ١٣١ .

(٢) سورة العنكبوت ، ٦٧ .

وحسن الشكل وهو مظهر الجلال والكمال .

[ثمّ رددناه أسفل سافلين] وأسفل سافلين حال من المفعول أي رددناه حال كونه أسفل سافلين أو صفة لمكان محذوف أي رددناه إلى مكان هو أسفل أمكنة السافلين و جعلناه من أهل النار الّذي هو أقبح من كلّ قبيح لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات الّتي لو عمل بمقتضاها لكان في أعلى علّيّين ، وحوّل حاله من أحسن تقويم إلى أقبح تقويم صورةً و معنىً لأنّ مسخ الظاهر إنّما هو من مسخ الباطن، هذا أحد القولين في تفسير الآية والقول الثاني أنّه يردّ إلى أرذل العمر من الخوف والهرم و نقصان العقل . والسافلون هم الضعفاء و الزمنى والأطفال .

ثمّ استثنى فقال : [إلاّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات] والاستثناء يؤيّد معنى الأوّل ومن قال بالقول الثاني قال : إنّ المؤمن لايردّ إلى الخرف و إن عمر عمراً طويلاً وإذا بلغ المؤمن من الكبر مايعجز معه من العمل كتب له من العمل ماكان حين يعمل في شبابه وقوّته، والمراد من الّذين آمنوا الّذين أخلصوا العبادة لله وأضافوا إلى ذلك الأعمال الحسنة ،وقرؤا القرآن فإنّ هؤلاء لايردّون إلى النار. و عن ابن عباس من قرء القرآن لم يردّ إلى أرذل العمر والاستثناء على المعنى الأوّل استثناء متّصل من ضمير « رددناه » فإنّه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع .

[فلهم أجر] في دار الكرامة ولا يغيّر صورهم بل هم على أحسن تقويمهم باقون في الجنّة و دار الكرامة [غير ممنون] غير منقطع على طاعتهم وأعمالهم الصالحة روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : إنّ المؤمن إذا مات صعد الملكان إلى السماء فيقولان إنّ عبدك فلان قدمات فائذن لنا حتّى نعبدك في السماء فيقول الله : إنّ سماواتي مملوءة بملائكتي ولكن اذهبا إلى قبره واكتبا حسناته إلى يوم القيامه .

[فما يكذّبك بعد بالدين] بعدُ مبنيّ على الضمّ لحذف المضاف إليه و نيّته و الاستفهام مشعر بالتعجّب أي أيّ شيء يكذّبك أيّها الإنسان بعد هذه الحجج و الآيات بالجزاء و البعث و ينسبك إلى التكذيب بالبعث فإنّ من خلق الإنسان السويّ من الماء المهين و جعل ظاهره و باطنه على أحسن تقويم إلى أن

استكمل واستوى ثمّ نكّسه و حوّله من حال إلى حال كمالاً ونقصاناً بحيث يشاهد كلّ أحد في نفسه هذه التغيّرات فأيّ شيء يضطرّه إلى إنكار الجزاء .

[أليس الله بأحكم الحاكمين] هذا تقرير للإنسان على الاعتراف بأنّه أحكم الحاكمين أي أليس الّذي بقدرته فعل وقدّر هذه الأمور صنعاً وتدبيراً بأحكم الحاكمين حتّى يجازي الصالح و الطالح؟ فكيف يتصوّر عدم الحكم و الجزاء و البعث للجزاء وجريان العدل في حكمه بين المصدّق والمكذّب، بلى يا ربّ أنت أحكم الحاكمين وأنا على ذلك من الشاهدين . ومن قرء هذه الآية فليقل هذه الكلمات .

تمّت السورة بعون الله

سورة العلق

☼(مكية)☼

عن النبي ّمن قرأها كأنّما قرأ المفصّل[1] كلّه. وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قرأها في نومه أوفي ليلته ثمّ مات في يومه أو في ليلته مات شهيداً وبعثه الله شهيداً وكان كمن ضرب بسيفه في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

(١) المفصل من سورة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى آخر القرآن .

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرا باسم ربك الذى خلق (١) خلق الانسان من علق (٢) اقرأ و ربك الاكرم (٣) الذى علم بالقلم (٤) علم الانسان مالم يعلم (٥) كلا ان الانسان ليطغى (٦) ان رآه استغنى (٧) ان الى ربك الرجعى (٨) ارأيت الذى ينهى (٩) عبداً اذا صلى (١٠) ارايت ان كان على الهدى (١١) او امر بالتقوى (١٢) ارايت ان كذب و تولى (١٣) الم يعلم بان الله يرى (١٤) كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية (١٥) ناصية كاذبة خاطئة (١٦) فليدع ناديه (١٧) سندع الزبانية (١٨) كلا لا تطعه واسجد و اقترب (١٩).

أمر من الله أمر نبيّه أن يقرء باسم ربّه و أن يدعوه بالأسماء الحسنى وفي تعظيم الاسم تعظيم المسمّى، لأنّ الاسم ذكر المسمّى بمايخصّه والباء زائدة والتقدير: اقرء اسم ربّك.

وأكثر المفسّرين على أنّ هذه السورة أوّل مانزل من القرآن الكريم وأوّل يوم نزل جبرئيل عليه ﷺ و هو قائم في حراء علّمه خمس آيات من أوّل هذه السورة وقيل: أوّل مانزل من القرآن قوله[1]: « ياأيّها المدّثر » وقيل: أوّل سورة نزلت على رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب.

و روى الحاكم أبوعبدالله الحافظ باسناده عن عمرو بن شرحيل أنّ رسول الله قال لخديجة: إنّي إذا خلوت وحدي سمعت نداءً فقالت: ما يفعل الله بك إلّا خيراً فوالله إنّك لتؤدّي الأمانة وتصل الرحم و تصدق الحديث قالت خديجة: فانطلقنا إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزّى وهو ابن عمّ خديجة فأخبره رسول الله بما رأى فقال له ورقة: إذن أتاك فاثبت له حتّى تسمع ماتقول ثمّ ائتني فأخبرني فلمّا خلا ناداه يا محمّد قل: « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين - حتّى بلغ -

(١) سورة المدثر: ١.

ولا الضالّين قل : لا إله إلاّ الله فأتى ﷺ ورقة و ذكر له ذلك فقال له ورقة : ابشر ابشر فأنا أشهد أنّك الّذي بشّر به ابن مريم و إنّك على مثل ناموس موسى وإنّك نبيّ مرسل وإنّك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن أدركني ذلك لأُجاهدنّ معك . فلمّا توفّي ورقة قال رسول الله : «لقد رأيت القسّ في الجنّة عليه ثياب الحرير لأنّه آمن بي وصدّقني» يعني ورقة .

[اقرأ باسم ربّك] أي ما يوحى إليك يا محمّد وقوله : « علّم الإنسان مالم يعلم» يؤيّد أنّ هذه السورة أوّل ما نزلت عليه . و أوّل ما ابتدأ به رسول الله ﷺ حين أراد الله به النبوّة الرؤيا الصالحة كان لايرى رؤياً إلاّ جاءت كفلق الصبح فلايشكّ فيها أحد كما لا يشكّ في وضوح ضياء الصبح، و إنّما ابتدأ ﷺ بالرؤيا لئلاّ يفجأه الملك الّذي هو جبرئيل بالرسالة فلا تتحمّلها قوّة البشريّة لأنّها لا تحتمل رؤية الملك وإن لم يكن على صورة الأصليّة ولا على سماع صوته فكانت الرؤيا تأنيساً له وكانت مدّت الرؤيا ستّة أشهر وكان عليه السلام في تلك المدّة إذا خلا يسمع نداء : يا محمّد يا محمّد ويرى نوراً يقظة و كان ﷺ يخشى أن يكون الّذي يناديه تابعاً من الجنّ كما ينادي الكهنة وكان في جبل حراء غار و هو الجبل الّذي نادى رسول الله بقوله : إليّ يارسول الله لمّا قال له « ثبير» وهو على ظهره : اهبط عنّي يارسول الله فإنّي أخاف أن تُقتل على ظهري ، وكان ﷺ يتعبّد في ذلك الغار ليالي ثلاثاً و سبعاً وشهراً و يتزوّد لذلك من الكعك[1] والزيت و أوّل من تعبّد فيه من قريش جدّه عبدالمطّلب ثمّ تبعه سائر المتألّهين وهم أبو أُميّة بن المغيرة وورقة بن نوفل ابن عمّ خديجة وكان ورقة قد قرء الكتب و كتب الكتاب العبريّ وكان شيخاً كبيراً قد عمي في أواخر عمره. ثمّ لمّا بلغ عليه ﷺ رأس الأربعين ودخلت ليلة سبع عشرة من رمضان جاءه الملك وهو في الغار كما قال الصرصريّ :

وأتت عليه أربعون فأشرقت ☆ شمس النبوّة منه في رمضان

قالت عائشة : جاءه الملك سحر يوم الاثنين فقال : اقرأ قال : ما أنا بقارىء

(١) الكعك خبز يعمل من الدقيق والحليب .

قال : فأخذني وضمّني و عصرني ثمّ أرسلني. فعله ثلاث مرّات ثمّ قال : « اقرء » إلى قوله : « ما لم يعلم » فخرج صلّى الله عليه وآله وسلم من الغار حتّى إذا كان في جانب من الجبل سمع صوتاً يقول : يا محمّد أنت رسول الله وأنا جبرئيل ، و رجع إلى خديجة يرجف فؤاده فحدّثها بما جرى فقالت له : ابشر يا ابن عمّي واثبت فوالّذي نفسي بيده إنّي لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأمّة ، و مكث صلى الله عليه وآله مدّة لا يرى جبرئيل .وكانت وفاة ورقة بن نوفل مدّة الفترة أي فترة الوحي بين « اقرء » و بين « ياأيّها المدّثّر » .

[باسم ربّك] أي مبتدئاً باسمه أي « قل و اقرء بسم الله الرّحمن الرّحيم » [الّذي خلق] نورك قبل الأشياء أو خلق جميع المخلوقات على مقتضى حكمته وأخرجهم من العدم إلى الوجود .

و في كتاب شمس المعارف : أوّل آية نزلت على وجه الأرض « بسم الله الرّحمن الرحيم » يعني على آدم الصفيّ عليه السلام فقال آدم : الآن علمت أنّ ذرّيّتي لا تعذّب بالنار مادامت عليها ثمّ اُنزلت على إبراهيم في المنجنيق فأنجاه الله بها من النار ثمّ على موسى فقهر بها على فرعون و جنوده ثمّ على سليمان فقالت الملائكة : الآن و قد تمّ ملكك فهي آية الرحمة والأمان لرسله و اُممهم ، ولمّا نزلت على رسول الله وذكرت في سورة النمل(١) «إنّه من سليمان ¤ وإنّه بسم الله الرّحمن الرّحيم » كانت فتحاً عظيماً، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فكتب على رؤوس السور و أوائل الرسائل والدفاتر و حلف ربّ العزّة بعزّته أن لايسمّيه عبد مؤمن على شيء إلاّ بورك له فيه وكانت لقائلها حجاباً من النار و هي تسعة عشر حرفاً تدفع تسعة عشر زبانية.

وفي الحديث النبويّ : لو وضعت السماوات والأرضون و ما فيهنّ و ما بينهنّ في كفّة و البسملة في كفّة لرجحت عليها .انتهى. وإنّما وصف نفسه بقوله : « الّذي خلق » لأنّه تعالى لمّا ذكر الربّ وكانت العرب في الجاهليّة تسمّي الأصنام أرباباً أتى بالصفة الّتي لاشركة للأصنام فيها فقال : «الّذي خلق» .

(١) آية : ٣١ - ٣٢ .

[خلق الإنسان من علق] و التخصيص لخلق الإنسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع في خلقته أو تفخيم لشأنه ﷺ إذ هو أشرفهم و عليه نزل القرآن و هو أوّل المأمور بقراءته « من علق » و هو الدم الجامد بعد النطفة إذ المراد جنس بني آدم والمراد بيان أطوار الخلقة الإنسانيّة ، إنّه تعالى خلق أصله من التراب أو الدم و هو في غاية من المهانة ثمّ بلغ به مبالغ الكمال مفرّغاً في قالب الاعتدال حتّى صار بشراً سويّاً مهيّأً للنطق و إدراك المعاني و انتقل من حال إلى حال حتّى استكمل إلى أن بلغ درجة النبوّة و الرسالة و أظهر قدرته باظهار مابين حالتي الإنسان بدايةً و نهايةً من التباين و إيراد كلمة العلق بلفظ الجنس والجمع ولم يقل : «علقة» لأنّ الإنسان في معنى الجمع لأنّ الألف واللام في الإنسان للاستغراق و لمراعاة الفواصل .

و لمّا كان الإنسان أقوم الدلائل الدالّة على قدرته و علمه تعالى وصف ذاته بذلك ، ولمّا كان أراد سبحانه أن يعترف المشركون بوحدانيّته لوقال لهم : « اقرأ باسم ربّك الّذي لاشريك له» لأبوا أن يقبلوا منه ذلك فقدّم مقدّمة تلجئهم إلى الاعتراف فأمر رسوله أن يقول لهم : إنّهم خلقوا من العلقة ولا يمكنهم إنكار ذلك ولا يمكنهم أن (ينسبوا) ذلك الفعل إلى الوثن لأنّهم هم نحتوه فبهذا التدريج إذا تأمّلوا عرفوا أنّه تعالى هو المستحقّ للثناء دون الأوثان لأنّ الإلهيّة موقوفة على الخالقيّة و من لا يخلق شيئاً كيف يكون إلهاً مستحقّاً للعبادة ؟ على أنّها هي مخلوقة .

[اقرء و ربّك الأكرم] أي افعل ما اُمرت به و كرّر الأمر بالقراءة قيل : لأنّه أمره في الأمر الأوّل بالقراءة لنفسه وفي الثاني بالقراءة للتبليغ فحينئذ ليس بتكرار وقيل : التكرار للتأكيد وتمهيداً لما يعقّبه من قوله : « و ربّك الأكرم » فانّه كلام مستأنف وارد لإزاحة عذره ﷺ : «ما أنا بقارىء» حين أمره جبرئيل بالقراءة يريد ﷺ أنّ القراءة شأن من يكتب و يقرء وأنا اُمّيٌّ فقيل له : و ربّك الّذي أمرك بالقراءة مبتدئاً باسمه وهو الأكرم والزائد الكرم على كلّ كريم .

[الّذي علّم بالقلم] أي علّم ما علّم بواسطة القلم فكما علّم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلّمك بدونهما فوصف نفسه تعالى بخلق الإنسان من علق و بأنّه الّذي علّمه بالقلم،والمناسبة بين الأمرين أنّ أوّل أحوال الإنسان كونه علقة وشيئاً خسيساً وآخر أمره هو صيرورته عالماً و هو مقام شريف وليس هذا الكمال إلّا من قدرته تعالى شأنه وتنبيه على أنّ العلم أشرف الصفات ويبقى العلم بالخطّ و القلم و هو نعمة عظيمة ولولا القلم ما استقامت اُمور الدّين والدنيا .

قال كعب الأحبار : من وضع الكتاب آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة كتب بالعربيّ والسريانيّ كتبها في الطين ثمّ طبخه فاستخرج إدريس ما كتب آدم و هذا هو الأصحّ و أمّا أوّل من كتب الرمل فإدريس عليه السلام و أوّل من كتب بالفارسية طهمورث ثالث ملوك الفرس و أوّل من اتّخذ القرطاس يوسف عليه السلام .

قال السيوطيّ : أو ل ما خلق الله القلم قال له : اُكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، وأوّل ما كتب القلم : أنا التوّاب أتوب على من تاب .

[علّم الإنسان مالم يعلم] بدل اشتمال من « علّم بالقلم » و تعيّن للمفعول أي علّمه به و بدونه من الاُمور ما لم يكن يعلمه ولم يخطر بباله .

فإن قلت : فإذا كان القلم والخطّ من المنن الإلهيّة فما باله صلى الله عليه وآله لم يكتب؟ فالجواب أنّ هذا الأمر مزيد فضل له لا نقيصة لو فرضنا أنّه لم يكتب،وقد ورد في الحديث بخلافه أنّه صلى الله عليه وآله كان يكتب ويعرف سبعين لغة ولو صحّ أنّه لم يكتب ولم يقرء لأنّه لو كتب لقيل : قرء القرآن من صحف الأوّلين ولعلّ المراد من أنّه لم يكتب ولم يقرء أي ما تلمّذ في الدرس والكتابة عنداُستاذ وكيف يحتاج إلى الكتابة و الدراسة من كان القلم الأعلى يخدمه و اللوح المحفوظ مصحفه بل القلم الأعلى الّذي هو أوّل موجود يكون روح النبويّ فإنّ الله علّم القلوب بواسطة ما لم يعلم من العلوم التفصيليّة .

[كلّا إنّ الإنسان ليطغى] ردع ومنع لمن كفر بنعمة الله وإن لم يذكر،أو معناه حقّاً أنّ الإنسان يتجاوز حدّه و يستكبر على ربّه لأن رأى نفسه مستغنياً

بعشيرته وبماله ، قيل : نزلت في أبي جهل بن هشام من هنا إلى آخر السورة .

روي أنّ أباجهل قال لرسول‌الله : أتزعم أنّ من استغنى طغا؟ فاجعل لناجبال مكّة فضّة و ذهباً لعلّنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا و نتّبع دينك ، فنزل جبرئيل فقال : إن شئت فعلنا ذلك ثمّ إن لم يؤمنوا فعلنابهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكفّ رسول‌الله ﷺ عن الدعاء إبقاءً عليهم ورحمة ، وأوّل هذه السورة يدلّ على مدح العلم وآخرها على مذمّة المال و كفى بذلك مرغّباً في العلم و منفّراً عن المال والدنيا و كان ﷺ يقول : اللّهمّ إنّي أعوذ بك من غنىً يطغى وفقر ينسى .

[إنّ إلى ربّك الرجعى] الرجعى مصدر بمعنى الرجوع و الألف للتأنيث أي إنّ إلى مالك أمرك أيّها الإنسان رجوع الكلّ بالموت و البعث لا إلى غيره فسترى عاقبة طغيانك .

[أرأيت الّذي ينهى عبداً إذا صلّى] الخطاب لكلّ من يتأتّى منه الرؤية و الاستفهام للتعجّب والرؤية بصريّة وتنكير العبد للتفخيم ، روي أنّ أباجهل قال في ملأ من طغاة قريش: لئن رأيت محمّداً يصلّي لأطأنّ عنقه وهمّ أن يلقي على رأسه الشريف حجراً فرآه وهو في صلاة الظهر فجاءه ثمّ نكص على عقبيه فقالوا : مالك؟ فقال : إنّ بيني وبينه لخندقاً من ناروهولاً و أجنحة، والمراد أجنحة الملائكة،أبصر اللعين الأجنحة ولم يبصر أصحابها فقال ﷺ : و الّذي نفسي بيده لودنا منّي لاختطفته الملائكة عضواً عضواً . و كان أبوجهل يكنّى بأبي الحكم لأنّهم كانوا يزعمون أنّه عالم ذوحكمة و ذلك في الجاهليّة ثمّ سمّي أبا جهلاً في الإسلام .

وحاصل معنى الآية : أرأيت من منع من الصلاة ما ذا يكون حاله عندالله وما الّذي يستحقّه من العذاب؟فحذف لدلالة الكلام على المحذوف والآية عامّة في كلّ من ينهى عن الصلاة وعن الخير .

ثمّ كرّر سبحانه لفظة التعجيب تأكيداً فقال : [أرأيت إن كان على الهدى] يعني العبد المنهيّ عن الصلاة و هو محمّد ﷺ [أو أمر بالتقوى] عن الشرك و أمر

بالإخلاص و التوحيد و مخافة الله كيف يكون حال من ينهاه عن هذه الأمور و يزجره عنها .

و روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه خرج في يوم عيد فرأى ناساً يصلّون فقال يا أيّها الناس قد شهدنا رسول الله صلى الله عليه وآله في مثل هذا اليوم فلم يكن أحد يصلّي قبل العيد فقال رجل : يا أمير المؤمنين ألا تنهى أن يصلّوا قبل خروج الإمام ؟ فقال : لا أريد أن أنهى عبداً إذا صلّى ولكنّا نحدّثهم بما شهدنا من النبيّ صلى الله عليه وآله .

وقيل : في معنى قوله : « أرأيت إن كان على الهدى » يرجع ضمير كان إلى الكافر تلهّفاً عليه فمعنى الآية أنّه إذا كان و صار على الهدى و اشتغل بما ينفعه و يأمر بالتقوى أما كان ذلك خيراً له من الكفر بالله والنهي عن عبادة الله؟ كأنّه سبحانه تلهّف على ذلك الكافر بأنّه كيف فوّت على نفسه المراتب العالية وقنع بالدنيا و ارتكب الضلالة و اختارها على الهدى .

[أرأيت إن كذّب وتولّى] عن الإيمان و أعرض عن قبوله و الإصغاء إليه [ألم يعلم بأنّ الله يرى] جواب للشرط الثانية والتقدير أرأيت الّذي فعل التكذيب والإعراض ما الّذي يستحقّ بذلك من الله تعالى من العقاب، والآية عظة لجميع الناس وتهديد لمن يمنع عن الخير والطاعة، والآية وإن نزلت في أبي جهل لكن كلّ من نهى عن طاعة الله فهو شريك أبي جهل في هذا الوعيد .

[كلاّ] ردع للناهي عن عبادة الله [لئن لم تنته] اللاّم موطّئة للقسم أي والله لئن لم ينته عمّا هو عليه ولم ينزجر ولم يتب ولم يسلم قبل الموت [لنسفعاً بالناصية] أصله لسفعن بالخفيفة للتأكيد ونظيره[1] « وليكونأمن الصاغرين» كتب في المصحف بالألف على حكم الوقف فانّه يوقف على هذه النون بالألف تشبيهاً لها بالتنوين . والسفع الجذب والجرّ الشديد أي لنأخذنّ في الآخرة بناصيته ولنسحبنّه بها إلى النار بمعنى لنأمرنّ الزبانية ليأخذوا بناصيته ويجرّوه بالتحقير و الإهانة إلى النار وكانت العرب تأنف من جرّ الناصية ، والاكتفاء بلام العهد عن الإضافة لظهور أنّ

(١) سورة يوسف : ٣٢ .

المراد ناصية الناهي والمعرض،ولعلّ السبب في تخصيص السفع بالناصية لأنّ أباجهل اللعين كان شديد الاهتمام بترجيل الناصية وترتيبهاوتطييبها وقد وقع السفع للعين يوم بدرفي الدنيا قبل الآخرة .

روي أنّه لمّا نزلت سورة الرحمن قال النبيّ ﷺ : من يقرءها على رءساء قريش ؟فتثاقلوا فقام ابن مسعود ؛ قال : أنا فأجلسه ﷺ ثمّ قال ﷺ : ثانياً من يقرءها عليهم ؟ فلم يقم إلّا ابن مسعود و ما كان يومئذ عليّ حاضراً ثمّ قال : من يقرءها عليهم ؟ فقام ابن مسعودإلى أن أذن له و كان صلّى الله عليه وآله يبقي عليه ولا يأذنه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثّته ،ثمّ إنّه وصل إليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح عبدالله قراءة السورة فقام أبوجهل فلطمه فشقّ اُذنه وأدماها فانصرف ابن‌مسعود وعينه تدمع فلمّا رآه ﷺ رقّ قلبه و أطرق رأسه مغموماً فإذا جبرئيل جاء ضاحكاً مستبشراً فقال ﷺ : ياجبرئيل تضحك ويبكي ابن‌مسعود، فقال جبرئيل: سيعلم ، فلمّا ظفر المسلمون يوم بدرالتمس ابن مسعود أن يكون له حظّ في الجهاد فقال ﷺ : لابن مسعود خذ رمحك والتمس في الجرحى من الكافرين فمن كان له رمق فاقتله فإنّك تنال ثواب المجاهدين فأخذ يطالع القتلى فإذاً أبوجهل مصروع يخور فخاف عبدالله أن يكون به رمق فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه ثمّ لمّا عرف عجزه لم يقدر أن يصعد على صدره لضعفه وكان نحيفاً جدّاً فارتقى على صدر اللعين بحيلة فلمّا رآه أبو جهل قال له : يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقىً صعباً،فقال ابن‌مسعود : الإسلام يعلوولايعلى عليه ، فقال له أبوجهل : بلّغ صاحبك أنّه لم يكن أحدٌ أبغض إليّ منه في حال مماتي (رويأنّه ﷺ لمّاسمع ذلك قال: فرعوني أشدّ من فرعون موسى فإنّه قال : آمنت ، وهوقدزاد عتوّاً) ثمّ قال : ياابن مسعود هاك سيفي واقطع به لأنّه أحدّ و أقطع،فلمّا قطع رأسه لم يقدر على حمله فشقّ اُذنه وجعل الخيط فيها وجعل يجرّه إلى رسول الله وجبرئيل كان حاضراً عند رسول الله يضحك ويقول : يا محمّد اُذن باُذن لكنّ الرأس ههنا مع الاُذن مقطوع .

[ناصية كاذبة خاطئة] بدل من الناصية وإنّما جاز إبدال النكرة من المعرفة

لأنّها موصوفة،ووصف الناصية بالكذب و الخطاء على الإسناد المجازيّ والمراد صاحبها و في الكلام مبالغة في الكذب و الخطاء كأنّه من شدّة كذبه و كثرة خطائه ظاهر في ناصيته .

[فليدع ناديه] من الدعوة يعني أهل ناديه ومجلسه ليعينوه . والنادي المجلس الّذي يجتمعون و ينتدون فيه القوم . روي أنّ أباجهل مرّ برسول الله و هو يصلّي فقال : ألم تنهك؟فأغلظ له رسول الله فقال أبوجهل : أتهدّدني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً ؟ ودار الندوة بمكّة ، فنزلت :

[سندع الزبانية] أي ملائكة العذاب قال عليه السلام : لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً .وحذف الواو من غير قاعدة إلّا أنّه اجتمعت المصاحف العثمانيّة في حذف الواو من « سندع » و لعلّ السبب فيه للمشاكلة مع « فليدع » و قال ابن خالويه : إنّ الأصل سندعو بالواو غير أنّ الواو ساكنة فاستثقلتها اللام الساكنة فسقطت الواو في المصحف من سندع و «يدع الإنسان»[1] و«يمح الله الباطل»[2] و كذلك الياء من «واد النمل»[3] و «إنّ الله لهاد الّذين آمنوا»[4] » والزبانية في الأصل في كلام العرب الشرط كصرد جمع شرطة بضمّ الشين وهم أعوان الولاة سمّوا بذلك لأنّهم أعلموا وعرّفوا أنفسهم بعلامات يُعرفون بها ، والأشراط العلائم و الواحد زبنية من الزبن كالضرب و هو الدفع لأنّهم يدفعون الكفّار ويزبنونهم في جهنّم بدفع شديد وقيل : الواحد زبني .

[كلّا] ردع بعد ردع للناهي المذكور [لاتطعه] أي دُم على صلاتك ومعاصاة ذلك الناهي الكاذب الخاطيء [واسجد واقترب] و واظب سجودك غير مكترث به و تقرّب بذلك السجود إلى ربّك،وفي الحديث :أقرب ما يكون العبد من ربّه إذا سجد فأكثروا من الدعاء في السجود .

روي أنّ إبراهيم الخليل عليه السلام أضاف يوماً مائتي مجوسيّ فلمّا أكلوا قالوا:

---

(١) سورة الاسراء ، ١١ .
(٢) « الشورى ، ٢٤ .
(٣) « النمل ، ١٨ .
(٤) « الحج ، ٥٤ .

مرنا يا إبراهيم قال : إنّ لي إليكم حاجة فقالوا : ماحاجتك؟قال : اسجدوا لربّي سجدةواحدة فتشاوروا فيما بينهم فقالوا : إنّ هذا الرجل قد صنع معروفاً كثيراً فلو سجدنا لربّه ثمّ رجعنا إلى آلهتنا لايضرّنا بشيء ، فسجدوا جميعاً فلمّا وضعوارؤوسهم على الأرض ناجى إبراهيم ربّه فقال : إنّي جهدت جهدي حتّى حملتهم على هذا ولا طاقة لي على غيره و إنّما التوفيق منك اللّهمّ زيّن صدورهم بالإسلام ، فلمّا رفعوا رؤوسهم من السجود أسلموا .

وللسجدة أقسام : سجدة الصلاة وسجدة التلاوة مثل هذه الآية ، وسجدة السهو، وسجدة التعظيم لجلال الله ، وسجدة التضرّع إليه خوفاً وطمعاً ، وسجدة الشكر وسجدة المناجاة . و هذه ـ ماعدا الثلاثة الأول ـ مستحبّة صادرة عن الملائكة و الأنبياء والأولياء وقيل : إنّه صلى الله عليه وآله قرأ في سجدة اقرء : «أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك »

تمّت السورة بعون الله

سورة القدر

(مكية)

و قيل : مدنيّة .

عن النبيّ صلى الله عليه وآله مَن قرأها أُعطي من الأجر كمن صام رمضان و أحيا ليلة القدر و عن أبي عبدالله عليه السلام مَن قرأها في فريضة من الفرائض نادى مناد يا عبدالله قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل . وعن أبي جعفر عليه السلام قال : مَن قرأها بجهر كان كشاهر سيفه في سبيل الله و مَن قرأها سرّاً كان كالمتشحّط بدمه في سبيل الله و مَن قرأها عشر مرّات محاالله ألف ذنب من ذنوبه .

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر(١)و ما ادريك ما ليلة القدر(٢)ليلة القدر خير من الف شهر(٣)تنزل الملائكة و الروح فيها باذن ربهم من كل امر(٤)سلام هي حتى مطلع الفجر(٥) .

النون نون العظمة أوللدلالةعلى الذات والصفات والأسماء ، والضمير للقرآن لأنّ شهرته تقوم مقام تصريحه وذكره ، فكأنّه حاضر في الأذهان وأسندإنزاله إلى جنابه مع أنّ نزوله إنّما يكون بواسطة جبرئيل على طريقة القصر بتقديم الفاعل المعنويّ فاكتفى بذكر الأصل عن ذكر التبع . ومعنى صيغة الماضي أنّا حكمنا بإنزاله في ليلة القدر و قدّرناه في الأزل .

فلو قيل : إنّ الإنزال يستعمل في الدفعيّ و القرآن لم ينزل جملة واحدة بل أُنزل مفترقاً في ثلاث وعشرين سنة .

جوابه أنّ المراد أنّ جبرئيل نزل به جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة في السماء الدنيا و أملاه على السفرة أي الملائكة الكاتبين في تلك السماء ثمّ كان ينزل على النبيّ ﷺ منجّماً على حسب الحاجة والمصالح و كان ابتداء تنزيله أيضاً في تلك الليلة .

وفيه إشارة إلى أنّ بيت العزّة أشرف المقامات السماويّة بعد اللّوح المحفوظ لنزول القرآن منه إليه ولذلك قالوا بفضل السماء الدنيا الأُولى على أخواتها لأنّها مقرّ الوحي الإلهيّ و لشرف المكان بالمكين فالمكان الشريف يزداد شرفاً بالمكين الشريف،وفي التدريج تسهيل العمل به و الحفظ و تثبيت للفؤاد . و كلام الله المنزل قسمان:القرآن والخبر القدسيّ لأنّ جبرئيل كان ينزل بالسنّة كما ينزل بالقرآن ومن هنا جاز رواية السنّة بالمعنى لأنّ جبرئيل أدّاها بالمعنى ، ولم يجز القرآن

بالمعنى لأن جبرئيل أدّاه باللفظ ، و السرّ في ذلك التعبّد بلفظه و الاعجاز به و بخصوصيّاته فانّه لايقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه من الاعجاز لفظاً ومن الأسرار معنىً فكيف يقوم لفظ الغير و معناه مقام حرف القرآن و معناه .

فان قيل : ما السبب أنّ الملائكة بأسرهم صعقوا ليلة نزول القرآن من حضرة اللّوح المحفوظ إلى حضرة بيت العزّة ؟ السبب أنّ محمّداً وقرآنه عندهم من أشراط القيامة فنزوله دلّ على قيام الساعة فصعقوا هيبةً منه وإجلالاً لكلامه وحضرة وعده ووعيده .

[في ليلة القدر] وإنّما سمّيت بليلة القدر قيل : لأنّه اُنزل فيها كتاب ذو قدر إلى رسول ذي قدر لأجل اُمّة ذي قدر على يد ملك ذي قدر أو لأنّ الله قدّر فيها بما يكون في السنة بأجمعها من الأمور ،وقيل : لأنّه من لم يكن ذا قدر إذا أحياها صار ذا قدر أو لأنّ للطاعات فيها قدراً عظيماً وثواباً جزيلاً و قيل : سمّيت بذلك لتضييق فيها بالملائكة من قوله [1] : « ومن قدرعليه رزقه» .

ولعلّ الحكمة في إنزال القرآن ليلاً لأنّ أكثر الكرامات ونزول النفحات والاسراء إلى السماوات كان في اللّيل،واللّيل من الجنّة لأنّها محلّ الاستراحة،والنهار من النار والحركة والحرارة والتعب وفيه سعي المعاش وتعب المشاغل ، والليل حظّ الفراش والوصال،وعبادة الليل أفضل من عبادة النهار وقلب الانسان أفرغ للعبادة ، وقد مرّ بيان ليلة القدر في سورة الدخان وعند الأكثر أنّها واقعة في العشر الأواخر من رمضان في أوتارها .

[وما أدراك ماليلة القدر] أي و أيّ شيء أعلمك يامحمّد ماهي وما كنهها لأنّ قدرها وعلوّها خارج عن دائرة دراية الخلق وهو تعظيم للوقت الّذي اُنزل فيه فمن بعض فضل ذلك الوقت أنّه يرتفع سؤال القبر عمّن مات فيها .

[ليلة القدر] عبادتها وقيامها [خير من ألف شهر] صيامها وقيامها ليس فيها ليلة القدر حتّى لايلزم تفضيل الشيء على نفسه و «خير» في الآية للتفضيل أي أفضل

(١) سورة الطلاق : ٧ .

وأعظم قدراً من تلك المدّة وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر .

وفي الحديث من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ،ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر لهما تقدّم من ذنبه وما تأخّر . ومعنى إيماناً واحتساباً أي بنيّة وعزيمة طيّبة به نفسه غير كارهة له ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيّامه بل يغتنمّ طول أيّامه لعظم الثواب لكن قال بعض المحقّقين : المراد من قوله «غفر الله ماتقدّم من ذنبه» الصغائر ،وزاد بعضهم: وإذا لم يصادف صغيرة يخفّف عن الكبائر والمراد من قوله: «وما تأخّر» كناية عن حفظهم من ارتكاب الكبائر بعد ذلك أو أن تقع ذنوبهم مغفورة .

وقال بعض : إنّ ليلة القدر ليلة الآخرة من رمضان و استدلّ بقوله ﷺ : «إنّ الله تعالى في كلّ ليلة من شهر رمضان أعتق ألف ألف عتيق من النار عند الإفطار كلّهم استوجبوا العذاب فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق الله في تلك الليلة بعدد من أعتق من أوّل الشهر إلى آخره . والليلة الأولى للصائمين كمن ولد له ذكر فهي ليلة شكر والليلة الأخيرة ليلة الفراق كمن مات له ولد فهي ليلة صبر و فراق وفرق بين الشكر والصبر» وكان ﷺ ليلة الأخيرة من رمضان يكثر من قوله : «اللّهمّ إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّي اللّهمّ إنّي أسألك العفو و العافية و المعافاة في الدين والدّنيا والآخرة » .

قال ابن عبّاس : إنّ الله يقدّر في ليلة القدر من تلك السنة من مطر و رزق وإحياء وإماتة إلى غيرها من السنة الآتية فيسلّمه إلى مدبّرات الأمور من الملائكة فيدفع نسخة الأرزاق والنباتات و الأمطار إلى ميكائيل و نسخة الحروب و الرياح والزلازل والصواعق و الخسف إلى جبرئيل و نسخة الأعمال إلى إسرافيل و نسخة المصائب إلى ملك الموت .

فكم من فتى يمسي ويصبح آمناً ☆ وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من عروس زيّنوها لزوجها ☆ وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

وقيل : إنّه ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل اسمه شمسون لبس السلاح في

سبيل الله ألف شهر فتعجّب المؤمنون منه وتقاصرت إليهم أعمالهم فأُعطوا الليلة هي خير من مدّة ذلك الغازي . وقيل : رأى النبيّ أعمار الأُمم كافّة فاستقصر أعمار أمّته فخاف أن لايبلغوا من العمل مثل مابلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعل عبادتها خيراً من ألف شهر لم يكن فيها ليلة القدر . وقيل : كان ملك سليمان مدّة خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل العمل في هذه لمن أدركها خيراً من ملكهما .

وروي عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال حين عوتب في تسليمه الأمر لمعاوية: إنّ الله أرى نبيّه صلى الله عليه وآله في المنام أنّ بني أُميّة ينزون على منبره نزو القردة فاغتمّ لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهي خيرٌ له ولذرّيّته من ألف شهر وهي مدّة ملك بني أُميّة و أعلمه أنّهم يملكون أمر الناس هذا القدر من الزمان .

وقيل ـ والقول ضعيف ـ : إنّ فضلها كان لنزول القرآن وانقطعت فكانت مرّة لكن الجمهور على أنّها باقية آتية في كلّ سنة فضلاً من الله تعالى. قال بعض الأكابر من أهل الليل: من قرأ كلّ ليلة عشر آيات على تلك النيّة لم يحرم ثوابها وأقلّ صلاة ليلة القدر ركعتان وأوسطها مائة ركعة وأكثرها ألف ركعة .

[تنزّل الملائكة والروح فيها] استيناف مبيّن ومقرّر لماله فضّلت على ألف شهر. و«تنزّل» بحذف إحدى التاءين ، وقد سبق معنى الروح في سورة النبأ وهو ملك عظيم لو التقم السماوات والأرضين كانت له لقمة واحدة و هو في المحشر يقف صفّاً وتمام الخلق من الملائكة وغيرهم صفّاً وله ألف رأس كلّ رأس أعظم من الدنيا وفي كلّ رأس ألف وجه وفي كلّ وجه ألف فم وفي كلّ فم ألف لسان يسبّح الله بكلّ لسان ألف نوع من التسبيح و التحميد لكلّ لسان لغة لا تشبه الأُخرى، فاذا فتح أفواهه بالتسبيح خرّ كلّ ملائكة السماوات سجّداً مخافة أن يحرقهم نور أفواهه وهو يسبّح الله غدوة وعشيّة فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله بتلك الأفواه كلّها إلى طلوع الفجر .

وقيل : الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلّا ليلة القدر كالزهّاد

الّذين لاتراهم إلّا يوم العيد . وقيل : المراد عيسى عليه السلام لأنّه اسمه فانّ اسم عيسى الروح وينزل في مرافقة الملائكة ليطالع أُمّة محمد . وقيل : المراد من الروح جبرئيل وإنّما خصّ بالذكر لشرافته في أمانة الوحي . وقيل : المراد بالروح الوحي كما قال[1]: « و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » أي تنزّل الملائكة و معهم الوحي بتقدير الخيرات والأُمور في تلك الليلة .

[بإذن ربّهم] متعلّق بقوله : «تنزّل» أي بأمره تعالى [من كلّ أمر] متعلّق بقوله : « تنزّل » أي من أجل كلّ أمر قدّر في تلك السنة [سلام هي حتّى مطلع الفجر] سلام خبر قُدّم لإفادة الحصر مثل «تميميّ أنا» أي ماهي إلّا سلامة و كلّ ما ينزل في هذه الليلة لايستطيع الشيطان فيه سوءاً و كلّها خير ، و الليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة للمبالغة في اشتمالها عليها أو المعنى ماهي إلّا سلام لكثرة مايسلّمون على المؤمنين فيها . وفي الحديث «ينزل جبرئيل ليلة القدر في كبكبة من الملائكة متضامّة يصلّون ويسلّمون على كلّ عبد قائم أو قاعد يذكر الله حتّى طلوع الفجر - أي حتّى وقت طلوعه و المضاف مقدّر- ثمّ يصعدون إلى السماء » .

قيل : علامة ليلة القدر أنّها ليلة لا حارّة ولا باردة و يطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها لأنّ الملائكة تصعد إلى السماء فيمنع صعودها و كثرتها انتشار شعاع الشمس .

تمّت السورة بعون الله

---

(١) سورة الشورى : ٥٢ .

سورة البينة

(قيل : مكية و قيل: مدنية)

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ : لو يعلم الناس ما في «لم يكن» لعطّلوا الأهل والمال وتعلّموها، وقال رجل من خزاعة : ما فيها من الأجر يا رسول الله؟ فقال: لا يقرؤها منافق أبداً ولا يقرؤها عبد في قلبه شكّ في الله وإنّ الملائكة المقرّبين ليقرؤونها منذ خلق السماوات والأرض لا يفترون من قراءتها ، وما من عبد يقرؤها بليل إلّا بعث الله ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له بالمغفرة فإنّ من قرأها نهاراً اُعطي عليها من الثواب مثل ما أضاء عليها النهار و أظلم عليها الليل فقال رجل من قيس عيلان : زدنا يا رسول الله من هذا الحديث فداك أبي فقال ﷺ : تعلّموا « عمّ يتساءلون » و « ق والقرآن » وتعلّموا « والسماء ذات البروج » و تعلّموا « و السماء والطارق » فإنّكم لو تعلمون ما فيهنّ لعطّلتم ما أنتم فيه وتقرّبتم بهنّ إلى الله و أنّ الله يغفر بهنّ كلّ ذنب إلّا الشرك بالله ، و اعلموا أنّ «تبارك الّذي بيده الملك» يجادل عن صاحبها يوم القيامة وتستغفر له من الذنوب .

أبو بكر الحضرميّ عن أبي جعفر عليه السلام قال : من قرأ سورة «لم يكن» كان بريئاً من الشرك و اُدخل في دين محمّد وبعثه الله مؤمناً وحاسبه الله حساباً يسيراً .

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة(١)رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة(٢)فيها كتب قيمة(٣)و ما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جائتهم البينة(٤)وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقموا الصلاة و يؤتوا الزكوة و ذلك دين القيمة(٥)ان الذين كفروا من اهل الكتاب و المشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية(٦)ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك هم خير البرية(٧)جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه(٨).

[لم يكن] الكفّار من أهل الكتاب من اليهود والنصارى و « من » للتبيين لا للتبعيض [و]من [المشركين] الّذين هم عبدة الأوثان وهم الّذين ليس لهم كتاب من العرب و غير العرب [فنفكّين] و زائلين و منفصلين عن كفرهم و شركهم [حتّى تأتيهم البيّنة] اللفظ لفظ الاستقبال ومعناه المضيّ مثل قوله[1] : «ماتتلو الشياطين» أي ماتلت الشياطين،وحاصل المعنى أنّ الكفّار والمشركين لم ينتهوا عن كفرهم و ضلالهم حتّى أتاهم محمّد فبيّن لهم ضلالهم عن الحقّ . و المراد من « البيّنة » النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من البينونيّة فإنّ البيّنة تميز ويفرق الحقّ من الباطل ويجعل بينهما بوناً ، وقوله : « رسول من الله » بدل من البيّنة أو عطف بيان وتفسير لها وقيل : المعنى لم يكونوا متروكين ومنفصلين من حجج الله حتّى أتتهم البيّنة الّتي تقوم بها الحجّة عليهم .

[يتلو عليهم] صفة اُخرى للرسول صلّى الله عليه وآله [صحفاً]الصحف جمع الصحيفة وهي

---

(١) سورة البقرة : ١٠٢ .

ظرف المكتوب [مطهّرة] أي منزّهة من الباطل ولا يمسّها إلّا الملائكة المطهّرون ونسبة التلاوة إلى الصحف عبارة عمّا فيها بعلاقة الحلول والمراد أنّه ﷺ يتلو عليهم القرآن لأنّ القرآن مصدّق لصحف الأوّلين ومطابق لها في أصول الشرائع فإذا كان كذلك فإذا تلي عليهم القرآن تلي صحف الأوّلين فدعاهم ﷺ إلى التوحيد والإيمان .

[فيها كتب قيّمة] صفة لصحف أي في تلك الصحف أمور مكتوبة مستقيمة ناطقة بالحقّ والصواب غير ذات عوج وقيل : المعنى : في سور القرآن كتب مستقيمة يشتمل على أنواع من العلوم كلّ نوع كتاب في فرائض الله وإنّ في القرآن مجمع ثمرة كتب الله المتقدّمة .

[وما تفرّق الّذين أوتوا الكتاب] أي و ما اختلف هؤلاء الكفّار من أهل الكتاب في أمر محمّد [إلّا من بعد ماجاءتهم البيّنة] بعد ماجاءتهم البشارة في كتبهم و على ألسنة رسلهم فكانت الحجّة قائمة عليهم و قيل : المعنى و لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمّد وينتظرونه حتّى بعثه الله فلمّا بعث تفرّقوا في أمره واختلفوا فآمن به بعض و كفر آخرون و إفراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وأنّهم لمّا تفرّقوا مع علمهم كان غيرهم أولى بذلك فخصّوا بالذكر لأنّ إنكار العالم أقبح من إنكار الجاهل مع أنّ المشركين قد تمّت عليهم الحجّة وبلغهم هذا الأمر ممّن تقدّمهم من أهل العلم منهم .

[وما أمروا إلّا ليعبدوا الله] جملة حاليّة مفيدة لغاية قبح مافعلوا أي ما أمروا في كتبهم ولم يأمرهم إلّا لأن يعبدوا الله وحده ولا يشركون بعبادته فهذا ممّا لا اختلاف فيه من قبل ولا من بعد ولا تبدّل فيه . و « اللام » عندنا و عند المعتزلة لام الغرض لكنّ الغرض نفعه راجع إلينا وهو مستغن عن كلّ شيء ونفع .

[مخلصين له الدين] حال من فاعل في « ليعبدوا » أي جاعلين عبادتهم خالصة لله في الدين من غير تشريك ويكون لداعية واحدة وهو وجه الله .

[حنفاء] مائلين عن الشرك والأديان الباطلة مؤمنين بالرسل والملّة الحنيفة الشريفة المستقيمة المائلة إلى الحقّ ، وأصله الميل ومن ذلك الأحنف المائل القدم

إلى جهة القدم الأُخرى و قيل : أصله الاستقامة و إنّما قيل « المائل القدم» أحنف تفاؤلاً ، وبالجملة قوله : « حنفاء » تأكيد لقوله : « مخلصين » فإذا كان بمعنى الميل فمعناه مائلين عن جميع العقائد الفاسدة الزائغة إلى الإسلام وإذاكان بمعنى الاستقامة فالمعنى واضح ، قال ابن جبير : لا يسمّى أحد حنيفاً حتّى يحجّ و يختن لأنّ الله وصف إبراهيم عليه السلام بكونه حنيفاً وأنّه حجّ وختن نفسه ، وقيل : الحنيفة الختان وتحريم البنات والأخوات والأُمّهات والخالات وإقامة المناسك و إقامة الصلاة وأداء الزكاة وأداء مافرض عليه .

[و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و ذلك دين القيّمة] فذكر سبحانه الصلاة الّتي هي العمدة في باب العبادات البدنيّة و الزكاة الّتي هي أساس العبادات الماليّة و « ذلك » إشارة إلى ما ذكر من عبادة الله بالإخلاص وإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة « دين القيّمة » أي دين الملّة المحكمة و أضاف الدين إلى « القيّمة » و هي نعته لاختلاف اللفظين و قد حصل التغاير فإضافة الشيء إلى نعته في كلام العرب كثير مثل قوله[1] : « والدار الآخرة » وفي موضع آخر [2] « و للدار الآخرة » و الدار هي الآخرة وعذاب الحريق و كذلك مسجد الجامع .

ولمّا كان بعض أهل الأديان بالغوا في باب الأعمال من غير إحكام أُصولهم كاليهود والنصارى وبعض الرهبانيّة والمجوس وبعضهم حصّلوا الأُصول وأهملوا الفروع وهم المرجئة الّذين يقولون : لاتضرّ المعصية مع الإيمان، فالله خطّأ الفريقين في هذه الآية و بيّن أنّه لا بدّ من العلم و العمل مع الإخلاص و ذلك المجموع كلّه هو الملّة المستقيمة فكما أنّ مجموع الأعضاء بدن واحد كذلك هذا المجموع دين واحد .

[إنّ الّذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين في نارجهنّم] بيان لحالهم الأُخرويّ وذكر المشركين لئلاّ يتوهّم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص علم أهل الكتاب بشواهد النبوّة في كتابهم [خالدين فيها] مؤبّدين لأجل كفرهم

(١) سورة الانعام : ١٦٨ .
(٢) سورة الاعراف : ٣٢ .

والحكم للفريقين لاينا في تفاوت عذابهم في الكيفيّة فإنّ جهنّم دركات .

[أُولئك] المذكورون [هم شرّ البريّة] البريّة جميع الخلق لأنّ الله برأهم و أوجدهم بعد العدم أي هم شرّ الخليقة أعمالاً و تقديم ضمير الفصل لإفادة الحصر كيف لاوهم شرّ من السرّاق لأنّهم سرقوا من كتاب الله نعوت النبيّ ﷺ و شرّ من قطّاع الطريق لأنّهم قطعوا الدّين الحقّ على الحقّ وشرّ من الجهّال الفسقة الأجلاف الّذين يرتكبون المعاصي لأنّ الكفر مع العلم يكون كفر عناد فيكون أقبح من كفر الجهّال .

[إنّ الّذين آمنوا و عملوا الصالحات] ومعلوم أنّ كلّ مكلّف ليس مكلّفاً بجميع الأعمال بل لكلّ منهم حظّ فحظّ الغنيّ الإعطاء و الإنفاق والحجّ وأمثاله و حظّ الفقير القناعة والصبر وهكذا [أُولئك] المنعوتون من الإيمان و الطاعة [هم خير البريّة] واستدلّ بالآية على أنّ البشر أفضل من الملك لظهور أنّ المراد بقوله « إنّ الّذين آمنوا » هو البشر . والبريّة يشمل الملك والجنّ .

[جزاؤهم عند ربّهم] بمقابلة إيمانهم و طاعاتهم دخول [جنّات عدن] قال ابن مسعود : عدن بطنان الجنّة و وسطها [تجري من تحتها الأنهار] وجريان أنهار الجنّة بغير أُخدود ، والألف و اللام في « الأنهار » للتعريف منصرفة إلى الأنهار الأربعة المذكورة في القرآن فكما أنّ طاعة العبد كانت حاصلة و جارية مادام كان حيّاً فكذلك الأنهار الأربعة جارية له إلى أبد الآباد و كذلك يقتضي معاملة الكريم [خالدين فيها أبداً] متنعّمين بفنون النعم .

[رضي الله عنهم] استيناف مبيّن لما يتفضّل به عليهم وهو جنّة روح المؤمن لأنّ رضى الربّ ألذّ من كلّ نعمة لروح المؤمن [ورضوا عنه] حيث بلغوا من النعم الغاية القصوى و أُعطوا مالا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [ذلك لمن خشي ربّه] إشارة إلى المذكور من الجزاء والرضوان كما قال[1] : « ولمن خاف مقام ربّه جنّتان» .

(١) سورة الرحمن : ٤٦ .

و روي في شواهد التنزيل للحاكم أبي القاسم الحسكاني قال : أخبرنا أبوعبدالله الحافظ بالإسناد المرفوع إلى يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب عليّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : سمعت عليّاً يقول : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله و أنا مسنده إلى صدري فقال صلى الله عليه وآله : يا عليّ ألم تسمع قول الله تعالى : « إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اُولئك هم خير البريّة » هم شيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا اجتمعت الاُمم للحساب يدعون غرّاً محجّلين. وفيه عن مقاتل بن سليمان عن الضحّاك عن ابن عبّاس في قوله « هم خير البريّة » قال :

نزلت في عليّ و أهل بيته عليهم السلام .

تمّت السورة بعون الله .

سورة اذا زلزلت

(مدنية)

عن ابن عبّاس وقتادة وعن الضحّاك وعطا أنّهامكيّة . من قرأها كأنّما قرأ البقرة وأُعطي من الأجر كمن قرأ ربع القرآن . المناسبة بين السورة المتقدّمة و هذه السورة أنّه تعالى لمّا قال : « جزاؤهم عند ربّهم » فكأنّ المكلّف قال : ومتى يكون ذلك يارب؟ فقال : « إذا زلزلت الأرض » لأنّه لاسبيل إلى تعين وقته لعدم المصلحة ولكن أُبيّن علاماته .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اذا زلزلت الارض زلزالها (١) و أخرجت الارض أثقالها (٢) وقال الانسان مالها (٣) يومئذ تحدث اخبارها (٤) بان ربك اوحى لها (٥) يومئذ يصدر الناس اشتاتاً ليروا اعمالهم (٦) فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره (٧) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره (٨) .

[إذ] حرّكت [الأرض] تحريكاً عنيفاً شديداً لا غاية و راءه [زلزالها] الموعود به و الزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر، وفعلال لا يوجد إلّا في المضاعف [وأخرجت الأرض أثقالها] أي الثقلين أي و أخرجت موتاها المدفونة فيها تخرجها أحياءً للجزاء ، وقيل : إخراجها من الكنوز ومعادنها فتلقيها على ظهرها ليراها أهل الموقف ويكون الفائدة أن يتحسّروا العصاة وأهل الدنيا إذا نظروا إليها لأنّهم عصوا الله فيها ثمّ تركوها لاتغني عنهم شيئاً ، وأيضاً فانّه تكوى بها جباههم و ظهورهم فحينئذ المراد من الأثقال الموتى و كنوز الأرض لكنّ الكنوز عند زلزال نفخة الأولى والأموات عند النفخة الثانية و في الخبر « تفيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب والفضّة فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت ويجيء القاطع رحمه فيقول : في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق ويقول : في هذا قطعت يدي » . قيل : يمتلىء وجه الأرض ذهباً ، كأنّ الذهب يصيح: أما كنت تخرب دينك و دنياك لأجلي ؟!

[وقال الانسان مالها] كلّ فرد من أفراده لما يغشاهم من الأهوال « مالها » أي أيّ شيء للأرض زلزلت هذه الزلزلة الشديدة؟ استعظاماً لما يشاهده من الأمر الهائل لكن المؤمن يقول بعد الإفاقة [1] « هذا ماوعد الرحمن و صدق المرسلون » و الكافر يقول: « يا ويلنا مَن بعثنا من مرقدنا » .

---

(١) سورة يس ، ٥٢ .

[يومئذ] بدل من « إذا » [تحدّث أخبارها] أي تخبر الأرض ذلك اليوم ما عمل عليها قال النبيّ : أخبارها أن تشهد على كلّ عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول : عمل كذا و كذا يوم كذا و كذا فيجوز أن يكون الله أحدث الكلام فيها فتقدر على النطق و يجوز أن يظهر فيها ما يقوم مقام النطق فعبّر عنه بالكلام كما يقال : عيناك تشهدان بسهرك .

روي أنّ أبا اُميّة صلّى في المسجد الحرام المكتوبة ثمّ تقدّم فجعل يصلّي ههنا وههنا فلمّا فرغ قيل له : يا با اُميّة ماهذا الّذي تصنع؟قال : قرأت هذه الآية « يومئذ تحدّث أخبارها » فأردت أن تشهد لي يوم القيامة. فطوبى لمن شهد له المكان بالذكر والتلاوة والصلاة و نحوها ، وويل لمن شهد عليه بالزنى والشرب والسرقة و المساوي وإنّ لله على الإنسان سبعة شهود: المكان كما قال : « يومئذ تحدّث أخبارها » والزمان كما في الخبر « ينادي كلّ يوم: أنا يوم جديد، وأنا على ما تعمل فيّ شهيد» واللسان كما قال[1] : «يوم تشهد عليهم ألسنتهم » و الأركان كما قال تعالى[2] : « وتكلّمنا أيديهم و تشهد أرجلهم » و الملكان كما قال [3]: «وإنّ عليكم لحافظين » والديوان كما قال[4] : « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ » و الرحمن كما قال [5] : « إنّا كنّا عليكم شهوداً » فكيف يكون حال العاصي بعد ماشهد عليه هؤلاء الشهود و كان عليّ عليه السلام إذا فرغ بيت المال صلّى فيه ركعتين ويقول : لتشهدي إنّي ملأتك بحقّ وفرغتك بحقّ.

[بأنّ ربّك أوحى لها] أي تحدّث الأرض أخبارها بسبب إيحاء ربّك لها وأمره إيّاها بالتحديث .

[يومئذ يصدر الناس] أي يوم إذ يقع ما ذكر « يصدر الناس » وهو قيامهم

---

(١) سورة النور : ٢٤ .
(٢) « يس : ٦٥ .
(٣) « الانفطار : ١٠ .
(٤) « الجاثية : ٢٨ .
(٥) « يونس : ٦١ .

ورجوعهم بعد الورود للبعث [أشتاتاً] أي متفرّقين في النظام أي حال كونهم متفرّقين مؤمنين وكافرين ومنافقين ومختلفة الزيّ : بيض الوجوه والثياب آمنين ينادي المنادي بين يديه : هذا وليّ الله ، وسود الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والأغلال فزعين ينادي المنادي بين يديه : هذا عدوّ الله .

وعن ابن عبّاس أنّ جبرئيل جاء إلى النبيّ يوماً فقال : يا محمّد إنّ ربّك يقرءك السلام ويقول : مالي أراك مغموماً حزيناً وهو أعلم به فقال ﷺ : يا جبرئيل قد طال فكري في أمر أمّتي يوم القيامة قال : يا محمّد في أمر أهل الكفر أم في أمر أهل الايمان؟ قال : يا جبرئيل لابل في أمر أهل الايمان وأهل لا إله إلّا الله قال : فأخذ بيده وأقامه على مقبرة بني سلمة فضرب بجناحه الأيمن على قبر ميّت فقال : قم باذن الله فقام رجل مبيضّ الوجه وهو يقول : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله الحمد لله ربّ العالمين ، فقال له جبرئيل : عد فعاد كما كان ثمّ ضرب بجناحه الأيسر على قبر ميّت فقال : قم باذن الله فخرج رجل مسودّ الوجه أزرق العين وهو يقول : واحسرتاه واسوأتاه ، فقال له : عد فعاد كما كان ثمّ قال جبرئيل : هكذا يبعثون يوم القيامة على ماما توا عليه .

أقول : وكان ذلك في أوائل الأمر حيث لم يتعيّن الوصيّ بعد للناس ولم يتعيّن ولاية أمير المؤمنين ظاهراً وإلّا فالاقرار بالولاية من شروط تحقّق الايمان وبدونها لا ينفع كما في الحديث القدسيّ : «ولو أنّ عبداً عبدني وصام عمر الدهر وقام وعبد حتّى صار كالشنّ البالي وأتاني غير موال لعليّ بن أبي طالب أكبّه على منخريه في النار» .

[ليروا أعمالهم] أي جزاء أعمالهم عن ابن عبّاس وقيل : معنى الرؤية هنا المعرفة بالأعمال عند تلك الأحوال أو يروا صحائف أعمالهم فيقرؤون مافيها[1] «لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها» ويجوز أن يكون للأعمال صور نورانيّة وظلمانيّة فيكون الرؤية حقيقة .

---

(١) سورة الكهف : ١٨ .

[فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره] و المثقال مقدار الوزن ، و الذرّة النملة الصغيرة أوما يرى في شعاع الشمس من الهباء فمن يعمل مثقال ذرّة من الخير يرَ ثوابه و جزاءه ومن يعمل وزن ذرّة من الشرّ يرَ ما يستحقّ عليه من العقاب إذا كان ممّا لم يعفه الله ، فإنّ التائب معفوّ عنه بلاخلاف و قيل : معناه فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً وهو كافر يرَ ثوابه و أجره في الدنيا في نفسه و ولده و ماله حتّى يخرج من الدنيا و ليس له عندالله خير و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً و هو مؤمن يرَ عقوبته في الدنيا في نفسه و أهله و ماله حتّى يخرج من الدنيا و ليس له عندالله شرّ و عقوبة .

قال مقاتل : فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره يوم القيامة في كتابه يتفرّح به و كذلك من الشرّ يره في كتابه فيسوؤه ذلك ، قال : و كان أحدهم يستقلّ أن يعطي اليسير و يقول : إنّما نوجر على ما نعطي و نحن نحبّه و ليس اليسير ممّا نحبّه و كان يقول أحدهم : إنّما وعدالله النار على الكبائر ويتها ونون بالصغائر فأنزل الله هذه الآية يرغّبهم في القليل من الخير ويحذّرهم من اليسير عن الشرّ قال ابن عبّاس : إنّها أحكم آية في القرآن و سمّيت بالجامعة .

و عن أبي عثمان المازنيّ عن أبي عبيدة قال : قدم صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق على رسول الله في وفد من بني تميم فقال : بأبي أنت و أُمّي يا رسول الله أوصني خيراً فقال : أُوصيك بأُمّك و أبيك و دانيك قال : زدني قال صلّى الله عليه وآله : احفظ ما بين لحييك و رجليك الحديث .

وفي رواية أنّه سمع «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره » فقال : حسبي ما أُبالي لا أسمع من القرآن غير هذا . تمّت السورة بعون الله .

سورة العاديات

۞(قيل مكية ، و قيل مدنية)۞

عن النبيّ ﷺ ومن قرأها اُعطي من الأجر بعدد من بات بالمزدلفة .
و عن الصادق عليه السلام : ومن قرأها وأدمن قراءتها بعثه الله مع أمير المؤمنين يوم القيامة و كان من رفقائه .

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحاً (١) فالموريات قدحاً (٢) فالمغيرات صبحاً (٣) فاثرن به نقعاً (٤) فوسطن به جمعاً (٥) ان الانسان لربه لكنود (٦) وانه على ذلك لشهيد (٧) وانه لحب الخير لشديد (٨) افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور (٩) وحصل ما في الصدور (١٠) ان ربهم بهم يومئذ لخبير (١١).

[والعاديات] جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو و ياؤها مقلوبة عن الواو لكسرة ما قبلها أقسم سبحانه بخيل الغزاة الّتي تعدو نحو العدوّ [ضبحاً] مصدر منصوب إمّا بفعله المحذوف أي حالكونها تضبح ضبحاً وهو صوت أنفاسها عند عدوها وإمّا بالعاديات فإنّ العدو مستلزم للضبح .

[فالموريات قدحاً] الإيراء إخراج النار والقدح الضرب فإنّ الخيل تضربن بحوافرهنّ وسنابكهنّ الحجارة فيخرجن منها ناراً يقال : قدح الزند فأورى وقدح فأصلد أي صوّت ولم يور ،والمعنى توري النار من حوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة و انتصاب «قدحاً» كانتصاب ضبحاً أي تقدح قدحاً أو القادحات قدحاً .

[فالمغيرات صبحاً ۞ فأثرن به نقعاً] عطف على الفعل الّذي دلّ عليه اسم الفاعل إذ المعنى أقسم الله باللآتي عدون فأورين فأغرن فأثرن وهيّجن في ذلك نقعاً

أي غباراً من نقع الصوت إذا ارتفع فالغبار سمّي نقعاً لارتفاعه أو هو من النقع في الماء فكأنّ صاحب الغبار خاض في الغبار كما يخوض الرجل في الماء ، وتخصيص الإثاره بالصبح لأنّه لايظهر ثورانه باللّيل كما أن الإيراء لا يظهر بالنهار والإغارة والإثارة تقع غالباً في وقت الصباح و«أثرن» أصله أثورن فقلبت حركة الواو إلى الثاء ما قبلها وقلبت الواو ألفاً فصار أثارن فحذفت الألف لالتقاء الساكنين فبقي أثرن .

[فوسطن به جمعاً] أي توسّطن في ذلك الوقت والباء للظرفيّة ، بذلك المكان أو بسبب العدو وسط الكتيبة وجمع العدوّ ، والفاآت للدلالة على ترتّب ما بعد كلّ منها على ما قبلها فإنّ توسّط الجمع مترتّب على الإثارة المترتّبة على الإغارة المترتّبة على الإيراء المترتّب على عدوهنّ ، و المراد عدو خيل الغزاة في سبيل الله و الصحيح أنّ المراد كما قال علي عليه السلام : إنّها لا بل الحاجّ تعدو من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى ، وقال : من أين لهم الأفراس ! ولقد كان يوم بدر معنا فرسان فرس أبلق للمقداد وفرس للزبير .

[إن الإنسان لربّه لكنود] جواب القسم يقال : كند النعمة كنوداً كفر بها فالكنود بالضمّ كفران النعمة و بالفتح الكفور ، ومنه « كندة » بالكسر وهو لقب ثور بن عفر أبو حيّ من اليمن لأنّه كند نعمة أبيه ففارقه و لحق بأخواله و قال الكلبيّ : الكنود بلسان كندة العاصي و بلسان بني مالك البخيل و بلسان مضر و ربيعة الكفور والمعنى إنّ الانسان - والمراد أكثر أفراده - لنعمة ربّه شديد الكفران فقوله : « لربّه » متعلّق بكنود قدّم عليه لإفادة التخصيص و مراعاة الفواصل .

النزول : قيل : بعث النبيّ صلى الله عليه وآله سريّة إلى حيّ من كنانة فاستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاريّ أحد النقباء فتأخّر رجوعهم فقال المنافقون : قتلوا جميعاً فأخبر الله عنها بقوله : « والعاديات ضبحاً » عن مقاتل .

و قيل : نزلت السورة لمّا بعث صلى الله عليه وآله علياً إلى ذات السلاسل فأوقع بهم و ذلك بعد أن بعث عليهم مراراً غيره من الصحابة فرجع كلّ منهم إلى رسول الله و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل .

و سميت هذه الغزوة ذات السلاسل لأنّه أسر منهم وقتل وسبي وشدّ أسراؤهم في الحبال كأنّهم في السلاسل ، ولمّا نزلت السورة خرج النبيّ ﷺ إلى الناس فصلّى بهم الغداة وقرء فيها «والعاديات» فلمّا فرغ من صلاته قال أصحابه : هذه السورة لم نعرفها فقال رسول الله ﷺ : نعم إنّ عليّاً عليه السلام ظفر بأعداء الله وبشّرني جبرئيل بذلك في هذه الليلة فقدم عليّ عليه السلام بعد أيّام و بالغنائم والأُسارى .

[وإنّه على ذلك لشهيد] الهاء تعود إلى الله أي إنّه تعالى على كنود العبد لشهيد وقيل : الهاء تعود إلى الإنسان ، شاهد على نفسه يوم القيامة بكنوده وقيل في معنى الكنود أيضاً: هو الّذي يعدّ المصائب وينسي النعم وروى أبو ثمامة عن النبيّ ﷺ أنّه قال : أتدرون من الكنود؟ قالوا : الله أعلم ورسوله ، قال : «الكنود الّذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده» وقيل: هو البخيل القليل الخير يقال : كان ثلاثة نفر من العرب في عصر واحد أحدهم آية في السخاء و هو حاتم الطائيّ والثاني آية في البخل وهو حباحب ،ومن بخله أنّه كان لا يوقد النار للخبز إلّا إذا نام الناس فإذا انتبهوا أطفأناره لئلّا ينتفع الناس بها ، والثالث آية في الطمع و هو أشعب بن جبير مولى مصعب بن الزبير بن العوّام ومن طمعه أنّه قرأ صبيّ في المكتب و هو حاضر: إنّ أبي يدعوك فقام ولبس نعليه فقال الصبيّ : أنا أقرأ درسي ، وكان إذا رأى إنساناً يحكّ عنقه يظنّ أنّه ينتزع قميصه ليدفعه إليه ، وكان إذا رأى دخاناً ارتفع من دار ظنّ أنّ أهلها يأتي بطعام و كان إذا رأى عروساً تزفّ إلى موضع جعل يكنس باب داره لكي تدخل داره قال أشعب : ما رأيت أطمع منّي إلّا كلباً تبعني على مضغ العلك فرسخاً .

[وإنّه لحبّ الخير لشديد] أي إنّ الإنسان لحبّ المال،وسمّي المال خيراً جرياً على عادتهم « لشديد» قويّ مجدّ في طلبه وتحصيله متهالك عليه و هو لحبّ عبادة الله و الإنفاق في سبيله ضعيف الهمّة متقاعس .

[أفلا يعلم] هذا الإنسان الّذي وصفناه ويرتكب من القبائح في الدنيا أنّ الله يجازيه [إذا بعثر] وبعث واُخرج [مافي القبور] من الموتى ، وإيراد «ما» لكونهم

إذذاك بمعزل عن مرتبة العقلاء لأنّهم في القبور لاعلم لهم .

[وحصّل مافي الصدور] ومُيّز و بُيّن مافيها من الخير و الشرّ و ظهر ما أخفته الصدور ليجازى على السرّ كما يجازى على العلانية ، وأصل التحصيل إخراج المستور من المغمور فيه وأخذه منه كإخراج اللبّ من القشر و مثل البُرّ من التبن والدهن من اللبن ، والإظهار من لوازم معناه فيكون المعنى : ميّز بين خيره و شرّه قال صلى الله عليه وآله : يُبعثون على نيّاتهم .

[إنّ ربّهم] أي المبعوثين كنّى عنهم بعد الإحياء الثاني بضمير العقلاء بناءً على تفاوت الحالين [بهم] وبذواتهم وصفاتهم وأعمالهم بتفاصيلها [يومئذ] يوم بعثهم [لخبير] أي عالم بالتفصيل علماً موجباً لجزائهم متّصلاً الجزاء بذلك اليوم وإلاّ فمطلق علمه يحيط بما كان وما يكون وقوله : «بهم ، ويومئذ » متعلّقان بخبير ،قدّما عليه لمراعاة الفواصل .

تمّت السورة بعون الله .

سورة القارعة

✡(مكية)✡

من قرأها ثقّل الله ميزانه يوم القيامة وآمنه الله من فتنة الدجّال أن يؤمن به ومن قبح جهنّم يوم القيامة .

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة (١) ما القارعة (٢) وما ادراك ما القارعة (٣) يوم يكون الناس كالفراش المبثوث (٤) وتكون الجبال كالعهن المنفوش (٥) فاما من ثقلت موازينه (٦) فهو في عيشة راضية (٧) واما من خفت موازينه (٨) فامه هاوية (٩) وما أدراك ماهيه (١٠) نار حامية (١١) .

القرع هو الضرب الشديد بحيث يحصل منه صوت ثمّ سمّيت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر « قارعة » والمراد بها في الآية القيامة الّتي مبدؤها النفخة الأولى ومنتهاها فصل القضاء و هي تقرع القلوب بالفزع و تقرع أعداء الله بالعذاب و القارعة مبتدء و[ما القارعة] وما الاستفهاميّة خبر ، أي وأيّ شيء عجيب وعظيم في الفخامة ! وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتهويل .

[وما أدراك ما القارعة] ما في حيّز الرفع على الابتداء «و أدراك» هو الخبر أي وأيّ شيء أعلمك ما شأن القارعة فإنّ عظم شأنها بحيث لاتكاد تناله دراية أحد .

[يوم يكون الناس] أي هي يوم يكون الناس ويوم مرفوع المحلّ وخبر مبتداء محذوف مبنيّ على الفتح لإضافته إلى الفعل و إن كان مضارعاً على ما هو رأي الكوفيّين أو التقدير اذكر يوم إلخ،و المبعوث المفرّق شبّه الناس عند البعث بهذا الطائر الّذي يتهافت في النار والسراج ،وقال أبوعبيدة : هو طير ينفرش ليس بذباب ولا بعوض لأنّهم إذا بعثوا ماج بعضهم إلى بعض و الفراش إذا ثار لم يتّجه إلى جهة

واحدة والمراد أنّهم يفزعون عند البعث فيختلفون في المقاصد على جهات مختلفة و مثل قوله(١): « كأنّهم جراد منتشر » .

[وتكون الجبال كالعهن المنفوش] العهن الصوف المصنوع ألواناً والنفش نشر الصوف و الشعر و القطن و ذلك لألوان الجبال، شبّه خفّة الجبال و تلاشيها بعد رزانتها بالصوف المندوف في تفرّق أجزائها وتلوّن ألوانها كما قال(٢): « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها و غرابيب سود » .

[فأمّا من ثقلت موازينه] جمع الموزون وهو العمل الّذي له خطر عند الله لأنّ الحقّ ثقيل و الباطل خفيف يعني يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيّئة على صور سيّئة أي بصور جوهريّة مناسبة لها في الحسن و القبح فتوضع في الميزان فمَن ترجحت مقادير حسناته [فهو في عيشة راضية] أي معيشة ذات رضىً يرضاها صاحبها .

[وأمّا من خفّت موازينه] بأن لم يكن له حسنات يعتدّ بها أو ترجّحت سيّئاته على حسناته، قال ابن مسعود : يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيّئاته بواحدة دخل الجنّة ومن كانت سيّئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار [فأمّه هاوية] أي مأواه هاوية، هي من أسماء النار سمّيت بها لغاية عمقها و بُعد مهواها روي أنّ أهل النار يهوي منها سبعين خريفاً وعبّر عن المأوى بالأمّ لأنّ أهلها يأوون إليها كما يأوي الولد إلى أمّه و أنّها تحيط بهم إحاطة رحم الأمّ بالولد أو لأنّ الأمّ هي الأصل في الكافر و العاصي . و قيل : معنى « فأمّه هاوية » لأنّ العاصي يهوي إلى أمّ راسه في النار فأمّ راسه في جهنّم لأنّه يطرح فيها منكوساً وأمّ الرأس الدماغ .

[وما أدراك ماهيه] فهي ضمير للهاوية والهاء للسكت و الاستراحة يريد إنّك لاتعلم تفصيلها وأنواع مافيها من العذاب ولو كنت تعلمها في الجملة .

ثمّ قال : [نارٌ حامية] حارّة شديدة الحرارة بحيث لا توصف .

تمّت السورة بعون الله .

---

(١) سورة القمر : ٧ . (٢) سورة فاطر : ٢٥ .

سورة ألهاكم

مختلف فيها .

ومن قرأها لم يحاسبه الله بالنعيم الّذي أنعم عليه في الدنيا وأُعطي من الأجر كأنّما قرء ألف آية .

شعيب العقرقوفيّ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قرأ سورة ألهاكم التكاثر في فريضة كتب له ثواب مائة شهيد و من قرأها في نافلته كان له ثواب خمسين شهيداً وصلّى معه في فريضة أربعون صفّاً من الملائكة .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول‌الله : من قرأها عند النوم وقي فتنة القبر .

بسم الله الرحمن الرحيم

الهيكم التكاثر (١) حتى زرتم المقابر (٢) كلا سوف تعلمون (٣) ثم كلا سوف تعلمون (٤) كلا لو تعلمون علم اليقين (٥) لترون الجحيم (٦) ثم لترونها عين اليقين (٧) ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم (٨) .

اللهو ما يشغل الإنسان عمّا يفيده و يعنيه أي شغلكم عن طاعة الله وعن ذكر الآخرة [التكاثر] بالأموال والأولاد و التفاخر و التباهي بهما، وألهاكم ممّا يتعلّق بالقلب كالتذكّر والعلم والفكر والعبرة و ممّا يتعلّق بالجوارح كأنواع الطاعات .
والتكاثر مكاثرة اثنين مالاً أوعدداً بأن يقول كلّ منهما لصاحبه : أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفراً كما أنّه وقع بين بني عبدمناف وبني سهم. تفاخروا و تكاثروا فقال كلٌّ من الفريقين: نحن أكثر منكم سيّداً وأعظم نفراً فكثّرهم بنو عبد مناف فقال بنوسهم : إنّ البغي أفنانا في الجاهليّة فعادّونا بالأحياء والأموات وذهبوا يعدّون قبورموتاهم هذا قبر فلان وهذا قبر فلان، فكثّرهم بنوسهم وزادوا عن بني عبدمناف، و المعنى أنّكم تكاثرتم بالأحياء [حتّى زرتم المقابر] أي حتّى استوعبتم عددهم وصرتم إلى التفاخر والتكاثر بالقبور والأموات ، فعبّر عن انتقالهم إلى عدّ الموتى وذكرهم بزيارة القبور .
وقيل وجه آخر في تفسير الآية : ألهاكم التكاثر بالأموال و الأولاد و الدنيا إلى أن متّم وقبرتم مضيّعين أعمار كم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت .

[كلّا سوف تعلمون] ردع عمّا هم عليه من الاشتغال بالدنيا أي ليس الأمر كما توهّمتم «سوف تعلمون» الخطاء فيما أنتم عليه إذا عاينتم أهوال القيامة والعلم بمعنى المعرفة ، ولا يغرّنك كثرة من ترى حولك فإنّك تموت و حدك و تبعث وحدك و تحاسب وحدك .

[ثمّ كلّا سوف تعلمون] تأكيد لتكرير الردع والإنذار وفي « ثمّ » دلالة على أنّ الإنذار الثاني أبلغ من الأوّل كقولك للمنصوح: أقول لك ثمّ أقول لك : لاتفعل . أو الردع الأوّل عند الموت والاحتضار حين ما يبشّر به المحتضر من جنّة أونار أو في القبر حين يسأل والثاني عند النشور حين ينادي المنادي: شقي فلان شقاوة لاسعادة بعدها، فعلى هذا لا تكرير في الآية لحصول التغاير بينهما بتغاير زماني العلمين فإنّه يلقى في كلّ واحد من الزمانين نوعاً آخر من العذاب . وروى زرّ بن حبيش عن عليّ أمير المؤمنين: مازلنا نشكّ في عذاب القبر حتّى نزلت «ألهاكم التكاثر » إلى قوله: « كلّا سوف تعلمون » يريد في القبر « ثمّ كلّا سوف تعلمون » بعد البعث. و قيل : إنّ المعنى « كلّا سوف تعلمون » إذا رأيتم دار الأبرار « ثمّ كلّا سوف تعلمون » إذا رأيتم دار الفجّار .

[كلّا لوتعلمون علم اليقين] أي لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لشغلكم ماتعملون من الاشتغال بالعزّ والتباهي وجواب « لو» محذوف للتهويل فإنّه إذا حذف الجواب يذهب الوهم كلّ مذهب أي لو علمتم علماً كاملاً يقينيّاً لما اشتغلتم و لفعلتم غير هذا ولكنّكم ضلّال جهلة، وعلم اليقين هو الّذي لايعتريه اضطراب الشكّ .

ثمّ استأنف سبحانه وعيداً آخر فقال : [لترونّ الجحيم] واللام موطّئة للقسم و معناه لترونّها حين تبرز الجحيم في القيامة قبل دخولكم إليها [ثمّ لترونّها عين اليقين] أي محض اليقين بالمشاهدة إذا دخلتم فيها وعذّبتم بها .

[ثمّ لتسألنّ يومئذ عن النعيم] قيل : السؤال عن النعيم شامل للكفّار المتنعّمين في الدنيا غير شاكرين نعمته ومن لحق بهم في عدم الشكر من فسقة المؤمنين وقالوا : من كان ناهضاً بالشكر من المؤمنين فهو من ذلك بعيد وقيل : شاملة للكفّار فقط إذ لم يشكروا ربّ النعيم وأشركوا به وعبدوا غيره فيسألون ثمّ يعذّبون على ترك الشكر ، وقال الأكثرون : إنّ المعنى لتسألنّ يا معاشر المكلّفين عن النعيم وإنّ الله سائل كلّ ذي نعمة عمّا أنعم عليه .

والمراد من النعيم المأكل و المشرب و غيرهما من الملاذّ مطلقاً عن سعيد بن

جبير . وقيل : المراد من النعيم الصحّة و الفراغ و يعضده ما رواه ابن عبّاس عن النبيّ ﷺ قال : نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحّة والفراغ . وقيل : المراد الأمن والصحّة عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام . وقيل : يسأل عن كلّ نعيم إلّا ما خصّه الله وهو قوله : ثلاثة لا يسأل الله عنها العبد: خرقة يواري بها عورته و كسرة يسدّ بها جوعته وبيت يكنّه من الحرّ والبرد . روي أنّ بعض الصحابة أضاف النبيّ ﷺ مع جماعة من أصحابه فوجدوا عنده تمراً وماءً بارداً فأكلوا فلمّا خرجوا قال ﷺ : هذا من النعيم الّذي تسألون عنه .

وقيل : المراد من النعيم وجود النبيّ ﷺ وأهل البيت روى العيّاشيّ بإسناده في حديث طويل قال : سأل أبو حنيفة أبا عبدالله عليه السلام عن هذه الآية فقال له : ما النعيم عندك يا نعمان؟ قال : القوت من الطعام والماء البارد فقال عليه السلام : لئن أوقفك الله يوم القيامة حتّى يسألك عن كلّ أكلة أكلتها و شربة شربتها ليطولنّ وقوفك بين يديه قال : فما النعيم جعلت فداك؟ قال : نحن أهل البيت الّذي أنعم الله بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا جعلهم أحباباً بعد أن كانوا أعداء وبنا هداهم الله للإسلام وهي النعمة الّتي لا تنقطع والله سائلهم عنها والنعيم النبيّ وعترته . وهذه الرواية مقبولة عند العامّة والخاصّة، وفي حديث : قال الرضا عليه السلام

النعمة في الآية حبّنا أهل البيت أتضيفون إلى الله

ما إذا أضيف إليكم تستحونه ؟

تمّت السورة بعون الله .

سورة العصر

☼(مكية)☼

من قرأها ختم الله له بالصبر وكان مع أصحاب الحقّ يوم القيامة .

عن أبي عبدالله عليه السلام من قرأ السورة في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه ضاحكاً سنّه قريرةً عينه حتّى يدخل الجنّة .

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر (١) ان الانسان لفي خسر(٢) الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (٣) .

أقسم سبحانه بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى لتوسّطها بين الشفع الّذي هو صلاة الظهر وبين الوتر الّذي هو صلاة المغرب فحصل لها من القدر ما لم يكن لكلّ واحد من الطرفين كما في الحديث الّذي يؤيّد فضلها على سائر الصلوات ، قال ﷺ: من فاتته صلاة العصر فكأنّما وتر أهله وماله أي نقص، ومعنى الحديث أي ليكن من فوتها حذراً كما يحذر الإنسان من ذهاب أهله و ماله و قيل : المراد بالعصر في الآية عصر النبوّة وفي قراءة ابن مسعود « و العصر إنّ الإنسان لفي خسر ، و إنّه فيه إلى آخر الدهر » وروي ذلك عن عليّ عليه السلام ، وقيل : أقسم سبحانه بالدهر لأنّ فيه عبرة لذوي الأبصار من جهة مرور الليل والنهار و تقدير الأدوار وهو قول ابن عبّاس وجماعة . وقيل : المراد وقت العشيّ و الطرف الأخير من النهار لما في ذلك من الدلالة على وحدانيّة الله بإدبار النهار وإقبال الليل كما أقسم بالفجر وبالضحى وهو الطرف الأوّل من النهار .

[إنّ الإنسان لفي خسر] والألف واللام للاستغراق و الجنس بدلالة صحّة الاستثناء و هذا جواب القسم و المعنى إنّه لفي نقصان و خسارة لأنّه ينقص عمره في كلّ يوم وهو رأس ماله فإذا ذهب رأس ماله ولم يكتسب به الطاعة يكون في غاية الخسران إذ لا خسران أعظم من ترك الطاعة واستحقاق العقاب الدائم والتنكير للتفخيم أي في خسران عظيم لا يُعلم كنهه .

[إلّا الّذين آمنوا] أي المصدّقين بتوحيد الله [و عملوا الصالحات] العاملين بطاعة الله و المكتسبين من الخيرات الباقية فأولئك ربحوا ولم يخسروا حيث باعوا

الفاني الخسيس و اشتروا الباقي النفيس و استبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرابحات ، فيالها من صفقة رابحة فغير المستثنى خاسر إمّا بالخلود إن كان كافراً و إمّا بالدخول في النار إن مات عاصياً و لم يغفر له و إمّا بفوات الدرجات العالية إن غفر له .

[وتواصوا بالحقّ] أي وصّى بعضهم بعضاً باتّباع الحق و اجتناب الباطل و قيل : المراد بالحقّ القرآن وقيل : هو أن يقولوا عندالموت المخلّفين : « لاتموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون » .

وفي الإكمال عن الصادق عليه السلام قال : «العصر» عصر خروج القائم «إنّ الإنسان لفي خسر » يعني أعداؤنا « إلاّ الّذين آمنوا » يعني بآياتنا « و عملوا الصالحات » يعني بمواساة الإخوان « وتواصوا بالحقّ » يعني الإمامة « و تواصوا بالصبر » يعني بالعترة .

القمّي عن الصادق عليه السلام قال : استثنى الله أهل صفوته من خلقه حيث قال : « إنّ الإنسان لفي خسر إلاّالّذين آمنوا » يعني آمنوا بولاية عليّ عليه السلام « وتواصوا بالحقّ » يعني ذرّيّاتهم ومن خلّفوا بالولاية وتواصوا بهاوصبروا عليها .

[وتواصوا بالصبر] أي وصّى بعضهم بعضاً بالصبر على تحمّل المشاقّ في طاعة الله وبالصبر عن معاصي الله .

وقيل : « إنّ الإنسان » في الآية الكافر خاصّة وهو أبوجهل
و الوليد بن المغيرة و إذا كان كذلك فالآية
أيضاً تشمل كلّ كافر . تمّت
السورة بعون الله

سورة الهمزة

☼(مكية)☼

قال ﷺ : من قرأها في فريضة من فرائضه نفت عنه الفقر وجلبت عليه الرزق وتدفع عنه ميتة السوء .

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة (١) الذى جمع مالا وعدده (٢) يحسب أن ماله أخلده (٣) كلا لينبذن فى الحطمة (٤) و ما ادراك ما الحطمة (٥) نار الله الموقدة (٦) التى تطلع على الافئدة (٧) انها عليهم مؤصدة (٨) فى عمد ممددة (٩) .

[ويل] مبتدء و ساغ الابتداء به مع كونه نكرة لأنّه دعاء عليهم بالهلكة [لكلّ] مغتاب عيّاب نمّام مفرّق بين الأحباب بالنميمة ،والهمزة الّذي يطعن في الوجه بالعيب واللمزة الطعّان في الغيب وقيل : الهمزة المغتاب واللمزة الطعّان عن سعيد بن جبير وقتادة . وقيل بالعكس و بناء فعلة يدلّ على الاعتياد ، ولايقال ضحكة ولعنة إلاّ للمكثر المتعوّد ، وفي أدب الكاتب لابن قتيبة : فعلة بسكون العين من صفات المفعول وفعلة بفتح العين من صفات الفاعل،يقال : رجل هزأة بسكون الزاي للّذي يُهزء به وهزأة بفتح الزاي لمن يهزء بالناس .

و نزولها في الأخنس بن شريق أو في الوليد بن المغيرة فإنّ كلاًّ منهما كان يغتاب رسول الله ﷺ و الأصحّ العموم لقوله تعالى : « لكلّ » ولم يقل : للهمزة و اللمزة ،وفي الحديث:المؤمن كيّس فطن حذر وقّاف متثبّت لايعجل عالم ورع،والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب ليل لايدري من أين يكتسب وفيم أنفق .

[الّذي جمع مالاً وعدّده] بدلٌ من « كلّ » وصفه بجمع المال لأنّه جرى مجرى السبب للهمزة واللمزة من حيث إنّه أُعجب بنفسه ممّا جمع من المال وظنّ أنّ أنّ كثرة المال سبب لعزّة المرء فلذا استنقص غيره . وتنكير «مالاً» للتفخيم والتكثير الموافق لقوله : « وعدّده » أي أحصاه .

وقيل : معناه جعله عُدّة له من نوائب الدهر فيكون من العدّة لا من العدد.

[يحسب أنّ ماله أخلده] أي يظنّ أنّ ماله الّذي جمعه يخلده في الدنيا و يمنعه من الموت فأخلده بمعنى يخلده وقوله : «يحسب» يدلّ على هذا المعنى المستقبل في أخلده و إنّما ظنّ ذلك مع أنّ الموت معلوم عند جميع الناس لأنّه يعمل عمل من يحسب له الخلود من تشييد البنيان و إيثاقه بالصخر و الشيد وجري الأنهار و غرس الأشجار فالحسبان ليس بحقيقيّ بل محمولٌ على التمثيل أو المعنى يحسب أنّ ماله يوصله إلى مقام الخلد .

[كلاّ] ردع و منعٌ له عن ذلك الحسبان الباطل أو ردعٌ له عن الهمز واللمز [لينبذنّ في الحطمة] جواب قسم مقدّر أي و الله ليطرحنّ ذلك الّذي يظنّ هذا الهمّاز اللمّاز، ويؤيّده قراءة من قرء «لينبذانّ» على التثنية، في النار الّتي من شأنها أن يحطم ويكسر كلّ ما يلقي فيها كما أنّه كان من شأنه كسر أعراض الناس وفاقاً لأعمالهم .

[و ما أدراك ما الحطمة] تهويلٌ لأمرها ببيان أنّها ليست من الأمور الّتي تنالها عقول الخلق [نار الله الموقدة] أي هي نارٌ أوقدتها يد القُدرة و إضافة النار إليه تعالى لتفخيمها والدلالة على أنّها ليست كسائر النيران . في الحديث: أُوقد عليها ألف سنة حتّى احمرّت ثمّ ألف حتّى ابيضّت ثمّ ألف سنة حتّى اسودّت فهي سوداء مُظلمة. قال عليّ عليه السلام : عجباً ممّن يعصي الله على وجه الأرض والنار تسعر من تحته.

[الّتي تطلع على الأفئدة] أي تعلو أوساط القلوب و تغشاها فأنّ الفؤاد وسط القلب و متّصل بالروح يعني إنّ تلك النار تحطم العظام و تأكل اللحوم فيدخل في أجواف أهل الشهوات والمعاصي وتصل إلى صدورهم و تستولي على أفئدتهم إلاّ أنّها

لا تحرقها بالكلّيّة إذلو احترقت لماتت أصحابها ثمّ إنّ الله يُعيد لحومهم و عظامهم مرّة أُخرى و تخصيص الفؤاد بالذكر لما أنّه ألطف ما في الجسد و أشدّ تألّماً بأدنى أذىً يمسّه ولأنّه محلّ العقائد الفاسدة و النيّات الخبيثة و هي خزانة الجسد و أستر من كلّ عضو فإذا كانت النار استولت عليه فبأن تستولي على سائر الجسد أولى .

[إنّها عليهم مؤصدة] من أوصدت الباب و آصدته أي أطبقته أي إنّ تلك النار مطبقة أبوابها عليهم تأكيداً ليأسهم من الخروج وتيقّنهم بحبس الأبد.

[في عمد ممدّدة] أي حال كونهم موثوقين في أعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص و أوتاد لشدّهم بها تفتح عليهم باب ولايدخل لهم روح قال الكلبيّ : « في عمد » مثل السواري ممدودة مطوّلة مربوطين بها كالشطار خشبة فيها خروق يدخل فيها أرجل المحابيس .

قال الطبرسيّ في المجمع : روى العيّاشي بإسناده عن محمّد بن النعمان الأحول عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الكفّار و المشركين يعيّرون أهل التوحيد في النار و يقولون : ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئاً ونحن و أنتم سواء قال : فيأنف لهم الربّ فيقول للملائكة : اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ثمّ يقول للنبيّين : اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله، ثمّ يقول للمؤمنين : اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله، ويقول الله : أنا أرحم الراحمين اخرجوا برحمتي فيخرجون ـ أي أهل التوحيد ـ كما يخرج الفراش قال: ثمّ قال أبو جعفر : أُطبقت على الكفّار وكان والله الخلود للكفّار. تمّت السورة بعون الله

سورة الفيل

(مكية)

في حديث أُبي ّ: من قرأها عافاه الله أيّام حياتهمن المسخ والخسف .

و عن الصادق عليه السلام قال : من قرأها في الفريضة شهدله يوم القيامة كلّ سهل و جبل و مدر بأنّه كان من المصلّين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل (١) الم يجعل كيدهم في تضليل (٢) و ارسل عليهم طيراً أبابيل (٣) ترميهم بحجارة من سجيل (٤) فجعلهم كعصف مأكول (٥) .

الرؤية علميّة لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ولد عام الفيل ولم يرهم و الهمزة للتقرير و المراد بأصحاب الفيل أبرهة وقومه ، وبالفيل هوالفيل الأعظم و كنيته أبوالعبّاس ونسبوا إليهلأنّهكان مقدّمهم ، و المعنى ألم تعلم علماً متآخماً للمشاهدة و العيان باستماع الأخبار المتواترة بوقوع هذا الأمر العجيب ؟

و كان وقوع القصّة عام مولد النبيّ صلى الله عليه وآله في نصف المحرّم و وُلد صلى الله عليه وآله في شهر ربيع الأوّل فبين الفيل ومولده الشريف خمس وخمسون أو ستّون ليلة وهي سنة ستّة آلاف و مائة و ثلاث و ستّين من هبوط آدم عليه السلام على حكم التواريخ اليونانيّة المعتمدة عند المورّخين ، وبين قصّة الفيل و الهجرة الشريفة النبويّة إلى المدينة ثلاث و خمسون سنة ، والمراد من بيانالآية تسليةالنبيّ صلى الله عليه وآله بأنّهسيجزي من ظلمه كما جزى من قصد الكعبة .

و مجمل القصّة أنّ ملك حمير وهو ذوالنواس اليهوديّ وكان متصلّباً في دينه

و هو صاحب الأخدود لمّا أحرق المؤمنين بنار الأخدود هرب رجل من المؤمنين إلى ملك الحبشة و هو يومئذ أصحمة بن نجر النجاشيّ و هو الّذي أسلم في عهد رسول الله ﷺ و أخبر الرجل أصحمة ما فعله ذوالنواس اليهوديّ فقصد ملك الحبشة و هو أصحمة بن نجر النجاشيّ على قتال ذي نواس وكان النجاشيّ على دين النصرانيّة فبعث أصحمة سبعين ألفاً من الحبشة إلى اليمن وأمّر عليهم أرياطاً و معه في جُنده أبرهة بن الصباح الأثرم (ومعنى « أبرهة » بلسان الحبشة الأبيض الوجه) فركبوا البحر حتّى نزلوا ساحلاً ممّا يلي أرض اليمن و هزم أرياط ذانواس و قتل ذونواس في المعركة أو ألقى نفسه في البحر و هلك و استقرّ أمر أرياط في أرض اليمن زماناً و أقام فيها سنين في سلطانه .

ثمّ نازعه أبرهة في أمر الحبشة وكان من أمراء الجند فتفرّقت الحبشة فرقتين فرقة مع أرياط وفرقة مع أبرهة فكان الأمر على ذلك إلى أن سار أحدهما إلى الآخر فلمّا تقارب الفرقتان للقتال أرسل أبرهة إلى أرياط أنّك لم تعزّي الحبشة بعضها ببعض حتّى تفنيها ؟ فابرز إليّ و أبرز لك فأيّنا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده فأرسل إليه أرياط أن قد أنصفت فاخرج فخرج إليه أبرهة و كنيته « أبومكسوم » وكان رجلاً قصير الجثمان لحيماً ذادين في النصرانيّة وخرج إليه أرياط وكان رجلاً طويلاً عظيماً و في يده حربة وخلف أبرهة غلام يقال له « عتودة » يمنع ظهره فرفع أرياط الحربة يضرب أبرهة يريد يا فوخه (١) فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرجت حاجبه و أنفه و عينه و شفته فبذلك سمّي أبرهة الأثرم و حمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله فاتّصل جند أرياط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة في اليمن بلا منازع وكان ماصنع أبرهة من غير علم النجاشيّ فلمّا بلغه ذلك غضب غضباً شديداً فقال : عدا على أميري فقتله بغير أمري ثمّ حلف لايدع أبرهة حتّى يطأ بلاده ويحزّ ناصيته فلمّا بلغ هذا الخبر أبرهة حلق رأسه وملأ جراباً تراباً من تراب اليمن ثمّ بعث إلى النجاشيّ مع هدايا جليلة و كتب إليه أيّها الملك إنّما

---

(١) الموضع الذى يتحرك من مقدم رأس الطفل .

كان أرياط عبدك وأنا عبدك فاختلفنا في أمرك و كلٌ في طاعتك إلاّ أنّي كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط و أسوس منه وقد حلقت رأسي حين بلغني قسم الملك وبعثت إليك بجراب من تراب أرضي ليضعه الملك تحت قدميه فيبرّ قسمه فيّ فلمّا وصل كتاب أبرهة إلى النجاشيّ لان وسكنت فورته و رضي عنه و كتب إليه أن اثبت على أرض اليمن حتّى يأتيك أمري فأقام أبرهة باليمن .

ثمّ إنّه رأى أنّ الناس يتجهّزون أيّام الموسم إلى مكّة لحجّ بيت الله الحرام فتحرّك منه عرق النصرانيّة والحسد فبنى بصنعاء كنيسة من رخام ملوّن و رصّعها بالجواهر النفيسة وكان ينقل الحجارة الملوّنة النفيسة من قصر بلقيس صاحبة سليمان وجعل فيها صلباناً من الذهب والفضّة ومنابر من عاج و الآبنوس و سمّاها القلنس كحمير لارتفاع بنائها وعلوّها ومنها القلانيس لأنّها في أعلى الرأس .

و كتب أبرهة إلى النجاشيّ أيّها الملك إنّي بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها لملك قبلك ولست أرضى حتّى أصرف إليها حاجّ العرب فلمّا تحدّث العرب بكتاب أبرهة و بقصده غضب رجل من بني كنانة حتّى أتى إلى القلنس وكان حينئذ رئيس العرب في مكّة عبدالمطّلب و كان ذلك الكنانيّ اسمه زهير بن بدر أتى إلى القلنس وأقام فيه يوهم أنّه يعتكف فيه ويعبد فأقام فيه أيّاماً فلمّا خلا فيها ليلة أحدث فيها وانهزم فانتشر هذا الخبر في الآفاق أنّ رجلاً من أهل مكّة حدث في كنيسة الملك فتأثّر لذلك الأمر أبرهة وحلف أن يتوجّه إلى مكّة ويخرب البيت حتّى لا يحجّه أحد بعدها أبداً و يهدمها ، فخرج بالحبشة و اغتمّ النجاشيّ لفعل الكنانيّ غاية و عزّاه أبرهة وقال : لاتحزن ننسف أبنيتها ونبيح دماءها وأموالها فخرج أبرهة بجند كثير وجمّ غفير ومعه فيل أبيض اللون وهو فيل النجاشيّ بعثه إليه بسؤاله وكان فيلاً لم ير مثله جسماً وعظماً وكان ذلك الوقت يقاتلون بالفيل كما أنّه قيل : كان في مربط ملك الصين ألف فيل .

وكان دليل أبرهة في الطريق كبير ثقيف رجل يقال له «أبو رغال» مات في الطريق ورجم العرب قبره و صار قبره في الطريق كالجبل من كثرة رمي الحجر على قبره

وفي ذلك يقول جرير في الفرزدق :

إذا مات الفرزدق فارجموه ✿ كما ترمون قبر أبي رغال

وكان أبو رغال عشّاراً جائراً .

وبالجملة فلمّا وصل أبرهة بجيشه إلى مكّة نزل خارج الحرم و بعث رجلاً من الحبشة يقال له : «الأسود» فساق ما كان من أموال أهل تهامة ونهبها وكان من الإبل المنهوبة مائتان لعبد المطّلب وبعث أبرهة حناطة الضميريّ و قال له : سل عن سيّد هذا البلد وشريفهم وائتوني به فأتاه عبد المطّلب فلمّا أتاه عبدالمطّلب وكان أبرهة جالساً على سرير ولم يرد أن يجلس عبد المطّلب معه على سريره كراهة أن تراه الحبشة أنّ أحداً يجلس معه على سريره نزل أبرهة عن سريره وجلس على الأرض وجلس عبدالمطّلب معه وقال أبرهة : سل حاجتك إن كان لك حاجة قال عبدالمطّلب: ردّ إبلي فقال أبرهة لترجمانه : قل له : لمَ ما سألتني حتّى أعفو عن هدم البيت وإنّه لبيت عزّكم وشرفكم وماهذه الأباعر وماخطرها ؟ فقال عبدالمطّلب : أنا ربّ الإبل وللبيت ربّ يحفظه كما حفظه من تبّع و كسرى فغضب أبرهة وقال : ردّوا عليه بعرانه لينظر من يحفظ البيت منّي و قيل : ما استردّ عبدالمطّلب إبله .

وأخذ أهل مكّة أموالهم وأمتعتهم واستنجدوا الجبال و خلت مكّة منهم خوفاً من معرّة الجيش .

و بالجملة فجهّز أبرهة جيشه و قدّم الفيل الأعظم فكان كلّما وجّهوه إلى الحرم برك ولم يبرح كما بركت القصواء في الحديبية حتّى قال ﷺ : حبسها حابس الفيل. ومعنى بروك الفيل سقوطه على الأرض لمّا جاءه الإلهام من الله فلزم موضعه ولم يتحرّك .

وقيل : إنّ نفيل بن حبيب الخثعميّ أخذ بأذن ذلك الفيل الأعظم وكان اسمه محمود فقال نفيل : ابرك محمود و ارجع راشداً من حيث جئت فإنّك في بلد الله الحرام ، ونفيل هذا هو قاتل أبرهة بأرض خثعم وهو جبل و أهله خثعميّون .

وأخذ عبد المطّلب بحلقة البيت ودعا و كلّما وجّهوا الفيل إلى مكّة يربض

فضربوه فلم يتحرّك و إذا وجّهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول فأمر أبرهة أن يساق الفيل فثبت على أمره فبينما عبد المطّلب يدعو التفت فإذاً بطير فقال: إنّها لطير غريبة لانجديّة ولاتهاميّة وإنّ لها لشأناً ،سوداء صفر المناقير خضر الأعناق و عن عائشة كانت تلك الطير الأبابيل أشباه الخطاطيف و الوطاويط و لها خراطيم الطير وأكفّ الكلاب وأنيابها و قيل: هي عنقاء مغرب ، وقيل : إنّها طير بين السماء ، و قيل : من طير السماء ، جاءت عشيّة ثمّ صبّحتهم ،مع كلّ طائر حجر في منقاره و حجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمّصة وعن ابن عبّاس أنّه رأى من تلك الأحجار عند أمّ هانىء نحو قفيز مخطّط بحمرة كالجذع . ثمّ أُرسلت ريح فزادتها شدّة فكان الحجر تقع على رأس كلّ واحد من الجيش فيخرج من أسفله و ينفذ من الفيل ومن بيضهم فيحرق الأرض وعلى كلّ حجر اسم من يقع عليه،قال عكرمة : كلّ من أصابته الحجارة جدرته ففرّوا وهلكوا في كلّ طريق ومنهل ولم تصب منهم أحداً إلّا هلك .

ثمّ لمّا استبطأ عبد المطّلب مجيء القوم إلى مكّة ركب لينظر ما الخبر فوجدهم هلك منهم وفرّ الباقون وقد بقي أثاثهم وأموالهم فاحتمل ماشاء الله من صفراء وبيضاء ثمّ أعلم أهل مكّة بهلاك القوم فخرجوا وانتهبوا .

وبالجملة لم يبق منهم أحد وقيل : أخذ أبرهة داء أسقط أنامله وأعضاءه ووصل إلى صنعاء وهو مثل فرخ وما مات حتّى انصدع صدره فملك اليمن ابنه مكسوم و انفلت وزير أبرهة وطائر يتخلّف فوقه حتّى بلغ النجاشيّ فقصّ عليه القصّة فلمّا أتمّها وقع عليه الحجر فخرّ ميّتاً بين يديه انتهى .

فلو قيل : إنّا شاهدنا و تحقّق عندنا أنّ بعض الناس فعلوا مثل فعل أبرهة وما وقع عليهم سوء كما وقع لأبرهة مثل الحجّاج ومثل القرامطة .

فالجواب أنّه لم تجر عادة الله على من يعاديه أن يأخذه سريعاً بل عادته أن يمهله لكن لايهمله ، على أنّ مثل هذه الأُمور خوارق العادات كان يقع في أيّام الأُمم السالفة،وأيضاً إنّ الاستيصال وما يقرب منه مرفوع عن هذه الأُمّة وإن كان اشتدّ غضبه

عليهم كما قيل في حقّ الحجّاج : إنّ عليه نصف عذاب العالم .

وقصّة القرامطة مجملها أنّ أباسعيد كبير القرامطة (وهم طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين و مائتين يزعمون أن لاغسل من جنابة وحلّ الخمر و أنّه لاصوم في السنة إلّا يومي النيروز والمهرجان و يزيدون في أذانهم وأنّ محمّد بن الحنفيّة رسول الله وأنّ الحجّ والعمرة إلى بيت المقدس و افتتن بهم جماعة من الجهّال وأهل البراري وقويت شوكتهم حتّى انقطع الحجّ من بغداد بسببه و سبب ولده أبي طاهر فإنّ ولده أباطاهر بنى داراً بالكوفة وسمّاها دار الهجرة) كثر فساده واستيلاؤه على المسلمين وقتله إيّاهم و كثرت أتباعه وذهب إليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بني العبّاس غير مرّة وهو يهزمهم .

ثمّ إنّ المقتدر سيّر ركب الحاجّ إلى مكّة فوافاهم أبو طاهر يوم التروية فقتل الحجّاج بالمسجد الحرام وفي جوف الكعبة قتلاً ذريعاً وألقى القتلى في بئر زمزم وضرب الحجر بدبّوس (١) فكسره ثمّ اقتلعه وأخذه معه وقلع باب الكعبة و نزع كسوتها وسقفها وقسّمه بين أصحابه وهدم قبّة زمزم وارتحل عن مكّة بعد أن أقام فيها أحد عشر يوماً ومعه الحجر الأسود وبقي عند القرامطة أكثر من عشرين سنة وكان الناس يضعون أيديهم محلّه للتبرّك ودفع لهم خمسون ألف دينار فأبوا حتّى اُعيد في موضعه في خلافة المطيع لأمر الله وهو الرابع و العشرون من خلفاء بني العبّاس بعد اشترائه منهم .

وبعد القرامطة في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة قام رجل من الملاحدة و ضرب الحجر ثلاث ضربات بدبّوس فتشقّق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظيّات (٢) مثل الأظفار وخرج بكسره فُتات (٣) أسمر يضرب إلى الصفرة محبّباً مثل حبّ الخشخاش فجمع بنو شيبة ذلك الفتات و عجنوه بالمسك و حشوه في تلك

---

(١) عصا من خشب او جديد في رأسه شيء مثل الكرة .

(٢) فلقة العود و العظم و نحوهما .

(٣) الكسارة و السقاطة من الشي المفتوت .

الشقوق وطلوه بطلاء من ذلك.ولعنة الله على الظالمين .

[ألم يجعل كيدهم في تضليل] الهمزة للتقرير و ضلّ كيده إذا جعله ضائعاً وضلّ الماء في اللبن إذاغاب أي قد جعل سبحانه مكرهم في تخريب الكعبةفي إبطال بأن أهلكهم وجزاهم بعد إهلاكهم بمثل ما قصدوا حيث خرب كنيستهم لأنّهم بعد إهلاك صاحب الفيل وقومه عزّت قريش وهابهم الناس كلّهم و مزّقت الحبشة كلّ ممزّق وخرب تلك الكنيسة الّتي بناها أبرهة فلم يعمرها أحد و كثرت حولها السباع والوحوش ومردة الجنّ و استمرّت كذلك إلى زمن السفّاح العبّاسي أوّل خلفاء بني العبّاس فذكر له أمرها فبعث إليها عامله الّذي باليمن فخربها و أخذ خشبها المرصّع بالذهب والآلات الّتي تساوي قناطير من الذهب وعفا رسمها .

[وأرسل عليهم طيراً أبابيل] وأبابيل أي جماعات متتابعة من الطير لأنّها كانت أفواجاً فوجاً بعد فوج أومعنى أبابيل من ههنا وههنا جمع إبالة وهي الحزمة الكبيرة من الحطب شبّهت بها الجماعة من الطير في نظامها فأبابيل صفة للطير .

[ترميهم بحجارة من سجّيل] صفة اُخرى لطيراً أي ترمي الطير عليهم و تقذفهم تلك الطير بأحجار صلبة شديدة ليست من جنس الحجارة وقد مرّ تفسير السجّيل في سورة هود ، وقيل : معناه طين متحجّر معرّب « سنگ گل » من هذين الجنسين وهما « سنج » الّذي هو الحجر و «جيل » الّذي هو الطين أو اشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال فالمعنى من الحجارة المرسلة .

[فجعلهم كعصف مأكول] كورق زرع وقع فيه الأكّال وقدأكله الدود وسمّي ورق الزرع بالعصف لأنّ شأنه أن يقطع فتعصفه الرياح و تذهب به إلى هنا و هنا شبّههم في فنائهم به أو المعنى كورق ذرع قد اُكل حبّه وبقي تبنه في بقاء أجسادهم وذهاب أرواحهم أو كتبن وورق زرع أكلته الدوابّ وألقته روثاً فيبس وتفرّقت أجزاؤه شبّه تقطّع أوصالهم بتفرّق الروث و فيه تشويهاً لحالهم وهو أنّه لم يكتف بجعلهم أهون شيء في الزرع و هو التبن حتّى جعلهم رجيعاً و عبّر عن الرجيع بالمأكول

مراعاة لحسن الأدب في الذكر استهجاناً لذكر الروث كما كنّى بالأكل في قوله[1]: «كانا يأكلان الطعام» عمّا يلزم الأكل من البول والتغوّط ، ومن كان اعتماده بقوّته وسطوته أهلكه الله بأضعف خلقه فإنّهم لمّا كان اعتمادهم على الفيل من حيث إنّهم زعموا أنّه أقوى خلق الله أهلكهم بأضعف خلق من خلقه وهو الطير الّذي حجم كلّ واحد منها لا يعادل عشرة مثاقيل شبيهة بالزرزور أوهي الزرزور يقال له بالفارسيّة «سار» وسمّي زرزور لتزرزره .

ومابه قتلوا من الحجارة أصغر من الحمّصة وأكبر من العدسة وكان هذا الأمر من أعظم المعجزات أظهره الله إمّا على طريق الإرهاص[2] لنبوّة نبيّنا ﷺ فإنّه ﷺ ولد في ذلك العام .

وقال قوم من المعتزلة : إنّه كان معجزة لنبيّ من الأنبياء وربّما قالوا : هو خالد بن سنان لكن لانحتاج إلى هذه التكلّفات بل يكون هذا الأمر تشريفاً وتعظيماً وحفظاً لبيته تعالى على أنّه حجّة لائحة لظهور الحقّ و إبطالٌ لأقوال الملاحدة و والفلاسفة المنكرين للآيات الخارقة فإنّ هذا الأمر لايمكن أن يستند إلى الطبع كمانصبوا الصيحة والريح العقيم وغيرها ممّا أهلك الله تعالى به الأمم الماضية إلى ذلك إذ لايمكنهم أن يروا في أسرار الطبيعة إرسال جماعات من الطير ومعها أحجار معدّة لهلاك قوم معيّنين قاصدة إيّاهم دون غيرهم فترميهم بها فتهلكهم ولا يتعدّى ذلك الأمر إلى غيرهم ولو واحداً .

وليس لأحد أن ينكر هذا الأمر لأنّ النبيّ ﷺ لمّا قرء هذه السورة على أهل مكّة مع عنادهم وإنكارهم لم ينكروا هذا الأمر بل أقرّوا و كانوا قريبي العهد بأمر الفيل فلو لم يكن لذلك الأمر حقيقة لأنكروه و جحدوه بل أكثروا في هذا الأمر في أشعارهم وناديهم فمن ذلك ماقاله ابن أبي الصلت :

إنّ آيات ربّنا بيّنات ☆ ما يماري فيهنّ إلّا الكفور

---

(١) سورة المائدة : ٧٨ .

(٢) هو ظهور امر من اعلام النبوة قبل بعث النبي .

حبس الفيل بالمغمّس حتى ☆ ظلّ يحبو كأنّه معقور

وقال عبدالله بن عمرو بن مخزوم :

أنت الجليل ربّنا لم تدنس ☆ أنت حبست الفيل بالمغمّس

من بعدما همّ بشيء ملبس ☆ حبسته في هيئة المكركس

أي المنكّس . تمّت

السورة بعون الله

سورة لايلاف

☼(مكية)☼

في حديث اُبي : من قرأها اُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من طاف بالبيت و اعتكف .

وروى العيّاشي عن الصادق عليه السلام يقول : لاتجمع بين سورتين في ركعة واحدة إلّا الضحى وألم نشرح وألم تر كيف ولإيلاف .

و عن ابن عبّاس عن أحدهما عليهما السلام قال : ألم تر كيف فعل و لإيلاف سورة واحدة .

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش (١) ايلافهم رحلة الشتاء والصيف (٢) فليعبدوا رب هذا البيت (٣) الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف (٤) .

أي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منّا على قريش مضافة إلى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف فكأنّه قال : نعمة إلى نعمة ، واللام متعلّق بقوله : «فليعبدوا» و ذكر الفاء لما في الكلام من معنى الشرط و تقدير الكلام أنْ نعم الله عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لتألّف قريش بمكّة و تمكّنهم المقام بها أوالمعنى لتألّف قريش فإنّهم هابوا من أصحاب الفيل لمّا قصدها وهربوا منه فأهلكناهم لترجع قريش إلى مكّة ويألفوا ويجتمعوا بها وتولّد محمد ﷺ فبعث إلى الناس بشيراً ونذيراً .

[إيلافهم] بدل من الأوّل و الإيلاف الأوّل بمعنى الإلف اللازم لاالمتعدّي ، لأن يألفوا هاتين الرحلتين ويجمعوا بينهما لتجاراتهم و معاشهم و ذلك لأنّ الناس إذا تسامعوا بذلك الإهلاك ثبت لهم عزّ وشرف وتهيّبوا لهم زيادة فضل على غيرهم فلا يجترىء عليهم أحد وينتظم لهم الأمن في رحليتهم .

وكان لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيتمارون ويتّجرون آمنين وما كان بعد ذلك يتعرّض لهم أحد من العرب وذئابها و الناس بين متخطّف ومنهوب ولولا هاتان الرحلتان لم يمكنهم المقام بها لأنّها واد غير ذي زرع ولم يكونوا أهل زرع ولا ضرع وكان إذا أصاب واحداً منهم مخمصة خرج و عياله إلى موضع وضربوا على أنفسهم خباء حتّى يموتوا و كانوا على ذلك إلى أن جاء هاشم بن عبد مناف عليه السلام و كان سيّد قومه فقام خطيباً فقال : إنّكم أحدثتم

حدثاً تقلّون فيه وتذلّون وأنتم أهل حرم الله وأشرف ولد آدم ،قالوا : نحن لك تبع فليس عليك منّا خلاف فأمرنا بأمرك ،فجمع كلّ بني أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن و في الصيف إلى الشام للتكسّب فما ربح الغنيّ يكون ليقسّم بينه و بين فقرائهم فاستداموا على هذا الأمر حتّى كان فقيرهم كغنيّهم فجاء الإسلام وهم على ذلك .

وقريش ولد النضربن كنانة ومن لم يلده فليس بقريش واختلف في تسميتهم بهذا الاسم قيل:سمّوا قريشاً لأنّهم لم يكونوا أهل زرع وضرع وكانوا يكتسبون.و القرش الكسب ،وقال ابن عبّاس : سمّوا «قريش» بالتصغير للتعظيم من القرش وهو دابّة بحريّة عظيمة تعبث بالسفن وتقلبها وتكسرها ولاتطاق إلّا بالنار ولا يقدر أحد عليها فشبّهوا بها لأنّها تأكل ولا تؤكل و تعلو ولا تعلى و وصفوا بالغلبة و عدم المغلوبيّة قال شاعرهم :

و قريش هي الّتي تسكن البحر ☆ بها سمّيت قريش قريشاً
تأكل الغثّ والسمين ولا تتـ ـــرك فيه لذي الجناحين ريشاً
هكذا في البلاد حتّى قريش ☆ يأكلون البلاد أكلاً كميشاً(١)
ولهم آخر الزمان نبيّ ☆ يكثر القتل فيهم و الخموشا(٢)

وقيل : سمّوا قريشاً لتجمّعهم من ههنا وههنا وضمّ بعضهم إلى بعض وتجمّعهم إلى الحرم أو لأنّ النضر بن كنانة اجتمع في ثوبه يوماً فقالوا : تقرّش نضر ، أو سمّيت بقريش بن يخلد بن غالب بن فهر ، و كان ابن يخلد صاحب عيرهم فكانوا يقولون : قدّمت عير قريش و خرجت عير قريش انتهى .

[فليعبدوا ربّ هذا البيت الّذي أطعمهم] بسبب تينك الرحلتين اللّتين تمكّنوا منهما أو بسبب دعوة إبراهيم يجبى إليه ثمرات كلّ شيء [من جوع] شديد كانوا فيه قبلهما إلى أن جمعهم على الغنى عمرو العلى(٣) على الرحلتين كما ذكر سابقاً

---

(١) اكلا سريعا . (٢) الخدش واللطم .
(٣) لقب هاشم .

[و آمنهم من خوف] عظيم و هو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطّف في بلدهم من ذئاب العرب حيث هابوهم و فضّل على العرب بأمور .

قالت أمّ هانيء بنت أبي طالب : إنّ رسول الله ذكر فضل قريش بسبع خصال: النبوّة فيهم ،والخلافة ،والحجابة،والسقاية،ونصروا على الفيل ، والسبقة في عبادة الله، و نزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحدٌ غيرهم «لإيلاف» (وتسمية لإيلاف سورة يردّ قول من قال وهم جماعة : بأنّ ألم تر كيف فعل ولإيلاف سورة واحدة) وبالجملة فهذه الفضائل ثابتة لقريش بشرط إطاعة الله و رسوله قال شاعرهم :

ياذا الّذي طلب السماحة و الندى ✡ هلّا مررت بآل عبد مناف
لو أن مررت بهم تريد قراهم ✡ منعوك من جهد و من إيجاف
الرائشين و ليس يوجد رائش ✡ و القائلين : هلمّ للأضياف
و الخالطين غنيّهم بفقيرهم ✡ حتّى يصير فقيرهم كالكافي
و القائلين بكلّ وعد صادق ✡ و رجال مكّة مسنتين عجاف
سفرين سنّهما له ولقومه : ✡ سفر الشتاء و رحلة الأصياف

تمّت السورة بعون الله

سورة أرأيت

﴿مكية﴾

وقيل : بعضها مكّية وبعضها مدنيّة ، وتسمى سورة الماعون .

من قرأها غفر الله له إن كان للزكاة مؤدّياً .

عمرو بن ثابت عن أبي جعفر عليه السلام قال : من قرأها في فرائضه و نوافله قبل الله صلاته و صيامه ولم يحاسبه بما كان منه في الدنيا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ارايت الذى يكذب بالدين (١) فذلك الذى يدع اليتيم (٢) ولايحض على طعام المسكين (٣) فويل للمصلين (٤) الذينهم عن صلوتهم ساهون (٥) الذينهم يراؤن (٦) و يمنعون الماعون (٧) .

قال الكلبيّ : نزلت في العاص بن وائل السهمي ّو قيل : نزلت في الوليد بن المغيرة و قيل : نزلت في أبي سفيان بن حرب كان ينحر في كلّ أُسبوع جزورين فأتاه يتيم و سأله شيئاً فقرعه بعصاه و قيل : المراد أبو جهل كان وصيّاً ليتيم فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه دفعاً شنيعاً فآيس الصبيّ فقال له أكابر قريش : قل لمحمّد : يشفع لك و كان غرضهم الاستهزاء به و هو ﷺ ما كان يردّ محتاجاً فذهب معه إلى أبي جهل و قام أبو جهل و بذل المال لليتيم فعيّره قريش و قالوا : أصبوت ؟ فقال : لا والله ما صبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة خفت إن لم أُجبه يطعنها فيّ .

قوله تعالى : [أرأيت] أي هل عرفت يا محمّد [الّذي يكذّب بالدّين] فالّذي للعهد أوللجنس فيكون عامّاً لكلّ من كان مكذّباً بالدين و من شأنه أذيّة الضعيف و دفعه بعنف [ولا يحضّ على طعام المسكين] أي لا يحثّ أهله و غيرهم على طعام مسكين و محتاج ويمنع المستحقّ، وفي العدول من الإطعام إلى الطعام و إضافته إلى المسكين دلالة على أنّ للمساكين شركةً وحقّاً في مال الأغنياء .

[فويل] الفاء لربط مابعدها بشرط محذوف كأنّه قيل : إذاكان عدم المبالاة باليتيم من موجبات الذمّ و التوبيخ ، فويل وشدّة العذاب [للمصلّين * الّذين هم

عن صلاتهم ساهون] السهو خطأ عن غفلة و ذلك ضربان:أحد هما أن لا يكون من الا نسان موآداته و دواعيه كمجنون سب ّ إنساناً مثلاً والثاني أن يكون منه موآداته كمن شرب خمراً ثم ّظهرمنه منكر لا عن قصد إلى فعله فالأو ّل معفو ّ عنه و الثاني مأخوذبه ، ومن القسم الث ّاني ما ذم ّ الله في الآ ية والمعنى في قوله : « عن صلاتهم » سهو ترك ٍ لها و قلّة التفات إليها وعدم المبالاة بها وذلك فعل الفسقة من المؤمنين .

قال أنس بن مالك :الحمدلله على أن لم يقل «في صلاتهم» وذلك أن ّه لوقال : « في صلاتهم » لكان المعنى أن ّ السهو يعتريهم وهم فيها إمّا بوسوسة الشيطان أوبحديث نفس و ذلك لايكاد يخلو منه أحد و التخلّص منه عسير .

قيل:ولمّا نزلت الآ ية قال ﷺ : هذه خير لكم من أن يعطى كل ّ واحدمنكم مثل جميع الدنيا .

و قيل في معنى «عن صلاتهم ساهون» إن ّ المعنى و المراد هم الّذين يؤخ ّرون الصلاة عن أوقاتها عن ابن عبّاس وجماعةوروي ذلك مرفوعاً . وقيل :المرادالمنافقون الّذين لايرجون لها ثواباً إن صلّوا ولا يخافون على تركها عقاباً فهم عنها غافلون حت ّى يذهب وقتها فإ ذا كانوا مع من يصلّي صلّوا وإذا لم يكونوا معهم لم يصلّوافكان صلاتهم رياء ً لاإخلاصاً وهو قوله : [الّذين هم يراؤن] فإ ن صلّوها صلّوها رياء ً و إن فاتتهم لم يندموا و قيل : هم الّذين لا يصلّونها لوقتها ولا يتم ّون ركوعها وسجودها قال أبوعبدالله عليه السلام : هوالترك لهاوالتواني عنها والمضي ّعين لها .

[ويمنعون الماعون] اختلف فيه قيل : هي الزكاة المفروضة عن علي ّ عليه السلام و أبي عبدالله ، وقيل : المرادمن الماعون مايتعاوره الناس بينهم من الدلو والفأس والقدر وما لايمنع كالملح و الماء وأمثاله . وروى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام هو القرض تقرضه و متاع البيت تعيره ومنه الزكاة ،قال : فقلت له : إن ّ لنا جيراناً إذا أعرناهم متاعاً كسروه وأفسدوه فعلينا جناح أن نمنعهم؟فقال : لاليس حينئذ جناح أن تمنعهم

إذا كانوا كذلك وقيل : المعروف كلّه. والماعون من المعن وهو الشيء القليل وسمّيت الزكاة ماعوناً لأنّه يؤخذ من المال ربع العشر وهو قليل من كثير .

والفرق بين المرائي والمنافق أنّ المنافق يبطن الكفر ويظهر الإيمان والمرائي يظهر زيادة الخشوع وآثار الصلاح ليعتقد من يراه أنّه من أهل الصلاح وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بإظهار الدين .

تمّت السورة بعون الله

سورة الكوثر

(مكية)

من قرأها سقاه الله من أنهار الجنّة وأُعطي من الأجر بعدد كلّ قربان قرّبه العباد في يوم العيد ويقرّبون أهل الكتاب والمشركين .

وقال ﷺ : ومن قرأها في فرائضه ونوافله سقي يوم القيامة من الكوثر .

بسم الله الرحمن الرحيم

انا أعطيناك الكوثر (١) فصل لربك وانحر (٢) ان شانئك هو الابتر(٣).

السورة قيل : مكيّةوقيل : مدنيّة .

نزلت السورة في العاص بن وائل السهمي وذلك أنّه رأى رسول الله يخرج من المسجد فالتقيا عندباب بني سهم وتحدّثا وا ُناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلمّا دخل العاص قالوا : من الّذي كنت تتحدّث معه؟ قال ذلك الأبتر وكان قدتوفّي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله وهو من خديجة وكانوا يسمّون من ليس له ابن أبتر فسمّته قريش عند موت ابنه ﷺ أبتر ومبتور عن ابن عبّاس .

[إنّا] إنّ جار مجرى القسم في تأكيد الجملة [أعطيناك] بصيغة الماضي مع أنّ العطايا الأخرويّةوأكثر مايكون في الدنيا لم يحصل بعد تحقيقاً لوقوعها [الكوثر] أي الخير الكثير من العلم والعمل وفوعل من الكثرة كنوفل من النفل وجوهر من الجهر . قيل لأعرابيّة آب ابنها من السفر : بمَ آب ابنك ؟ قالت : آب بكوثر ،أي بالعدد الكثير من الخير .

وروي أنّه ﷺ قرأها فقال : أتدرون ما الكوثر إنّه نهر في الجنّة وعدنيه ربّي،فيه خير كثير أحلى من العسل وأشدّ بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج و ألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه الفضّة عدد نجوم السماء لايظمأ مَن شرب منه أبداً أوّل وارد به فقراء المهاجرين الدنس الثياب الشعث الرؤس الّذين لا يزوّجون المنعّمات ولا تفتح لهم أبواب السدد،ويموت أحدهم وحاجته تبتلج في صدورهم، لوأقسم على الله لأبرّه . وعن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : الكوثر نهر في الجنّة أعطاه نبيّه عوضاً من ابنه . وقيل : الكوثر هو القرآن . وقيل : هو كثرة النسل والذرّيّة وقد ظهرت الكثرة في ولد فاطمة عليها السلام ولا تحصى عددهم و اتّصل إلى يوم القيامة . و

قيل : هو الشفاعة عن الصادق عليه السلام . و اللفظ يحتمل للكلّ فإنّه قد أعطاه الله الخير الكثير .

[فصلّ لربّك و انحر] أمره سبحانه بالشكر على هذه النعمة العظيمة أي صلّ صلاة العيد لأنّها عقّبها بالنحر أي و انحر هديك وأُضحيّتك . و قيل : معناه فصلّ لربّك صلاة الغداة المفروضة بجمع و انحر البدن بمنى ، وقيل معناه صلّ لربّك الصلاة المكتوبة و استقبل القبلة بنحرك ،وتقول العرب : منازلنا تتناحر أي هذا ينحر هذا و يستقبله ، قال أبوعبد الله عليه السلام : هو رفع يديك حذاء وجهك وروى عنه عبد الله سنان مثله . وعن جميل قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام : فصلّ لربّك وانحر؟ فقال بيده هكذا ، يعني استقبل ببدنه حذاء وجه القبلة في افتتاح الصلاة .

وروي عن مقاتل بن حيّان عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لمّا نزلت هذه السورة قال النبيّ لجبرئيل: ماهذه النحيرة الّتي أمرني الله بها ربّي؟ قال: يأمرك إذا تحرّمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبّرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع و إذا سجدت فإنّه صلاتنا و صلاة الملائكة في السماوات السبع فإنّ لكلّ شيء زينة وإنّ زينة الصلاة أن ترفع يديك عند كلّ تكبيرة قال النبيّ صلى الله عليه وآله: رفع الأيدي من الاستكانة ، قلت : وما الاستكانة ؟ قال :ألا تقرء هذه الآية «فما استكانوا لربّهم وما يتضرّعون» .

[إنّ شانئك هو الأبتر] شنأه أي أبغضه أي مبغضك هو الأبتر لبُغضه لك والبتر يستعمل في قطع الذنب ،ثمّ استعمل في قطع العقب والمعنى أنّ الّذي لا عقب له ولا عاقبة ولا حسن ذكر هو الأبتر وأمّا أنت فتبقى ذرّيّتك وحسن ذكرك وآثار فضلك إلى يوم القيامة كما قال سبحانه :[1]« ورفعنا لك ذكرك » و جعله صلى الله عليه وآله أباً للمؤمنين فهم أعقابه إلى يوم القيامة وجعله خاتم الأنبياء وأعطاه القرآن الّذي عجزوا عن الإتيان بمثله إلى آخر الدهر على وجازة ألفاظه و منافع العمل بمعانيه . تمّت السورة بعون الله .

---

(١) سورة الانشراح ، ٤ .

سورة الكافرين

۞(مكية وقيل : مدنية)۞

في حديث اُبيّ : ومن قرأ « قل ياأيّها الكافرون » فكأنّما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرىء من الشرك وتعافى من الفزع الأكبر .

وعن جبير بن مطعم قال : قال لي رسول الله : أتحبّ ياجبير أن تكون إذا خرجت سفراً من أمثل أصحابك هيئة وأكثرهم زاداً ؟ قلت : نعم ، قال : فاقرأ هذه السور الخمس : « قل يا أيّها الكافرون » و « إذا جاء نصر الله » و « قل هو الله » و « الفلق » و « الناس » و افتتح قراءتك ببسم الله الرحمن الرحيم . قال جبير : و كنت غير كثير المال و كنت أخرج مع من شاء الله أن أخرج فأكون أكبرهم همّة و أكثرهم إذا زاداً حتّى أرجع من سفري ذلك .

و عن فروة بن نوفل الأشجعيّ عن أبيه أنّه أتى النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال : جئت يارسول الله لتعلّمني شيئاً أقوله عند منامي قال صلّى الله عليه وآله : إذا أخذت مضجعك فاقرأ « قل يا أيّها الكافرون » ثمّ نم على خاتمتها فإنّها براءة من الشرك .

وعن شعيب الحدّاد عن الصادق عليه السلام قال كان أبي يقول : « قل يا أيّها الكافرون » ربع القرآن وكان إذا فرغ منها قال : أعبد الله وحده ، أعبد الله وحده .

و عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام قال : إذا قلت : « لا أعبد ماتعبدون » فقل : ولكنّي أعبد الله مخلصاً له ديني ، فإذا فرغت منها فقل : ديني الإسلام ثلاث مرّات .

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا أيها الكافرون (١) لا أعبد ما تعبدون (٢) ولا أنتم عابدون ما أعبد (٣) ولا أنا عابد ما عبدتم (٤) ولا أنتم عابدون ما أعبد (٥) لكم دينكم ولي دين (٦) .

النداء و الخطاب منه ﷺ لهم بهذا الوصف مع أنّهم في محلّ عزّهم و شوكتهم إيذان بأنّه ﷺ محروس منهم وعلم من أعلام النبوّة و الألف واللام للعهد وهم كفرة مخصوصة كالوليد بن المغيرة وأبي جهل والعاص بن وائل السهميّ وأميّة ابن خلف والأسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس ونحوهم وذلك أنّهم قالوا الرسول الله ﷺ هلمّ فاتّبع ديننا ونتّبع دينك تعبد آلهتنا سنة ثمّ نعبد إلهك سنة فقال : معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا : استلم بعض آلهتنا نصدّقك و نعبد إلهك فنزل « قل يا أيّها الكافرون » فعدل رسول الله إلى المسجد الحرام و فيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم ثمّ قرأ عليهم حتّى فرغ من السورة فأيسوا عند ذلك فشراعو يؤذونه و أصحابه قال ابن عبّاس : وفيهم نزل قوله [١]: « قل أفغير الله تأمرونّي أعبد أيّها الجاهلون» .

[لا أعبد ما تعبدون] أي لا أعبد فيما يستقبل ولا أفعل في المستقبل ما تطلبونه منّي من عبادة آلهتكم ، و«لا» لاتدخل غالباً إلاّ على مضارع في معنى الاستقبال كما أنّ « ما» لا تدخل إلاّ على مضارع في معنى الحال لكنّ الطبرسيّ فسّر الآية بمعنى الحال أي لا أعبد آلهتكم الّتي تعبدونها اليوم وفي هذه الحال .

[ولا أنتم عابدون ما أعبد] أي ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلب منكم من عبادة إلهي ، قال الطبرسيّ : المراد ما أنتم عابدون في الحال إلهي الّذي أعبده اليوم .

---

(١) سورة الزمر ، ٦٤ .

[ولا أنا عابد ماعبدتم] أي و ما كنتُ عابداً فيما سلف ماعبدتموه من الأصنام في الجاهليّة فكيف يُرجى منّي في الإسلام .

[ولا أنتم عابدون ماأعبد] أي و ما عبدتم في وقت من الأوقات ما أنا على عبادته و هو الله فليس في السورة تكرار .

و قيل : هاتان الجملتان لنفي العبادة حالاً كما في الأوّلين لنفيها استقبالاً كما فسّره الطبرسيّ لهذا المعنى قال الزجّاج : نفى الرسول بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه في الحال و في المستقبل و أعلمه الله بحال هؤلاء أنّهم لا يؤمنون و لو قلنا بالتكرار فوجهه أنّ القرآن نزل بلغة العرب و من عادتهم التكرار في الكلام إذا كان الغرض الإفهام و التأكيد كما يقول المجيب : بلى بلى و يقول الممتنع : لالا و مثله[1] « كلّا سوف تعلمون * ثم كلّا سوف تعلمون » قال الشاعر :

نعق الغراب ببين ليلى غدوة * كم كم و كم بفراق ليلى ينعق

[لكم دينكم ولي دين] والياء إسكانها وفتحها سائغان في قوله : «ولي » وذكر في معنى الآية وجوه :

أحدها بحذف المضاف أي لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فأقام المضاف إليه مقام المضاف .

و ثانيها أنّ المعنى لكم كفركم ولي دين التوحيد و هذا إن كان ظاهره أباحة لكنّه وعيد و تهديد و مبالغة في الزجر كقوله[2] : « اعملوا ماشئتم » .

وثالثها أنّ الدين الجزاء فالمعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي و حاصل المعنى أنّ دينكم الّذي هو الإشراك مقصور لكم لا يتجاوزه إلى الحصول لي كما تطمعون فإنّ ذلك من المحال و إنّ ديني الّذي هو التوحيد مقصور لي لأنّكم علّقتموه بالمحال الّذي هو عبادتي لآلهتكم واستلامي إيّاها .

قيل : هو منسوخ بآية السيف .

تمّت السورة

---

(١) سورة ألهاكم : ٣ - ٤ . (٢) سورة حم السجدة : ٤٠ .

سورة الفتح

مدنيّة في حديث اُبيّ من قرأها فكأنّما شهد مع رسول‌الله فتح مكّة . وروى كرّام الخثعميّ عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: من قرء سورة الفتح في نافلة أو فريضة نصره‌الله على أعدائه و جاء يوم القيامة و معه كتاب ينطق قد أخرجه الله يوم القيامة من جوف قبره فيه أمان من حرّ جهنّم ومن النّار ومن زفير جهنم، يسمعه باُذنيه فلايمرّ على شيء يوم القيامة إلّا بشّره وأخبره بكلّ خير حتّى يدخل الجنّة.

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصرالله و الفتح (١) و رأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً (٢) فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابآ (٣).

إذا جاءك يا محمد إعانته تعالى و إظهاره إيّاك على أعدائك ، و السورة نزلت قبل فتح مكّة كما عليه الأكثر فالإعلام بذلك قبل وقوعه من أعلام النبوّة والمراد من « الفتح » فتح مكّة و سمّي ذلك الفتح فتح الفتوح كما أنّ نفسها سمّيت أمّ القرى وقيل : نزلت السورة في أيّام التشريق بمنى في حجّة الوداع و عاش صلى الله عليه وآله بعده ثمانين يوماً .

[ورأيت النّاس] أبصرتهم أو علمتهم يعني العرب أوالاستغراق العرفيّ و لعلّ المراد بالأمر بالاستغفار لمن سواه و إدخاله صلى الله عليه وآله في الأمر تغليب [يدخلون في دين الله] أي ملّة الإسلام الّتي لادين يضاف إليه تعالى غيرها لأنّ الدين عندالله الاسلام [أفواجاً] حال من فاعل «يدخلون» أي رأيتهم يدخلون فيه جماعات كثيرة كأهل مكّة و الطائف و اليمن و هوازن و سائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحداً واحداً واثنين اثنين .

روي أنّه صلى الله عليه وآله لمّا فتح مكّة أقبلت العرب بعضها على بعض و قالوا : إذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه أحد فكانوا يدخلون في دين الإسلام أفواجاً من غير قتال و كانت تتابع وفود مثل بني زهرة وبني مرّة وبني كلب و بني كنانة و بني هلال من الأكناف .

قال أبوعمرو بن عبدالبرّ : لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله وفي العرب رجل كافر و دخل الكلّ في الإسلام و أمّا نصارى بني تغلب فما أسلموا في حياته صلى الله عليه وآله ولكن أعطوا الجزية .

و في عين المعاني المراد من « الناس » في الآية أهل اليمن قال ﷺ: الإيمان يماني و الحكمة يمانيّة .

و عن جابر بن عبدالله أنّه بكى ذات يوم فقيل له في ذلك فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : دخل الناس في دين الله أفواجاً و سيخرجون أفواجاً .

[فسبّح بحمد ربّك و استغفره] هذا أمر من الله بأن ينزّهه عمّا لا يليق به من صفة النقص وأن يستغفره لأنّ النعمة يقتضي الشكر و القيام بحقّها وتعظيم المنعم من لوازم العبوديّة فكأنّه قال : قد حدث أمر عجيب يقتضي الشكر والاستغفار وإن لم يكن ذنب فإنّ الاستغفار قد يكون عند ذكر المعصية و قد يكون على وجه التسبيح والانقطاع إلى الله ويمكن أن يكون الأمر بالاستغفار من باب « إيّاك أعني و اسمعي » أو المراد استغفره هضماً لنفسك و استغفاراً لعملك و استعظاماً لحقوق الله و تعجّباً من هذا الأمر العظيم من الغلبة على الكفّار بأن تقول : سبحان الله كما ورد في الأذكار « و لكلّ أعجوبة سبحان الله » و قد اقترن الحمد بالتسبيح في القرآن في أغلب الموارد نحو[1] « و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده » وحاصل المعنى : فاذكره مسبّحاً حامداً وزد في عبادته والثناء في عبادته لزيادة إنعامه أو المراد من التسبيح مجاز عن الصلاة بعلاقة الجزئيّة ، روي أنّه ﷺ لمّا فتح باب الكعبة صلّى صلاة الضحى أربعاً منها للشكر و أربعاً للضحى [إنّه كان توّاباً] مبالغاً في قبول توبتهم .

قيل : لمّا نزلت السورة قرأها على أصحابه ففرحوا واستبشروا و سمعها العبّاس فبكى فقال ﷺ : ما يبكيك يا عمّ ؟ فقال : أظنّ أنّه قد نعيت إليك نفسك يا رسول الله فقال صلّى الله عليه و آله : إنّه كما تقول : فعاش بعدها سنتين أو سنة .

و اختلف في أنّهم من أيّ وجه علموا ذلك وليس في ظاهره نعي فقيل : لأنّ التقدير فسبّح بحمد ربّك فإنّك لاحقٌ بالله و ذائق الموت لأنّ أمرك قد تمّ و كمل و كلّ ما كمل توقّع زواله ، وبعد هذه السورة كان ﷺ كثيراً ما يقول : سبحانك اللهمّ وبحمدك اللهمّ اغفر لي إنّك أنت التوّاب الرحيم .

---

(١) سورة الاسراء ، ٤٤ .

قالت أمّ سلمة : بعد هذه كان رسول الله لايقوم ولا يقعد ولايجيء ولا يذهب إلاّ قال : سبحان الله و بحمده أستغفر الله و أتوب إليه .

و قصّة فتح مكّة طويلة لايسعها هذا المختصر و المجمل منها أنّه لمّا فتحها و دخل مكّة دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنّون أنّ السيف لايرفع عنهم فأتى رسول الله ﷺ ووقف قائماً على باب الكعبة فقال : لاإله إلاّ الله وحده وحده ،أنجز وعده و نصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا إنّ كلّ مال ودم يدّعى هو تحت قدميّ هاتين إلاّ سدانة الكعبة وسقاية الحاجّ فإنّهما مردودتان إلى أهلهما،ألا إنّ مكّة محرّمة بتحريم الله لم تحلّ لأحد كان قبلي ولم تحلّ لي إلاّ ساعة من نهار وهي محرّمة إلى أن تقوم الساعة لايقطع شجرها ولاينفر صيدها ولا تحلّ لقطتها إلاّ لمنشد ثمّ قال ﷺ ألا لبئس جيران كنتم لقد كذّبتم و طردتم و أخرجتم و آذيتم ثمّ مارضيتم حتّى جئتموني في بلادي تقاتلوني فاذهبوا فأنتم الطلقاء ،فخرج القوم فكأنّما أُنشروا من القبور .

وكان يومئذ حول البيت ثلاثمائة و ستّون صنماً .

قيل : فجعل ﷺ يطعنها بعود في يده و يقول : « جاء الحقّ و زهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً » وقال ابن عبّاس : إنّ رسول الله ﷺ أبى أن يدخل البيت و فيه الآلهة فأمر بها فأُخرجت من البيت و فيها صورة إبراهيم و إسماعيل و في أيديهما الأزلام فقال ﷺ : قاتلهم الله أما و الله لقد علموا أنّهما لم يستقسما بالأزلام قطّ . تمّت

السورة بعون الله

سورة تبت

☼(مكية)☼

قال ﷺ : من قرأها رجوت أن لايجمع الله بينه و بين أبي لهب في دارواحدة قال : وإذا قرأتم « تبّت » فادعوا على أبي لهب ، فإنّه كان من المكذّبين بماجاء من عندالله .

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت يدا أبى لهب و تب (١) ما أغنى عنه ماله و ما كسب (٢) سيصلى ناراً ذات لهب (٣) و امرأته حمالةالحطب (٤) فى جيدهاحبل من مسد (٥).

النزول : صعد ﷺ ذات يوم الصفا فقال : يا صباحاه !وكان هذا النداء عند العرب للاجتماع فاجتمعت إليه قريش فقالوا له : مالك؟فقال : أرأيتم لو أخبرتكم أنّ العدوّ مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدّقوني؟قالوا : بلى قال : فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبولهب : تبّاً لك لهذا دعوتنا جميعاً ؟ فأنزل الله هذه السورة أوردها البخاريّ في الصحيح .

المعنى : تبّت و خسرت يداه لأنّ أكثر العمل باليد فلذا خصّ اليد بالذكر ، والمراد خسرت نفسه بالوقوع في النار ، تقول العرب: « و أيدي الرزايا بالذخائر مولع» .

و قيل : المعنى صفرت يداه عن كلّ خير،قال الفرّاء : الأوّل دعاء و الثاني خبر فالمعنى أهلكه الله و قد اُهلك . وفي قراءة عبدالله بن سلام و اُبيّ «وقدتب» .

و أبولهب ابن عبدالمطّلب عمّ النبي ﷺ وكان شديد المناصبة للنبيّ ﷺ و مع ذلك لم يقل «قل تبّت يدا إلخ » لئلاّ يكون مشافهاً لعمّه بالشتم و إن سمعه عمّه ، لحرمة العمومة ، فأجاب الله عنه لأنّ للعمّ حرمةً كحرمة الأب ، قال طارق المحار بيّ : بينا أنا بسوق ذي المجاز إذاً بشابّ يقول : يا أيّها النّاس قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا وإذاً برجل خلفه يرميه بحجر قدآذى ساقيه وعرقوبيه يقول : يا أيّها الناس إنّه كذّاب فلا تصدّقوه فقلت : من هذا ؟ فقالوا : محمّد يزعم أنّه نبيّ و هذا عمّه أبو لهب يزعم أنّه كذّاب ، و كان اسمه عبدالعزّى و كنّى بهذا الكنية لحسنه و إشراق وجهه و كانت و جنتاه كأنّهما تلتهبان و هذه التكنية حيث ذكره الله بالكنية لاشتهاره بها لا للتعظيم أو لكراهة ذكر اسمه القبيح ؛ إذ فيه إضافة إلى الصنم أو للتعريض بكونه جهنّمياً لأنّه [سيصلى ناراً ذات لهب] يعني إنّ أبا لهب باعتبار معناه الإضافيّ يصلح أن يكون كناية عن حاله وهي كونه جهنّمياً لأنّ معناه باعتبار إضافته ملابس اللهب كما أنّ معنى «أبوالخير» و«أخو الحرب» بذلك الاعتبار ملابس الخير و الحرب .

و قرىء أبو لهب بالواو كما قيل : عليّ بن أبو طالب مع أنّ القياس الياء كيلا يتغيّر اللفظ فيشكل على السامع لأنّ الكنية بمنزلة العلم و الأعلام لاتتغيّر في شيء من الأحوال وكان لبعض أمراء مكّة ابنان أحدهما عبدالله بالجرّ والآخر عبدالله بالفتح .

[ما أغنى عنه ماله و ما كسب] أي لم يغن عنه ماله حين حلّ به التباب ولا دفع عنه عذاب الله و« ما » في قوله : « و ما كسب » موصولة و الضمير العائد من الصلة محذوف أي الّذي كسبه و « ما » الأولى نافية وقيل : استفهاميّة أي أيّ إغناء أغنى عنه أصل ماله و ما كسبه من الأرباح و النتائج ؟

وقد هلك أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال و العدسة بثرة يخرج في البدن تشبه العدسة وهي من جنس الطاعون تقتل غالباً فاجتنبه أهله مخافة العدوى

و كانت قريش تتّقيها كالطاعون فبقي ثلاثاً حتّى أنتن ثمّ استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه . و في «إنسان العيون» أنّه لم يحفر واله حفيرة ولكن أسندوه إلى حائط و قذفوا إليه الحجارة خلف الحائط حتّى واروه و قيل : حفروا له حفرة ثمّ دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتّى واروه مخافة العدوى و القبر الّذي يرجم خارج الشبيكة الآن ليس بقبر أبي لهب و إنّما هو قبر رجلين من الملاحدة القرامطة لطّخا الكعبة بالعذرة و ذلك في دولة بني العبّاس فإنّ الناس أصبحوا يوماً فوجدوا الكعبة ملطّخة فرصدوا للفاعل فأمسكوهما بعد أيّام فصلبا في ذلك الموضع فصارا يرجمان إلى الآن .

[سيصلى] في النشأة الآخرة و يدخل لا محالة [ناراً ذات لهب] عظيمة ذات اشتعال و توقّد .

[و امرأته] عطف على الضمير في « سيصلى » يعني إنّ امرأته ستصلى وهي أُمّ جميل بنت حرب بن أُميّة أُخت أبي سفيان عمّة معاوية و اسمها العوراء و كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنشرها بالليل في طريق رسول الله [حمّالة الحطب] و قيل : إنّها تحمل يوم القيامة حزمة حطب كالزقّوم والضريع وفي جيدها سلاسل النار كما يعذّب كلّ مجرم بما يناسب حاله من سنخ معصيته، قال قتادة : إنّها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدّة بخلها فعيّرت بالبخل و قيل : كانت تمشي بالنميمة و تفسد بين الناس و المراد من حمّل الحطب أي توقد بينهم نائرة الفتنة و تحمّل الحطب استعارة عن إيقاد نار الفتنة .

[في جيدها حبل من مَسَد] المسَد مايفتل من الحبال فتلاً شديداً من ليف كان أو جلد أو غيرهما والمعنى أنّ في عنقها حبلاً ممّا مسد من الحبال وإنّها تحمل الحزمة من الشوك و تربطها في جيدها كما يفعل الحطّابون تخسيساً لحالها .

قال مرّة الهمدانيّ : كانت أُمّ جميل تأتي كلّ يوم بإبالة من حسك فتطرحها على طريق النبيّ و المؤمنين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمةً أعيت فقعدت على

حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها حتّى هلكت .

و في ينبوع الحياة أنّها لمّا بلغها سورة تبّت جاءت إلى أخيها أبي سفيان في بيته و هي متحرّقة غضبى فقالت له : و يحك يا أحمس (أي يا شجاع) أما تغضب أن هجاني محمّد ؟ فقال : سأكيفك إيّاه ثمّ أخذ سيفه و خرج ثمّ عاد سريعاً فقالت له : هل قتلته ؟ فقال : يا أُختي أيسرّك أنّ رأس أخيك في فم ثعبان ؟ قالت : لا قال : و الله فقد كاد ذلك يكون الساعة . فإنّه رأى ثعباناً لو قرب من النبيّ ﷺ لألتقم رأسه .

و قيل في معنى الآية أنّه يكون لها حبل في خشونة الليف و حرارة النار وثقل الحديد يجعل في عنقها زيادة في عذابها في جهنّم بسبب فعلها في الدنيا . وقيل : في عنقها سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعاً تدخل من فيها و تخرج من دبرها و تدار على عنقها في النار عن ابن عبّاس وعروة بن الزبير، وسمّيت السلسلة « مسداً » بمعنى أنّه ممسودة أي مفتولة . وقيل : إنّها كانت قلادة فاخرة ثمينة من جوهر فقالت : لأُنفقنّها في عداوة محمّد ﷺ فيكون هذا عذابها يوم القيامة في عنقها عن سعيد بن المسيّب .

و يروى عن أسماء بنت أبي بكر قالت لمّا نزلت هذه السورة أقبلت العوراء و لها ولولة و في يدها فهر و هي تقول : « مذمّماً أبينا و دينه قلينا [1] ، و أمره عصينا » والنبيّ جالس في المسجد و معه أبوبكر فلمّا رآها أبوبكر قال : يارسول الله قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك ، قال ﷺ : إنّها لن تراني وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال سبحانه : « و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الّذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً [2] » فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله فقالت : يا أبابكر إنّ صاحبك هجاني فقال : و ربّ البيت ما هجاك فولّت .

ولو قال قائل : إنّ أبا لهب هل كان يلزمه الايمان بعد هذه الآية وهل كان

---

(١) قلا الشيء ، ابغضه .

(٢) سورة الاسراء ، ٤٥ .

يقدر على الايمان بعد قوله تعالى : « سيصلى ناراً ذات لهب » و لو آمن لكان فيه تكذيب خبر الله .

فالجواب نعم هو كان يلزمه الايمان وكان مكلفاً به وإنّما توعّده الله هذا الوعيد بشرط أن لا يؤمن ، ألا ترى في قصّة فرعون[1] « الآن وقد عصيت قبل » و في هذا دلالة على أنّه لو تاب قبل وقت اليأس لكان يقبل منه و لهذا خصّ ردّ التوبة عليه بذلك الوقت . تمّت السورة بعون الله

(١) سورة يونس : ٩١ .

سورة الاخلاص

(قيل : مكية و قيل : مدنية)

وتسمى بسورة النسبة وسميت سورة الإخلاص لأن من تمسك بما فيها إقراراً و اعتقاداً كان مؤمناً مخلصاً .

و من قرءها على سبيل التعظيم أخلصه الله من النار .

وفي الحديث أنه ﷺ يقول لسورتي قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد: « المقشقشتان » سميتا بذلك لأنهما يعريان من الشرك يقال : قشقش المريض إذا برىء من علته و أفاق و منه قشقش الهناء الجرب .

في حديث أبي بن كعب من قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن وأعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من آمن بالله وملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر .

و عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ : أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن ؟ قلت : يا رسول الله و من يطيق ذلك ؟ قال : اقرءوا «قل هو الله أحد» .

و عن أنس عن النبي ﷺ قال : من قرأ « قل هو الله أحد » مرة بورك عليه و من قرأها مرتين بورك عليه و على أهله فإن قرءها ثلاثاً بورك عليه و على أهله و جيرانه فإن قرأها اثنتي عشرة بني له اثنا عشر قصراً في الجنة فإن قرأها مائة مرة كفر عنه ذنوب خمس و عشرين سنة ماخلا الدماء و الأموال فإن قرأها أربعمائة كفر عنه ذنوب أربعمائة سنة فإن قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه في الجنة .

و عن سهل بن سعد الساعدي قال : جاء رجل إلى النبي فشكا إليه الفقر و ضيق المعاش فقال ﷺ له : إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد أولم يكن واقرء «قل هو الله أحد» مرة واحدة ففعل الرجل فأفاض الله عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه .

وعن الصادق عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى على سعد بن معاذ فلمّا صلّى عليه قال :لقد رأيت من الملائكة سبعون ألف ملك و فيهم جبرئيل يصلّون عليه فقلت : يا جبرئيل بم استحقّ سعد صلاتكم عليه؟قال : بقراءة « قل هوالله » قاعداً وقائماً راكباً و ماشياً ذاهباً و جائياً .

منصور بن حازم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من مضى به يوم واحد و صلّى فيه الخمس من الصلوات ولم يقرء فيها بقل هو الله قيل له : يا عبدالله لست من المصلّين.

إسحاق بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من مضت عليه جمعة ولم يقرء فيها بقل هوالله ثمّ مات مات على دين أبي لهب .

هارون بن خارجة عنه عليه السلام قال : من أصابه مرض أوشدّة فلم يقرء في مرضه أو شدّته بقل هو الله أحد ثمّ مات في مرضه أو في تلك الشدّة الّذي نزلت به فهومن أهل النار .

أبو بكر الحضرمي عنه عليه السلام قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايدع أن يقرء في دبر الفريضة بقل هوالله أحد فإنّه من قرأها جمع له خير الدنيا والآخرة وغفر الله له ولوالديه وما ولدا .

عبد الله بن حجر قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : من قرء التوحيد إحدى عشر مرّة في دبر الفجر لم يتبعه في ذلك اليوم ذنب و أزعم أنف الشيطان .

إبراهيم مهزم عن من سمع أبا الحسن عليه السلام يقول : من قدّم التوحيد بينه و بين كلّ جبّار منعه الله منه فقرأها بين يديه ومن خلفه و عن يمينه وعن شماله فإذا فعل ذلك رزقه خيره ومنعه شرّه وقال : إذا خفت أمراً فاقرء مائة آية من القرآن حيث شئت ثمّ قل : اللّهم اكشف عنّي البلاء ثلاث مرّات . وبحذف الأسانيد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من قرأ سورة التوحيد مائة مرّة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة .

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد (١) الله الصمد (٢) لم يلد ولم يولد (٣) ولم يكن له كفواً أحد (٤) .

«أحد» أصله وحد فقلبت الواو همزة ومثله أناة وأصله وناة. وأحد على ضربين: أحدهما أن يكون اسماً والآخر أن يكون صفة فالاسم نحو أحد و عشرون يريد به الواحد والصفة كقول النابغة :

كأنّ رحلي و قد زال النهار بنا ☆ بذي الجليل على مستأنس وحد

والأحد اسم لمن لايشاركه شيء في ذاته كما أنّ الواحد اسم لمن لايشاركه شيء في صفاته يعني إنّ الأحد هو الذات وحدها من غير اعتبار كثرة فيها فأُثبت له الأحديّة الّتي هي الغنى والفرديّة عن كلّ ما عداه وذلك من حيث عينه وذاته من غير اعتبار أمر آخر و الواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات و هي الحضرة الأسمائيّة ولذا قال [1]: «إنّ إلهكم لواحد» ولم يقل : لأحد لأنّ الواحديّة من أسماء التقييد فبين الواحديّة و بين الخلق ارتباط من حيث الإلهيّة والمألوهيّة بخلاف الأحديّة إذ لايصحّ ارتباطها بشيء .

وبالجملة في سبب نزول السورة قيل : إنّ المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله : انسب لنا ربّك فنزلت .

وقيل : أتى عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخو لبيد النبيّ صلى الله عليه وآله وقال عامر: إلى ما تدعونا يا محمد فقال : إلى الله فقال : صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضّة أم من حديد أم من خشب فنزلت السورة . وهما اللّذان همّا بقتل النبيّ صلى الله عليه وآله فأرسل الله صاعقة على أربد فأهلكته وطعن عامر بغدّة ولم تمهله الغدّة أن يصل إلى أهله فأدركه

(١) سورة الصافات : ٤ .

الليل و هلك في بيت امرءة سلوليّة فقيل في الأمثال « غدّة كغدّة البعير و موت في بيت السلولي » وسلول يعيّرون وينسبون إلى المهانة والصغار .

وروى محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله قال: إنّ اليهود سألوا النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا: انسب لنا ربّك فمكث ثلاثاً لايجيبهم ثمّ نزلت السورة .

و قيل : إنّ هذه السورة صارت سبب إسلام عبد الله بن سلام ذكره القاضي عبد الجبّار في تفسيره أنّ عبد الله بن سلام انطلق إلى مكّة عند رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : اُنشدك بالله هل تجد في التوراة رسول الله؟ فقال عبد الله : انعت لنا ربّك فنزلت السورة فقرأها النبيّ فأسلم ولكن كان يكتم ذلك إلى أن هاجر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة فهناك أظهر إسلامه .

[قل هو الله أحد] الضمير للشأن كقولك : هو زيد منطلق و ارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة أي شأن الأمر والقصّة أنّ الله أحد أو الضمير لما سئل عنه فالمعنى قل يا محمّد : الّذي سألتم عنه هو الله فهو مبتدء والله خبره و «أحد» بدل منه و إبدال النكرة من المعرفة عند العائد يجوز على ماذهب إليه أبوعليّ وهو المختار عند الأكثر .

« أحد » في الإلهيّة والذات والقدم ، واحد لايشركه في وجوب صفاته أحد فإنّه يجب أن يكون موجوداً عالماً قادراً حيّاً لذاته لالغيره وإلاّ لزم النقص فاختصّ بالواحديّة من هذا الوجه إذ لايشركه في هذا الأمر سواه فلا يستحقّ العبادة سواه فهذه الأحديّة والواحديّة ليس أحد متّصفاً به ، والأحد في الواحديّة قطع النظر عن المعاني الّتي فسّرت أبلغ من معنى الواحد ألا ترى أنّك لو قلت : فلان لايقاومه واحد جاز أن يقاومه اثنان لكن لمّا قلت : لايقاومه أحد لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر فهو أبلغ .

فالأحدية هي الغنى عن كلّ ماعداه من حيث عينه وذاته من غير اعتبار أمر آخر ، و الواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات الّتي هي الحضرة الأسمائيّة ولذا قال : « إن إلهكم لواحد » ولم يقل : « لأحد » لأنّ الواحديّة من أسماء التقييد ، و بينها و بين الخلق ارتباط من حيث الإلهيّة و المألوهيّة ، بخلاف

الأحديّة . فمعرفة الذات في الحقيقة كما هو يختصّ به تعالى لاغير ، فقوله « هو الله أحد » ثلاثة ألفاظ كلّ واحد منها إشارة إلى مقام السائرين إلى الله .

فالمقام الأوّل مقام المقرّبين وهم الّذين نظروا إلى ماهيّات الأشياء وحقائقها من حيث هي هي ، فلا جرم ما رأوا شيئاً إلّا و رأوا الله معه ، فالحقّ الثابت الباقي هو الّذي لذاته يجب وجوده وأمّا ماعداه فممكن ، إذا نظر إليه من حيث هوهو كان معدوماً . و كلمة «هو» و إن كانت للإشارة المطلقة مفتقرة في تعيين المراد بها إلى سبق الذكر إلّا أنّ هؤلاء الطبقة يشيرون بهذه الكلمة به تعالى ولا يفتقرون في تلك الإشارة إلى مايميّز المراد بها من غيره لأنّ الافتقار إلى المميّز إنّما يحصل حيث وقع الإبهام بأن يتعدّد ما يصلح لأن يشار إليه لأنّهم لايشاهدون بعين عقولهم إلّا هو . و اعلم أنّه ليس المراد من هذا الكلام أنّهم قائلون بوحدة الوجود ، هذا القول فاسد بل المراد أنّ نظرهم و وجهتهم من غيره تعالى مقطوع وأنّهم منقطعون إليه ولا يعرفون غيره أبداً ، هوهو إله إلّا هو . فهذه الكلمة كافية لحصول العرفان لهذه الطبقة يعني الأنبياء والأولياء المنصوصة عليهم بنصّ الله .

و المقام الثاني مقام أصحاب اليمين و هو دون المقام الأوّل و ذلك لأنّهم شاهدوا بعين عقولهم الحقّ موجوداً و شاهدوا الخلق أيضاً موجوداً بخصلة الكثرة في الموجودات ، فلاجرم لم تكن لفظة «هو» كافية في الإشارة إلى الحقّ بل لابدّ هناك من مميّز به يتميّز الحقّ من الخلق . فهذه الطبقة مفتقرون إلى أن يقترن لفظة « إليه » بلفظ « هو » فقيل لأجلهم « هوالله » لأنّ لفظ « الله » اسم للموجود الّذي يفتقر إليه ماعداه فتتميّز به الذات المرادة عمّاعداه .

و المقام الثالث مقام أصحاب الشمال وهم الّذين يجوّزون أن يكون واجب الوجود أكثر من واحد فقرن لفظة « الأحد » ردّاً عليهم ، بل هوالله أحد ، انتهى .

قال الباقر عليه السلام : في معنى «قل هوالله أحد» أظهر يا محمد ما أنبأناك به بتأليف الحروف الّتي قرأناها عليك ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد ، هو اسم مكنيّ مشار إلى غائب فالهاء تنبيه عن معنى ثابت والواو إشارة إلى الغائب عن الحواسّ كما

أن «هذا» تنبيه وإشارة إلى الشاهد عند الحواس وذلك أن الكفار نبهوا على آلهتهم بحرف إشارة إلى المشاهد المدرك فقالوا : هذه آلهتنا المحسوسة بالأبصار فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نريه و ندركه ولا نأله[1] فيه فأنزل الله « قل هو الله أحد » إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار و لمس الحواس تعالى عن ذلك بل هو مدرك الأبصار في شأن الأحدية والواحدية الذي لا يشاركه في ذاته وصفاته أحد .

و قال الباقر : حدثني أبي عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : رأيت الخضر في المنام قبل بدر بليلة فقلت له : علمني شيئاً أنتصر به على الأعداء فقال :قل ياهو يامن لاهو إلا هو فلما أصبحت قصصت على رسول الله فقال صلى الله عليه وآله : ياعلي علمت الاسم الأعظم فكان على لساني يوم بدر .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤول الخلق إليه ، المستور عن إدراك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات .

وقال الباقر عليه السلام : الله معناه المعبود الذي أله فيه الخلق والهمزة مقلوبة من الواو أي وله فيه الخلق عن إدراك ما هيته و الاحاطة بكيفيته، تقول العرب : أله الرجل إذا تحير في الشيء فلم يحط به علماً وقد اُثبت «قل» في المصحف والتزم في التلاوة مع أنه ليس من دأب المأمور بكلمة « قل » أن يتلفظ في مقام الايتمار إلا بالمقول لأن المأمور ليس المخاطب به فقط بل كل واحد ابتلي بما ابتلي به المأمور .

[الله الصمد] مبتدء وخبر ،صمد، إليه إذا قصده أى هو السيد المصمود إليه في الحوائج المستغني بذاته وغيره محتاج إليه قال الباقر عليه السلام : حدثني أبي زين العابدين عن أبيه أنه قال : « الصمد » الذي انتهى سودده و الصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال ،والصمد الذي لا جوف له ، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب ، وقال الباقر : والصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر ولا ناه . وقال محمد بن الحنفية : الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره .وقال غيره : الصمد المتعالي عن الكون والفساد والذي لا يوصف بالنظائر .

(١) مضارع أله ، اى تحير .

و عن الباقر عن أبيه عليهما السلام أنّ أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام يتسألونه عن الصمد فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تكلّموا فيه بغير علم فقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من قال في القرآن بغير علم فليتبوّء مقعده من النار وإنّ الله فسّر الصمد فقال : [لم يلد ولم يولد ٭ ولم يكن له كفواً أحد] لم يخرج منه شيء كثيف كالولد ولا سائر الأشياء الكثيفة الّتي تخرج من المخلوقين ولا شيء لطيف كالنفس ولا ينبعث منه البدوات كالسّنة والخطرة و الغمّ و النوم و البهجة و الضحك و البكاء و الخوف والرجاء والجوع و الشبع فتعالى أن يتولّد منه شيء لطيف أو كثيف ولم يتولّد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة واللطيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابّة من الدابّة بل هو الله الصمد الّذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء .

وعن عبد خير قال : سأل رجل عليّاً عليه السلام عن تفسير هذه الآية فقال عليه السلام : هو الله أحد بلا تأويل عدد، صمد بلا تبعّض بدد، لم يلد فيكون موروثاً هالكاً ولم يولد فيكون إلهاً مشاركاً ولم يكن له من خلقه كفؤ . وقيل : إنّه سبحانه بيّن التوحيد بقوله : « الله أحد » وبيّن العدل بقوله : « الله الصمد » و بيّن ما يستحيل عليه من الوالد و الولد بقوله : « لم يلد ولم يولد » وبيّن مالا يجوز عليه من الصفات كاتّخاذ الصاحبة و أنّه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض و أمثالها بنفي الكفويّة فحصلت الوحدانيّة البحت .

تمّت السورة بعون الله

سورة الفلق

(قيل : مكية و قيل: مدنية)

في حديث اُبيّ : ومن قرأ المعوّذتين فكأنّما قرأ جميع الكتب الّتي أنزلها الله تعالى على الأنبياء .

و عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله اُنزلت عليّ آيات لم تنزل مثلهنّ : المعوّذتان . أورده مسلم في الصحيح .

و عنه عن النبيّ صلى الله عليه وآله يا عقبة ألا اُعلّمك سورتين هما أفضل القرآن - أو من أفضل القرآن -؟ قلت : بلى ، فعلّمني المعوّذتين ثمّ قرأتهما في صلاة الغداة وقال لي : اقرأهما كلّما قمت ونمت .

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الفلق (١) من شر ما خلق (٢) ومن شر غاسق اذا وقب (٣) ومن شر النفاثات في العقد (٤) ومن شر حاسد اذا حسد (٥) .

يقال في المثل «هو أبين من فلق الصبح» و الفلق بمعنى المفلوق كالصمد بمعنى المصمود والفلق أيضاً الخلق لأنّ الممكنات بأسرها أعيان ثابتة في علم الله مستورة تحت ظلمة العدم فالله تعالى فلق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد فأظهر مافي علمه من المكنونات فصارت مفلوقاً عنها . قيل : إذا طلع الصبح تتبدّل الثقلة بالخفّة والغمّ بالسرور .

روي أنّ يوسف عليه السلام لمّا اُلقي في الجبّ وجعت ركبته وجعاً شديداً فبات ليلة ساهراً فلمّا قرب طلوع الصبح نزل جبرئيل باذن الله يأمره بأن يدعو ربّه فقال: ياجبرئيل ادع أنت واُؤمّن فدعا جبرئيل وأمّن يوسف فكشف الله ماكان به من الضرّ فلمّا طاب وقت يوسف قال : يا جبرئيل و أنا أدعو أيضاً و تؤمّن أنت فسأل يوسف ربّه أن ينكشف الضرّ عن جميع أهل البلاء في ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض إلاّ ويجد نوع خفّة في آخر الليل .

وقيل في الفلق : إنّه بيت في جهنّم إذا فتح صاح جميع أهل النار . في المعاني سئل الصادق عليه السلام عن الفلق قال : صدع في النار فيه سبعون ألف دار في كلّ دار سبعون ألف بيت في كلّ بيت سبعون ألف أسود في جوف كلّ أسود سبعون ألف حبرة سمّ لابدّ لأهل النار أن يمرّوا عليها ، والحاصل أمر من الله لنبيّه والمراد جميع اُمّته .

[قل] يا محمّد : أعتصم و أمتنع [بربّ] الصبح و خالقه [من شرّ ما خلق] من الجنّ و الانس و سائر الحيوانات ،و إنّما سمّي الصبح فلقاً لانفلاق عموده بالضياء عن الظلام كما قيل : «فجر» لانفجاره بذهاب ظلامه و قيل : الفلق المواليد

كالنقرة في الصخرة لأنّهم ينفلقون بالخروج من أصلاب الآباء وأرحام الأمّهات وقوله : «ما خلق» عامّ في جميع ماخلقه الله ممّن يمكن أن يحصل منه الشرّ وإضافة الشرّ إليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسّس على امتزاج الموادّ المتباينة وتفاعل كيفيّاتها المتضادّة المستتبعة للكون و الفساد من شرّ حصول الشرّ ممّا خلق كالاستيمام من السمّ فتأمّل . وأمّا عالم الأمر فهو خير محض منزّه عن شوائب الشرّ بالكلّيّة .

[ومن شرّ غاسق إذا وقب] أي من شرّ اللّيل إذا دخل بظلامه فيكون المراد من شرّ مايحدث في الليل من الشرّ والمكروه . وإنّما اختصّ الليل بالذكر لأنّ أغلب الفساد يقدم عليه في الليل .

ومعنى الغاسق كلّ هاجم عليه بضرره كائناً من كان والوقب النقرة في الشيء يجتمع فيها الماء و وقب إذا دخل في وقب الظلام . فالمعنى إذا دخل ظلامه في كلّ شيء و الحاصل أنّ الشرّ ينبعث في الليل أكثر من النهار و يخرج عفاريت الجنّ فيه و كذلك الهوامّ والموذيات . ونهى رسول الله عن السير في أوّل الليل وأمر بتغطية الأواني و إغلاق الأبواب و إيكاء الأسقية و ضمّ الصبيان و كلّ ذلك للحذر من الشرّ والبلاء .

وقيل : المراد بالغاسق القمر ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده . و قيل : وقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجّمون يعدّونه نحساً و لذلك لا تشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض إلّا في المحاق. وروي عن عائشة أنّها قالت : أخذ رسول الله بيدي فأشار إلى القمر فقال : تعوّذي بالله من شرّ هذا فإنّه الغاسق إذا وقب ، وشرّه الّذي يتّقى مايكون في الأبدان ويحدث آفات بسببه .

وقيل : الغاسق الثريّا ووقوبها سقوطها لأنّها إذا سقطت كثرت الأمراض و والطواعين وإذا طلعت قلّت .

[ومن شرّ النفّاثات في العقد] النفث شبه النفخ يكون في الرقية ولاريق معه، وإذا كان معه ريق فهو التفل و العقد مايعقده الساحر على وتر أو حبل أو شعر يقال لها : عزيمة كما يقال لها : «عقدة» والمعنى من شرّ النفوس أو النساء السواحر اللّاتي يعقدن

عقداً في خيوط و ينفثن عليها و تعريفها إمّا للعهد أو إمّا للإيذان بشمول شرّهن و تمحّضهن فيه .

روي عن ابن عبّاس و عائشة أنّه كان غلام من اليهود يخدم النبيّ ﷺ وكان عنده أسنان من مشطه ﷺ فأعطاها اليهودفسحروه ﷺ فيها ولذا ينبغي أن يقطع الظفر بعد التقليم و كذا الشعر إذا سقط من اللحية و الرأس نصفين لئلاّ يسحر به . وتولاّه لبيدبن أعصم اليهوديّ وبناته وهنّ النفّاثات فدفنها في بئر أريس أو بئر بني زريق تسمّى ذروان فمرض النبيّ عليه السلام قيل : إنّه ﷺ لبث فيه ستّة أشهر فنزل جبرئيل بالمعوّذتين ـ بكسر الواو ـ وأخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فأرسل عليّاً و عمّاراً فنزحوا ماء البئر فكأنّه نقاعة الحنّاء ثمّ رفعوا الصخرة الّتي توضع في أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان و معها وتر قد عقد فيه عشر عقدة مغرزة بالإبر فجاؤا بها النبيّ ﷺ فجعل يقرء المعوّذتين عليها فكان كلّما قرأ آية انحلّت عقدة ووجد حتّى انحلّت عقدة الأخيرة عند تمام السورتين فقام ﷺ كأنّما اُنشط من عقال و جعل جبرئيل يقول : بسم الله اُرقيك و الله يشفيك من كلّ شيء يؤذيك من عين وحاسد ،فلذا جوّزوا الاسترقاء بماكان من كلام الله و كلام رسوله لا بما كان ممّا لانفهمه من الهنديّة و العبرانيّة و السريانيّة فإنّه لايجوز العمل به .

والحقّ في المسألة عند الإماميّة أنّ السحر لايؤثّر في النبيّ ، وأمره بالاستعاذة من سحرهنّ لا يدلّ على تاثير السحر فيه وإنّما اُمر بالتعوّذ من السحرة لأنّهم يفعلون أشياء من النفع والضرّ وعامّة الناس يصدّقونهم فيعظم بذلك الضرر في الدين ويوهمون أنّهم يعلمون الغيب ولأجل هذا الضرر اُمر ﷺ بالتعوّذ من شرّ أفعالهم . و أمّا ما نقله المخالفون ليس بصحيح ، مجمع البحرين . قالت المعتزلة : و هذا لايجوز لأنّ من وصف بأنّه مسحور مدخل عقله وقد أبى الله ذلك في قوله : [1]« و قال الظالمون إن تتّبعون إلاّ رجلاً مسحوراً » ولكن يمكن أن يكون اليهوديّ أو بناته ـعلى ماروي ـ اجتهدوا في ذلك ولم يقدروا عليه وأطلع الله نبيّه على مافعلوه حتّى

(١) سورة الفرقان ، ٨ .

استخرج وكان ذلك دلالةعلى صدقه ،وكيف يكون المرض من فعلهم ولو قدروا على ذلك لقتلوه وقتلوا كثيراً من المؤمنين مع شدّة عداوتهم لهم .

وقال أبو مسلم : المراد بالنفث في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليستهل حلّها ، والنفّاثات في الآية هي جنس النساء اللاتي شأنهنّ أن يغلبن على الرجال ويحوّلنهم عن آرائهم بأنواع المكر والحيلة ولأجل استقرار حبّهنّ في قلوب الرجال يتصرّفن فيهم و يحوّلنهم من رأي إلى رأي فأمر الله تعالى بالتعوّذ من شرّهنّ . والسحر عند المعتزلة تخييل لا أصل له وعند بعض قالوا: تمريض وتأثير بما يتّصل به كما يخرج من فم المتثائب ويؤثّر في المقابل وقال بعض: سرعة الحركة ولطافة الفعل فيما خفي فهمه .

[ومن شرّ حاسد إذا حسد] قال النبيّ ﷺ : الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وأوّل ذنب عصي الله به في السماء حسد إبليس لآدم فأخرجه من الجنّة فطردو صار شيطاناً رجيماً و في الأرض قابيل لأخيه هابيل فقتله فأمر الله بالتعوّذ من شرّه ، والحسد الأسف على نعمة عند الغير أوتمنّي زوالها من الغير .

قال الزمخشريّ : عرّف سبحانه بعض المستعاذ منه ونكّر بعضه مثل أن عرّف « النفّاثات » لأنّ كلّ نفّاثة شريرة ونكّر «غاسق » لأنّ كلّ غاسق لا يكون فيه الشرّ إنّما يكون في بعض دون بعض وكذلك كلّ حاسد لا يضرّ وربّ حسد محمود وهو الحسد في الخيرات .

قيل : المراد أنّه تعالى أراد و أمر بالتعوّذ من شرّ نفث الحاسد و من شرّ عينه فإنّه ربّما أصاب بهما .

وروى أنس أنّ النبيّ ﷺ قال : من رأى ما يعجبه فقال : الله الله ماشاء الله لاقوّة إلاّ بالله لم يضرّه شيئاً . وقد جاء في الحديث أنّ العين حقّ .

قال الحسين بن الفضل : ذكر الله الشرور في هذه السورة ثمّ ختمها بالحسد ليعلم أنّه أخبث الطبائع .

و نسب بعض إلى عبد الله بن مسعود أنّ هاتين السورتين ليستا من القرآن و

تعويذتان للنبيّ وللمؤمنين. قال صاحب عين المعاني : الصحيح أنّهما من القرآن إلاّ أنّهما لم تثبتا في مصحف ابن مسعود للأمن من نسيانهما لأنّهما يجريان على لسان كلّ إنسان لا أنّه لم يقبل أنّهما من القرآن . وقد قيل : إنّ مصحف عبدالله حذف منه أمّ الكتاب والمعوّذتان ومصحف أُبيّ بن كعب زيد فيه سورة القنوت وهي قوله: اللّهمّ إنّا نستعينك إلى قوله : من يعجزك، ولكن مصحف زيد بن ثابت كان سليماً من ذلك فكان كلّ من مصحفي أُبيّ وابن مسعود منسوخاً ومصحف زيد معمولاً به وكان ﷺ يعرض القرآن على جبرئيل في كلّ رمضان مرّة واحدة فلمّا كان العام الّذي قبض ﷺ فيه عرضه مرّتين وكان قراءة زيد ـ على ما قيل ـ من آخر الفرض .

قال عبد الله بن مسعود جميع سور القرآن مائة و اثنتا عشرة سورة. قال الفقيه في كتاب البستان : إنّما قال : إنّها مائة واثنتا عشرة سورة لأنّه كان لا يعدّ المعوّذتين من القرآن وكان لا يكتبهما في مصحفه و يقول : إنّهما منزلتان من السماء وهما من كلام ربّ العالمين ولكنّ النبيّ ﷺ كان يرقى ويتعوّذ بهما فاشتبه على ابن مسعود أنّهما من القرآن أو ليستا منه فلم يكتبهما في المصحف .

و قال مجاهد : جميع سور القرآن مائة و ثلاث عشرة سورة لأنّه كان يعدّ الأنفال والتوبة سورة واحدة وقال زيد بن ثابت مائة وأربع عشرة سورة والمعوّذتان سورتان من القرآن

تمّت السورة بعون الله .

سورة الناس

☼(مدنية)☼

الفضل بن يسار قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إنّ رسول‌الله اشتكى ووجع وجعاً شديداً فأتاه جبرئيل وميكائيل عليهما السلام فقعد جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه فعوّذه جبرئيل بقل أعوذ برب الفلق و عوّذه ميكائيل بقل أعوذ بربّ الناس .

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس(١) ملك الناس(٢) اله الناس(٣) من شر الوسواس الخناس (٤) الذى يوسوس فى صدور الناس (٥) من الجنه و الناس (٦) .

أي مالك أُمورهم ومربّيهم بإفاضة ما يصلحهم ودفع مايضرّهم [ملك الناس] عطف بيان لربّ الناس ، أي سيّدهم و القادر عليهم ، ولم يجز هنا إلّا ملك و جاز في فاتحة الكتاب ملك ومالك وذلك لأنّ صيغة «ملك» يدلّ على صفة من يشعر بالتدبّر و ليس كذلك مالك و ذلك لأنّه يجوز أن يقال : مالك الثوب ولا يجوز أن يقال : ملك الثوب، فجرت اللفظة في فاتحة الكتاب على معنى الملك في يوم الجزاء، وفي هذه السورة «ملك» على تدبّر من يعقل التدبير فكان لفظ ملك هنا أولى وأحسن والمعنى ملك الناس كلّهم و مدبّرهم .

[إله الناس] أي ليس ملكه بمجرّد الاستيلاء عليهم و القيام بتدبير أُمورهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق المعبوديّة اللازمة للأُلوهيّة المقتضية للإحياء و الإماتة و الإيجاد و الإعدام فإنّه يحقّ له الإلهيّة ولكم العبوديّة .

[من شرّ الوسواس] الوسوسة الصوت الخفيّ الّذي لا يحسّ به فيحذر منه و الوسواس اسم بمعنى الوسوسة مثل الزلزال بمعنى الزلزلة و أمّا المصدر فبالكسر و الفرق بين المصدر واسم المصدر هو أنّ الحدث إن اعتبر صدوره عن الفاعل و وقوعه على المفعول سمّي مصدراً و إذا لم يعتبر بهذه الحيثيّة سمّي اسم المصدر وحقيقة الوسوسة معنى كلام يكرّره الموسوس ويؤكّده عند من يلقيه إليه والمراد بالوسواس الشيطان لأنّه يدعو إلى المعصية بكلام خفيّ يفهمه الوليّ من غير أن يسمع صوته و وسوسة اللعين بالإغرار بسعة رحمة الله أو بتخييل أنّ له في عمره سعةً و أنّ وقت

التوبة باق بعد و سمّي اللعين بفعله مبالغة كأنّه نفس الوسوسة لدوام و سوسته .

و الإلقاء إمّا صحيح أوفاسد فالصحيح إلهي ربّاني متعلّق بالخير والمعارف أو ملكي روحاني وهو الباعث على الطاعة ومافيه صلاح ويسمّى إلهاماً من القسمين و الفاسد نفساني و هو ما فيه حظّ النفس و يسمّى هاجساً ، أوشيطاني و يسمّى وسواساً .

و ينحصر مايدعو الشيطان إليه ابن آدم في ستّ مراتب :

الاولى الشرك والكفرومعاداة اللهورسوله،فإذا ظفر بذلكمن ابن آدم برد أنينه واستراح من تعبهمعه **والثانية** البدعة وهي أحبّ إلى إبليس من المعصيةلأنّ المعصية يتاب منهافيكون كالعدم والبدعة فالتوبةعنهاغير ممكن وصعبولا يمكن التدارك عنها فإذاعجز اللعينعن هاتين انتقلإلى **المرتبه الثالثة** وهي الكبائرعلى اختلافأنواعها فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى **المرتبة الرابعة** و هي الصغائر الّتي إذا اجتمعت أهلكت صاحبها كالنار الموقدة من الحطب الصغار فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى **المرتبة الخامسة** و هي اشتغاله بالمباحات الّتي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب فإذا عجزعن ذلكانتقل إلى **المرتبة السادسة** وهي أن يشغله بالعمل المفضول عمّا هو أفضل منه ليفوته ثواب العمل الفاضل فمنالشياطين شيطان الوضوء و يقال له الولهان بفتحتين و هوشيطان يولع الناس بكثرة استعمال الماء .قال ﷺ: تعوّذوا بالله من وسوسة الوضوء . و منهم شيطان يقال له «خزب» وهو الملبّسعلى المصلّي في صلاته و قراءته .

[الخنّاس] هو الشيطان ومنعادة الشيطان أن يتأخّر وينقبض إذا ذُكرالله. القمّي: الخنّاساسم الشيطان الّذي إذا غفل الإنسان عنذكر ربّه وسوس إليه .

حكي أنّ بعض الأولياء سألالله أن يريه كيف يأتي الشيطان ويوسوس فرأى صورة الإنسان في صورة إنسان منبلّور وبين كتفيه خال أسود كالعشّ و الوكر فجاء الخنّاس يتحسّس فيجميع جوانبه وهو في صورة خنزيرله خرطوم كخرطوم الفيل

فجاء بين الكتفين فأدخل خرطومه قبل قلبه فوسوس إليه فذكر الله فخنّس و راءه و لذلك سمّي بالخنّاس لأنّه ينكص على عقبيه مهما حصل نورالذكر في القلب .

و لعلّ لهذا السرّ كان ﷺ يحتجم بين كتفيه ويأمر بذلك ووصّاه جبرئيل بذلك لأمّته لتضعيف مادّة الشيطان و تضييق مرصده لأنّه يجري بوسوسته مجرى الدم في بني آدم و كذلك كان خاتم النبوّة بين كتفيه إشارة إلى عصمته من وسوسته لقوله ﷺ « أعانني الله عليه ، وإنّ شيطاني قد أسلم» المراد أنّه عجز واستسلم قرينه و ما أسلم قرين آدم عليه السلام فوسوس إليه .

و يجوز أن يدخل الشيطان في الأجسام وإن كان في الأصل من نار لكن ليس بمحرق لأنّه لمّا امتزج النار بالهواء صار تركيبه مزاجاً مخصوصاً وهو جسم لطيف فيدخل و قال سبحانه : [يوسوس في صدور الناس] و الصدر هو ساحة القلب و بيته فمنه تدخل الواردات على القلب فالصدر بمنزلة الدهليز [من الجنّة و الناس] الجنّة جماعة الجنّ و « من » بيان للّذي يوسوس على أنّه ضربان جنّي و إنسيّ كما قال (١) : « شياطين الإنس و الجنّ » و الموسوس إليه نوع واحد وهو الإنس لأنّه لم يرد دليل على أنّ الجنّي يوسوس في صدور الجنّي، فكما أنّ شيطان الجنّ يوسوس تارةً و يخنّس أخرى كذلك شيطان الإنس يلقي الأباطيل في صورة الناصح فان زجره السامع يترك الوسوسة و يخنّس و إن قبل السامع كلامه بالغ فيه .

و حاصل المعنى أنّه سبحانه أمر العبد أن يستعيذ من شرّ وسوسة الجنّ و الإنس أو أن يستعيذ من شرّ الجنّ والإنس . وفي هذا إشارة إلى أنّ الضرر يلحق من جهة هؤلاء و أنّهم قادرون على ذلك ولو لاه لما حسن الأمر بالاستعاذة منهم .

روى العيّاشي عن جعفر بن محمّد قال : قال رسول الله : مامن مؤمن إلاّ ولقلبه في صدره أذنان أذن ينفث فيها الملك وأذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس يؤيّدالله

---

(١) سورة الانعام : ١١٢ .

المؤمن بالملك وهو قوله سبحانه [١] : « و أيّدهم بروح منه » .

و في الحديث عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا آوى إلى فراشه كلّ ليلة جمع كفيّه و قرأ قل هو الله أحد ، وسورة الفلق ، و سورة الناس فنفث فيهما ثمّ مسح بهما ما استطاع من جسده يبدء بهما رأسه و وجهه وما أقبل من جسده . يصنع ذلك ثلاث مرّات .

وكان ابن كثير إذا انتهى إلى آخر القرآن إلى قوله : « من الجنّة والناس » قرأ سورة الفاتحة و خمس آيات من أوّل سورة البقرة على عدد الكوفيّ وهو إلى « و اُولئك هم المفلحون » لأنّ هذا يسمّى حالّ المرتحل و معناه حلّ من قراءة آخر الختمة و ارتحل إلى ختمة اُخرى إرغاماً للشيطان ، وصار العمل على هذا في أمصار المسلمين و كذلك قراءة سورة التوحيد بعد الختمة ثلاثاً .

قال البخاريّ : عند كلّ ختمة دعوة مستجابة وإذا ختم الرجل القرآن قبّل الملك بين عينيه و يستحبّ الدعاء عند الختم مستقبل القبلة رافعاً يديه خاضعاً لله و يثني على الله قبل الدعاء وبعده ويصلّي على النبيّ ويمسح وجهه بيديه بعد فراغه .

و عنه ﷺ أنّه أمر عليّاً عليه السلام أن يدعو عند ختم القرآن بهذا الدعاء وهو «اللّهمّ إنّي أسألك إخبات المخبتين و إخلاص الموقنين ومرافقة الأبرار و استحقاق حقائق الإيمان والغنيمة من كل برّ و السلامة من كلّ إثم و وجوب رحمتك وعزائم مغفرتك و الفوز بالجنّة و الخلاص من النار» .

وكان النبيّ ﷺ يقول : عند ختم القرآن «اللّهمّ ارحمني بالقرآن العظيم واجعله لي إماماً و نوراً و هدى و رحمة و ارزقني تلاوته آناء الليل و أطراف النهار و اجعله حجّة لي يا ربّ العالمين» .

وقد تمّ بعون الله كتاب «مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر» في تفسير كتاب العزيز الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في الشهر الّذي اُنزل في مثله القرآن من السنة السابعة بعد الثلاثين بعد الثلاثمائة بعد الألف .

---

(١) سورة المجادلة ، ٢٢ .

فيقول العبد الفقير الملتقط المحتاج إلى ربّه القدير الغنيّ المغني فيتضرّع مستكيناً ذليلاً رافعاً يديه الخاطئة مستجدياً من أياديه الفاضلة و آلائه المتواصلة أن يمنّ على هذا العبد الكالّ على مولاه بالقبول فإذا تقبّلها ربّها بقبول حسن فأهدى ثوابهذه الدرّة الثمينة - الّتي خاض في طلبها البحار الزاخرة حتّى اقتناها كبارها و مرجانها و شطوطها وخلجانها - إلى روح حبيبه محمّد الّذي بعثه من أطيب الأعراق وأعظم الجرائيم ، وابن عمّه عليّ الّذي ضرب الخراطيم حتّى كانت الكلمة مجموعة والأصنام مرفوعة ، فجلّت الهديّة ونعم المُهدى له فقد عرض الطيب على عطّاره . وإنّي أستشفع بكتابه العزيز وبالنبيّ والوصيّ في أن يجاوز عن ذنوبي العظيمة الّتي لا أعظم منها إلّا عفوه فأسألك العفو و منّ عليّ بالقبول و الغفران إنّك أهل التقوى وأهل المغفرة.

نجز الجزء الثاني عشر من الكتاب ، و به ختامه
و من الله التوفيق وله المنّة

ختامه مسك

الحمدلله على نعمائه ولاتحصى ، وعلى آلائه ولا تعدّ ، والصلاة والسلام على نبيّه وآله إلى آخر الأمد .

ألقت مكتبتنا ــ من أوّل يوم أُسّست ــ رحلها حيث أُلقى العلم و السؤدد و المجد رحالها ثمَّ لم تتحوّل ، وهناك بيت آل العصمة الّذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً ، فجهدت جُهدها و أعملت وسعها في تيسير الوصول إلى مأمولها و هو إحياء آثارهم و نشر أخبارهم ، فسلكنا وعر المشاكل ولم نخف قعرها ، وقد وُفّقنا كثيراً والمنّة لله .

وهذا كتاب « مقتنيات الدرر » نقدّمها بمجلّداته الاثني عشر إلى المستضيئين بنور الثقلين و نرجو من الله تعالى أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليه و تستفيد منه . وقد أسلفنا في أوّل هذا الجزء ــ و الأجزاء الّتي قبلها ــ ذكراً من الّذين وازرونا في مشروعنا هذا وحمل كلٌّ عبءاً منه ، و نخصّ بالذكر منهم الجامع بين مراتب الفضل والتجارة تلميذ المؤلّف المنقطع إليه الحاجّ ميرزا عبدالحسين « محسنيان » حيث جعل نسخة الكتاب عُرضةً للطبع وسعى سعيه البليغ في نشره ، و الناجر الهميم الموفّق للخير الحاجّ محمود الكاشاني ، الّذي جاد بنفقة طبع الكتاب ، فعلى الله الأجر إنّه وليّ ذلك .

الشيخ محمد الاخوندي

مصوب الاغلاط الواقعة *

صفحه	سطر	صحيح
		ج ١
٩	١٣	قبل أبيه آدم
١٠	١٤	ليعلّمك أويراك
١٢	٦	تنصبها العرب
١٥	٣	إلّا ما أثبته
١٨	٩	الشيخ الطبرسيّ
٢٧	١٦	من انخفض
٤١	٤	رعاء الشاء
٥٨	١٦	وفي العمر بزَورة
٨١	١	في مفازة
«	٢	ماحوله
٨٦	٢٠	للطاهرة النفيسة
٨٧	٢٤	بأن أودع
٩٦	١٤	الأمثال بالنار
١٢١	١٧	إن ذكر الخير كنتم
٢١٤	١٧	والحاصل ممّا فهم
١٥٦	١٤	للمستمعين
١٧٩	٢٢	فانّ لله فيه قدرة
١٨٧	آخر	ولاتغفلوا عنه
١٩١	١	فاعتبروا بها
١٩٩	٣	تمام سطر زايد است
٢٠٥	٢	فإنّ لله تعالى علماً
«	٢٣	الخشية لله
٢٠٨	١٤	إذا لقوا المسلمين
٢١٢	١٦	على الناس
٢٤٥	آخر	مادام حيّاً

* ـ جد في استخراجها وأتعب نفسه تلميذ المؤلف الخصيص به الحاج ميرزا عبد الحسين « محسنيان» فعلى الله اجره . المصحح .

صفحه	سطر	صحيح
٢٧٧	٣	نجا أول هذه الأُمّة
٢٧٨	١	ليردّونكم
٢٩٧	١٣	والنصارى
٣٢٤	٦	ولاتسئلون عماكانوا
٣٣٣	١٣	و إنّما فعله

ج٢

صفحه	سطر	صحيح
٣٠	٩	ثياباً سابغة (يعني دروعاً واسعة)
«	٧	يمضغون ألسنتهم
٣٤	٦	فان منعوكم فاقتلوهم
٤٢	١	فمنهم من يسأل نعيم الدنيا ولايسأل نعيم الآخرة لانّه غير مؤمن بالبعث والنشور
٤٤	٩	وان لايجعل نفقته من كسب الحرام
٤٨	١٤	لأجلهم
٦١	١٥	ابناً
٦٥	١٢	كمجامعة الحائض
٧٧	٣	تكملة
٩٦	١٩	لما عصوا
١٠٢	١٩	على يدك
١٠٥	٩	وسوّاس الخلق
١٢٤	١٧	من عمله
١٢٦	١	الآ أقلّ
١٢٧	٩	أُجوركم
«	١٣	وبعضهم كان يربط في ثواب الفقير
١٦٣	٧	هو الّذي أنزل
١٧٥	١٧	وقد قامت
١٥٦	٥	فأساقوا
١٦٦	٧	وهو ماذكره
«	٢٠	«بآيات الله ورسله» جزء آيه نيست
١٧٢	٢٠	على وحدانيّته
١٧٣	٤	فانّ الشاهد
١٧٣	١٢	والمعاقبة
٢٠٥	٥	بوحدانيّتك
٢٤٠	٢١	وقف النبيّ صلى الله عليه وآله
٢٤٥	١٨	إذا قصدته

تصويب الأخطاء

صفحه	سطر	صحيح
٢٥٠	١١	إلاّ بحبل من الله
٢٥١	١٤	حتّى يدع
٢٥٤	٢٢	قدبيّنّا لكم الآيات
٢٨٥	٥	الحور بعد الكور
		ج۴
٣	١١	وقلتم من أين
٦	١٩	متشمّراً
٩	١٥	ولاهم يحزنون
١٢	٢٣	اول سطر بعداز «الله» واو زائد است
١٨	٩	والباقون بالتّاء
٢٤	٢٢	القبر روضة
٤٧	١٣	جعل الله لكم قياماً
١٠٣	١٢و١٣	في الضيعة
١١٣	٣	من الحور
»	١١	عورات النساء
١٦٠	٨	وأولاهما بربّنا العفو
١٧٤	٣	ولاتهنوا
١٩٠	١	اي محقاً لاخلل
٢٠٣	١٤	بعزير

صفحه	سطر	صحيح
٢٧٢	٨	سلّم وجوده لله
٢٧٨	١٦	وحّد الضمير
٢٨١	١٢	لاينتمي
٢٨٣	١٠	فأُرشدكم
		ج۴
١٣	١٦	والسّارق والسّارقة
١٦	٣	من فعل الظلم بالسرقة
»	١٤	سمّاعون
»	١٥	أُوتيتم
١٨	١٦	لم يفتدونا
٢٠	١٨	قال القاضي
٥٧	٦	والصابئون والنصارى
٧٩	١٨	والقيام لعبادته
٨٩	٢١	المماثلة بالقيمة
٩٦	١٣	وحرصهم الشديد
١٠٠	٦	حليم» افتراض
١٠١	٨	أنتجت الناقة
»	١٢	حتى تسيّب حيث
»	١٦	من ماله مايشاء
»	١٧	إنّ السائبة هي الناقة
١٣٦	٦	الظاهر المكشوف

صفحه	سطر	صحيح
١٣٨	٦	ولايستدلّون لها
١٣٩	٢١	أطيب الناس خيراً
١٤٣	١٩	كالتفسير لقوله
١٤٦	١٣	وأظنّه وهمأمنه
١٥١	٥	إلاّ أن انفتّ منه
١٥٧	٤	لا نكذّب ونكون
١٥٩	٥	ماركبتك
١٨٨	١٦	وفيحديث أنّه
٢٠٠	٢٣	إذجاء ربّه
٢١٩	٢٠	الحبّة اليابسة
٢٣٥	١٩	وإنّما أنامنذر
٢٣٦	١٨	لاإلهإلاّ هو
٢٣٩	١٨و١٩	فينبّئهم
٢٥٤	١	عندالبصريّين
٢٦٧	١١	ذوالرّحمة
٢٦٩	١٤	يزرعون لله
٢٧٧	١٣	أعلمتموه
٢٨٨	١٦	ولذالا تزال
٣١٤	٣	منها] وقد
٣٢٩	١٤	إذاادّاركوا
٣٣٦	٢١	بالدلائل ويخرجون
٣٤٢	٣	عنالرّياء المبطل

صفحه	سطر	صحيح
٣٥٠	١	وكانوا يثورونإلىنوح
»	٢	فيحمل ويرمي بهإلى بيته
»	١٤	واعبدوا الله
٣٥١	١٣	وزادكم في الخلقبسطة
»	١٨	مقدار ماتبلغه يد إنسان
٣٥٨	٣	قلوب القوم
٣٦٠	٢٢	فاكتمي أمرهم

ج٥

صفحه	سطر	صحيح
٥٤	٢٠	ذكر عقيبه
٦٤	١٣	والمساء
٦٩	١٨	و لكأنّي أنظر
»	٢٣	وكانوا يقولون
٧١	٢٠	بالتخفيف
٧٣	٤	ذلكم خبر مبتداء
٧٤	١٤	انتسبوا
٧٨	١٧	لقد قتلنا
٨٠	٢٣	ذلكم إشارة
١١٤	١١	بتارك الزّكاة
١٢٦	٤	واستعمله على
١٣٤	٢١	زبيبتان
١٣٩	٢٠	والله على كلّ شيء

صفحه	سطر	صحيح
١٤٤	٢٢	الإغطاء والخبون
١٥٦	١٢	فليقوموا و ليعترفوا و ليستغفروا
١٥٦	١٦	بالكلّية
١٦٢	٢١	عذاباً أليما
١٧٦	٩	والبوادي
١٧٨	١١	ورضوا عنه
١٨٤	٥	الّذين مردوا
١٩٧	١٨	ثمّ ثبّته الله وقبل توبته
٢٠٠	٢٤	بكلّيتهم إلى الجهاد
٢٠٤	٣	يمتحنون بالجهاد
٢٠٥	٢	عزيز عليه
٢١٣	١٦	وأن لايجعل
٢١٩	١٧	إنّ هذه لآيات
٢١٩	٢٠	وكلها دالّ على صحة القول
٢٢٠	٢	من يكفر بها في هذه الآية
»	٢٠	عملوا الصالحات يهديهم
٢٢١	٩	«إلى الجنّة» جزء آيه نيست
٢٢٣	١٣	و ربّما خرج من صلبهم
٢٦٠	١٣	فما سواه ملكه لأنّه أوجده
٢٦٥	٨	فإن رأى دلائل معرفة

صفحه	سطر	صحيح
٢٨٣	١٢	وأخلصت
٣٠٧	٨	باطنهم على خلاف ذلك
٣١٦	١	فبلعت
٣٣٢	٦	تلك القرية
»	٧	تغليظاً للعقوبة
٣٤٠	٢١	وجاء أمر ربّك
٣٤٢	١٦	قائلاً خالدين فيها
٣٤٧	١٧	في جسده درن
٣٤٨	٢١	النّعم و النّقم
٣٥٠	١١	الاختلاف المذموم

ج ٦

صفحه	سطر	صحيح
٥	١٢	اقتلوا يوسف
١١	١١	وأولى من الجزع
١٢	١٩	منتبذاً
١٣	٩	راجعاً إلى الثمن
»	١٤	فاشتراه قطفير أو اظفير
»	٢٢	فاشتراه قطفير
٢٧	١٦	ومن الأذلّاء
٢٩	١٧	رأيت أصل حبلة
٣٦	٥	من نهر يابس
٤٥	١	بأن يوقفوهم من البعد

تصويب الأخطاء

صفحه	سطر	صحيح
٤٦	٦	من قال كانوا عالمين
٥٨	١١	قال:هل علمتم
٥٩	٢٢	ولم يذكر أباه
٦٦	٤	واشتاقت نفسه
٦٨	١٥	ولدار الآخرة خير
٧٤	١٩	يفصّل الآيات
»	١٥	على الكيس: «ألفان» و المراد الذي فيه «ألفان»
٨٠	٤	لتخطفكم الجنّ
٩٢	٩	فالاطمينان قد حصل
٩٦	٢١	أُكُلها دائم
٩٨	١٨	يك «الله» زايد است
١٠٥	١٤	إلّا كافّة للناس
١٢٠	٢	ولولا الأنهار
»	٥	و لتبتغوا المعاش
١٢٤	٤	ليوم تشخص فيه
١٢٥	٤	وسكنتم في مساكن
١٣٦	١٠	وقيل منتن
١٣٧	١٠	قسم من الجنّ
١٤٠	٩	يقبل تلك الوسوسة
١٤٢	١٩	وبشّروه
»	١٤	ولا ذرأ ولا برأ

صفحه	سطر	صحيح
١٤٤	١٨	وأمطرنا عليهم
٢٠٢	١١	مذاهبهم الزائفة
٢٠٣	٩	فأذن الله لهم في السّبت
٢١١	١	مسجد الكوفة أفضل منه
٢١٦	١٤	ديكاً ورجلاه
٢٢٩	١٤	فقال سبحانه
٢٣٠	١٣	علامة الجزم
٢٤٠	٥	«والأرض» زائد است
»	٢١	تسبّح له السماوات
٢٤٣	٢١	بحسب الظاهر
٢٤٨	١٨	إنّ الشجرة الملعونة
٢٤٩	٥	الملعونة
٢٥٣	١٩	وهذا أخسّ الأقسام
٢٧٨	٨	الدعاء و المسئلة
٢٨٣	١٥	فقالا : يامعاشر قريش
٢٨٦	٦	من قول تمليخا وهو
٢٨٨	١٧	و كذلك بعثناهم
٢٩٣	٢٢	مكسلمينا
٢٩٥	١٨	قرءا بثلاثمائة سنين
٣٠٢	٢٣	وإن تعبت جمعه
٣٢٠	٦	لأبصر أعجب الأعاجيب
٣٢١	١٩	يجب عليه في الحكمة

تصويب الأخطاء

صفحه	سطر	صحيح
٣٢٤	١	إلى ورود الجواب
٣٢٧	١١	كان يطبخ من كفر في القدور
٣٣٥	١٥	منهم أهل حرورا من الخوارج
		ج ٧
١١	٣	قبل دينه زكاةً ومقبولاً
٣١	١٥	قضي الأمر
٤٧	١٣	صباحاً ومساءً
٦٣	٢١	كلّ من في السماوات
١٠٢	٥	فشرح الله نعمه
١١٤	٦	استأنيتك
١٢٧	١٤	إلى قوته إلاّ بمعصية الله
١٣٠	١٩	وهو على كلّ شيء قدير
١٤٢	١٨	قوله و ماخلقنا
١٤٤	١	عبيدة
«	٣	نفى البنوّة على الملائكة
١٤٩	٧	لوكان فيهما
١٧٣	٨	مخلصين لنا في العبادة
٢٠٥	٣	فأمنت بك لمّا أثنى الله
٢٠٦	١٥	على الالتقاء بالكسرة
٢٠٩	٤	لم يحطّوا السرج
٢١٢	٦	محبّتها الأرحام
٢١٩	٢٢	خبره مثابٌ محذوف
٢٦٥	٦	على صلواتهم يحافظون
٢٨٣	٢٤	فماءوا عندها
٢٨٤	٣	مما بُلي وفتّت واسودّ
٢٨٨	٤	من زبر الحديد و الفضّة
٢٩٦	٣و٤	سيقولون لله
«	١٦	سيقولون
«	٢٠	سيقولون لله
٣٠٣	١٤	شفته العليا
٣١٦	١٤	وحذف لدلالة الكلام
٣٢١	١	إلى الرحل
٣٢٦	٢٢	فوجب إجراؤها
٣٢٨	١٥	افتعل
٣٣١	١٦	اي ليتمّ الله
٣٥٣	١٣	فإذا كان غير شرقيّة
٣٥٤	٢٢	اختلفوا في المشبّه والمشبه به
٣٦٠	٢	وقع بعد بطء
٣٧٣	١٧	متى كان الدين الّذي

صفحه	سطر	صحيح
		ج٨
٣	١٨	فيما اقتضته الحكمة
٢٧	٨	لم قدّر الخلق والإيجاد
٢٩	٨	والّذين إذا أنفقوا
٣٠	٦	ولا يتبخترون
»	٢٣	من منع من حقّ فقد قتر
٣١	١	والملح وأنت تقدر على غيره
»	٢	قيل فما القصد قال الخبو
٣٣	٢٣	يرجع إلى الله مرجعاً
٤٧	٢٣	والحذر المتيقّظ
٥٧	٦	بالقلب الفاسد
٦٤	٢١	أخرجها الله من الصخرة
٨٠	١٣	وتأويله تبارك
٨٩	٣	جذام و غسّان
٩١	١٦	أتى الهدهد
٩٢	٢٥	بهديّة
٩٥	١٨	لاتقاومه
١٠١	٦	لنبيّتنّه اي لنقتلنّ
»	٧	ماشهدنا مهلك أهله
١٠٣	٤	وماكان لكم أن تنبتوا شجرها
١٠٩	١٦	في وعد الملوك و وعيدهم
١٢٣	٥	«أو مريم» زايداست

صفحه	سطر	صحيح
١٢٩	٥	نفى عن نفسه الكفر
١٤٨	٥	فأثنى الله عليهم بقوله
١٤٩	١٩	يخالف إجماع أهل البيت
١٥١	١٧	و خفض العيش
١٦٣	١٥	والعاقبة للمتّقين
١٦٧	٢	فليعلمنّ الله الّذين صدقوا
١٧٣	٢١	إن تبتّعونا نحمل
١٧٥	١	و ما هو شرّ لكم
١٧٦	٢٠	والحاصل إن تأخّر عنكم
١٧٨	١٠	وأطلب الله [إنّه هو العزيز]
١٨٦	٧	ثمّ بيّن مايدل على إلهيّته
»	١٦	يكون توفيقاً
٢٠٨	١٠	يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ
٢٢١	١	أي بل هل أنزلنا عليهم
٢٣٨	٢١	لانشرك بالله شيئاً
٢٣٩	١٣	فوق أصواتهما
٢٤٦	٥	يدعوهم إلى تقليد آبائهم
٢٥١	٧	من الكفر أومقتصد
٢٦٣	٣	و الآخر يزداد شقاوه و كدورته
٢٦٣	١٧	لهديناهم إلى الجنّة

صفحه	سطر	صحيح
٢٦٩	٢٠	وأمتك أصحاباً يهدون
٢٧٠	٩	والواجب من الهدي ما يؤدي
٢٩٤	٥	وفي رواية صحيحة بحذف الأسانيد
٢٩٧	١٣	يصنع بنا؟ فقال كعب
»	٢٠	من هذا العبد الصالح
٣٠٤	٤	آيات الله والحكمة
»	١٨	إنهما مختلفان
٣١١	١٥	من البكرة والأصيل
٣١٤	٣	ولم تقاربوهن وتمسوهن
٣١٨	٤	وبعثت أمي بخيس
٣٢٣	٦	وكتبت له عشر حسنات
٣٣٢	٢	فمجمل تفسير الآية
		ج ٩
٣	٥	فلا يعاجلهم
٩	١٠	من أرض اليمن
٤٢	١٩	يولج الليل في النهار
١١١	١٦	لاستعارة اليمين
»	٢٠	وتمسكوا بعهودهم
١١٦	٧	كحالك
»	١٣	ما نحن بميتين
١١٧	١	فليعمل العاملون

صفحه	سطر	صحيح
١٢٧	٤	أم من الشيطان
١٥٦	٦	وقد فسروا
٢٤١	٢	إنما عليهم
٢٥٨	٣	حين أهلكهم الله
٢٦٦	١٦	في حيز الإمكان
٢٦٩	١٧	لما قدر
٢٩٣	١٥	فأخذتهم صاعقة العذاب
٣٠٤	٨	بما تعملون
٣٠٦	١١	بما تعملون بصير
٣٠٨	٢٢	وهو عليهم عمى
٣٠٩	١٢	يعمله
		ج ١٠
٧	٢٠	والذي أوحينا إليك
٢٣	١٤	وعملوا الصالحات
٣٣	٩	من ولي من بعده
٤٨	١٠	للنذير
٤٩	١٣	إلى الاقتداء
١٠٤	٧	وفتح الطاء
١٠٧	١١	والأولياء
١٣٣	٢	فاصبر كما صبر
١٤٠	١٤	فإما منا بعد
١٦٦	١٦	وكان الله عليماً حكيماً

صفحه	سطر	صحيح
٢٣٦	١٢	أن يطعمون
٢٣٩	١٩	معايشهم
٢٧٧	٦	من عمله
		ج ١١
١٤	٦	لعلمه
٢٥	١	بالسبق
٣٣	١١	لجعلناه
٣٦	١٥	بموجبه لعظّمتموه
٥٤	٩	كلعب الصبيان
٥٧	٢٢	إنّ ذلك
٥٢	٦	أن تخبرني
٦٠	٢٣	نمرود
٧٣	١٦	ليحزن الّذين آمنوا
٨٩	٦	يضعه
١٠٤	٢٢	ومعنى الخلق
١٤١	٢٠	إنّا هدنا إليك
١٦٤	١٨	فيوقفونه
١٦٩	١٧	بل نمهلهم
١٧١	٢٣	من كان يؤمن
١٧٤	١٢	« من سعته » افتاده
»	١٦	«رسولاً» افتاده

صفحه	سطر	صحيح
١٧٧	٣	وبارداً
١٧٩	٣	وإذ أسرّ النبيّ صلى الله عليه وآله
١٩٠	٥	بيتها
١٩٨	١٧	«نسمع» افتاده
٢٠٣	١٢	أنشأكم وجعل لكم السمع
٢٠٤	٤	«قل» افتاده
٢٠٦	٥	في المنهبط
٢١٣	٨	كثير الإثم
٢٢٢	١٣	ما رأيت أحسن من هذا
٢٢٢	٨	شزراً
٢٣٧	١١	بعض الضوائع
٢٣٨	٢٣	«لا» زائد است
٢٤٣	٢	و زمان أهل النار
»	٥	فالويل للعاصي
»	٦	وقد تحذف الباء
٢٤٥	١٣	ثمّ تلتقطهم
»	»	زبانيتها
٢٥٣	١٨	مع كونه بشيراً
٢٥٤	٢١	على الكفر والمعاصي
٢٥٥	١٩	فقال الشاب
٢٦١	١٧	في سورة
٢٦٤	٩	أُوحي إليّ

صفحه	سطر	صحيح
٢٦٤	١٥	فسخّر عليهم
٢٧٩	٣	تمثّل إليّ الملك
٢٨٢	٢٤	اهال من أعلاه
٢٨٤	٢٠	طريق للسّالكين
٢٨٦	٥	لفظ المشبّه بهفيه

ج ١٣

صفحه	سطر	صحيح
٨	١٢	بين أيديكم
١٥	٢	و يطيعه
٣٠	١٢	نقيض النكير والمنكر
٣٦	٢٢	حُنَف
٤٠	١٦	صواباً
٤٢	١٢	التقدير : وحال إذا
٥٧	٤	قالوا تلك
١٠٥	٢٠	لتعبرنّ

صفحه	سطر	صحيح
١٠٦	١٥	وعملوا الصالحات
١٠٧	١٠	فتنوا
١٣٩	١٣	بفتحتين
١٤٩	٣	و غيره
١٥٠	٢٠	وان نازعك فرجك
١٦٣	آخر	رميت
١٦٧	٢٠	أمحق للخطايامن الماءللنار
١٩٨	١٢	مُنفكّين
٢٠٩	١٦	بلسان كندة
٢٤٥	١٢	فشرعوا
٢٥٠	١٤	زهق
»	١٥	زهوقا
٢٥٧	١٦	و أرغم
٢٦٦	١٣	يشفيك

Library of

Dei Sub Numine Viget

Princeton University.

Princeton University Library
32101 072714056